

قصص نسائية عن الحياة الزوجية

قصص ومواعظ ونصائح مؤثرة للنساء

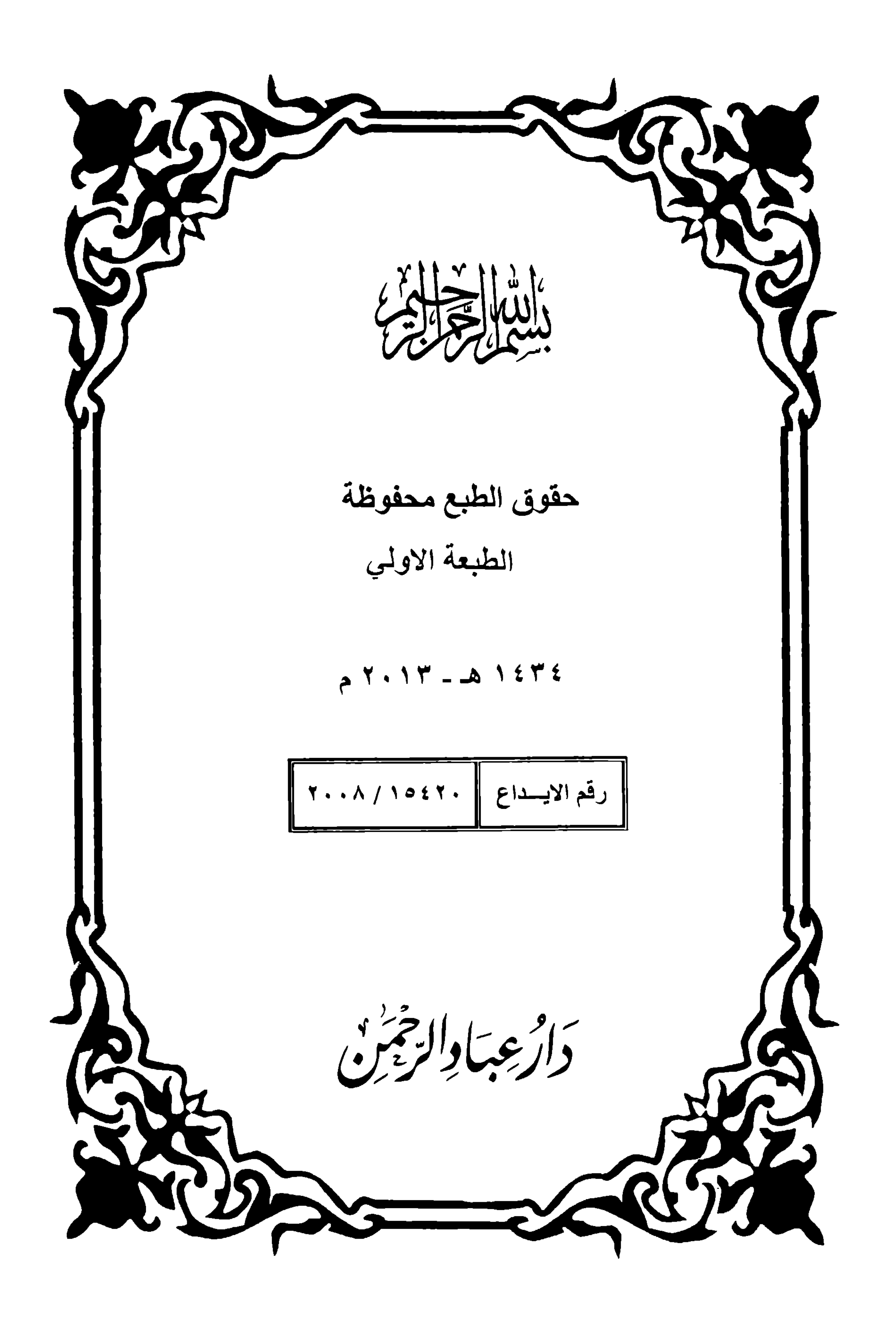
جمع وترتيب
أبو ملك محمد أحمد الهلالي



دار عباد الرحمن

دار البشير
الإمارات

قصص نسائية
للحياة الزوجية



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولي

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الايـداع	٢٠٠٨ / ١٥٤٢٠

دار عباد الرحمن

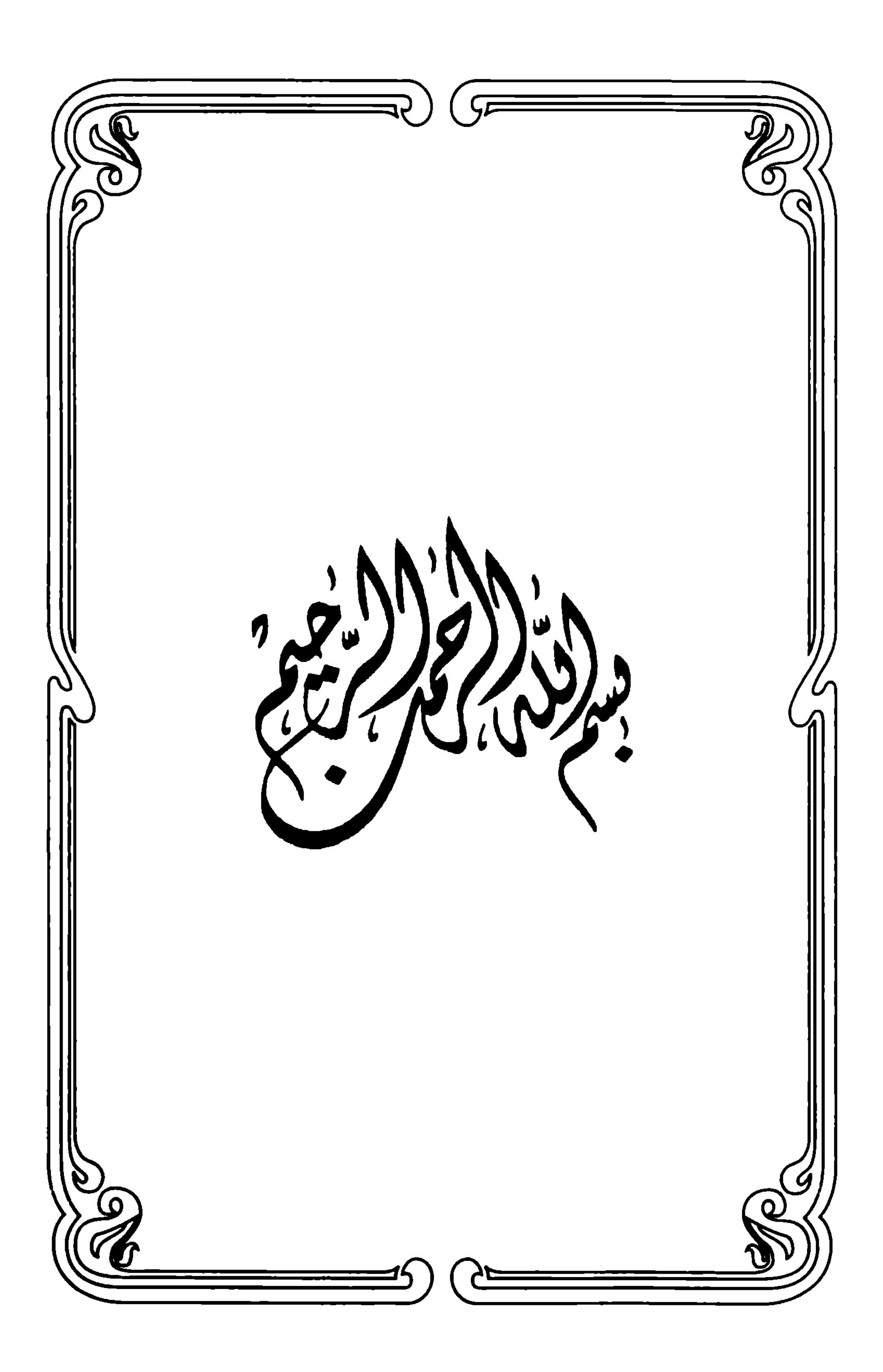
قصص نسائية للحياة الزوجية

قصص ومواعظ ونصائح مؤثرة للنساء

جمع وترتيب

أبو مالك / محمد أحمد الهلالي

دار عباد الرحمن


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: أيها القارئ الكريم فإني أضع بين يديك هذا الكتاب الجديد الذي نهدف من ورائه النصيحة والعبرة في ثوب من التشويق والتسلية من باب الذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

وقد تدرجت محتويات هذا الكتاب بشكل متصاعد فبدأت بموضوع

حكايات ما قبل الزواج عن يوم الخطبة والرؤية الشرعية متضمنة بعض النصائح لأخواتنا من بنات المسلمين ثم أتبعتها بنصائح ووصايا للمرأة المقبلة على الزواج وكيف تختار زوجًا مناسبًا وكذا همسات في آذان أخواتي بنات المسلمين، ثم بدأنا بقصص تحكي بعض هموم الفتيات، ثم أتبعتها بقصص واقعية لبعض الصالحات، ثم قصص لنماذج مضيئة للفتاة المسلمة، ثم مجموعة قصص فتيات والذئاب، ثم قصص من ضحايا الإنترنت، وباب قصص من قصص ضحايا الحب.

راجين من الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا، وأن ينفع به من قرأه أو نشره، والله عز وجل حسيبنا وهو غايتنا، فما قصدنا بهذا العمل إلا وجهه تعالى ونسأله سبحانه أن يجعل مجتمع المسلمين طاهرًا عفيفًا خاليًا من الرذائل والفواحش، وأن يعيد لأمتنا الإسلامية كرامتها وعزتها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أبو ملك/ محمد أحمد الهلالي



حكايات البنات عن يوم الشوفة (الرؤية الشرعية)

(يوم رآني خطيبي)

تحت وطأة القلق والارتباك والضغط النفسي حكايات البنات عن «يوم الشوفة» مواقف كثيرة تحصل في يوم الرؤية الشرعية التي سنها الإسلام لكي يرى الزوج فتاته الجديدة وترى الفتاة زوجها القادم.

هذه الرؤية لها أثر عظيم في التهيئة النفسية لقبول الطرف الآخر من عدمه فهي كما قال الرسول ﷺ: **«انظُرْ إِلَيهَا، فَإِنَّهُ أَحرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا»**[1]. البعض لديه مفاهيم خاطئة عنها، والبعض لا يتقبلها رغم شرعيتها وأهميتها، وبعض الفتيات لا يستفدن منها شيئًا بسبب التوتر والارتباك حيث لا ترى شيئًا من الخاطب ولا تتحدث معه.

تعالوا معنا في هذا التحقيق نطلع على بعض المواقف والطرائف في هذا الموضوع، ونرى كيف يمكن لك الاستفادة من يوم رؤيتك الشرعية بأفضل شكل بإذن الله.

حين رأيته لأول مرة!

كنت أحاول أن أتماسك وأتوقف عن الارتعاش قبل الدخول إلى مجلسنا الكبير.. تنفست بعمق وأنا أرتجف وأحمل بيدي صينية العصير

---

(١) الترمذي (١٠٠٧)، وَفِي الْبَاب عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَجَابِرٍ وَأَبِي حُمَيْدٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ وَقَالُوا: لَا بَأْسَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا مَا لَمْ يَرَ مِنْهَا مُحَرَّمًا، وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا» قَالَ: أَحْرَى أَنْ تَدُومَ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا.

التي بدت لي ثقيلة جدًا.. ذكرت الله.. وتقدمت بصعوبة.. ودخلت..

كان أبي يجلس في الواجهة حين رأيته ازددت حياء وخوفًا.. ألقيت السلام بصوت خافت.

كان يجلس على اليمين.. أسرعت أتجاوزه وانطلقت نحو والدي أقدم له العصير.. فتناوله مني ونظر إلي يريدني أن أقدم للرجل الآخر كأسه..

ابتلعت ريقي والتفت بسرعة وتوتر لأعطيه الكأس فإذا بي أعثر وإذا بالكأس يطير ويرتطم بالطاولة ويتناثر في كل مكان.. وضعت الصينية على الطاولة بكل برود (ولا أعرف كيف هبط علي ذلك البرود سبحان الله)..

ثم خرجت وكأني لم أفعل شيئًا..!

لقد رأيت والدي جيدًا ورأيت العصير وهو يندلق على الطاولة وعلى الأرض..

رأيت ألوان الكنب الذي أحفظه جيدًا..

رأيت كل شيء يومها.. إلا الشاب العزيز الذي أصبح زوجي فيما بعد والذي لم أر منه شيئًا..!!

يا منير اعقلي.. بشويييش!

منيرة ٢٣ سنة... من عاداتنا أن الخاطب لا يرى المخطوبة إلا يوم عقد القران وعندما خطبني صديق أخي أصر على رؤيتي فأدخله أخي في المجلس وكانت نافذته تطل على الحوش ووضع المقاضي في الحوش وناداني «يا منيييرة تعالي شيلي الأغراض» جئت وأنا أرتدي قميص البيت وشعري منفوش (وحدة في البيت وش شكلها؟؟) المصيبة ليست في ملابسي المصيبة أني جئت أفحط بالعربة وأخي يحاول تهدئتي «يا منيّر اعقلي! بشويييش» المهم الرجل قال: لا أريد إلا هذه؛ لأنها مرحة ودمها خفيف!

أريد الحمااااااااااااام!

أم عبد الله تقول ضاحكة وهي تؤكد علينا بعدم نشر اسمها:

في يوم رؤيتي الشرعية كنت مرتبكة وخائفة مثل كل البنات، وقد تجهزت وارتديت ملابس مناسبة، وحين أعطتني أمي صينية العصير قبل الدخول للغرفة شعرت فجأة بحاجة شديدة للذهاب للحمام، فقلت لأمي: أريد الذهاب للحمام! فقالت: لا يوجد وقت الآن هيا ادخلي بسرعة..

فدخلت وأنا لا أفكر في شيء سوى الحمام أعزكم الله، حتى أني لم أستطع رؤية وجه زوجي، وقد ناولته العصير وجلست وأنا أمسك نفسي بقوة عن الذهاب للحمام، حتى أن رأسي كان مطأطأ وبالكاد أمسك نفسي.. وقد أخذ يسألني عن بعض الأشياء فوالله لم أستطع استيعاب بعض ما يقول من شدة كربتي فكنت أقول: نعم، لا، ممم، دون أن أعرف ماذا يقول.. ثم لم أتحمل فقمت أركض فجأة مسرعة لألحق على نفسي أثناء كلامه.. وسريييييعًا نحو الحمام.

وجاءت أخواتي وأمي يعتقدن أني غاضبة أو أبكي! وحين علمن بقصتي ضحكن كثيرًا.. أما زوجي المسكين فقد اعتقد بالفعل أني غاضبة وأنه لم يعجبني حيث أني قمت فجأة وخرجت بينما كان يسألني دون أن أهتم به فخاف مني.. لكني لم أخبره بالسبب حتى الآن!! أما أخبار العصير وسكبه فكثيرة ولا حرج..

فهذه قد دلقت العصير على ثوبه من شدة الارتباك، وأخرى تقول: حين جئت لأناوله العصير أعطيته الصينية بكاملها ليمسكها «عجزانة تدور في الصينية قالت أعطيه وأريح نفسي!!»، والثالثة حين تأخر خطيبها في مد يده ليتناول العصير اعتقدت أنه لا يريد فسارت مسرعة بالصينية وهو يقول: (لحظة.. لحظة.. أريد واحدًا لو سمحت!)..

نصائح قبل الرؤية الشرعية

* كوني هادئة ومرتاحة وخذي حمامًا دافئًا بالزيوت العطرية لتهدئة أعصابك قبل الموعد.

* لا ترتبكي ولا تتشاءمي وتتوقعي الأسوأ، بل على العكس كوني متفائلة وتخيلي أن كل شيء سيكون على ما يرام بإذن الله.

* توكلي على الله وفوضي أمرك إليه، وادعيه أن يوفقك لما فيه خيرك.

* لا تبالغي في الزينة وكوني طبيعية، حتى ملابسك اختاريها معقولة وبسيطة بلا إسفاف فالمطلوب أن تعطي انطباعًا بشكلك على الطبيعة، ووضع المكياج وتغطية العيوب يعتبر من الغبن والغش في هذه الحالة فانتبهي.

* لا تتسرعي وتخبري أحدًا عن موضوع الخطبة والرؤية حتى تتم الموافقة تمامًا، ففي حال لم يكن هناك نصيب من الأفضل ألا يكون أحد قد عرف بذلك حفظًا لكرامة الشاب والفتاة.

* عند الدخول لا ترتبكي وتخافي بل كوني واثقة متماسكة وفي نفس الوقت محافظة على حيائك، واحرصي على النظر إليه فهذا حقك الشرعي، وأنت لا تفعلين شيئًا خاطئًا.

* انتبهي إذ لا يصح لك مصافحة الخاطب فهو لا يزال أجنبيًا عنك.

الكثيرات يعتقدن أن الرؤية تكون بشكل سريع خاطف، وهذا خطأ إذ يجب أن تجلس وتراه ويراها ويكون هناك حديث بسيط منهما يتعرفان من خلاله على جوانب من شخصياتهما.

* لا ترتدي الكعب العالي فقد يؤدي بك للسقوط أو عدم التوازن لا سمح الله.

* يفضل ألا تحملي في يدك صينية عصير أو غيرها؛ لأنها قد تسقط منك كما حصل مع الكثيرات، ادخلي بهدوء وألقي السلام واجلسي في مكان مناسب يسمح لك برؤيته.

لا أنا ولا الكعب!

أما قصة هنادي فمختلفة.. حيث لم يسقط منها العصير.. بل سقطت هي بأكملها:

حاولت والدتي إقناعي قائلة: يا حبيبتي لا ترتدي هذا الكعب العالي قد يعيق حركتك، لكني رددت عليها: أووره أمي هل تريدين أن يقول عني قصيرة أرجوك دعيني..

ودخلت وكلي حياء ورهبة وقلبي تتضارب به المشاعر من خوف وفرح، ولكن.. لم تدم تلك المشاعر طويلًا لأني ما إن دخلت حتى اشتبك كعب حذائي في سجادة المجلس وطررررربك (طبعًا طحت وش تنتظرون؟) في هذه الأثناء تذكرت نصيحة أمي ولكن بعد ماذا؟؟!! بدأ أبي يلطف الجو ويضحك ويعلق مما زادني حياء، ولكن والحمد لله تمت الخطوبة على خير، بل علق زوجي بعد ذلك إنه رأى ما يدعوه إلى نكاحي (بعد وش يبي انسدحت عنده!).

أقبل رأسك.. أرجوووك.. تزوجني!!!

قصة طريفة جدًا.. ترويها صاحبتها فتقول:

حين دخلت صديقتي للمجلس فإذا بخطيبها ووالدها جالسين فبدأت بالسلام على والدها وقبلت رأسه، وحين وصلت لخطيبها كانت قد «اندمجت» مع الموضوع فأمسكت رأسه وقبلته بحماس!! ووالدها مستغرب وغاضب من هذا التصرف! وحين استوعبت ما فعلت كادت

تموت خجلًا . .

ولا زال زوجها حتى الآن يقول لها: أنا بصراحة وافقت على الزواج منك لأنك قبلت رأسي راجية أن أرضى بك. . ولولا ذلك لم أوافق فقد «كسرت خاطري»!

مبخرة.. ونظرات حاقدة!

أما أمل فتقول:

يوم رؤيتي الشرعية يوم لا ينسى. . يوم بكيت فيه كثيييييرًا. . فقد دخلت لأول مرة ومعي مبخرة حيث إنه لم تكن تعجبني فكرة العصير (وحدة تراثية جدًا)، وحين دخلت أسرعت ووضعت المبخرة على الطاولة أمام خطيبي والدخان يعلو منها ثم هربت بسرعة من شدة الارتباك، وكان المسكين يتحدث مع والدي ولم ينتبه لدخولي كما أن الدخان المنبعث من المبخرة لم يسمح له برؤيتي. فقال لوالدي أنا لم أرها أرجو أن تطلبوا منها الحضور مرة أخرى!

وحين قال لي والدي ذلك أخذت أبكي وأصيح ورفضت الدخول وقلت: وهل أنا سلعة حتى يراني كما يشاء! كلا لن أدخل! وحاولت أمي إقناعي وأنا أبكي وأرفض وأقول خلاص لا أريده إذا كنت لم أعجبه فأنا لا أريده!!

وفي النهاية لم يجد والدي بدًا من إجباري بالصراخ و«بالعين الحمراء» على الدخول وأنا أمسح دموعي وحين دخلت كنت غاضبة وحاقدة عليه جدًا حتى أني لم أنظر لوجهه وكنت عازمة على رفضه. فحاول المسكين أن يسألني ويتحدث معي لكني أرد عليه بصرامة ونبرة كره! ولا أعرف كيف سكت ورضيت به بعد ذلك بعد التفكير الجاد. . وحتى اليوم يقول زوجي لا أنسى نظراتك الحاقدة ذلك اليوم. . لقد كنت مخيفة حقًا!!

يوم رؤيتي أتعس أيام حياتي!!

لكن أم شادن تتحدى أمل وتقول؛ إن يوم رؤيتها كان أتعس أيام حياتها لكثرة مشاكله وأحزانه، ولكثرة ما بكت فيه، إذ تقول:

كنت الابنة الكبرى التي تتزوج في الأسرة، في يوم رؤيتي الشرعية وقبل دخولي فوجئت بأبي يستغرب من قدومي ويقول: ما هذا؟! كيف تريدين الدخول بلا عباءة؟ فقلت له: يا أبي هذا هو المشروع والمتعارف عليه.. فقال: (إلى أين؟! عيب.. ألا تستحين؟! تريدين الدخول هكذا؟! ارجعي والبسي عباءتك).. فقلت له على استحياء: «ولكن يا أبي ما الفائدة من الدخول بالعباءة..؟» فرفض وأصر على رأيه وأخذ يصرخ علي بصوت عال.. فرجعت لغرفتي وأخذت أبكي ورفضت الذهاب، وبعد قليل أتت أمي بعد أن أقنعت والدي وحادثته بالأمر، وطلبت مني النزول فرفضت، بل ورفضت حتى الزواج من شدة تأثري وحزني.

وبعد قليل دخل والدي وصرخ علي قائلًا كفى دلعًا هيا انزلي.. فذهبت وعيناي حمراوان من شدة البكاء.. وحين جلست قال لي والدي: ارفعي رأسك.. انظري إليه!! فخجلت ولم أستطع فقال بصوت أعلى: أقول.. انظري إليه!! فرفعت رأسي خوفًا منه، وإذا بالدموع تنزل من عيني بلا إرادة ثم خرجت مسرعة.. والخاطب المسكين مستغرب مما حصل حيث إنه اعتقد أني صدمت من رؤيته، لكن الحمد لله انتهى كل شيء على خير.

ماذا لو لم يقبل بي؟

إذا لم يشأ الله سبحانه وتعالى أن يكون هناك نصيب بينكما، فلا تحزني ولا تقلقي فأنت لا تعلمين أي خير عظيم قد يكون لك بتوقف هذا

الزواج. وقد يرزقك الله من هو خير منه كما حصل مع الكثيرات.

هذه ليست نهاية الدنيا، بل هي تجربة تستفيدين منها بإذن الله. كما أن رفضه الآن خير من استمراره بالزواج منك رغم عدم وجود مشاعر حب تجاهك لا سمح الله.

ورفض الخاطب لك لا يعني عيبًا أو نقصًا بك، بل ربما هي مسألة قلبية لا علاقة للشكل بها.

فكم من فتاة جميلة لم يعجب بها خاطبها، وكم من فتاة عادية ومتواضعة الجمال أعجب بها خاطبها، فالشكل ليس له علاقة أساسية في الموضوع.

احمدي الله سبحانه وتعالى على قضائه وقدره، ولا تفقدي ثقتك بنفسك أو تتأثري بذلك، بل أقنعي نفسك أن هذه هي مسألة قلبية لا علاقة لها بالشكل. واسألي الله أن يعوضك من هو خير منه.

وفي النهاية احرصي على السرية والكتمان، فمن غير اللائق أن يعلم الجميع عن هذه التجربة إذ ليس هناك من داع لذلك وأنت أول من يتضرر من ذلك.

رؤية بالحناء!

أما أم فراس فلها موقف طريف لا تحسد عليه إذ تقول:

ذات يوم عادي كنت قد أعددت الحناء لوضعه فوق شعري وبدأت أضع الحناء على هامتي وأبالغ في ذلك، وبالطبع كنت أرتدي ثوبًا قديمًا باليًا، وإذا بأبي يأتي فجأة ويقول لي: تعالي بسرعة بسرعة!.. قلت: ماذا هناك؟ قال هناك امرأة جارتنا عجوز قد أدخلناها المجلس وأمك ليست موجودة تعالي رحبي بها، فقلت ولكن الحناء في رأسي فقال: لا بأس.. إنها كبيرة في السن بالكاد ترى.. فترددت خجلًا من مظهري، فإذا بإخوتي الصغار أيضًا يأتون ويقولون لي: بسرعة لا تحرجينا المرأة لوحدها

هناك!.. ولا أعرف كيف ألهمني الله أن أسحب إيشاربًا صغيرًا وأضعه على رأسي لأني استحيت من شكل الحناء الرطب المتراكم على رأسي.. وحين دخلت المجلس.. يا الله.. إذا بي أجد شابًا أنيقًا يجلس أمامي ووالدي يسرع بالجلوس قربه..!!!

تجمدت في مكاني وأنا أرى إخوتي ينظرون لي بسخرية.. وأمرني والدي بالجلوس فجلست وقد أيقنت أن هذا الزواج لن يتم بأية حال، فكيف سيوافق علي وهذه الروائح تفوح مني ورأسي يرتفع ٥ سم لأعلى (وكأني مخلوق فضائي) وملابسي أقرب لملابس الشحاذين؟!

المهم جلست وقد ماتت مشاعري تمامًا، فإذا بالشاب يسأل ويسولف ويضحك وأنا مصدومة وصامتة لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم.. وحين خرجت كان قد أعلن موافقته المباشرة علي أمام والدي!

وقد علمت فيما بعد أن زوجي قد خطب عشرات الفتيات قبلي فلم يعجبنه رغم جمالهن وأناقتهن، وشاء الله أن أعجبه وأنا بالحناء على رأسي.. سبحان الله!!.

كلنا إخوان واحد!

لا أنسى يوم رؤيتي الذي كان حافلًا بأنواع الإحراجات ففي البداية دخلت على العريس «كاشحة» بالبلوزة الجديدة والدليل بطاقة السعر الكبيرة التي تتدلى خلفي دون أن أشعر!!.. والألطف أني لما دخلت جلست في نفس اتجاهه وكان الوالد في الطرف الآخر (الجهة المقابلة) فكان العريس متورط وجهه على والدي ولا يستطيع الالتفات كثيرًا! فكان يحاول أن يتحدث معي، فسألني في أي كلية أنتِ؟ قلت: كلية الخدمة الاجتماعية، فقال: في أي تخصص؟ قلت بخجل: (كلنا إخوان واحد!) أقصد تخصص واحد؛ لأن كلية الخدمة ليس فيها إلا تخصص واحد.

وقوف.. جلوس!!

لا تذكروني بيوم رؤيتي.. لقد كنت طفلة ساذجة تخرجت للتو من الثانوية، ولو عادت بي الأيام الآن لما رضيت بتلك الإهانة! فقد أتى زوجي مع أمه، وحين دخلت عليهما كانت معي أمي فسلمت وجلست، وإذا بأمه تأمرني بالوقوف فوقفت ببلاهة فقالت: امشي قليلًا!! فمشيت.. ثم قالت: خلاص اجلسي!!

كانت تريد أن ترى طولي وعرضي جيدًا وأنا أطيعها بكل سذاجة! أما أمي فقد لجمتها الصدمة وكانت صامتة تمامًا!

أخطاء شائعة في الرؤية الشرعية

هناك الكثير من المفاهيم المغلوطة لدى البعض حول كيفية الرؤية الشرعية بين الخاطب والمخطوبة ومنها:

* يجب أن يرى الخاطب مخطوبته وهي لا تدري: حيث إنه قد يراها وهي في وضع لا تحب أن ترى عليه، أو قد تكون مبتذلة ورثة بشكل غير طبيعي مما ينفر الخاطب منها، أو ربما بدا منها ما لا يجوز ظهوره، وهذه الحالة تجوز في حال إذا لم يستطع أن يراها إلا دون أن تعلم.

* المبالغة في التزين ووضع المكياج وإخفاء العيوب في البشرة كوضع كريم الأساس لتفتيح اللون وتغطية البثور وغير ذلك: إذ في هذا غبن وخداع للخاطب، وحتى لو قبل الخاطب بهذه الفتاة الآن فستتضح له الحقيقة بعد الزواج وحينها يكون الرفض مؤلمًا أكثر لها.

* الدخول والخروج بسرعة خاطفة: وهذا خطأ إذ يجب أن تراه ويراها بشكل بيّن واضح، حتى يستطيع كل منهما تكوين فكرة عن الآخر، ولا يكون هناك لبس لا سمح الله فيما بعد.

* حضور الكثير من الأقارب عند الرؤية: مما يحرج المخطوبين ويقلل من فرصتهما بالحديث والرؤية، بينما المفروض أن يقتصر الحضور على محرم واحد، ويفضل أن يكون الأخ أو أم الفتاة مثلًا حتى يقل ارتباكها وحرجها.

* السماح بالرؤية الشرعية قبل التأكد من صفات الخاطب وقبل الموافقة عليه: بينما المفروض أن تكون الرؤية بعد التأكد من جدية الخاطب، وبعد الموافقة عليه، حتى لا يحصل تعلق قلبي بينهما ثم تفك الخطبة لا سمح الله.

حراميييية

كنت عند صديقتي فإذا هي تقدم حلوى شوكولاته لذيذة أخذت واحدة ثم استحيت..

المهم ما أن خرجت صديقتي من المجلس حتى قفزت على الحلوى أضع بعضها في حقيبتي لآخذ لإخوتي منها.. بعد ذلك بفترة تزوجت من أخ صديقتي هذه، وفي يوم العرس سألني عن أخبار الحلوى التي أعجبتني ووضعت منها في حقيبتي! تفاجئت وسألته أي حلوى؟! فذكرني بذلك اليوم وقال لي: إنه كان قد اتفق مع أخته على أن يراني من حيث لا أشعر.. يا للإحراااااااج...... كدت أموت من الخجل حتى أخذت أبكي.. وحاولت فيما بعد ترقيعها لكن دون جدوى!!

تجارب فاشلة

من المحتمل كثيرًا أن تخوض الفتاة تجربة لا تكتمل إما بسبب عدم موافقتها هي أو الخاطب نفسه، وهذا أمر طبيعي، بل إنه أمر مفيد في حد

ذاته إذ إن الرفض في هذه المرحلة هو من حكمة تشريع هذه الرؤية حتى لا يكون الانفصال والرفض بعد الزواج لا سمح الله.

لا أريدها

لقد جلست بقربي!! أسماء تحكي هذه القصة عن خالها فتقول:

حين ذهب خالي لرؤية من خطبناها له دخلت وألقت السلام، ثم جلست في مكان قريب منه، فاستغرب جدًا من تصرفها، وقال لنا: لا أريدها فهي لم تستح مني من أول مرة وجلست بقربي.. فكيف أضمن أخلاقها؟!

حاولنا أن نقنعه ولكن دون جدوى.. وقلنا هداها الله ماذا فعلت؟

ثاااالث.. إهئ إهئ..!!

أما أم نور فتتذكر وهي تضحك يوم رؤيتها:

قبل أن يخطبني زوجي خطبني شخص، وحين دخلت لرؤيته، فوجئت بصراحة بأني لم أتقبل شكله أبدًا.. فصدمت وكدت أنهار، وبقيت جالسة لا أعرف ماذا أفعل.. وحين سألني عن سنة دراستي.. لم أستطع الإجابة فأجبته وصوتي يرتعش ثاااالث ثم - لا أعرف كيف - انهرت بالبكاء (إهئ إهئ) وخرجت مسرعة من الغرفة.. بينما أخذ هو يضحك علي بروح رياضية.

كان موقفًا محرجًا وشعرت بأني قد جرحت الشاب المسكين لكن الحمد لله أن الله رزقني فيما بعد من هو خير منه، ورزقه من هي خير مني.

محقق وليست فتاة!

تحكي هذا الموقف عن أخيها فتقول:
خطبنا لأخي فتاة وحين ذهب لرؤيتها دخلت بكل ثقة، ثم جلست أمامه واضعة ساقًا فوق الأخرى وأخذت تحادثه وتحقق معه وهو يرتعش من الخوف. يقول أخي: كان من الممكن أن أتقبل ما فعلته لكن حين وصلت لمسألة السؤال حول عملي وراتبي بلا تردد شعرت أني أمام شرطي قوي وليست فتاة، ولم يوافق عليها.

عريس الكتكات

وكتبت أخرى تقول:
دخلت عليه ومعه أمه، ولم يكن أحد من عائلتي موجود (يعني استفردوا بي) وأخذوا يسألوني سين وجيم كأني في تحقيق وفي النهاية رمى علي كتكات وقال وهو يستخف دمه: «كليه ابشوف شكلك وأنتي تأكلين!». هنا طفح الكيل من استهتارهم فرميت بالكتكات على الأرض وخرجت.. وبالطبع رفضتهم.

لا أريدها..

كلا.. كلا.. أريدها! أما أم بندر فلها تجربة مؤلمة إذ تقول:
قدر الله أن يخطبني شاب، وحين رآني الرؤية الشرعية رفض، فأثر ذلك في نفسي وشعرت بالألم وأخذت أفكر هل أنا ناقصة؟ هل شكلي سيئ لهذه الدرجة؟ فأنا عادية مقبولة ولله الحمد.. وكنت أشعر أن أهلي ينظرون لي بشفقة تلك الفترة.

ثم وبعد شهرين تقريبًا عاد لخطبتي نفس الشاب، وقال: إنه فكر ويريدني فرفضت أنا هذه المرة، وقلت: لا أريده، وحاول أهلي إقناعي دون جدوى لأنه بغض النظر عن كوني أعجبته أم لا فإني لا أعجب بشاب متردد لا يستطيع اتخاذ قرار بشكل قوي وواضح. والحمد لله أن الله رزقني فيما بعد بزوجي الحالي الذي هو أفضل منه بكثير.

واااااااو.. مخيييف!

آمنة تروي حكايتها الطريفة عن تجربة سابقة فتقول:

خطبني شاب وعندما دخلت للرؤية لأقدم العصير، فوجئت به يصرخ بقوة: (ما شاء الله ما شاء الله!!) ويهب واقفًا أمامي فلا أعرف كيف فزعت وصرخت وتركت الصينية على الطاولة وهربت.. فأتى والدي يقنعني بالدخول مرة أخرى وبعد محاولات عديدة دخلت وجلست على خجل بعيدًا وهو لا يزال يردد بصوت أخفض (ما شاء الله ما شاء الله) لكن لا أعرف لماذا كنت قد كرهته تمامًا سبحان الله! فقد أفزعني صوته وتصرفه الأهوج ولم يرتح قلبي له.. فرفضته.

هاهاها... هاهاها؟؟؟

مريم تحكي بدورها عن قصتها المليئة بالضحكات قائلة:

حين دخلت لرؤية الشاب الذي خطبني فوجئت بأنه خجول جدًا، ثم أخذ يضحك من شدة الحياء فاستغربت، فابتسمت ثم لم أملك نفسي فأفلتت مني ضحكة، فاستمر بالضحك بشكل غريب ووالدي مستغرب من تصرفه. بالتأكيد لم أوافق عليه فقد شعرت به وكأنه مريض نفسي! رغم أنهم يقولون: إنه مهندس وشاب خلوق لكن لم أستطع تصديق ذلك!!

يبتسم.. بخبث!

وتقول أم الوليد :

حين كنت في المرحلة الثانوية، خطبني شخص وعند الرؤية (كانت هناك والدتي ووالدته) استغربت من نظراته فقد كان ينظر لي بحدة ويبتسم بشكل أخافني، وكلما رفعت رأسي لأراه إذا به ينظر ويبتسم بشكل (خبيث) . . فكرهته جدًا . .

وحين خرجت وتحدثت مع والدتي وجدت أنها حتى هي لم ترتح له رغم أن أمه طيبة وبسيطة، وبالطبع رفضته.

خرج للتو من السرير!

أما(م) فخاطبها كان بطريقة مختلفة تمامًا وتقول عنه باختصار:

خطبني شخص وحين رأيته كان مسترخيًا على الكنبة، بهدوء عجيب بل وتثاءب عدة مرات!! فشعرت بثقل دمه وأنه غير مهتم تمامًا فرفضته.

وقال أهله بأنه قد أعجب بي لكنه أراد أن يبدو طبيعيًا! إلا أني لم أشعر بذلك فقد بدا وكأنهم أيقظوه للتو وسحبوه من سريره!!

لو لم أشعر بالحب تجاهه..

هل أحكم قلبي أم عقلي؟؟

من المهم أن نستمع لصوت القلب فهو عامل هام ومصيري، لكن في نفس الوقت لا نهمل جانب العقل.

فإذا خطبك شاب وكانت مواصفاته رائعة وجميلة، وحين رأيته لم تشعري بحب كبير تجاهه عندها أنصتي لصوت عقلك وقلبك معًا.. فالحب أحيانًا يأتي مع العشرة ومع حب الطرف الآخر ومعاملته الطيبة.

لكن في نفس الوقت انتبهي فإذا كنت قد شعرت بنفور شديد ولم تستطيعي تقبل هذا الخاطب بتاتًا فلا تضغطي أبدًا على نفسك أو تحاولي إقناعها بالإجبار على قبوله حتى لا تندمي فيما بعد فينتهي زواجك بالطلاق لا سمح الله أو بحياة تعيسة كئيبة.

أعطي ٥٠% من الأهمية لقلبك و٥٠% لعقلك.. لا تهملي صوت أي منهما لكن لا تتركيه يطغى على الآخر!

لا عادها الله من تنورة (جيبة) ضيقة!!

ف.م تتذكر يومها فتقول:

كنت أرتدي تنورة ضيقة وقد نصحتني أمي ألا أرتديها لكني أصررت على ذلك وحين دخلت وجلست سمعت صوتًا تششششششش.. يا إلهي لقد تمزقت التنورة من الخلف!! ماذا أفعل؟!

جلست والعرق يتصبب مني من شدة الخجل والخوف.. فكيف سأقوم؟ وبقي خطيبي جالسًا.. (مستانس شوراه؟).. وأبي ينظر لي بغضب ويشير إلي بأن أقوم (يهز رأسه نحو الباب) لكن أنا خلاص التصقت بالكرسي لم أعد أستطيع الحركة فلو قمت ستظهر ملابسي الداخلية على طول..!!

وبقيت جالسة ورأسي في الأرض وكأني لا أدري عن أبي أبدًا، حتى غضب وقال للخاطب بطريقة لبقة أن الزيارة انتهت حياك الله.. فخرج وأنا في الغرفة.. ثم فششششششششششش طيران لغرفتي قبل أن يراني أبي ويؤدبني.. ولا عادها الله من تنورة ضيقة!

شوووووف شعرها!

وتقول منيرة:

كنت أرتدي غطاء على رأسي ودخلت وسلمت على العريس وعندما خرجت فإذا بأمه تقول بصوت عال: "لماذا تغطين شعرك؟!" وتقوم وتسحب الطرحة من على رأسي وتصرخ بابنها: شف شعرها وش زينة..

طبعًا أنا اختفيت من الوجود وخرجت وأنا أبكي ليس على كشف شعري ولكن على أسلوب الخالة الجديدة!

بين الجرأة والحياء

من الجميل أن تتسم الفتاة بالحياء لكن بشكل لا يحول بينها وبين أخذ حقوقها التي شرعها الله لها. فكل شيء له حدود وما أجمل الوسط في كل الأمور.

وأثناء الرؤية للفتاة الحق في الجلوس ورؤية الخاطب والتحدث معه، لكن في نفس الوقت من المهم أن تحافظ على غلالة الحياء الجميلة على محياها فلا تفعل كما تفعل البعض من الجلوس في مكان قريب منه جدًا، أو التوسع في الحديث والضحك.

فالفتاة يجب أن تشعر بشيء من الحياء لرؤيتها رجلًا أجنبيًا لأول مرة في حياتها، لكن في نفس الوقت تكون متماسكة ومتزنة في حديثها وجلوسها.

قومي خذي لفة!

أما نورة ع. فتحكي عن (لقافة) جدها الذي أحرجها قائلة:

يوم (الشوفة) كانت العائلة كلها حاضرة أبي وأخي وعمي وحتى جدي

كان حاضرًا! المهم دخلت وجلست وعم الهدوء والعيون كلها تراقبني، فقال لي جدي: قومي يا نورة (خذي لفة) علشان يشوفك زين!! في هذه اللحظة تمنيت لو أن الأرض تنشق وتبتلعني! هداك الله يا جدي.

الاسم الكريم

مها ص:

دخلت وسلمت بصوت منخفض وجلست، وأراد الخاطب أن يسمع صوتي فسألني (وليته لم يسأل): ما تعرفنا الاسم الكريم؟؟.. ذهلت وغضبت في نفس الوقت.. كيف يتقدم لفتاة لا يعرف اسمها!

لكن الوالد بحنكته قال لي: ردي عليه يا بنيتي.. رددت عليه وأنا غير راضية وخرجت فورًا.... لكنه كان جالسًا ينتظر أن أرجع مرة أخرى..!

تأكدوا أولاً.. أرجوكم!

تحكي أم علي هذه القصة والدموع تترقرق في عينيها:

أود أن أذكر قصتي حتى أؤكد على الآباء ألا يسمحوا بالرؤية إلا بعد الموافقة على الخاطب نهائيًا..

فقد خطبني شاب، ووافق أهلي عليه بسرعة، وفي يوم الرؤية وجدته شابًا خلوقًا رقيقًا وكان حديثه عذبًا وجذابًا جدًا، كان كل ما فيه يجذب النظر فهو وسيم أنيق واثق وابتسامته لا تفارق محياه.. وقد تعلقت به جدًا..

وبعد فترة فوجئت بأهلي يرفضونه بسبب لا دخل له فيه، فقد وجدوا اختلافًا في طبقات النسب بيننا منعت إتمام الزواج.

وقد صدمت بذلك جدًا، بل كدت أنهار لولا أني حاولت أن أبدي تماسكي أمام أهلي.

وحتى هو حاول جاهدًا إنقاذ الزواج دون جدوى، بل أخبر أخي بصراحة أنه قد تعلق بي ولا يريد التفريط بي مهما حصل، لكن أهلي أصروا على موقفهم.

وبعد سنوات معدودة.. خطبت لوالد أبنائي وتزوجته، لكني لم أشعر بالحب تجاهه لأن قلبي لا يزال معلقًا بذلك الشاب بصراحة.

أنا أخاف الله ولا أفكر بالتواصل معه.. لكني لا أستطيع منع قلبي عن التعلق به مهما حاولت، أسأل الله أن يعينني على نسيانه.

استبيان على الشوفة

٧٦% من الشباب يريدون رؤية الفتاة قبل الزواج.

في استبيان أجريناه على الشباب حول ما إذا كانوا يفضلون رؤية المخطوبة قبل الزواج كانت النتائج كالتالي:

٧٧,٥% أجابوا بـ «نعم من الضروري رؤيتها قبل الزواج»..

والبقية ٢٢,٥% أجابوا بـ «لا» وذلك بسبب العادات والتقاليد أو أنهم يكتفون بوصف الأهل.. (يبدوا أن هؤلاء يخشون أن ترفضهم الفتاة!)..

ويبدو أن الفتيات أكثر ثقة بأنفسهن حيث أصرت ٨٨,٥% من الفتيات على الرؤية الشرعية، بينما رفضت ١١,٥% فقط من الفتيات الرؤية بسبب العادات والتقاليد، أو بحجة أن شباب هذه الأيام تقل لديهم الجدية فهي تخشى أن يراها لمجرد الرؤية.

بعض الأحكام المتعلقة بالنظر إلى المخطوبة

ينبغي للخاطب أن يكثر النظر إلى مخطوبته حتى يتيقن من اطمئنانه إليها، وعند لقائنا بالشيخ/ أيمن بن سعود العنقري المحاضر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سألناه عن بعض الأحكام المتعلقة بالنظر إلى المخطوبة فأجاب قائلًا:

نظر الرجل إلى المرأة التي يرغب نكاحها ويغلب على ظنه أنه يجاب إلى نكاحه منها جائز في قول عامة أهل العلم، قال الموفق ابن قدامة في «المغني» (٩/ ٤٨٩): «لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في إباحة النظر إلى المرأة لمن أراد نكاحها».

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في السنة النبوية في هذا الأمر فمنها على سبيل المثال: ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ : **«أنظرت إليها؟»** قال: لا.. قال: **«اذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئًا»**

وقال في الحديث الآخر عند أحمد وأبي داود بسند حسن: **«إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»**

وإذا نظرنا إلى الحكمة التي من أجلها أباح الشرع الحكيم نظر الرجل إلى مخطوبته وجدناها تتلخص فيما يلي:

* اطلاع كل من الزوجين واطمئنانه على مواصفات صاحبه الجسمية وخلوه من العيوب.

* تحقق الانطباع والارتياح النفسي والسكن الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

* إن عقد النكاح تدوم فيه العشرة بين الزوجين مدى الحياة، فلا ينبغي الإقدام عليه إلا عن بينة واطمئنان ووضوح تام بين كلا الزوجين.

المواضع التي يجوز أن يراها الخاطب

وعند سؤاله عما يجوز إظهاره أمام الخاطب قال:

ذكر الفقهاء أن المواضع التي يجوز للرجل أن يرى منها المخطوبة هي ما يظهر منها غالبًا كالوجه واليدين والرأس والرقبة والساق والقدم؛ لأن هذه هي مواطن الزينة والجمال في المرأة، وأما ما عدا هذه المواضع فيحرم على المرأة أن تظهرها للخاطب.

هل يجوز تكرار الرؤية؟

ينبغي للخاطب في نظره لمخطوبته أن يكثر النظر لمخطوبته حتى يتيقن اطمئنانه إليها كما في حديث سهل بن سعد في الصحيحين في قصة المرأة التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فأكثر عليه الصلاة والسلام من النظر فيها، لكن بعض الناس لا يتحقق من غرضه في النظر من أول مرة لذا يشرع له أن ينظر إليها مرة أخرى حتى يتيقن من أوصافها.

وهل يجوز مصافحة الخاطب والتطيب عنده؟

لا يجوز ذلك؛ لأنه يعد رجلًا أجنبيًا عنها.

قال ﷺ: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»** فما معنى قوله ﷺ: **«أحرى أن يؤدم بينهما»** ؟

أي: يجمع الله بين قلبيكما من جهة الارتياح، ولا يلزم من هذه المحبة والمودة من هذا اللقاء لأن هذه المشاعر تأتي تدريجيًا شيئًا فشيئًا.

وما حكم وضع المكياج؟

من تمام النصح للخاطب وعدم الغش له ألا تضع المرأة شيئًا من المساحيق والأصباغ حتى تكون على وضعها الطبيعي أمام الخاطب.

ليس اختبارًا أو استجوابًا

د. نجاة حافظ مديرة القسم النسوي لمشروع الزواج الخيري ورعاية الأسرة المدينة المنورة:

الرؤية الشرعية قبل الزواج مهمة جدًّا سواء للفتى أو للفتاة، وقد دعا إليها ديننا الحنيف وحث على ذلك لضرورتها سواء بإذن الفتاة أو بدون ذلك.. فقد قال ﷺ للمغيرة وقد خطب امرأة: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»** والأحاديث كثيرة وتكمن أهميتها في قوله: «أن يؤدم بينكما» أي: تتحقق الألفة والوفاق والمحبة وتدوم بإذن الله.

وأرى أنه إذا رفضت ذلك بعض الفتيات فإنها ترفض من شعورها بالنقص أو عدم الثقة أو خوفها من النتيجة التي ستترتب على تلك الرؤية.. وهذا يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر.

كما أن الفتاة ترتاح نفسيًا ويصبح لديها تهيئة قلبية وطمأنينة وثقة بمن سترتبط به مستقبلًا بدلًا من أن تنتظر مجهولًا ويكون في عالم الخيال ثم تصاب بما تصاب به بعد فوات الأوان.

قبل وأثناء الرؤية

قبل الرؤية: على الفتاة بالاستخارة والاستعانة بالله والتوكل عليه وأن تكون مهيئة مسبقًا متحلية بكامل الرضا بما قسم الله لها «فالخيرة فيما اختاره الله».

أما أثناء الرؤية:

التحلي بالهدوء وأن تجلس وهي مطمئنة، فإن الله سيتولى أمرها خاصة أنها قد استخارت فلن يخيب الله ظنها.. ولا أرى داعي للجلوس الطويل فالغرض من الرؤية الألفة والوفاق ففي ذلك يتحقق الارتياح النفسي

وانشراح الصدر وليس القصد لجنة اختبارات واستجوابات وتحقيقات.

إن مجرد النظر فيه خير كثير وهو المقصود الشرعي «فإنه أحرى أن يؤدم بينكما».

معايير الاختيار

وحيث إن معايير الاختيار ثلاثة: القلب والعين والعقل، لابد أن يكون لها دور فعال في قضية الزواج والارتباط.

هل هو مناسب:

هناك أمور تتعلق بالدين و«إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

وأمور تختص بالعرف والبيئة والثقافة ونحو ذلك وهذه تعرف عن طريق السؤال[1].

قصص تربوية

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم: ٦].

نتبين من هذه الآية واجب التربية على كل مسلم وكل راع، عليه بتحمل مسئوليته تجاه نفسه أولًا ثم أهله ومن هو مسئول عنهم بالتربية والتوجيه والتعليم والنصح لله وفي الله، ففي الحديث: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**.

---

(١) الموضوع انتقاء من مجلة «حياة» العدد ٦١ جمادى الأول ١٤٢٦هـ.

بنك التعاملات والمشاعر

ما أحوجنا اليوم إلى التسامح والتواد والتعاطف والإيثار، وكذا إلى الجدية في تعاملاتنا في الحياة، وتلك صفات دعا إليها ديننا الحنيف وسادت بها أمة الإسلام في عصورها الغابرة، وبالتالي تقهقرت أمتنا وسقطت إلى الحضيض في زماننا هذا بسبب بعدنا عن تلك الصفات المثالية، وأحرى بنا كأولياء أمور ومعلمين أن نتبنى فكرة إنشاء بنوك في كل منزل ومدرسة بمسمى «بنك التعاملات والمشاعر»، تقوم فكرة هذا البنك على تصنيف التعاملات الجادة والمشاعر الحسنة إلى ثلاثة مستويات (عليا ووسطى ودنيا) يقدر للعليا ثلاث درجات والوسطى درجتان والدنيا درجة واحدة، ومن ثم نقوم بطباعة بطاقات ورقية أو قطع نحاسية مقاس (٥ ط ٥) أو دائرية مثل قطع العملات النحاسية، وتكون على ألوان مختلفة كالذهبي مثلًا للدرجة العليا والأخضر للدرجة الوسطى والأزرق للدرجة الدنيا، ومن ثم تصنف التعاملات الجادة والمشاعر الحسنة إلى مستويات ثلاثة كالتالي:

١- عليا ذات الثلاث درجات كزيارة الأجداد والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات في المناسبات، وعلى الصلاة في المسجد مع الجماعة بالنسبة للأبناء وبالنسبة للبنات الصلاة في أول الوقت وتضاعف الدرجة لصلاة الفجر، وكذا للمبادرة في أعمال المطبخ أو نظافة البيت، والصلح بين أخوين اختلفا على أمر ما، وعلى استيعاب معلومة وتحويلها إلى مهارة وسلوك.

٢- والوسطى ذات الدرجتين تقدر مثلًا على مشاركة الجيران في المناسبات ومساعدة أحد الإخوة في المذاكرة أو حل واجب ومساعدة الأم في أعمال المطبخ وعلى حل الواجب بمفره دون مساعدة، وكذا مساعدة

الزميل في إخراج عمل كوسيلة أو مشاركة إذاعية أو مجلة حائطية مثلًا، وعلى الصدقة على فقير أو وضع ما تم توفيره من مبلغ فسحة المدرسة في صندوق الجمعية الخيرية المخصص بالمنزل، أو دعوة زميل فقير لمشاركته في فسحة الإفطار.

٣- أما الدنيا ذات الدرجة الواحدة فتقدر على الاتصال تليفونيًا على الأقارب للسلام عليهم والتسامح مع الإخوة أو الزملاء أثناء اللعب وعلى الانتهاء من المذاكرة وحل الواجبات في وقت مبكر من اليوم.

وفي المقابل نعمل بطاقتين للتعاملات غير الجادة ولعدم التسامح مع الغير إحداهما باللون الأحمر مثلًا ويقدر لها درجتان، والأخرى باللون الأصفر بدرجة واحدة، ومن ثم تصنف التعاملات غير الجادة والمشاعر غير الحسنة إلى مستويين كالتالي:

١- عليا ذات الدرجتين وتقدر مثلًا على عدم زيارة الأقارب في المناسبات وعلى الاختلاف مع الإخوة وعلى اللعب قبل الانتهاء من المذاكرة، أو للاعتداء على زميل بالضرب، أو محاولة الوقيعة بين اثنين.

٢- والدنيا ذات الدرجة الواحدة وتقدر على عدم الصلح بين الإخوة عند اختلافهم في حالة عدم وجود أحد الأبوين، وعلى الانتهاء من المذاكرة وحل الواجبات في وقت متأخر من الليل وعلى النوم المتأخر.

ويكون تنفيذ هذه الفكرة على هيأة مسابقة بين الأولاد في المنزل أو في المدرسة وذلك بوضع صندوق له فتحة صغيرة من الأعلى مثل صندوق رسائل البريد وصندوق الاقتراحات بحيث يعطى الابن أو البنت البطاقة المناسبة بعد كتابة الاسم عليها، ويمكن في البطاقات النحاسية استخدام قلم سبورة ليمكن استخدامها أكثر من مرة، وفي نهاية كل شهر مثلًا نقوم بجمع نقاط التعاملات الجادة والمشاعر الحسنة ونطرح منها نقاط التعاملات غير الجادة وعدم التسامح، فنخصص مكافآت للفائزين كتقديم جوائز عينية لهم، ويمكن أن نجعلها نقدية وفق ما يقتضيه الحال وخاصة في المنازل عند الإحساس برغبة الأولاد في ذلك، وفي المدرسة يمكن

الاحتفاظ بها كنقاط للطالب نتجاوز بها عن تأخره عن حل واجب في أحد الأيام أو عند التأخر عن حضور صف الصباح، أو عدم إحضار اللبس الرياضي أو نسيان بعض الأدوات الخاصة كعلبة الهندسة أو الألوان أو ما شابه ذلك من الأدوات المدرسية، ويمكن أن نعمل لوحة شرف للمثاليين توضع في المنازل في الصالة الداخلية التي لا يدخلها إلا الأقارب والأصدقاء الخاصين، أما في المدارس فتوضع في أماكن بارزة للحث على التنافس.

وبهذه الفكرة نكون قد ساهمنا في تنشئة أبنائنا على الجدية في أعمالهم وعلى التخلق بالأخلاق الحسنة وقبول الغير، وبالتالي نبعدهم عن الكسل وسوء الخلق، كما نكون قد ساهمنا بإذن الله في إعداد جيل تسوده روح المحبة والتآلف والإخاء، وسنسود العالم بتلك الأخلاق بإذن الله تعالى كما سادت أجيالنا السابقة.

وانكسر الطبق

أخذت الأم تعد مائدة الطعام للغداء، تلك المائدة التي يجتمع عليها كل أفراد العائلة ولا يفوتها أحد منهم أبدًا مهما حصل.. أخذت الأم تردد: هذا طبق أبي وليد، وهذا طبق وليد ابني الكبير، وطبقا مروان ومريم توأماي الصغيرين، ثم... هذا طبقي.

أخذ أفراد العائلة يتوافدون على المائدة حتى اكتمل العدد. بدأ أبو وليد: بسم الله.. بالهناء، بدأت أيدي الصغيرين تمتد نحو الطعام، بينما وجه الأب كلمة إلى وليد - ابنه ذي الرابعة عشر عامًا -: ماذا فعلت في المدرسة اليوم يا وليد؟! أرجو ألا يشتكي أحد منك؛ فلقد تغيرت في تلك الأيام وبدأت الشكاوى تكثر منك ومن أفعالك المستهترة، ثم أردف الأب قائلًا: لقد كنت أظن أنك كبرت وأستطيع أن اعتمد عليك.. ولكن !!

المهم. . لماذا لا تأكل؟! وأثناء الحديث كان وليد يطرق بشوكته على الطبق - وكأنه لا يستسيغ الحديث-. تدخلت الأم موجهة الحديث لوليد أيضًا: ما هذا الذي ترتديه؟ وما تلك الألوان البشعة؟ ألم أختر لك أمس ما ستلبسه؟! أخذ الطرق يزيد ويعلو صوته. . عاد الأب موجهًا الحديث لابنه وهو يمسك بشعره: وما ذاك الذي تضعه على شعرك؟ -والطرق في ازدياد-؛ وما تلك القصة الغريبة؟! اترك الشوكة ولا تطرق على الطبق وأنا أكلمك. .

هنا تهوى يد الفتى على الطبق لتكسره، وينتفض صائحًا: ماذا تريدون مني أنتما الاثنان؟!! ألم تكتفيا مني بعد؟ تديران أموري وكأنها حياتكما أنتما لا حياتي؛ افعل. . لا تفعل؛ خذ ذاك. . دع هذا؛ حتى ألوان ملابسي تختارونها وقصة شعري، حيوان أنا أم جماد. . وتأتي طامتي الكبرى. . اسمي !! الذي طالما كرهت أن أنادى به، لقد جعلتماه جحيمًا لي، قد صرت به حقًّا اسمًا على مسمى «وليد» أنا مجرد وليد، حتى وإن صرت كبيرًا؛ بقيت لكما وليد. . وليد. . وليد.

أخذ الفتى يردد اسمه وهو يتجه إلى غرفته ليصفع الباب من ورائه. اهتزت كل خلجة في جسد الأب؛ لينظر ناحية الأم يجدها تنظر إلى باب الغرفة في ذهول وهي تكتم دمعة تريد الهرب من بين جفونها لتقول للأب: ما الذي يحدث؟! ماذا فعلنا بوليدنا ؟! فأطرق الأب رأسه هربًا.

لا يا أبا وليد ليس الوقت وقت الإطراق ولا الهرب. . ويا أيتها الأم الحنون ليس الوقت وقت البكاء، فما زالت هناك فرصة.

ولكن يجب أن تسألا نفسيكما لماذا تطورت الأمور لتصل إلى ذلك الحد المريع؟ أين الخطأ؟ ومن السبب؟ وما العمل؟

يا أيها الأب، ويا أيتها الأم. . المشكلة ليست في وليدكم - الكبير - !! ولكن فيكما أنتما. . فأنتما لم تفهما تلك الفترة الصعبة التي يمر بها ابنكما، إنها [المراهقة]. . وأولى خطوات الحل تبدأ من هنا:

افهما طبيعة المرحلة [المراهقة]:

يمر المراهق بتغيرات رهيبة في تلك المرحلة.. ففترة المراهقة تعد بمثابة أرض محايدة للمراهق، فلا هي أرض الطفولة التي يعرفها ويجيد التعامل مع مكوناتها، ولا هي أرض الرشد - التي لا يعرف عنها شيئًا أصلًا-. والمراهق غالبًا ما يكون في وضع غامض محير بين الاثنين، لا يعرف مركزه أو ماهية الأدوار التي يتحتم عليه القيام بها.

والمراهق يتصف في تلك المرحلة بالآتي:

عدم الثبات الانفعالي فهو يتأرجح بين المتناقضات (حب - كره - فرح - حزن - حماس - فتور) الحساسية الزائدة، نقص الثقة في النفس، ويرجع ذلك نتيجة لشعوره بالاستقلال، ولكنه لا يستطيع الاستقلال فعليًا.

الانفعال الشديد ناتج عن عدم الثبوت الانفعالي

شدة الحياء نقص الكفاءة فهو يرى نفسه راشدًا، ولكن تصرفاته ما زالت متشبثة بطفولته ضغط المجتمع وهي تلك القيود التي يظن المراهق أنها تعيق انطلاقه ستنظر إلي قائلًا: هذا ابني إذًا ؟! الآن فهمت تصرفاته، وعلمت موقع الخلل. ولكن لم تقل لي ما العمل؟ فما حدث قد حدث!! فما العمل؟!

التواصل[1]:

إذا نظرنا إلى الأجيال في تعاقُبها لرأيناها تتواصل، يقطعها بين الجيل والجيل الآخر مفصل المراهقة، وهو مفصل فاصل واصل معًا، فأما أن تجيد التواصل؛ أو تنقطع الصلة الجيلية بينك وبين ابنك المراهق..

فما هي خطوات التواصل الجيد؟

---

(١) مراهقة بلا أزمة، الجزء الثاني، د/ أكرم رضا، بتصرف.

١- اجلس معه:

للجلسات أنواع، يمكن إجمالها في الجدول التالي:

النتيجة الرسالة الوضعية شكل الجلسة نوع الجلسة م

المكابرة والعناد أنا أعلم منك المعلم أنت جالس وهو واقف الفوقية .

الخوف والكذب أنا أقوى منك المحقق أنت واقف وهو جالس التحتية.

الاطمئنان والصدق أنا أحبك الصديق جالسان يدنو كل من الآخر المعتدلة.

أما بالنسبة لمكان الجلسة. . فيجب أن يكون مألوفًا بعيدًا عن أعين الناس.

يتوافر فيه عاملا الخصوصية والسرية.

يفضل أن يكون خارج المنزل (أو في غير مكان حدوث المشكلة) ويراعى في وقت الجلسة الآتي أن يكون وقتًا مناسبًا للطرفين أن يكون كافيًا، ووقت الصباح أفضل من المساء.

٢- الرفق واللين:

قال ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»** رواه البخاري.

٣- تحاور معه:

شروط الحوار الجيد:

أ - الحديث متبادل: فلا يستأثر طرف بالكلام دون الآخر، لكي يوضح كل منهما وجهة نظره وأسبابه.

ب - تحديد نقاط الحوار والهدف منه: -

والهدف من الحوار هو إيجاد حل للمشكلة يرضي الطرفين، وبذلك تكون نقاط الحوار كالآتي:

تعريف المشكلة، تجريم الموقف أو تبرئته، العقوبة أو المثوبة، جـ/ لا لا. . نعم نعم: احرص على استخدام أسئلة وعبارات كثيرة يمكن الجواب عليها بـ (لا) إذا كان المقصود منع المراهق من فعل شيء معين، أو الجواب عليها يكون بـ (نعم) إذا كان المقصود دفع المراهق لفعل شيء

معين.. وتكرارها بما لا يقل عن ١٠ مرات في نفس المواقف، في خلال نفس الساعة حتى تؤتي ثمارها.

د: عدم التصيد للأخطاء: لتحرص على عدم المقاطعة كلما وجدت تناقضًا في حديث المراهق، لأن ذلك يجعل المراهق يحجم عن المشاركة في الحوار وإدلاء ما عنده، لأنه قد لا تعبر الكلمات ١٠٠% عما يجيش بصدر المراهق.

هـ: قاموس المراهقين (قل.. ولا تقل):

استعمل تلك المصطلحات باستمرار أثناء كلامك مع المراهق:

(١) حسن (٢) جيد (٣) ممتاز (٤) أحسنت (٥) صادق (٦) أمين (٧) مُجد (٨) ناجح (٩) ذكي (١٠) منظم (١١) محترم (١٢) مبدع (١٣) مخلص.

اجتنب تلك المصطلحات أثناء كلامك مع المراهق: (١) سيئ (٢) مشاغب (٣) كذاب (٤) لص (٥) فاشل (٦) رديء (٧) غبي (٨) تافه (٩) غشاش (١٠) ماكر.

٤- أحسن الاستماع إليه:

من مهارات الاستماع للمراهق:

النظر بهدوء إلى عين المراهق، وعدم التحديق. الاستماع إليه بالاهتمام المناسب. الانتباه إلى الإشارات الجسمية: اليد، الشفاه.. تقليل المقاطعات بقدر الإمكان.

الانتباه إلى نبرة صوت المتحدث.

وانتبه إلى أن خبراتك كأب تختلف عن خبرات ابنك المراهق، لذا فالبحث عن معنى الكلمة أصدق من التفاعل مع شكلها وحروفها.. وإليك أمثلة لبعض الأسئلة التي يمكن أن تسألها حتى تتبين المعنى...

هل يمكن أن تضرب لي مثالًا على ما تقصد؟

ماذا تقصد بـ....؟ كيف تشعر تجاه ما حصل؟

٥- اجعل له مجالًا للعودة: وذلك بالتشجيع والقبول في حالة توبة

المراهق وتركه الفعل السيئ.. يقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٣٥].

٦- الدعاء:

وعلى ولي الأمر اختيار الأوقات المناسبة (أوقات الاستجابة)، وأن يدعو بصلاح أبنائه وليحسن الظن وليثق بالله.

قامت الأم لتزيل ما تبقى من الطبق، ونظرت إليه مبتسمة: يبدو أنك لست وحدك الذي ستلقى في القمامة!! ولكن سنلقي معك أفكارنا وطرقنا القديمة أيضًا.. لم يجد الأب سوى الضحك، وقام لغرفة وليد ليبدأ معه صفحة جديدة. أنها صفحة شعارها «يبقى الود؛ ما بقي الحوار».

كيف تكسبين زوجك

قال رسول الله ﷺ: **«لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»** رواه الترمذي.

وهذه وصايا نافعة للمرأة تحبب المرأة لِزوجها وتسعده بها:

١- أطيعي زوجك ولا تعصيه أبدًا إلا فيما حرم الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الله، فإن أمرك بمعصية فامتنعي واستخدمي معه أسلوب المداراة والإقناع بهدوء حتى يقلع عن ذلك.

٢- توددي له بالأسلوب الحسن والكلام الطيب، واختمي كلامك دائمًا بالثناء والدعاء المناسب كقولك: **الله يعافيك والله يحفظك.**

٣- تعاهديه بالهدايا ولو كانت رمزية فإنها دليل الوفاء والارتباط الصادق.

٤- اعتني دائمًا بالمظهر الحسن والهندام الجميل، واحرصي على أن لا يجد منك ما يكره، فإن تجمل المرأة يرغب الزوج بها ويجذبه إليها،

واعتناء المرأة بنفسها وزينتها من أعظم أسباب المحبة بين الزوجين، والمرأة الفطنة تستثمر ذلك في سبيل رضا زوجها، وهو دليل على ارتقائها وثقافتها.

٥- تفهمي نفسية زوجك وطبيعته من حدة أو عصبية أو حساسية وغيرها، فتجنبي الأمور والأحوال التي تخالف طبيعته أو تؤدي إلى انفعاله وغضبه.

٦- تحسسي رغباته ومطالبه واحرصي على الاعتناء بها فإن لكل زوج رغبات خاصة، والمرأة الذكية تدرك أن تحقيقها أقرب طريق لمحبة الرجل وسعادته.

٧- احرصي على التجديد دومًا في الهيئة وأثاث المنزل والطهي وغيره، وإياك والجمود على طريقة رتيبة، فإن ذلك يجلب الملل والسآمة على الزوج.

٨- إياك وكثرة الشكوى، فإن أبغض النساء عند الرجال المرأة الشكاية، ويزداد الأمر سوءًا إذا كان هذا السلوك أمام الآخرين من أهل وجيران وهو دليل على ضعف شخصية المرأة.

٩- لا تعاتبيه ولا ترفعي صوتك عليه أمام الأولاد أو في الأماكن العامة، ولكن أخري ذلك إلى خلوتك به وانتظري حتى تهدأ نفسه ويسكن غضبه وخاطبيه بصوت منخفض وكلام مؤثر وعتاب المحب، فحينها سيتأثر ويستجيب، ولتعلمي أن الرجل ذو أنفة وحمية لا يناسبه غالبًا إلا هذا الأسلوب وكثير من النساء تفقد زوجها لجهلها هذه الحقيقة.

١٠- إن قصر معك الزوج في حقوقك أو بدت لك حاجة فقدمي بين يدي طلبك عبارات فيها ثناء وذكر لأخلاقه الجميلة، ثم اذكري حاجتك وإياك وإنكار الجميل وجحود مواقفه الرائعة، فإن ذلك من كفران العشير وهو أعظم ما يفسد الود بين الزوجين.

١١- طعمي حياتك الزوجية بإظهار الحنان والحب لزوجك بأقوالك وأفعالك، ولا تبخلي عليه بذلك، ولا تجعلي حياتك جافة لا مشاعر فيها

وكثير من النساء يقصرن في ذلك، والزوج مفتقر إلى حنان المرأة وإدلالها عليه وكثير من المشاكل الزوجية سببها فقدان الحنان بين الزوجين.

١٢- لا تكثري على زوجك من الطلبات وكوني واقعية ومتعقلة، وليكن طلبك في الوقت المناسب في غير وقت راحة الزوج أو همه، وفي الأمور المهمة فإن الأزواج يبغضون المرأة اللحوح التي تستقبل الزوج ليل نهار بالطلبات.

١٣- احفظي زوجك في سفره وإقامته، ولا تخالفيه ولو في أبسط الأمور ولا تفشي له سرًا ولا تذكري نقائصه ومعايبه لأحد مهما كان، وأظهريه بالمظهر الحسن عند الآخرين، فإن حافظتي عليه كنت أهلًا لثقته، وإن ضيعتيه في الناس ذهب تقديره لك واستخف بك النساء واستحقرنك.

١٤- كوني واثقة بنفسك بعد الله في حل مشاكلك وإياك أن تخرجي مشاكلك مع زوجك خارج المنزل، واستعملي جميع الطرق والوسائل في القضاء عليها فإن المشكلة إذا خرجت شاعت وعظمت ودخل فيها الشيطان والانتقام للنفس إلا أمرًا عظيمًا لا تستطيعين دفعه، فاستشيري أهل الدين والحكمة.

١٥- املئي حياة زوجك بكل شيء وشاركيه في أحزانه وأفراحه وعوديه على أن تتولي جميع أموره حتى خدمته في الأمور البسيطة، وإذا اعترضته مشكلة في حياته يرجع لمشورتك، فإن كنت كذلك أقبل عليك زوجك وشعر بالحاجة لك.

١٦- لا تكوني ولاجة خراجة وليكن خروجك من المنزل معتدلًا، وإن خرجت فاستأذني زوجك، فإن كثرة خروج المرأة من منزلها يؤدي إلى ضعف العلاقة بين الزوجين، وهو دليل على هروب المرأة من التكاليف وعدم استقرارها العاطفي، ومكث المرأة في بيتها أكبر وقت يهيئ الأمان لها ويمنحها الاستقرار.

١٧- لا تكوني مادية في تصرفاتك مع زوجك، فتبني سلوكك على هذا الأساس، وإن بذلت مالًا أو فعلت خيرًا لزوجك فلا تمني عليه، فإن

ذلك يؤذيه وينغص عليه، وإن أغناك الله من فضله فاستغني به وكوني كريمة في عطاياك.

١٨- تجملي بالحياء والمروءة في تعاملك بزوجك وارتق بأخلاقك واجتنبي السباب والشتائم واجعلي زوجك يخجل من حشمتك له، وإن كرهت شيئًا منه فليعرف ذلك في وجهك، فإن هذا الأسلوب له تأثير بالغ.

١٩- اعملي بمبدأ الثقة بعلاقة زوجك ولا تخوني زوجك، ولا تشكي فيه وأحسني الظن به ولا تلتفتي لوساوس الشيطان وكلام صويحبات السوء وتغافلي عنه، فإن المرأة متى ما استجابت لذلك فتح عليها باب شر عظيم أدى إلى حصول الفراق بين الزوجين.

٢٠- كوني صريحة وواضحة في جميع شؤونك مع زوجك، وأبلغيه عن كل أمر يجد في حياتك، ولا تقدمي على أمر في حياتك حتى تخبريه، فإن حصلت لك مشكلة فأبلغيه من أول الأمر ولا تمهلي فيتفاقم الأمر مما يؤدي إلى سوء ظن الزوج بك ولائمتك على ذلك.

وأخيرًا فاحرصي على كل ما يقوي العلاقة بزوجك، واتقي كل ما يضعفها أو يزيلها بالكلية واسألي ربك التوفيق والوئام ودوام الألفة والمحبة.

هل تريدين أظافر طويلة و جذابة !!

في مرحلة المتوسط كنت فتاة مشاغبة وفتاة أسعى لإثبات الوجود مهما كان الثمن ومما زادني عنادًا هم صحبتي الأكثر مني مشاغبة...

كانت من آثار هذه الصحبة التنافس الأشد من الشديد على تربية الأظافر والعناية بها!

أتعلمون ما هو أصعب يوم في حياتي في ذلك الحين !

بعد طول الإجازة السعيدة كنت أخاف من العد التنازلي لقرب الدراسة، ليس لكوني لا أحب الدراسة لا !!

بل لأن تربيتي لأظافري ختامها قد اقترب، ،

آه يا للحزن! أيام قضيتها وأنا أعتني بها، يا ليتني كنت ألمعها أو ألونها فقط لكان الأمر سهلًا؟

لكني كنت أعقمها تارة (بديتول) وحتى (الكلوركس)!!

وفي المناسبات ألونها ب ٣ ألوان بل ب ٤ أيضًا، ،

أتفنن في رسم النقوش عليها وأتفنن في جعل كل (ظفر) بلون معاكس عن الآخر، ،

حينما تقول لي إحدى الأخوات: (يا وسخة وش هالأظافر) !!

كنت أقول: أنا أنظفها وأعقمها ووووووو، ،

وحينما تنبهر إحدى الغافلات أمثالي أنتشي فرحًا وسرورًا، ،

وإذا انكسر لي ظفر انكسر معه فؤادي، بل وأبقى ممسكة به لساعات (قـلـبـي مـا يـطـاوعـنـي أرمـيـه) حـكـايـتـي مـع أظـافـري قـد تطووووووووووووووووووووووووووول لكن ماذا بعد هذا؟

في المرحلة الانتقالة الكبيرة في حياتي، حينما رأيت النور، وحينما تذوقت طعم الهداية، في بداية الطريق كنت أفكر كثيرًا في حال أظافري التي لا أقلمها إلا (في طابور المدرسة الصباحي). .حينها همست لي أحد الرفيقات الصالحات (مدري وش تحبين في هالأظافر) صمت !!

وعند (القمامة !!!!!!!!) همست لي معلمة داعية وقالت: (أين ترمين أظافرك؟) فتعجبت من سؤالها، فما كانت الإجابة إلا أن ابتسمت ونظرت بحقــارة وبخجل منها (للقمامة)!!!

فقالت: نعم، فالله أعزك وأكرمك لماذا هذه الإهانة بسبب أظافر!!

هل تسوى (وقفتك) أمام الجميع كل أسبوعين!!

وقالت لي: لما كانت من السنن المستحبة في يوم الجمعة (تقليم الأظافر) !!!!

أكيد تنظيفها دائمًا وتحرصين أن لا يكون في داخلها شيء، وأن لا تكون صفراء!!

لما جعلتي من يديك (قمامة)!!
أتمنى فعلًا أن تكون هذه آخر مرة أراك فيها في نفس هذا الموقف!!
ومن هنا كانت التساؤلات لنفسي والتي أوجهها للفتيات الآن؟
فعلًا لما هذا الاهتمام ولما لا نرتقي بتفكيرنا واهتماماتنا،،
فليس فيها والله جمال، بل تخرق من كمال مروءتك !!
إن ترك هذه الأظافر طويلة (إهمالًا كان أو زينة)
تنافي فطرتنا السوية التي فطرنا عليها الإسلام،،

تاملي معي هذه الوقفات:

نبدأها بهذه الأحاديث:

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقت لنا- وفي رواية، قال: وقت لنا رسول الله في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة أن لا تترك أكثر من أربعين ليلة[1].

وأيضًا: قال النبي ﷺ: **«من قلم أظفاره يوم الجمعة وقي من السوء إلى مثلها»**[2].

وأنكرها الحبيب عليه السلام؛ فقد أخرج البيهقي في «الشعب» من طريق قيس بن أبي حازم قال: صلى رسول الله صلاة فأوهم فيها، فسئل فقال: **«ما لي لا أوهم ورفع أحدكم بين ظفره وأنملته»** ومعناه: إنكم لا تقلمون أظفاركم، ثم تحكون بها أرفاغكم فيتعلق بها ما في الأرفاغ من الأوساخ المجتمعة.

قال أبو عبيد: أنكر عليهم طول الأظفار وترك قصها.

أما عن من اتخذتها زينة فأقول لها: خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم، وجعل له في شكل جمالي أصابع يستعملها في أغراض

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها.

شتى، ويحافظ على نهايتها غلاف قرني هو (الظفر) وبهذا التكوين الخلقي الجمالي يتحدد الغرض من (الظفر) وهو حماية رأس الإصبع ويتحدد حجم الظفر بألا يزيد عن رأس الإصبع ليكون على قدر الغرض الذي من أجله وجد، ولكي يتحقق التناسق، بين الإصبع والظفر من واقع المصلحة.

كما أنه جاء (تقليم الأظفار) ضمن سنن الفطرة، وبهذا تتحدد الزينة والشكل الجمالي للأظفار.

وجاءت كلمة (التقليم) تعبيرًا عن قص الأظفار، وبذلك ظهرت الحكمة الجمالية، وهي إزالة الزائد من الظفر ليظل محافظًا على حيويته وسلامته ومؤديًا لمهمته.

فما أتت والله الشريعة الإسلامية بأمر إلا وله فوائد عظيمة وحينما نلقي الضوء على النواحي الطبية نجد بأن الميكروبات تتجمع وغيرها من مسببات العدوى مع الأوساخ في الجيوب الظفرية حيث يصعب تنظيف هذه الأماكن، كما يتعذر شطفها بالماء الأمر الذي يجعل أطراف الأصابع مصدرًا للعدوى خاصة في حالة الأمراض التي تنتقل عن طريق الفم، وعلى العكس فإن الأظافر التي تقلم دائمًا لا تكون بها تلك الزوائد الظفرية والجيوب الظفرية، ويسهل تنظيفها وغسلها بالماء خاصة عند الوضوء للصلاة، ولهذا لا تتجمع بأطراف الأصابع الأوساخ أو ناقلات العدوى.

والأشد خطورة هي إعاقة الملامسة بواسطة أطراف الأنامل.

إعاقة حركة الانقباض للأصابع بالوضع الطبيعي بسبب الزوائد الظفرية التي تلامس الكف قبل إتمام حركة انقباض الأصابع.

والتغيير الذي يطرأ على الحركات الطبيعية للإمساك والقبض وباقي حركات الأصابع بسبب إعاقة الزوائد الظفرية.

ولا يخفى أن هذا التأثير على حركات الأصابع وأطراف الأنامل واستمراريته ينعكس على الأداء الوظيفي للأصابع وعلى انثنائها وقد يلحق الأضرار بمفاصل الأصابع.

فمـــاذا بعد الرؤية الشرعية والطبيه؟

قـــد آن أن لا نتجاهل هذه السنة النبوية، وأن نحافظ على سلامة البدن من منطلق الطب[١].

المؤامرة على المرأة المسلمة[٢]

في خضم أمواج القنابل والقاذفات الصاروخية الأمريكية والإسرائيلية بالاشتراك مع بعض الدول الأوروبية الموجهة صوب منطقة الشرق الأوسط، يبرز الحديث عن المشروع الأمريكي الصهيوني المسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير.

هذا المشروع الذي يحمل في ظاهره التقدم والمدنية والرقي والحضارة إلى بلدان الشرق الأوسط، أو هكذا يراد تصويره، إلا أنه في باطنه ومن وراء الكواليس يعمل على غزو المنطقة سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا، وتهديم وتقويض ما تبقى فيها من قيم دينية وأخلاقية، ليتم بناؤها من جديد على مقاسات لاتتناسب مع هوية المنطقة ولا مع حضارتها ولا مع قيمها، ولكنها على كل حال تتناسب مع الرؤية الهمجية الاستعمارية، التي تخطط فيما تخطط لاستعمار المنطقة بكل ما تحتمله كلمة استعمار من احتمالات وأبعاد، وسلب كل ما يمت إليها بصلة جذرية من تاريخ وحضارة ودين، ضمن أجندة مخططاتها الواضحة الأهداف التي لا تخفى على كل ذي لب عاقل مبصر...

فماذا في هذا المشروع الخطير، الذي قد يفوق أو يضاهي القنابل النووية والصواريخ الذرية في خطرها وشرها؟

---

(١) مقتبس من بحث تقليم الأظفار علي ضوء التراث النبوي والعلوم الطبية.

(٢) د. لينه الحمصي، دكتوراة في الفقه الإسلامي ومقارنة الأديان.

الحديث عن هذا المشروع يقتضي منا الحديث عن الوجه المخملي، وعن الوجه الآخر، الذي يختفي وراء هذا القناع المزيف.

الوجه المخملي للمشروع، يتحدث عن مد يد المعونة إلى منطقة الشرق الأوسط التي تصنف ضمن دول العالم الثالث، أو الدول النامية كما يقال، من أجل رفع مستواها والسير بها قدمًا على سلّم الحضارة، ويركز هذا المشروع على ضرورة الإصلاح عبر ثلاثة محاور، محور الحرية، وضرورة نشر الديمقراطية، ومحور المعرفة، وضرورة إجراء الإصلاح في المجال التعليمي وتغيير المناهج التعليمية، **ومحور تمكين النساء، وأهمية تعزيز مكانة المرأة في المجتمع، وتمكينها من أداء دورها في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية** .

مطالب قد تبدو للوهلة الأولى أن القصد منها حسن النية في مساعدة منطقة الشرق الأوسط، إلا أن الحقيقة المختفية وراء هذا الوجه المخملي تفضح تلك النوايا الخبيثة.

فمقولة الديمقراطية التي تريد أمريكا وربيبتها الصهيونية نشرها في بلاد الشرق الأوسط تخالف السياسة الفعلية التي تتبعها أمريكا في تلك المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية، والمتمثلة في دعم الأنظمة الدكتاتورية المستبدة، ومن ثم ضربها فيما بعد بحجة أنها دكتاتورية، لمقاصد تبيّتها أمريكا ضمن سياستها البعيدة المدى أو القصيرة المدى، في نهب موارد بلدان المنطقة وشعوبها، والأمر الذي يثير الغرابة هو اعتراف بعض الكتاب الأمريكيين منهم الكاتب الأمريكي (كورنل وست) بزيف الديمقراطية الأمريكية، وهذا الاعتراف وإن جاء متأخرًا، إلا أن قيمته مستمدة من كونه اعترافًا من الداخل الأمريكي، الذي باتت تحكمه قوانين السيطرة والمال ومصالح الشركات الكبرى والبيوتات المالية الضخمة، ومصالح الصهيونية العالمية في نهاية المطاف.

ويرى هؤلاء الكتّاب أن العبارة التي صرّح بها مؤخرًا الرئيس جورج دبليو بوش «إما أن تكون معنا أو تكون ضدنا» لم تكن مجرد قول أو زلة

لسان، وإنما هي نتيجة للفكر الذي أوجدها وصاغها وحوّلها إلى منهج عمل للإدارة الأمريكية، الهدف من ورائها سلب حريات الشعوب الأخرى، طالما أن هذه الشعوب الأخرى تخالف السياسة الأمريكية التي لا تخطئ ولا تخيب في الرؤى أو المنهج، حسب رأيه طبعًا.

وبالتالي تم تكوين إيديولوجية أمريكية جديدة غلافها الديمقراطية وفحوى محتواها الديكتاتورية، تعمل على تصدير الفوضى والدمار ومئات الأطنان من القنابل والصواريخ وآلاف القتلى والجرحى والمشردين إلى تلك الشعوب الضعيفة المنكوبة، التي لم يكن لها من ذنب إلا مخالفتها للمفاهيم الأمريكية.

أما الحديث عن تطوير المناهج، فالواقع يبرز أن الهدف الأمريكي الحقيقي من هذه الكلمة هو تغيير المناهج لا تطويرها، والقصد من هذا أولًا وأخيرًا هو حذف مقاطع من القرآن الكريم تتعلق بالجهاد الإسلامي ضد المستعمرين المعتدين، بحجة أن هذا إرهاب، إضافة إلى إلغاء أحاديث نبوية وحقائق تاريخية للحجة ذاتها، بل لقد تعدى الأمر في بعض الدول العربية التي انساقت لهذا المشروع، أن أصبحت تدرّس قواعد اللغة العربية بالانكليزية، لأن اللغة العربية التي نزل بها القرآن تعلم الإرهاب.

ولا تغيب عن أذهاننا المقولات الفكرية التي تتبناها السياسة الأمريكية الحالية، والتي تتحدث، حسب ما سماه هنتنغتون، عن «صراع الحضارات»، والتي تخلص إلى نتيجة هامة، تتلخص في أن الحضارة الأمريكية هي الحضارة القوية، المخوّل لها - بناء على هذه المقولة - أن تهصر كل الحضارات وتدحرها، أو في أقل الدرجات أن تقولبها على قالب يتناسب مع الفكر الأمريكي والرؤية الأمريكية والرغبة الأمريكية.

وهذا بالضبط ما ألمح إليه والد الرئيس الحالي لأمريكا الرئيس بوش في عام ١٩٩٢م، بعد أن أنجزت أمريكا مهمة إخراج القوات العراقية من الكويت حيث قال: «إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية والسلوك الأمريكي ونمط الحياة الأمريكية والثقافة الأمريكية».

ويأتي الحديث عن المرأة وتمكينها وتحريرها حسب هذا المشروع في إطار لامع براق، يؤكد على أهمية رفع التهميش والاضطهاد والتمييز ضد المرأة العربية والمسلمة في الشرق الأوسط، وضرورة تمكينها وتفعيل دورها وتعزيزه على جميع المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

ولكن: هل فعلًا يطمح الغرب عمومًا، وأمريكا خصوصًا، إلى تمكين المرأة العربية وتحريرها وتفعيل دورها، أم أن هذا يندرج تحت مقولة: كلام حق أريد به باطل؟

وماذا يريد الغرب من وراء هذه المطالب، وما هي مصلحته؟

لا شك أن الواقع الملموس في العراق المحتل من قبل أمريكا خير شاهد على كذب هذه الادّعاءات وعوضًا عن أن تعمل أمريكا على تمكين المرأة العراقية وتفعيل دورها، ورفع الاضطهاد عنها، ساهمت بشكل مؤكد في زيادة الاضطهاد والعنف الواقع عليها، وفي زيادة التفقير والتجهيل والتهميش.

إذًا ما تريده أمريكا والغرب من إطلاق هذا المشروع هو شيء آخر يتخفى تحت هذه الشعارات البراقة، يتلخص في ضرب مواطن القوة التي تحول دون اختراق المجتمعات الإسلامية، ولا شك أن الأسرة الإسلامية المتماسكة هي أهم مواطن هذه القوة. ولسنا مفتئتين أبدًا حين نستخلص هذه النتيجة، فكل المؤشرات الواضحة وغير الواضحة، تدل على أن الغرب يريد أن يسوّق إلينا قسرًا قوانين تهدم كيان الأسرة، بحجة أنه يريد أن يسوق إلينا الحضارة والديمقراطية.

نلمح هذا واضحًا في محاولته لفرض قرارات المؤتمرات العالمية بخصوص المرأة واتفاقية رفع التمييز ضد المرأة (السيداو) بجميع آلياتهما وفعاليتهما، من رفع لقوامة الزوج عن زوجته، وإباحة الشذوذ الجنسي والاعتراف بحقوق الشاذين (المثليين)، والتأكيد على حرية المراهقين الجنسية، وتوفير الإجهاض الآمن لهم، وتأمين وسائل منع الحمل. . .

إضافة إلى محاولة بسط النفوذ حتى على قانون الأحوال الشخصية المستمد من الشريعة الإسلامية، بحجة أن في هذا القانون مواد تتعارض مع كرامة المرأة ورفع التمييز ضدها.

والمحزن المبكي في هذا الهزيمة النفسية التي لحقت بالشرق أمام الحضارة المادية الغربية، الأمر الذي أفقد بعض المسلمين توازنهم، وتعالت الصيحات للركض وراء الحضارة الجديدة بعجرها وبجرها، منادين باستبدالها بتلك التعاليم، التي مضى عليها ١٥ قرنًا من الزمان، والتي أكل عليها الدهر وشرب حسب رأيهم.

وإلى هؤلاء نقول: ليس كل جديدٍ يؤخذ ولا كل قديمٍ ينبذ.

ونقول لهم:

دع عنك قول عصابة مفتونة يجدون قديم كلّ أمرٍ منكرًا

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا من مات من آبائهم أو عمّرا

من كل ساعٍ في القديم وهدمه وإذا تقدم للبناية قصّرا

ونقول لهم أيضًا:

نحن مع تمكين المرأة وإصلاح حالها ونصر قضاياها، نحن مع رفع الاضطهاد والتمييز ضدها، نحن مع تغيير بعض قوانين الأحوال الشخصية المجحفة بحق المرأة، ولكننا نريد هذا الإصلاح بناء على قيمنا وثقافتنا وتعاليم ديننا وثوابتنا الإسلامية، وليس بناء على ما يريده الغرب، ولا بناء على ثقافة الغرب وقيمه ورؤيته.

هنالك سؤالان يطرحان نفسيهما بقوة:

السؤال الأول: هل وصلت الدول الغربية أصلًا إلى رؤية سليمة وعادلة وشاملة بخصوص حقوق المرأة، لتصدّر إلينا هذه الرؤية وتلزمنا بها؟

السؤال الثاني: هل الصورة التي تعيشها المرأة المسلمة اليوم هي الصورة الإسلامية التي أمر بها القرآن الكريم وسنّة المصطفى ﷺ؟

نجيب عن السؤال الأول فنقول: «نساء الغرب يصرخن أنقذونا من العبودية» هذا هو العنوان العريض لما سنطرحه، أما العناوين الفرعية فهي كالتالي:

الإعلام الغربي المغرض يصوِّر لنا حال المرأة هناك تصويرًا زائفًا خادعًا، يظهر فيه المفاتن والمحاسن، ويخفي الكثير والكثير من المخازي والمآسي التي ترزح تحت نيرانها المرأة الغربية.

تقول إحدى الباحثات الأمريكية، وهي تصوِّر ذكورية المجتمع الغربي واضطهاده للمرأة: عندما نتحدث عن المرأة فكل الدول هي دول نامية.

* باحثة أخرى ألَّفت كتابًا أسمته «أسطورة تحرير المرأة في الغرب» استعرضت فيه العديد من الصور القاتمة، التي تضطهد المرأة وتكبِّلها بسلاسل الذل والعنف والتمييز بينها وبين الرجال، مسلطة الضوء على المفارقات المضحكة بين قرارات المؤتمرات والاتفاقيات العالمية وبين الواقع المؤلم الذي تعيشه المرأة الأمريكية.

* ولهؤلاء الذين تهمهم الإحصائيات ولغة الأرقام نورد مايلي:

المراة في الولايات المتحدة الأمريكية:

أصدرت الشرطة الفيدرالية الأمريكية تقارير عن العنف ضد المرأة الأمريكية:

* ٧٩٪ من الرجال في أمريكا يضربون زوجاتهم ضربًا يؤدي إلى عاهة.

* ١٧٪ منهن تستدعي حالاتهن العناية المركزة.

* وهناك زوجة يضربها زوجها كل ١٨ ثانية في أمريكا.

كما بينت دراسة أخرى أن ٤١٪ من النساء أكَّدن أنهن ضحايا العنف الجسدي من قبل أمهاتهن، و ٤٤٪ من جهة آبائهن.

أما نسبة اغتصاب الأنثى في أمريكا، فيغتصب يوميًا في أمريكا ١٩٠٠ فتاة، ٢٠٪ منهن يغتصبن من قبل آبائهن.

* أما عن قتل النساء في أمريكا فإنه يقتل كل يوم عشر نساء من قبل الزوج أو الصديق.

* بلغت نسبة الطلاق في أمريكا ٦٠% من عدد الزيجات.

المرأة في فرنسا:

هنالك مليونا امرأة معرضة للضرب سنويًا.

٩٥% من ضحايا العنف في فرنسا هن من النساء، ٥١% منهن تعرضن للضرب من قبل أزواجهن.

أمينة سر الدولة لحقوق المرأة (ميشيل أندريه) تقول: «حتى الحيوانات تعامل أحيانًا أفضل من النساء، فلو أن رجلًا ضرب كلبًا في الشارع سيتقدم شخص ما يشكو لجمعية الرفق بالحيوان، ولكن لو ضرب رجل زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد».

نشرت جريدة السفير اللبنانية نتائج التحقيق الوطني في فرنسا عام ٢٠٠١ م:

أن امرأة فرنسية من أصل ٥ كانت عام ٢٠٠٠م تتعرض لضغوط أو عنف جسدي أو كلامي في الأماكن العامة.

وأن ٤٨ ألف امرأة تعرضت للاغتصاب عام ١٩٩٩م، وأن أماكن العمل هي المجال الأول للضغوط النفسية.

أكثر من ٤٠% من الولادات تسجل خارج مؤسسة الزواج.

وصلت نسبة المراهقات الحوامل إلى ٣٠ فتاة من كل ١٠٠٠ أعمارهن بين ١٥ - ١٩ سنة.

تشير الإحصائيات أن معدل الزواج في تراجع مستمر ولا تسجل فروق في هذا بين فرنسا والسويد والنرويج.

أما في بريطانيا فالحال أسوأ:

إذ تشير الأرقام الصادرة عن مكتب الإحصاء الوطني البريطاني أن

نصف الأطفال في بريطانيا تحمل بهم أمهاتهم خارج العلاقة الزوجية، بينما كانت النسبة تصل إلى الثلث فقط قبل عشر سنوات.

٧٧٪ من الأزواج يضربون زوجاتِهم دون سبب. أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الأزواج أو الشريك.

ارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦٪ خلال عام واحد إلى نهاية آذار ١٩٩٢م.

أحيانًا يصل الأمر ببعضهم إلى حدِّ إطفاء السجائر على جسد زوجته أو شريكته أو تكبيلها بالسلاسل والأغلال، ثم إغلاق الباب عليها وتركها على هذه الحال ساعات.

امام هذه الحقيقة المرة:

- وأمام هذه الإحصائيات والأرقام الرهيبة، التي تبرز لنا الصورة الحقيقية لما هي عليه المرأة في الغرب نقف مدهوشين لنقول:

أين هي قرارات مؤتمر بكين ١٩٩٥م وما قبله من مؤتمرات المرأة العالمية التي قامت بها الأمم المتحدة لرعاية شؤون المرأة وتمكينها وتحريرها؟!

لماذا لم ينته العنف الواقع على المرأة الغربية واضطهادها رغم قرارات اتفاقية السيداو عام ١٩٨١م والإعلان العالمي لمناهضة العنف على المرأة عام ١٩٩٣م؟

ماذا تفعل القوانين الصارمة والمدروسة، التي صيغت لرفع الاضطهاد عن المرأة؟

ألم تحلّ الملاجئ المحدثة لإيواء النساء المعنفات، والتي تبلغ في أمريكا وحدها ١٤٠٠ ملجأ، قضية هاتيك النساء؟

- ألا يفرض هذا الواقع المؤلم للمرأة الغربية على المحللين الاجتماعيين والنفسيين الوقوف مرارًا وتكرارًا، والتريث أمام تلك الظاهرة، لمحاولة استشفاف الأسباب القريبة والبعيدة، التي تجعل القوانين في واد والواقع في واد آخر؟

ألا يوصلنا هذا إلى أهمية التربية الإيمانية والروحية للأفراد، والتي يفترض بها أن تكون حارسًا من الداخل، تحيي الضمير الإنساني، وتشجع

على الالتزام الحقيقي والتغيير الفعلي، قبل الحديث عن القوانين والقرارات على أهميتها.

أما السؤال الثاني الذي طرحناه سابقًا: هل صورة المرأة المسلمة اليوم هي الصورة الإسلامية التي أمر بها القرآن الكريم وسنة المصطفى عليه السلام؟

فإن الجواب عنه يتلخص بحرفين اثنين لا ثالث لهما: لا.

نعم... تعيش المرأة المسلمة في معظم الأحيان حالة من السلبية والتقاعس، كما تقبع تحت أنواع من الظلم والاضطهاد. والسبب الرئيس في هذا هو الفهم الخاطئ للدين.

وإن مسئولية النهوض من هذه الكبوة تقع على عاتق الرجل والمرأة على السواء، فحين ندرك أن الدين ليس صلاة وصيامًا وحجًا وزكاة فقط، بل إن مشاركة المرأة السياسية دين، ومشاركتها الاقتصادية دين، ومشاركتها الاجتماعية والثقافية دين، وأن دورها لا يقتصر فقط على إنجاب الأولاد وتربيتهم على أهميته، عندها فقط نستطيع أن نرتقي بالمرأة إلى الصورة الحقيقية التي رسمها لها القرآن الكريم ونبي الإسلام ﷺ.

وهذا ما أدركه السفير الألماني في اليمن «مراد هوفمان» الذي أعلن إسلامه، وقال في كتابه «الإسلام كبديل»: «صححوا أوضاع المرأة المسلمة عندكم فإنها تنفر الأوروبيين من الإسلام».

ومع هذا الوضع غير المرضي للمرأة المسلمة اليوم، والذي يحاول الغربيون استغلاله لتشويه صورة الإسلام، فإني أقول:

إن وضع المرأة المسلمة اليوم، رغمترديه وتقهقره، فإنه أفضل حالًا من وضع المرأة الغربية، وإذا كان ولا بد لأحد الطرفين الشرقي أو الغربي من أن يأخذ بيد الآخر، فإننا الأجدر والأفضل رغم سوء أحوالنا.

وأخيرًا أقول للمشروع الأمريكي في الشرق الأوسط:

كفاني الله شرك يا ابن عمي ... فأما الخير منك فقد كفاني

غربيات يبحثن عن الحجاب !

لم يعد مظهر المرأة المحجبة المستترة يثير الاستغراب في الكثير من البلدان الغربية، ولم تعد تثير ذلك الكم من السخرية والاحتقار الذي كانت تثيره لديهم في السبعينات والثمانينات الميلادية على سبيل المثال.

وذلك وإن كان من نتائج عودة بعض مسلمي المهجر إلى دينهم بالإضافة إلى محافظة بعض الأسر السائحة المسلمة على مظاهر الدين والحجاب، إلا أن لذلك علاقة أيضًا بعودة الكثير من النساء الغربيات للإيمان بمبدأ حشمة المرأة وتسترها واحترام من تحافظ على ذلك.

طوائف في أمريكا تدعو للباس الساتر:

ففي أمريكا ظهرت جماعات وطوائف دينية جديدة تؤمن بمبدأ وجوب محافظة المرأة على لباس ساتر، ويحتم عليها أن لا تظهر صدرها ولا ذراعيها وأن يكون لباسها واسعًا وطويلًا، كما لا تبالغ في وضع المكياج والتزين. واستغلت هذه الجماعات حالة السخط الكبيرة التي يشعر بها بعض المثقفين والمحافظين، والكثير من نساء المجتمع اللاتي أصبحن يعارضن الاستغلال المادي البشع للمرأة في وسائل الإعلام وفي المجتمع الغربي عمومًا، ومعاملتها كجسد قبل أي شيء آخر.

ديانة الهنود الحمر توجب على الاحتشام:

وتقول مواطنة أمريكية في إحدى غرف الحوار في الإنترنت:

(لقد سئمت هذا الانحلال الكبير الذي يعيشه مجتمعنا.. المرأة لم تعد تقيّم إلا بشكلها ومظهرها. إن هذا يؤثر حتى في مجال العمل والترقيات، بل في فرص الحياة العملية والعاطفية كلها، يجب على المرأة أن تكون دائمًا جميلة وجذابة حتى يصبح نجاحها أسهل في كل شيء!).

وقد تحولت هذه المرأة إلى ثلاث ديانات لكنها لم تجد فيها ما يشبع غليلها، وهي الآن تعتنق ديانة تعتبر من طوائف الديانة اليهودية؛ لأنها أعجبت فقط بكون هذه الديانة تحتم على المرأة التستر والاحتشام وعدم الاختلاط مع الرجال إلا للضرورة!

كما تقول أمريكية أخرى:

(لقد اعتنقت ديانة وثنية من ديانات الهنود الحمر القديمة، لأني وجدتها تتميز بتقدير خاص للمرأة، فهي تنص أن على المرأة ارتداء لباس محتشم، وتحرم العلاقات العاطفية خارج نطاق الزواج.. وأشعر أن في هذا تقدير للمرأة وحفاظ على قيمتها في المجتمع).

تضطر لكشف وجهها:

وتذكر إحدى الفتيات الملتزمات أنها كانت ترتدي حجابًا ساترًا حين اضطرت للذهاب لإحدى الدول الأوروبية مع أسرتها لعلاج والدها. وفي المستشفى استأذنتها إحدى الممرضات في أن ترى وجهها، وحين شاهدته صدمت؛ لأنها كانت تعتقد أنها ستكون قبيحة أو بها عيب، فلما رأتها وسألتها عن سبب ارتدائها للحجاب.. شرحت لها أن الإسلام يعامل المرأة كالجوهرة التي يجب أن تحفظ عن أعين الغرباء، تقول الفتاة: إن تلك الممرضة استمعت بإنصات ثم أخذت تقول: (أمرٌ جميل.. إنه أمرٌ رائع.. كم أتمنى لو أستطيع أن أكون هكذا.. إنني أعاني كثيرًا من نظرات الجميع إلى تفاصيل جسمي، فأشعر وكأني مجرد دمية.. حتى هنا مثلًا.. حين أسير.. أشعر أن الكل ينظر إلى ساقيَّ قبل أي شيء آخر!!).

زيغرد هونكه:

أما الدكتورة والعالمة الألمانية زيغريد هونكه صاحبة الكتاب الشهير (شمس العرب تسطع على الغرب) الذي بينت فيه أمجاد العرب

والمسلمين وفضل حضارتهم على النهضة الغربية، فحين سئلت في إحدى المؤتمرات الإسلامية عن نصيحتها للمرأة المسلمة التي تريد خلع الحجاب.. قالت: (لا ينبغي لها أن تتخذ المرأة الأوربية أو كاتبة أمريكية تقول:

الأمريكية قدوة تحتذيها، لأنها بذلك تفقد نفسها مقومات شخصيتها. وإنما ينبغي لها أن تتمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، وأن تلتمس لديهن المعايير والقيم وتكيفها مع متطلبات العصر، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة في كونها أم جيل الغد العربي).

الكاتبة الأمريكية هيليسان ستانسبري:

أما الكاتبة الأمريكية هيليسان ستانسبري- وهي صحفية متجولة تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية ولها مقال يومي يقرأه الملايين - فقد قضت في إحدى العواصم العربية عددًا من الأسابيع، فلما عادت إلى بلادها قالت: (إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشاب في حدود المعقول، فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأم والأب، وتحتم أكثر من ذلك هدم الإباحية الغربية التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوربا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب.. فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا).

ميريل ستريب الممثلة الأمريكية:

ويظهر هذا التذمر من النظرة الدونية للمرأة حتى في حديث ميريل ستريب الممثلة الأمريكية الحائزة على الأوسكار عام ١٩٨٣م التي قالت في أحد اللقاءات الصحفية: (في كل مرة كنت أذهب فيها إلى أحد الأماكن العامة كان الناس يتفحصون مقاييس جسمي للتأكد من أنني جميلة

وأستحق لقب أفضل ممثلة أمريكية، وبالطبع فقد كان هذا الأمر يزعجني كثيرًا.. لأني كنت أعرف بأن الناس ينظرون إليّ من أجل معرفة مقاييسي الجسمية فقط).

وترفض ما يسمى بحركة تحرير المرأة قائلة: (أنا لا أحب الأفكار السائدة اليوم عن المرأة. إنهم يرون أن المرأة المثالية هي فقط تلك المرأة الرشيقة القوام)[1].



(١) كتاب رسالة إلى حواء، رشيد العويد.

تعشق العباءة وترتديها حتى في المنزل!!

وتقول فتاة كورية في الإنترنت: (أنا أحب لباسكم.. نعم.. هذه العباءة الكاملة الساترة.. أحبها جدًّا.. وأحب فكرة ارتدائها. هل تصدقون.. لقد طلبت من ابنة عمي التي تعمل في الخليج أن ترسل لي واحدة. وما أن وصلتني حتى أسرعت بارتدائها، ورغم أن الكثيرين سخروا مني واستغربوا من شكلي.. إلا أني لا زلت أرتديها ما بين وقت وآخر.. وأحيانًا أرتديها في المنزل.. إنني أشعر براحة كبيرة وطمأنينة ورضا حين ألبسها)[1].

تناقض بعض المسلمات:

في نفس هذا الوقت الذي بدأت فيه المرأة في أنحاء العالم تبحث عن ذاتها بالعودة إلى الحشمة والستر والحجاب.. تحاول الكثيرات من المسلمات إيجاد المخارج والثغرات هنا وهناك ليعللن أن الحجاب ليس واجبًا دينيًا!! أو أن الداخل أهم من الخارج!

وبين هذه الآراء وتلك.. يتردد صوت شجي خالد إلى يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾.



(١) المصدر: مجلة حياة العدد (٣٣) محرم ١٤٢٤هـ.

التحرش الجنسي بالمرأة في العمل

في حياتنا المعاصرة اليوم تزداد معاناة المرأة العاملة والدارسة سوء سواء كانت فتاة أم متزوجة بسبب ظاهرة «التحرش الجنسي»، والتي تتلون مظاهره بين التحرش الشفهي من إطلاق النكات والتعليقات المشينة، والتلميحات الجسدية، والإلحاح في طلب لقاء، وطرح أسئلة جنسية، و نظرات موحية إلى ذلك، ثم تتصاعد حتى تصل إلى اللمس والتحسس والقرص. وهو يعد من ألوان إهانة المرأة وإذلالها، وهو صورة من صور الأذى التي حذر الله تعالى من وقوعه على المرأة، قال تعالى: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وهذه المعاناة أخذت تبرز في مقدمة اهتمامات سائر الدول اليوم، بعد أن كانت تعالج في الخفاء، فأُنشئت من أجلها المنظمات المناهضة، وعُقدت المؤتمرات، وسنت القوانين.

وسأتجاوز التحرش بالأطفال الذي تشير له دراسة الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: أن أربعة من كل خمسة طلاب يتعرضون إلى تحرشات جسدية ولفظية -عادة ما تكون أمام المدرسين- تبدأ في سن مبكرة منذ دخولهم المدرسة[(١)].

وأتجاوز التحرش الذي يتعرض له الرجال !! والذي أُسس مركز خاص لعلاج ضحاياه من الرجال ومقره دافنبورت في ولاية آيوا الأمريكية.

وسأتجاوز التحرش بالمرأة في الحياة العامة في وسائل المواصلات والشوارع والأسواق والمنتزهات.

لكنني سأركز في دراستي المختصرة لهذه الظاهرة على التحرش بالمرأة في العمل والدراسة.

---

(١) المرجع: الإسلام أون لاين.

لأنه أكثرها انتشارًا، ولأن الدراسة والعمل في نظر الكثيرين هما بوابة الدخول لتحقيق المرأة حياة الحرية والمساواة بالرجل!!

ودراسة هذه الظاهرة من الصعوبة بمكان، فالأرقام والإحصائيات لا تمثل إلا جانبًا بسيطًا من تلك المعاناة التي تعيشها المرأة العاملة في العالم اليوم، وذلك للأسباب التالية :

١- حساسية الموضوع، وأن كثيرًا من ضحايا التحرش تخاف من: الفضيحة، وتلويث السمعة، فإن أصابع الاتهام ستشير إليها بالدرجة الأولى، لذلك فهي تفتقد الجرأة والشجاعة في التحدث عن معاناتها. تقول الأستاذة «عزة سليمان» مدير مركز قضايا المرأة المصرية: إن ظاهرة التحرش الجنسي هي قضية «مسكوت عنها» في المجتمع المصري نظرًا لحساسية هذه القضية. . .ثم تقول: لا توجد إحصائيات أو أرقام توضح مدى هذا التحرش، وهو ما يجعل الوقوف على آثار الظاهرة صعبًا[١].

٢- بعض الضحايا تخاف من فقد عملها، فهذه - جيوفانا ريفيري - من تشيلي، تذكر كيف أنها كانت تكره الذهاب إلى عملها في وزارة الزراعة حيث كان رئيسها يتحرش بها جنسيًا كل يوم. وتقول: إنها شعرت بكونها أسيرة الحاجة لكسب عيشها وبالعجز عن مقاومة إساءاته وتحرشاته المباشرة[٢].

٣- الخوف من تعثر الدراسة جعل بعض الضحايا يلتزمن الصمت. وهنا تقول أمينة طالبة جزائرية: عمري ٢٣ سنة أدرس سنة ثالثة حقوق رسبت سنة لأنني ببساطة رفضت المواعيد الغرامية التي كان يضربها لي أستاذي الفاضل، لا أحد من عائلتي يعلم بالأمر، فقط صديقاتي. ولحسن حظي أنه لم يدرس لي خلال السنة التي تلت.

وإن فضلت أمينة التنازل عن سنة من عمرها، ومثيلاتها كثيرات، فإن

---

(١) المرجع: شبكة الأخبار العربية محيط.

(٢) المرجع موقع وميتز إي نيوز .www . awomensenews

أخريات رضخن للأمر الواقع سواء اختصارًا للطريق أو هروبًا من شبح الرسوب، بينما لا تزال أخريات إلى الآن يعانين من المساومة، وهناك أستاذ ينتظر منهن الإجابة بنعم، وإلا فإن النجاح سيصبح صعب المنال[(١)].

٤- شعور الضحايا بأن الجاني عليها لن يجد العقاب الرادع له، وأن رئيسها المباشر لن يسمع لها خوفًا على سمعة عمله. ففي اليابان مثلًا شكت معظم ضحايا التحرش من العاملات من امتناع مسؤولي العمل عن اتخاذ أي إجراء عقابي أو رادع بحق المتحرشين بهن[(٢)].

٥- إثبات حدوث التحرش من أصعب الأمور على المرأة، فعند سؤال نجاة وصديقتها فيما إذا كانتا تعلمان أن القانون المغربي يمنع التحرش الجنسي ويعاقب عليه، أبديتا استغرابهما قائلتين: هل من (يتسبل) علي أستطيع أن أقاضيه ؟! وبعد إخبارهما بأن الفصل ٥٠٣ من القانون الجنائي المغربي يعاقب على التحرش، قالت نجاة: «لم يكن في علمي ذلك»، قبل أن تستدرك ولكن «كيف أستطيع أن أثبت أن ذلك الرجل تحرش بي؟!»[(٣)].

لهذه الأسباب وغيرها سيظل موضوع التحرش الجنسي بعيدًا عن المعرفة الكاملة لصورته الحقيقية، بل قل: ولا حتى جانبًا كبيرًا منه، فقد جاء في دراسة صادرة عن معهد المرأة في العاصمة الإسبانية مدريد: إن عدد اللواتي يتجرأن على التقدم بشكوى لا يتجاوز الـ ٢٥% من مجموع حالات التحرش[(٤)].

لذلك سيبقى التحرش الجنسي من أقبح ألوان الأذى للمرأة، وأبشع صور الظلم لإنسانيتها.

---

(١) المرجع موقع بوابة المرأة.

(٢) المرجع موقع إسلام أون لاين.

(٣) المرجع موقع العربية نت نقلا عن صحيفة «الأحداث» المغربية!.

(٤) المرجع موقع جريدة الشرق الأوسط.

واقرأ معي أبرز الآثار التي يتركها التحرش بالمرأة :

جاء في تقرير للجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: أن الطالبات أكثر شعورًا بالخجل والغضب والخوف والتشوش، وأقل ثقة وأكثر شعورًا بخيبة الأمل تجاه تجربتهن الجامعية بعد تعرضهن للتحرش الجنسي.

وتقول الطالبات: إنهن يتفادين المتحرش بهن أو أماكن معينة في الحرم الجامعي، وأنهن يعانين من صعوبات في النوم أو التركيز. كما أن الطالبات أكثر لجوءًا للاستعانة بشخص يقدم لهن الحماية، أو إلى تغيير مجموعات الأصدقاء، أو الامتناع عن المشاركة في الفصل، أو الانسحاب من المساق، أو التغيب عن نشاط ما. علمًا بأنهن نادرًا ما يبلغن المسؤولين الجامعيين عن تعرضهن للتحرش [١].

وتقول - ريفيري - التشيلية: إنه كان يلمس شعرها، ويجبرها على حضور اجتماعات غير ضرورية، ويكتب إليها رسائل جنسية فاضحة. ورغم أنه لم يلمس جسدها قط، إلا أنها تقول: إنها كانت تشعر بالترهيب النفسي.

وتقول: لقد كنت عرضة لقدر لا يُصدق من التوتر. وكنت أقفز خوفًا كلما رنَّ جرس الهاتف؛ لأنه خلق لديَّ إحساسًا بالاضطهاد. كان يأتي إلى مكتبي، وكنت أختفي في دورة المياه، وكان ينتظرني طويلًا [٢].

وتقول سميرة: بدأت المعاناة منذ حوالي خمس سنوات، صمدت خلالها كثيرًا أمام إغراءات ومطالب رئيسي في العمل قبل أن يتحول التحرش الجنسي إلى انتقام بعد أن رفضت الاستجابة لطلباته، فقد أصبح يتدخل في كل مرة من أجل حرماني من كل امتياز أو ترقية، وأخذ بالضغط علي من أجل دفعي لمغادرة العمل، بعد أن يئس من النيل مني [٣].

---

(١) المرجع موقع ومينز إي نيوز، www . awomensenews.

(٢) المرجع موقع ومينز إي نيوز، www . awomensenews.

(٣) المرجع: موقع العربية نت نقلًا عن صحيفة «الأحداث» المغربية!.

وتقول لينده - ٤٣ سنة سكرتيرة لدى مدير عام بشركة عمومية - منذ أزيد من ستة أشهر أعيش حالة قلق وتوتر دائمين بسبب تصرفات مديري الدنيئة وبحكم أنني سكرتيرته الخاصة فأنا أقضي ساعات معه كل يوم في المكتب أقضيها في التفكير في اختلاق طريقة لتجنب نظراته الوقحة جدًا ومحاولاته الدائمة للمسي. مما أثر سلبيًا عليّ. فحتى عندما أدخل بيتي لا أتخلص من العصبية، وكثيرًا ما يعود ذلك سلبيًا على ابنتي اللتين لا ولي لهما ولا مسئول عنهما غيري[١].

ولعل الحاجة وضرورة العمل والمسئوليات العائلية هي التي تفرض على المرأة الخروج للعمل وتحمل ظروف قاسية.

وفي دراسة صادرة عن معهد المرأة في العاصمة الإسبانية مدريد: أن أغلب هؤلاء العاملات يعانين من أمراض نفسية مثل :القلق، والسهر، واللامبالاة، والخوف، والتعرض للكوابيس[٢].

وتقول فوزية بوجريو -أستاذة علم نفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم علم النفس بجامعة عنابة-: عندما لا تكون المرأة المتحرش بها جنسيًا راضية بالأمر، فإن الأمر يصبح مطاردة، والإحساس بالمطاردة قد يسبب الانهيار العصبي، خاصة إذا كانت ظروف المرأة لا تسمح لها بمغادرة مكان العمل أو الدراسة، فإن بقيت تحت الضغط قد تصاب بانهيار، وإذا كان بإمكان المرأة المغادرة أو الهروب فإنها تصبح حذرة في علاقاتها حيث ستظل التجربة السلبية راسخة بذهنها وبداخلها.

وفي حال كانت المرأة الطالبة أو العاملة ذات شخصية هشة غير متماسكة أو ضعيفة فسيؤثر ذلك كثيرًا عليها في المستقبل فقد يصل بها الأمر لرفض الارتباط بزوج، لأنها سترى في كل الرجال صورة عن الرجل الذي تحرش بها جنسيًا والذي بسببه كونت صورة سلبية عن الرجل.

---

(١) المرجع :موقع بوابة المرأة.

(٢) المرجع: موقع جريدة الشرق الأوسط.

وإن وصلت لتكوين أسرة فقد لا ينفع معها تغيير المكان أي: أن تغيير الوضعية لن يؤدي بها لتغيير فكرتها وانطباعها لهذه الأسباب وغيرها[١].

وإذا وقعت المرأة في شباك المتحرش بها، واستطاع التلاعب بها فقد يتعدى الأثر إلى المنزل، فقد تزهد المرأة في زوجها نتيجة العلاقة الجديدة، فتتغير المعاملة مع الزوج، وقد تتفاقم لتصل إلى طلبها الفراق والطلاق!! لتعيش مع من قوض حياتها الهانئة سعيًا وراء السراب!!

وترك المرأة للعمل وعودتها للمنزل من أبرز آثار التحرش، يقول إبراهيم قويدر مدير منظمة العمل العربية: تفضل الكثيرات من النساء العودة لمنازلهن بعد تعرضهن للتحرش[٢].

وهناك أثر بالغ على سير العمل وقوته، فالقبول لن يكون على أساس الكفاءة والمؤهلات، بل سيكون هناك عناصر جديدة في أولوية التوظيف، فالجمال وحسن المظهر، هما أهم الصفات المطلوبة في المتقدمة عند من نفسه مريضة بهذا المسلك المشين، فضلًا عن المحسوبية في الأداء الوظيفي فيما بعد!! وهذان الأثران على حساب العمل.

وسأصطحبك عزيزي القارئ في جولة عالمية نتبين فيها معاناة المرأة من هذه الظاهرة:

وسنبدأ جولتنا من مقر الأمم المتحدة حيث قدم مفوض الأمم المتحدة لشئون اللاجئين رود لوبرز استقالته على خلفية الاتهام الموجه إليه بالتحرش الجنسي. والذي حواه تقرير سري داخلي في الأمم المتحدة، وكانت صحيفة اندبندنت البريطانية قد نشرت التقرير الدولي السري الذي وجه الاتهام للوبرز[٣].

أما الموقع الثاني في جولتنا فهو أمريكا: وفيها صدر تقرير عن

---

(١) المرجع: موقع بوابة المرأة.

(٢) المرجع: موقع قنطرة.

(٣) المرجع: موقع بي بي سي.

الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات وهي منظمة تدافع عن حقوق المرأة مقرها واشنطن العاصمة. جاء فيه أن حوالي ثلثي من شاركوا في الاستطلاع أشاروا إلى تعرضهم لشكل من أشكال التحرش الجنسي، وهو ما تعرفه الدراسة بأنه سلوك جنسي غير مرّحب به، ويعتبر بمثابة تدخل في حياة الطالب. وقد تراوحت أعمار المشاركين في الاستطلاع بين الـ١٨ والـ٢٤ . كما أنهم ينتسبون إلى كليات خدمة المجتمع وكليات جامعية وجامعات خاصة وعامة في أرجاء البلاد. وقد وجد المحللون أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة مثل : الرئيس كلينتون وقاضي المحكمة العليا كلارينس توماس والسناتور السابق بوب باكوود[1] .

وتشير كاربينسكي - امرأة عملت في الجيش الأمريكي مدة ٥٢عامًا حتى وصلت رتبة جنرال، وقد أقيلت من عملها على إثر فضيحة سجن أبو غريب العراقي - إلى العديد من الأحداث التي تتراوح من : مسابقات القمصان القطنية المبللة في حمام سباحة عسكري، إلى هجوم مسلح على وحدة حمامات. وتقول: إنها كثيرًا ما تحذر النساء الطامحات في دخول الجيش بأنهن سيواجهن «إما التحرش الجنسي، أو الاعتداء الجنسي، أو أنهن سيتعرضن للاغتصاب»، إذا ما التحقن بالجيش. وفي مقابلة هاتفية حديثة معها، أخبرت كاربينسكي وُمينز إي نيوز، قائلة: «أعتقد على وجه الخصوص أن النساء بحاجة لدخول هذا المجال المهني وأعينهن مفتوحة تمامًا -وليست حالمة- وأن يفهمن أن. . . الجيش ما زال أمامه طريق طويل وطويل[2] .

وقد وجد أحدث وأكبر مسح للعاملين بالقوات المسلحة، أجرته وزارة

---

(١) المرجع: موقع ومينز إي نيوز، www . awomensenews.

(٢) المرجع: موقع ومينز إي نيوز، www . awomensenews.

الدفاع عام ١٩٩٥، أن ٧٨ % من النساء و٣٨ % من الرجال العاملين في القوات المسلحة قد تقدموا ببلاغات عن تلميحات جنسية غير مرغوب فيها. وهذه الأرقام أعلى مما هي عليه في قوات الاحتياط وفقًا لتقرير صدر عن الكونغرس في سبتمبر الماضي. وقد وجد هذا التقرير أن ٦٠ % من النساء و٢٧ % من الرجال العاملين في قوات الاحتياط والحرس القومي يتعرضون لنوع من أنواع الاعتداء الجنسي أثناء فترة خدمتهم[1].

وموقعنا الثالث في جولتنا هو أمريكا اللاتينية: وسنأخذ أكثر البلدان فيها محافظة اجتماعيًا، وهي تشيلي: فبعد ثلاثة أشهر من إقرار تشيلي لقانون لمكافحة التحرش الجنسي، يشير المسئولون إلى زيادة كبيرة في عدد الشكاوى.

أما في أوروبا :

فتقول المفوضة الأوروبية للعمل والشئون الاجتماعية - آنا ديامنتوبولو - التي تعتبر نفسها واحدة من ضحايا التحرش الجنسي عندما كانت طالبة: أن حجم هذه الظاهرة غير مدرك على نحو فعلي في دول الاتحاد، وأن ٣٥% من النساء يتعرضن إلى شكل من أشكال التحرش الجنسي في مكان العمل.

وتشير إحصائيات المفوضية الأوروبية إلى أنه خلال العام الماضي تعرض نحو ٥٠ % من النساء العاملات إلى تحرشات جنسية[2].

وفي اسبانيا:

جاء في دراسة صدرت عن معهد المرأة في العاصمة الإسبانية مدريد: أن مليون و٣١٠ آلاف عاملة تعرضت لنوع من أنواع التحرش الجنسي عام

(١) المرجع: موقع ومينز إي نيوز، www . awomensenews.

(٢) المرجع: موقع بي بي سي.

٢٠٠٥، أي ١٥٪ من مجموع عدد العاملات في أسبانيا الذي يبلغ ٨ ملايين و٤٢٥ ألف عاملة.

وأشارت الدراسة إلى أن ٤٠ ألف عاملة ستغير مكان عملها لهذا السبب[١].

وفي إسرائيل:

كشفت نتائج إحصاء أجرته «سلطة رفع مكانة المرأة في مكتب رئيس الوزراء ومعهد جيؤوكرتوجرافيا» اشتركت فيه ٦٠٠ من الصهيونيات العاملات في الأوساط المختلفة، أن ٣٥٪ من حالات التحرش الجنسي تنفذ على يد المسئول المباشر، و٢١ ٪ من الحالات تنفذ على يد مسئولين كبار في مكان العمل، وخاصة في أماكن العمل الكبيرة والإدارات الجماهيرية. كما ظهر من النتائج أن ثلث النساء اللاتي تعرضن للتحرشات لم يقمن بخطوات للحل؛ بسبب الخوف من التنكيل أو الخجل[٢].

ونصل في جولتنا إلى آسيا:

ونبدأ باليابان: فقد أشار تقرير حكومي ياباني إلى ارتفاع واضح في قضايا التحرّش الجنسي ضد النساء اليابانيات العاملات خلال العام الماضي مقارنة مع الأعوام التي سبقته. واستنادًا للتقرير فقد سجّلت قضايا التحرش الجنسي في أماكن العمل ارتفاعًا عام ١٩٩٩ بنسبة ٣٥ في المائة، مقارنة مع عام ١٩٩٨، تم أكثر من نصفها بحق سيدات عاملات، وشكت معظمهن من امتناع مسئولي العمل عن اتخاذ أي إجراء عقابي أو رادع بحق المتحرشين بهن.

وينص قانون العمل الجديد الذي صدر في اليابان العام الماضي على أن المسؤولية عن أعمال التحرش الجنسي التي تحدث في أماكن العمل تقع

(١) المرجع: موقع جريدة الشرق الأوسط.

(٢) المرجع: مفكرة الإسلام - عن المجتمع، العدد ١٤٩٥ .

على إدارات الشركات، وذلك إثر التزايد الملحوظ في جرائم التحرّش الجنسي في البلاد في الآونة الأخيرة لا سيما خلال العمل، مما أدى إلى تصاعد ردود الفعل العامة ضده، بعد أن كان أقل إثارة للاهتمام سابقًا[١].

أما الصين:

فيقول بعض الباحثين من الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية أجروا دراسة على عينة عشوائية من النساء لمعرفة المضايقات الجنسية التي تعرضن لها من جانب زملائهن الرجال: أن ٤٨٪ منهن تعرضن لكلام ونكات، وشتائم جنسية. وقال ١٣٪ أنهن تلقين عروضًا للمعاشرة الجنسية مقابل مصالح حقيقية؛ بينما تعرض ٢٦٪ منهن للمس والعناق والتقبيل الساخن في أماكن العمل. وهناك عدد غير قليل من النساء يتعرضن للتحرش الجنسي في الأماكن العامة[٢].

وفي الدراسة نفسها كانت نتيجة التحليل لـ ٤٠شكوى من التحرش والتي تلقتها عبر الخط الساخن للمرأة وجد أن :

١- جميع مرتكبي التحرش الجنسي من الرجال ٩٠٪ منهم في سن الثلاثين، ومعظمهم متزوجون؛ ٦٧٪ يشغلون مناصب قيادية. ببكين أول

٢- أعمار ٧٧٪ من اللاتي تعرضن للتحرش من ٢٢ إلى ٢٥ سنة، ومعظمهن يشغلن مناصب مكتبية أو يعملن فنيات. ببكين أول

٣- معظم حالات التحرش وقعت في مواقع العمل، بينما القليل منها في أماكن عامة أو البيت.

٤- ٢٥٪ من تصرفات التحرش عبارة عن اللمس والاحتكاك عن عمد؛ النكتة الجنسية؛ الإغواء بالكلام، ثم طلب الاتصال الجنسي بشكل غير مباشر[٣].

---

(١) المرجع: موقع إسلام أون لاين.

(٢) المرجع: موقع الصين اليوم.

(٣) المرجع: موقع الصين اليوم. ببكين أول

العا العربي:

صرح فيه مدير منظمة العمل العربية إبراهيم قويدر: بعد أن لاحظت منظمة العمل العربية انتشارًا للموضوع في الوطن العربي بشكل مخيف من خلال ارتفاع حالات شكاوى النساء الإدارية ضد مرؤوسيهن تحت مسميات مختلفة تخفي غالبيتها خلفيات تحرش[(١)].

وفي مصر:

الأرقام التي تثير الفزع جاءت تحذر أن من بين مائة امرأة يوجد ٦٨ تعرضن فعلًا للتحرش الجنسي داخل محيط العمل سواء كان هذا التحرش لفظيًا أو بدنيًا[(٢)]!

وأشارت الأستاذة - عزة سليمان- مدير مركز قضايا المرأة المصرية: أن ظاهرة التحرش الجنسي هي قضية «مسكوت عنها» في المجتمع المصري نظرًا لحساسية هذه القضية، بالإضافة لعدم امتلاكنا ثقافة كيفية لمواجهة مثل هذه الأمور[(٣)].

أما الجزائر: فأصبح «التحرش الجنسي» واحدًا من كوابيس المرأة الجزائرية العاملة منها والطالبة الجامعية، يحضر يوميًا بحياتها وبشكل مؤذ، برغم القانون الذي يجرمه والذي تم سنه خلال السنوات القليلة الماضية لردع المتحرشين بها وحمايتها من هذا الاعتداء الذي لا يظهر للعيان، بل تحضره غالبًا الضحية والمتهم.

لهذا فتحت وطأة التحرش الجنسي تعاني جزائريات كثيرات في صمت مطبق خوفًا من الفضيحة في مجتمع لا يرحم، ويشهر بالمرأة قبل حتى أن

---

(١) المرجع: موقع مركز الأخبار - أمان.

(٢) المرجع :موقع صحيفة أخبار الحوادث المصرية.

(٣) المرجع: شبكة الأخبار العربية محيط.

يفصل فيما إذا كانت متورطة أو ضحية، ومن لم تخف من الفضيحة فهي تفكر وتمعن التفكير قبل أن تطرق أبواب المحاكم[١].

وفي المغرب: تعاني الكثير من الفتيات والسيدات المغربيات من ظاهرة «التحرش الجنسي» المتفشية في كثير من مؤسسات القطاع الخاص في المغرب، ويتبع بعض أرباب ورؤساء العمل طرقًا شتى من التحرش للإيقاع بضحاياهم، مستغلين في معظم الأحيان سطوتهم وحاجة تلك النساء للعمل[٢].

وفي السعودية:

التي بها قبلة المسلمين، ومسجد وقبر خاتم المرسلين، يبقى الموضوع له شأن آخر حيث يعد وضع المرأة هناك أشبه ما يكون بالدر المكنون، فهي في مأمن كبير من وقوع التحرش الجنسي بها لعدم وجود الاختلاط في أماكن الدراسة، وأماكن العمل، والفصل التام بين الجنسين، وهذه قناعة تصل إلى حد اليقين عند الحكومة، ويزيدها قوة ونجاحًا في أرض الواقع تربية الناس هناك أبناءهم منذ نعومة أظفارهم على هذه المبادئ السامية في الحياة.

وهذا الكلام لا يعني أنها في سلامة تامة من هذه الظاهرة، لكنها تحدث في نطاق ضيق وبصور فردية لا تصل إلى حد الظاهرة، ولا تقارن بما يحدث في بلدان العالم الأخرى، ورغم محافظة المجتمع إلا أن الانفتاح وخروج المرأة للعمل المختلط في بعض المواقع سبب لها عيش معاناة التحرش الجنسي، فقد جاء في تحقيق أجرته صحيفة اليوم السعودية، الجمعة ٢٨ - ٤-٢٠٠٦، عن هذه الظاهرة أن «ندى» - موظفة قطاع خاص - تقول: تعتقد الكثيرات من الزميلات أنني أستغل الزملاء

(١) المرجع: موقع بوابة المرأة.

(٢) المرجع موقع العربية نت نقلًا عن صحيفة «الأحداث» المغربية!.

الرجال عاطفيًا للاستفادة منهم بأداء خدمات لي داخل العمل وخارجه. وهذا غير صحيح.. مشكلتي كانت تكمن في أنني كنت أتعامل مع الزملاء إنسانيًا بأسلوب لطيف، فأنا لا أستطيع الظن بأحد ولا أبدأ بالنوايا السيئة بتاتًا كما لا أتوقعها من أحد، وقد دعا ذلك أحدهم، من ذوي النفوس المريضة من الزملاء، لمحاولة التواصل معي بناء على أوهام خاطئة، معتقدًا أن لطافتي الطبيعية تلك أبديها له وحده.

وتابعت قائلة: وحينما تعب ووجد أن إيحاءاته غير مجدية، عمد إلى تلويث سمعتي بين الزملاء والزميلات بالترويج عن علاقة بيني وبينه[١]

وقبل أن أصل إلى نهاية هذه الدراسة المختصرة سوف أقف مع بعض المغالطات التي يذكرها البعض عند تعديده لأسباب مثل هذه الظاهرة وطرق علاجها.

وأول هذه المغالطات: هو ما يطرحه البعض بأن ثقافة الفصل بين الجنسين في العالم العربي والإسلامي والتي يربى عليها الصغار والكبار، ووضع الحواجز بين الجنسين هي التي تجعل من مجتمعاتنا مسرحًا لمثل هذه الظواهر السيئة!!

ويكفينا ردًا على هذه المغالطة طرح السؤال التالي: لماذا نجد هذا المسلك المشين بنسب عالية - كما أبدت هذه الدراسة جانبًا منه وغيرها من الدراسات - في المجتمعات الغربية والشرقية التي تعيش الاختلاط بين الجنسين بدون حواجز أو فواصل في كل مراحلهم العمرية، وفي كل مجالات الحياة؟!!

إن الشعور بضرر الاختلاط في الحياة الدراسية والعملية أمر يؤرق عقلاء البلدان التي تعيش حياة الحرية، لذلك أخذت أصوات المناداة بخطر الاختلاط تتعالى في تلك المجتمعات المتحضرة، فقد جاء في ميدل

(١) المرجع: جريدة اليوم السعودية.

إيست أونلاين التقرير التالي:

يواجه تقليد لطالما ظل راسخًا في مجال التعليم العام في الولايات المتحدة تحديًا من منظمات وأناس باتوا يعتقدون الآن أن تعليم البنين والبنات في مدارس منفصلة يحقق نتائج أفضل.

ومنذ تأسيس التعليم العام في الولايات المتحدة جرت العادة في أغلب الأحيان على أن يتلقى الطلاب من الجنسين تعليمهم معًا في فصل دراسي واحد. ومن بين ما يقدر بنحو ٩٣ ألف مدرسة حكومية في أنحاء البلاد هنالك بضع عشرات فقط من هذه المدارس تعمد إلى الفصل بين الجنسين.

ويبدو أن هذا الاتجاه في طريقه إلى أن يتغير وفقًا لبعض التوقعات في ضوء قرار الحكومة الأمريكية الأخير بشأن دعم التعليم العام غير المختلط.

وبينما يؤيد سياسيون من كلا الحزبين والعديد من صانعي السياسة هذه الفكرة فإنها تلقي معارضة من المنظمات النسائية وبعض المعلمين.

وقال - تيري اونيل - من المنظمة الوطنية للنساء: هذا اعتداء على حقوق المرأة، سينتهي الأمر بأن يحصل الصبيان على تعليم أفضل وأكثر تكلفة من البنات.

وكان التعليم المختلط ركيزة رئيسية للتعليم الحكومي في الولايات المتحدة وذلك منذ الوقت الذي عرف فيه نظام المدرسة ذات الفصل الواحد التي تقام في المروج؛ لأنه كان من المفترض أن يوفر هذا النظام للبنات مستوى أعلى من التعليم.

بيد أنه وعلى نحو تدريجي أخذ العلماء والسياسيون في التوصل إلى استنتاج مفاده أن الفصول الدراسية المنفصلة للبنين والبنات يمكن أن تأتي بنتائج أفضل. وعلى الرغم من أن هذه السنة الانتخابية طغت عليها القضايا السياسية إلا أن الفكرة نالت تأييدًا من الحزبين السياسيين وهو تأييد يتراوح من الجمهوريين المحافظين إلي الديمقراطيين اللبراليين من أمثال هيلاري

كلينتون عضو مجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك[1].

وأزيدك عزيزي القارئ من الشعر بيتًا ففي دراسة عن كتاب فرنسي حديث تحت عنوان: «مصائد المدارس المختلطة» نشرتها صحيفة لاكسبريس الفرنسية أعلن عالم الاجتماع الفرنسي ميشال فيز - الباحث بالمركز القومي للدراسات الاجتماعية بفرنسا - أن الاختلاط في المدارس الأوروبية لا يدعم المساواة بين الجنسين، ولا المساواة في الفرص.

وقد صدرت الدراسة بعد تجربة اختلاط تعليمي دامت ٤٥ عامًا في فرنسا، وكشفت عن سوءات عملية الاختلاط في الغرب، وبخاصة فرنسا، والتي شهدت ارتفاع معدلات الاعتداءات الجنسية ضد المراهقين داخل المؤسسات التعليمية، فضلًا عن زيادة نسبة الرسوب التعليمي عند الأولاد، برغم تفضيلهم عن البنات في المدارس بصورة تعلن عن عنصرية المعلمين أنفسهم.

وأشارت الصحيفة في حوارها مع مؤلف الكتاب إلى قضية الهجوم الإسلامي على الغرب متسائلة:

إن كان ذلك الفصل يتماشى مع وجهة النظر الإسلامية، فهل سننتظر كثيرًا نحن كبلد علمانى حتى يتقدم الإسلام إلينا مهاجمًا؟

فأجاب الكاتب: إنه منذ عام ٢٠٠٠، وفي عهد الرئيس «المتدين» جورج بوش بدأ القبول بفكرة إنشاء مدارس منفصلة بأمريكا، وكذلك في كل من إنجلترا، والسويد، وفنلندا، وألمانيا؛ حيث يتم الفصل خاصة في حصص المواد العلمية، أما في فرنسا فقد كان التعليم الكاثوليكى أول من نادى بعملية الفصل، وإن كان ذلك في مدارس خاصة بعيدًا عن التعليم الرسمي العلماني[2].

---

(١) المرجع: موقع ميدل إيست أونلاين.

(٢) المرجع :موقع الشبكة الإسلامية.

أما ثاني المغالطات: هو زعمهم أن تدني ثقافة ووعي الرجل خاصة وكذلك المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية عن المستوى الحضاري الذي يعيشه الإنسان رجلًا كان أم امرأة في الغرب، هو الذي يتسبب في إفراز مثل هذه الانتهاكات في حق المرأة!!

يقول أحد المعلقين على حادثة تعرض بعض الموظفات في السعودية للمضايقات الأخلاقية في عملهن: بشكل عام التحرش الجنسي في الاختلاط الوظيفي ظاهرة اجتماعية ناشئة بفعل حداثة الاختلاط الوظيفي بين الجنسين !! ومع الوقت سيعتادها مجتمعنا ويمتص سلبياتها بفعل التنشئة الأخلاقية الدينية السليمة لأبنائه من الجنسين.

ومثل هذه المغالطات نسمعها ونحن في عالم يسعى لشفافية تامة في قراءة نتائج الدراسات المتعلقة بحقوق الإنسان، فأين هؤلاء من هذه النتائج التي عرضنا طرفًا يسيرًا جدًا منها، ثم أين هم عن دلائل سلوكيات الرجل الغربي المتحضر تجاه المرأة !!

لقد وجد المحللون في أمريكا المتربعة على عرش الحضارة الإنسانية اليوم !! أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة مثل الرئيس كلينتون وقاضي المحكمة العليا كلارينس ثوماس والسناتور السابق بوب باكوود. أيشك أحد في وعي وثقافة مثل هؤلاء تجاه المرأة !!

والمغالطة الثالثة: أن الذين يعتبرون أهم الأسباب في مثل هذه الظاهرة هو عدم حشمة المرأة في لباسها، ومخالطتها للرجال هم لا يعرفون من حياة المرأة إلا جانب اللذة، وهم سوداوي النظرة، تشاؤميون من كل جديد، و . . ، و . .

ولهؤلاء نقول: إن العاقل لا يطلق هذه الأوصاف على الطبيب الذي يخبر مريضه بمواطن المرض في جسده ليتمكن من علاجه، وهكذا دعاة الإصلاح، فإن أحدهم عندما يطرح مثل هذا الموضوع الحساس ويكشف

هذه الأرقام المخيفة ليس من باب الفرح بعثرات الآخرين، وكشف أستارهم، وليس قصورًا في النظر على ما استقبح من حياة البشر، ولكن إنما هو من باب أن المسلم هو المرشح لقيادة البشرية إلى بر الأمان، وإنقاذهم من الغرق في بحر الشبهات والشهوات، فقد نال هذه المنزلة الرفيعة منذ بعثة محمدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وختامًا أقف معك عزيزي القارئ على ما يلي:

١- أن لغة الإحصائيات، والأرقام هي المؤثرة في قناعة معظم الناس اليوم، وقد سلكت في دراستي هذه هذا المسلك لأقنع القارئ بخطورة هذه الظاهرة، فنحن المسلمين ولله الحمد نجد في القرآن الكريم الشفاء لكل داء، ونعتقد أن النجاح في الحياة مرتهن بعدم تقديم العقل على كلام الله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات آية: ١] . هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر العقل السليم لا يتعارض مع الوحي إطلاقًا، فالله جل جلاله الذي ميز البشر بعقولهم على سائر المخلوقات هو العالم بما يصلح معاشهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ونحن نجد في نتائج مثل هذه الدراسات ما يزيد طمأنينة قلوبنا ولله الحمد.

٢- أن ألوان الأذى كالاغتصاب، والدعارة، والضرب، والقتل، والاستعباد التي تتعرض لها المرأة في العالم اليوم ما هي إلا ثمار قبيحة المنظر كريهة الرائحة ومرة المذاق للحياة المتحررة من دين الله تعالى، المنفلتة من كل قيم وآداب الفطر السليمة.

٣- أن تخبط البشرية اليوم بين نظريات هذا، وآراء ذاك يؤكد حاجتها

إلى معرفة طريق النجاة، الذي حاد عنه الإنسان منذ أن قدس عقله وأله هواه، وترك وحي ربه وراء ظهره!!

فكانت النتيجة هذا الشقاء الذي يتقلب فيه البشر رجالًا ونساءً كبارًا وصغارًا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. والمجتمعات الإسلامية ينالها من هذا الشقاء بقدر إعراضها عن الله تعالى.

٤- أن المرأة المسلمة تعيش حياة كريمة لما أعطاها الإسلام من مكانة سامية في الحياة، وهي في هذا البلد المبارك المملكة العربية السعودية تحظى بمكانة رفيعة في نفوس الحكام وسائر الشعب، وهذا لا يعني عدم تعرضها لصور الأذى الخلقي التي تتعرض له المرأة في العالم، لكن شتان بين الثرى والثريا، الأمر الذي يجعل منها رمزًا لفخر كل مسلم ومسلمة في العالم، بدليل مشاعر الألم التي يعبر عنها المسلمون في العالم تجاه ما تتعرض له المرأة في هذا البلد المبارك من حملات التغريب، وإنه ليحسن بنا أن نذكر المرأة المسلمة عامة، وفي السعودية خاصة ببعض ما يقوله عنها الغرب لتظل ثابتة على دينها معتزة بمكانتها، داعية نساء العالم للارتفاع إلى عليائها.

فهذا مارسيل بوازار- مفكر وقانوني معاصر له كتاب بعنوان (إنسانية الإسلام)- يقول:

لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي: **«النساء شقائق الرجال»** المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظًا للتقليل من احترامها، كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل إن القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم

المسيح (عليه السلام).

ويقول في موضع آخر: ليس في التعاليم القرآنية ما يسوغ وضع المرأة الراهن في العالم الإسلامي. والجهل وحده، جهل المسلمة حقوقها بصورة خاصة، هو الذي يسوغه[1].

ويقول إميل درمنغم - مستشرق فرنسي عمل مديرًا لمكتبة الجزائر، من كتبه (حياة محمد) - منافحًا عن المرأة المسلمة:

من المزاعم الباطلة أن يقال: إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة، وأما كما تذم النصرانية لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنها إياها، فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين وأن المرأة فيه لا تحسد بحكم الضرورة نساءنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي والحب الروحي، ولا يجهل الإسلام ما أخذناه عنه من الفروسية المثالية والحب العذري[2].

٥- أن القانون الرادع الذي يُجمع على عدم وجوده الدارسون لهذه الظاهرة لهو من أسباب تزايدها، ولن يعرف البشر الوصول إليه طالما هم بعيدون عن نور الله تعالى، ليضيفوا بذلك مأساة جديدة للإنسانية التي أُقصي الدين عن حياتها.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

❁ ❁ ❁

(١) موقع صيد الفوائد، كتاب: قالوا عن المرأة في الإسلام للدكتور عماد الدين خليل.

(٢) موقع صيد الفوائد، كتاب: قالوا عن المرأة في الإسلام للدكتور عماد الدين خليل.

للبنات فقط[1]

هذه أسرار خاصة بالبنات فقط، ولأنها خاصة جدًا.. فسنهمس بها في آذانكن.. وبعد اقتناعك بهذه الكلمات التي سنقولها.. اتركي تصرفاتك تتحدث للآخرين، وتثبت أنك فعلًا تتصرفين من منطلق الاقتناع، ومن ثم ستشعرين بالعفوية والطبيعية في تصرفاتك، فقد قال أحد السلف: أسكتتني كلمة عبد الله بن مسعود عشرين سنة حيث يقول: «من كان كلامه لا يوافق فعله، فإنما يوبخ نفسه..» مما يجذب من حولك لك أكثر فأكثر.. وكل هذا لك أنت فقط.. لترتقي نحو الأفضل..

للبنات فقط:

- بسمة:

البسمة عنوان الرقة والذوق السليم، فاجعليها ملازمة لك، ابتسمي عند المصافحة للقاء والوداع، وابتسمي عند الاستئذان وعند السؤال عن شيء، وعند تقديم الشكر.

- اليد الندية:

لا تترددي في عون كل من يلتجئ لك ولو بالكلمة الحسنة والوجه البشوش وحسن المشورة، فالإحسان هو أن تصوني وجه من سألتك من المذلة، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره، فإنه إذا عجله هنأهُ، وإذا صغره عظمه، وإذا ستره تممه».

(١) المرجع: مجلة حياة العدد ٦٧ ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

- افتخار :

لا تفاخري بجمالك ولا بمالك ولا بأصلك الطيب، فلست أنت صانعة شيء من هذا، وخير لك أن يتحدث الناس عنك من أن تتحدثي أنت عنها فيقال: إنك محدثة نعمة أو مغرورة.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجد أحدٌ في نفسه كبرًا، إلا من مهانة يجدها في نفسه».

- آلامك:

إذا كنت تشعرين بألم لأي سبب اعملي في صمت على إزالة أسبابه، ولا تقضي طوال الوقت في الشكوى منه وشرح أطواره، فإن لكل إنسان متاعبه وآلامه التي لا تسمح له بالاهتمام بالآم الآخرين.

- شهادة:

لا تفتخري بما تحملينه من شهادات فليست الشهادة دائمًا دليلًا على الثقافة الواسعة... لكن الدليل عليها كلامك وسلوكك.

- ثمن:

إذا اشتريت هدية فانزعي البطاقة التي عليها الثمن قبل أن تهديها لأحد.

- العيوب:

إذا جلست في مجلس فيه سمينة.. لا تتكلمي عن الرشاقة ولا عن متاعب السمنة ولا عن قبح الكرش؛ حتى لا تظن أنك تقصدينها، وطبقي هذا الأمر على سائر العيوب التي قد ترينها أمامك.

- ذوق:

لا تطرقعي أصابعك بين الناس، ولا تبللي أصابعك بلعابك عندما تريدين تقليب صفحات المجلة أو الكتاب، إن هذا يتنافى مع الجمال والذوق.

- مساعدة:

إذا دعتك صديقة لتناول الطعام عندها ورأيت أنها مشغولة في إعداد الأكل فلا تذهبي إليها في المطبخ وتقحمي نفسك في عملها بدعوى مساعدتها. . إن هذا العمل قد يسبب لها ارتباكًا مع أنك ترغبين مساعدتها، ومن الناس من يتضايق من اطلاعك على طريقة عمله، وكذا صديقتك قد تتضايق من اطلاعك على طبخها رغم سعادتها بزيارتك.

- المسنون:

عندما يدخل المجلس أحد كبار السن علينا أن ننهض لاستقباله والحفاوة به، وأن نجلسه في أفضل مكان. . وإذا أبدى المسن رأيًا يخالف رأيك فتقبلي هذا الرأي بصدر رحب ولا تتبرمي.

- آداب:

يجب النظر في وجه الشخص الذي يتحدث إليك حتى يحس باهتمامك، فالانشغال بتقليب جوالك أو النظر يمنة ويسرة يوحي بقلة ذوقك.

- الصوت:

خير الأمور الوسط، حتى في الحديث. . فلا يكن صوتك عاليًا مزعجًا. . ولا هادئًا لا يسمع. . وليكن واضحًا سلسًا مفهومًا.

- المقاطعة:

عدم مقاطعة من لا يزال يتكلم، فهذه عادة سيئة جدًا جدًا.
إلا إن كان الموضوع خطيرًا وهامًا ويستدعي المقاطعة.

- السمو:

يقول طاغور: «ندنو من العظمة بقدر ما ندنو من التواضع».

اطلبي دائمًا العلو، السمو.. والعلو شيء والتعالي شيء آخر.. الأول حقيقة والآخر خيال... وما أجمل العلو إذا صاحبه التواضع.



هموم الفتيات

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد :

إن الفتاة - هذا المخلوق اللطيف - تئن وتتوجع وتغرق في بحر من الهموم والأحزان. لا يسمع لها أحد. ولا يفهمها أحد هموم تحطم الفتيات. نعم إنها صرخة تخرج من قلوب تلك الفتيات فهناك صرخة فتاة مطلقة. أو عانس، وصرخة فتاة مظلومة من زوجها، أو من أبنائها، أو من أهلها.

صرخات مكتومة، وهموم محبوسة في الصدور تقتل في الفتاة كل معاني الجمال فيها. من يسمع هذه الصرخات والآهات والهموم؟ من ينقذها من هذا المستنقع؟

إن هذه الفتاة هي أختي وأختك، بنتي وابنتك، أمي وأمك، زوجتي وزوجتك إذا لم نسمع لها ونشاركها همومها فمن يسمعها. . هل نتركها تعيش في غياهب الهموم والأحزان؟

لهذا كان هذا الباب «قصص من هموم الفتيات».



مشهد.. كل ليلة[1]

كنت في السابعة أو ربما الثامنة من عمري.. نعم.. أتوقع في الثامنة - كنت قد أنهيت الصف الثاني الابتدائي- حين أجريت لأبي عملية خطيرة في القلب..

أصيب بعدها بمضاعفات .. وجلطة مفاجئة في جانب من الدماغ.. أذكر حي دخلت مع أمي لغرفته.. في العناية المركزة..

أذكر الأجهزة.. رائحة المعقمات.. الصوت المرعب لنبضات القلب على الجهاز..

وقفت مع أمي عند طرف السرير.. وهناك كان أبي ممددًا عاري الصدر ألصقت عليه المجسات والأسلاك، وثمة أنابيب مؤلمة في أنفه.. شعرت بالخوف منه.. لم يكن أبي الذي أعرفه.. نظر إلي بطرف عينيه بصعوبة..

هيئ إلي أنهما كانتا تدمعان.. حرك إصبعين من كفه الأيسر ليشير إلي بالاقتراب.. شعرت بالخوف.. أمسكت عباءة أمي والتصقت بها..

- هذا أبوك.. حنين.. روحي بوسي إيده.. - أخاااف..! لم تكن أمي قادرة على حملي ورفعي لأنها كانت حاملًا في شهرها الأخير.. سحبتني بقوة وهي تكتم عبراتها.. وحملتني بمشقة..

- هذا بابا حبيبتي.. شوفيه زين.. دفعتني عند رأسه لأراه جيدًا.. لعلي أقبله..

نظرت إليه.. كانت عيناه تدمعان.. وهو ينظر إلي بشوق.. أفلت بقوة من يد أمي وأسرعت أختبئ خلفها.. وألتف بعباءتها.. وأخذت.. أبكي..

---

(١) انتقاء من مجلة حياة العدد ٧٥ - رجب ١٤٢٧هـ.

- أخاااف ما أبي..! أخذت أمي تمسح على رأسي وتهدئني.. وصوتها يرتعش بالعبرات..

- خلاص حبيبتي ما يصير تصيحين.. هذا بابا.. شفيك؟

في تلك اللحظة.. كنت أحبه أكثر من أي لحظة مضت.. كنت أتمنى لو أقفز على صدره كما أفعل دائمًا وأقبله..

أبي الحبيب.. لكني رأيت في عينيه شيئًا مخيفًا.. رأيت.. الموت.. فخفت منه.. لم أستطع أن أقترب من أبي وهو في لحظات ضعفه هذه.. كان شيئًا مخيفًا جدًا لطفلة السنوات الثمانية.. أن ترى والدها بهذا الضعف..

قريبًا من شيء مخيف.. كالموت..

هذا ما لم يفهمه أحد ممن كان حولي.. غضبت الممرضة وأمرتنا بالخروج حتى لا نؤثر على مشاعر أبي وقلبه الضعيف.. ارتعشت أمي.. اقتربت من أبي همست في أذنه بكلمات.. وقبلته على رأسه.. ومسحت على شعره.. وخرجنا.. كانت متماسكة نوعًا ما حتى خرجنا..

حين خرجنا من الغرفة وفي الممر مباشرة.. انهارت أمي.. أسندت أمي ظهرها إلى الجدار وأخذت تبكي بقوة.. كانت تنشج كما كنت أفعل حين أطلب

شراء لعبة غالية.. فوجئت بالمنظر المؤلم.. أمي تهتز.. ببطنها الكبير... وهي تبكي بقوة.. وتتأوه بحسرة..

- ماما خلاص.. ماما حبيبتي.. طوقتها بطنها بذراعي.. لم تكن تسمعني.. فقط أمسكتني وحضنتني بشدة وهي تبكي... وكأن بكاءها يتردد صداه في أذني حتى هذه اللحظة.. ذكراه تحرق قلبي..

الآن فقط فهمت مشاعر امرأة شابة مع طفلين صغيرين.. وجنين في بطنها.. دون أب.. ولا أم.. ومع زوج على حافة الموت..

كان خالي ينتظرنا في البهو الكبير للمستشفى.. حين وصلنا إليه لم يكن يبدو على والدتي أي أثر غير طبيعي.. استطاعت أن تتماسك بسرعة

وتبتلع ما بقي من دموعها.. ركبنا معه في السيارة.. وطوال الطريق كان يحاول إقناع أمي بأن تأتي لتسكن لديه ريثما يشفى أبي.. لكنها رفضت وأصرت على أن نبقى في بيتنا..

- لكنك حامل.. وقد تلدين في أي لحظة.. يجب أن يكون قربك رجل.. لا يصح هذا يا نهلة..

- لا تخف علي.. أستطيع أن أتصل عليك عندما أحتاج لذلك.. لا تخف يا أخي.. لم تغب صورة أبي بصدره العاري والأسلاك تغطي جسمه عن ناظري

طوال الأيام التالية.. بل طوال أيام عمري الباقية كلها.. أصبحت روتينًا ليليًا.. فقد كانت آخر صورة له.. إذ لم أر أبي بعدها أبدًا.. توفي خلال أيام.. غاب عنا.. نساء كثيرات جئن لبيتنا.. بكت أمي كثيرًا.. بكت.. حتى خشيت أن تموت.. قلت لها ذلك.. وبقينا في بيتنا.. لم نذهب إلى أي مكان آخر كما أصر الجميع علينا..

ذات صباح.. استيقظت على صوت أمي وهي تطلب مني أن أغير ملابسي بسرعة..

كان هناك شيء غير طبيعي.. صوتها يرتعش بقلق..

أخذتني أنا وحمودي عند بيت خالي.. وقالت أنها ستذهب في مشوار مع خالي وتعود..

شعرت بالخوف في بيت خالي..

كنت أجلس وحدي أنا وأخي.. لا نفعل شيئًا..

فقد كانت زوجة خالي من النوع الغاضب دائمًا.. صراخها الحاد على أبنائها وبناتها كفيل بجعلي - أنا وأخي - لا نغير أماكننا خوفًا من صرخة منها..

عرفت جيدًا لماذا لم ترغب أمي في أن نسكن معهم..

شعرت بالملل طويلًا من الجلوس وحدي حتى نمت على الكنبة وأنا أشاهد التلفاز.. ونام حمودي قربي..

وبعد ذلك بمدة.. استيقظت.. وعلمت أن أمي أنجبت طفلًا صغيرًا..

لم أفرح كثيرًا.. كنت مهتمة بأمي قبل ذلك..

- وأمي أين هي متى تعود؟

- أمك في المستشفى يا حنين..

شعرت بمغص في بطني.. كرهت المستشفى.. تذكرت شكل أبي.. لا..

لا أريدها أن تذهب هناك.. أخشى ألا تعود كما حصل مع أبي.. بكيت.. وبكيت.. ولا أحد يعرف سر بكائي..

عادت أمي تحمل جنينها..

وذهبنا مباشرة إلى بيتنا وأحمد الله أننا لم نجلس في بيت خالي كما حاول إقناعنا..

تعبت أمي بعد ذلك.. كانت مسؤولية البيت والأطفال لوحدها كبيرة عليها.. لكني كنت أساعدها قدر استطاعتي..

ربتنا أمي أفضل تربية.. تعبت علينا كثيرًا.. وتعذبت كثيرًا في تربية أخويّ..

لا أزال أذكر تلك الليالي التي كانت أمي تدور فيها بقلق في أرجاء البيت حين كان محمد يتأخر فيها في السهر..

ولا زلت أذكر الليلة التي بتنا فيها جميعًا نبكي حين غضب عبد الله

وخرج من البيت آخر الليل.. لا نعرف إلى أين ذهب.. وبقينا نبكي بخوف أنا وأمي حتى ساعات الصباح ننتظر رجوعه.. كانت أمي تتحرج من الاتصال بخالي ليتدخل في كل صغيرة وكبيرة..

وكانت مسؤولية صعبة.. أن تواجه المشاكل وحدها..

أصيبت بالقولون.. ثم بالضغط.. ثم..

بالتهاب المفاصل.. أصبحت حركتها صعبة وهي لا تزال صغيرة..

كان أثر الهم والمسؤولية باديًا على جسدها النحيل ووجهها الحزين.. ورغم آلامها ومرضها..

كانت حريصة على قيام الليل كل ليلة.. تدعو الله لنا أن يصلحنا ويهدينا - كلما أسمعها كثيرًا.. وتدعو الله أن يرحم والدي ويجمعها به في الفردوس الأعلى..

رغم التعب والآلام.. والسنوات المتعبة التي عاشتها.. بدأت أمي تقطف ثمار جهدها يومًا بعد يوم..

تغير حال أخوي بعد أن كبرا بفضل الله..

رزقهما الله الهداية وصلاح الخلق.. تخرجا.. عملا.. تزوج كل منهما.. وأنا لا زلت أنتظر نصيبي.. مع أني مستمتعة بالحياة مع أمي الحبيبة.. ولا أتخيل نفسي بدونها.. الليلة.. وكل ليلة..

كلما وضعت رأسي على الوسادة.. أرى مشهد أبي الأخير على سريره..

عاري الصدر.. بالأسلاك والأجهزة.. وصوت نبضات القلب..

أتذكر حركة إصبعيه وهو يشير إلي أن أقترب..

عيناه الدامعتان.. أتذكر بكاء الأم الشابة..

فأدعو الله له بالمغفرة والرحمة من كل قلبي.. وأن يجمعه الله بأمي في جنات النعيم..

❁ ❁ ❁

لا تسرقي العقد مني فأنا يتيمة[(١)]

إن سنة ٢٠٠٣ كانت سنة أولها رزق وفير وحصاد جيد. أما في نهايته، فلقد استوطنت الكآبة والإحباط في قلبي، بل وحتى الخوف من الله العزيز الحكيم أما عذاب الضمير قد كان له أثر وشأن في نفسي كبير. لهذا أصبحت لا أنام من الليل إلا قليلًا لذلك أحاول ألا أذهب إلى فراشي إلا إذا غلبني النعاس وسيطر علي التعب. وقصدي هو أن لا تأتيني تلك الطفلة الصغيرة في الحلم. ورغمًا عني تعاتبني على جرم وخطأ ارتكبته في حقها في يوم من الأيام، فأفسد علي حياتي، بل وأفسد علي نومي، وعكّر مزاجي، فضلًا عن حالتي عندما أصحو من النوم. فإني لا أتمالك نفسي فأبكي بحرارة وحسرة وندم على ما فعلت. ولكن هيهات فلقد قضى الأمر وانتهى.

أقول لم يردعني دين أو خلق في يوم من الأيام على ما كنت أفعل. بل كنت على يقين بأنه لا ضمير عندي وإن كان فلن يعذبني هذا الضمير إلا يوم أو يومين، ثم ينتهي كل شيء ولا يبقى له أثر في قلبي. أما أن يكشف أمري أمام الناس ورجال الأمن، فذلك أمر كنت أراه بعيدًا عني وهذا هو شعور كل لص قبل أن يرتكب جريمته.

وعلى هذا الأساس وبناءً على حاجتي الماسة للمادة، فكرت في كيفية الحصول عليه بأسهل وأيسر الطرق من دون تعب كوني امرأة ولكن كيف؟ إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تلقيت فيه دعوة لزواج صديقة لي بالدراسة. فذهبت في اليوم الموعود وفكرة الحصول على المال بطرق ملتوية تراودني، بل وتسيطر على تفكيري. وعندما دخلت الصالة أقول بصراحة، وجدت الذهب والألماس من كثرته كأنه ملقًى على الأرض. وبحاجة إلى

---

(١) جريدة الهدف الكويتية، العدد: ١٨٦٧ .

من يأخذه فلقد رأيت النساء تتزين بذلك المعدن الثمين، وبكثرة، فهو «الذهب» في أياديهن ورقابهن وفوق رؤوسهن وحتى في أرجلهن. وهنا شعرت أن دوري يقتضي أن آخذ هذا الذهب. وتلك هي الفرصة الثمينة التي كنت أبحث عنها. وفي الوقت نفسه كان صوت الأغاني والرقص يساعداني على إتمام جريمتي. والنساء مشغولات، فلا يعلمن عن ذهبهن وعن بناتهن الصغيرات شيئًا، فلقد تركنهن يسرحن ويركضن في أطراف الصالة والذهب معلق في رقابهن وأياديهن الصغيرة.

وهنا برزت الفكرة في بالي وبوضوح، وقلت في نفسي: ما يمنع أن أجرب حظي وأسرق هذه المرة ولو بإسورة أو حتى خاتم صغير ولكن استوقفتني عقبة صغيرة وهي كيف؟ ولكن سرعان ما اهتديت إلى فكرة جهنمية فجريت مسرعة من الصالة إلى أقرب بقالة، واشتريت بعض الحلويات والشكولاتة التي يحبها الأطفال الصغار. وقصدي من ذلك هو اصطيادهن وإغرائهن بهذا الطعم وفعلًا، نجحت الفكرة وأقبلت إحداهن ويقيني أنها لم تتجاوز السنوات الأربع من عمرها وهي تلبس من الذهب والحلي الشيء الكثير فدنوت منها وقلت في نفسي، هذه هي الفريسة، وتلك هي الضحية، فشاغلتها وأشغلتها بالكلام، وأعطيتها قطعة من الحلوى. وبهذه الطريقة استطعت أن أنزع الأساور من يدها الصغيرة، وخرجت مسرعة من الصالة. ولكني أقول الحقيقة: إنه في تلك الليلة شعرت بعذاب الضمير إلا أني كنت سعيدة بالغنيمة وتلك السرقة الصغيرة، فبعتها وحصلت على ثمنها.

وعلى هذا الأساس وذلك النجاح قررت تكرار التجربة مرة ثانية، شريطة أن أضع النقاب على وجهي حتى لا يتعرف علي أحد، وأدخل صالات الأعراس مع الداخلين وكأني مدعوة أو كأني منهم. وهكذا كررت التجربة مرات كثيرة وطوال سنة كاملة وهي سنة ٢٠٠٣م حيث كنت مشغولة طوال الأسبوع بالتردد على حفلات الزواج. حيث كان الرزق وفيرًا.

إلى أن جاءت ليلة ودخلت إحدى الصالات، وجلست أبحث عن فريسة في أركان الصالة فوجدتها جالسة بعيدًا، وكأنها لا تشارك بالفرحة فانتهزت الفرصة، وقلت في نفسي: تلك هي الفريسة، وهاهي الغنيمة. فتوجهت إليها بخطوات مسرعة وأنا أبتسم لها ابتسامة عريضة، والطعم كان في يدي، وهو بعض من الحلوى التي يستميت الأطفال على أكلها فدنوت منها وقلت: ما اسمك يا حلوة؟ فقالت: «شعاع»، قلت والسنة الدراسية قالت: رابعة ابتدائي. وناجحة بامتياز. فقلت: لها اقتربي لأهنئك وأقبل رأسك وأعطيك هذه الحلوة فأنت حلوة، وتستحقين كل الخير فاقتربت المسكينة ببراءة الأطفال مني. وفي تلك اللحظة كانت يدي اليمنى تمتد لتلتف حول رقبتها لأفتح العقد، فشعرت هي وأوجست في نفسها خوفًا، وكأنها علمت مرادي وقصدي فقالت لي: لا تسرقي العقد مني فأنا يتيمة، ولن يشتري لي أحد غيره. فسحبت يدي منبهرة من كلامها، ولكن كوني إنسانة تجردت من الدين والأخلاق ومات ضميرها. فلقد قررت معاودة المحاولة مرة أخرى، ولا أخرج من هذه الحفلة خالية اليدين فقلت لها: لا تخافي يا ابنتي فقط أحب أن أرى هذا العقد الذي تتزينين به، لأنه جميل وحتى أشتري لابنتي واحدًا مثله.

فاقتربت مني وصدقتني ونزعته ثم ناولتني إياه وناولتها قطعة الحلوى. فانشغلت هي بها، فخرجت أنا من الصالة مسرعة متوجهة إلى سيارتي. ووصلت البيت وعندما استلقيت على فراشي شعرت وللمرة الأولى بوخز الضمير، بل ولقد كان جبيني يتصبب عرقًا. وحتى دقات قلبي هي الأخرى تزايدت وشعرت بخوف شديد وحاولت أن أغمض عيني لأنام. وما هي إلا سويعات، وإذا بشعاع تأتيني في المنام وهي تبكي، وتقول: أين عقدي فلقد ضربني أبي ضربًا مبرحًا، وانظري إلى جسدي فتلك هي آثار الضرب واضحة عليه. فأرجوك أرجعيه إلي فنهضت من نومي فزعة أتلفت يمينًا ويسارًا، لأني لم أستبعد بأن تكون تلك الطفلة معي في غرفتي. وعليه وبناء على ما شعرت به وما عانيته فقررت التوقف عن

ممارسة نشاطي ولو لفترة محدودة حتى أرتاح. لكن «شعاع» جاءتني بعد يومين في الحلم مرة ثانية، وكررت على مسامعي ما كررته في المرة الأولى وهنا فقط شعرت بفداحة الجرم الذي ارتكبته وقررت التوبة والتوقف عن سرقة ذهب الأطفال بالأعراس. وبسبب تلك اليتيمة فقط قررت التوبة النصوح والرجوع إلى الله وذلك عندما وقفت بين يديه سبحانه وللمرة الأولى أصلي، وأطلب العفو والمغفرة والصفح منه.

وما زلت على ذلك الطريق وأرجو أن أظل عليه إلى أن يتوفاني الله في يوم من الأيام.

رغم مرور مدة طويلة على آخر سرقة وعلى آخر حلم بتلك الطفلة، إلا أن صورتها ما زالت في ذهني وتأتيني في الحلم ولو في الشهر مرة. وفي الوقت نفسه فإني ما تركت مكانًا ذهبت إليه إلا وتفحصت وجوه الأطفال فلعل أن تكون شعاع بينهم فأعطيها العقد الذي سرقته منها لأني ما زلت أحتفظ به. وفي الوقت نفسه فما زال ضميري يعذبني منذ ذلك الوقت. وعليه فلن يهدأ لي بال، أو أن أعيش في سعادة، إلى أن أجدها وأعطيها عقدها الذي سرقته منها في يوم من الأيام. فأرجو أن يكون ذلك اليوم بل وتلك اللحظة التي ألتقي فيها شعاع قريبة جدًا.

وبكيت بين يديه[1]

كانت تجلس إلى جوار زوجها. . وهو يكتب، رجل هادئ متواضع حنون، يتحمل منها الكثير، في صبر وصمت ما ذنبه؟

سألت نفسها، لماذا أعذبه وهو غير مسئول عن رواسب في داخلي؟

إنه يتألم، بل أصابه العذاب في جسده، وأصبح زائرًا مستمرًا للأطباء، كل هذا لأنه يحبني، فيحتملني كما أنا، من أنا إذن؟

(١) المجلة العربية، العدد: ٢٣٦ .

أنا إنسانة أصبحتُ لا أثق بأي رجل، بعد تجربة مضت لزوج خائن وغادر، حاولت أن أنسى الجرح القديم دون جدوى. شيء ما يؤكد لأعماقي أن كل الرجال متشابهون، كلهم خائنون، كذابون، لا وعد لهم ولا ذمة، كيف تقول هذا الكلام إنسانة متعلمة مثلي؟ كيف تشبعت أعماقي بهذه الاتهامات لجنس الرجال في الكرة الأرضية شرقًا وغربًا؟ كيف أظلم بذنب رجل واحد كل الرجال، ومنهم زوجي الطيب جدًا، والذي يتألم لعدم ثقتي به كرجل وزوج وأب لأولادي؟ إنني أرفض أن أطلعه على راتبي، وأقول له بلهجة ناهرة: ليس من حقك أن تعرف كم راتبي، تمامًا كما لا أسألك عن راتبك! فصمت.. والأكثر من هذا أنني رفضت المساهمة معه بأي مبلغ نقدي لمصروفات البيت، ومنذ زواجنا قلت له بحدة: هذه مسؤولية الرجل وحده، ولن أسمح بقلب الأوضاع، كل ما سأدفعه أجر الخادمة التي تقوم بعملي أثناء غيابي في العمل، غير ذلك أنت مسؤول عنا جميعًا، تنفق عليَّ وعلى أولادك، هذه مسؤولية الرجل شرعًا، وهو - زوجي - يصمت، ليته يثور أو ينفعل أو يعبّر عما بداخله، إن صمته يحقرني، يمزقني، يجعلني أفكر هل أهملني، أم هو رجل ضعيف لا يستطيع مواجهتي بقوة كزوجي الأول، الذي أكرهه اسمًا وذكرى، هل صمت الرجل دائمًا ضعف؟

حينما انتهى زوجها من كتابة تقرير مهم في العمل، التفت إليها قائلًا: لماذا تسهرين بجواري لهذا الوقت؟

وكيف تذهبين لعملك مبكرًا بعد هذا السهر الطويل؟ هل تحتاجين شيئًا؟

لم تتمالك نفسها، تساقطت دموعها قائلة: بل هل تحتاج أنت شيئًا؟ أشعر أنك تفكر بقلق منذ أيام، هل تعاني شيئًا في عملك أو في البيت؟

قال باسمًا: لا يا عزيزتي، كل الأمور على ما يرام، فقط معدتي، والقرحة، تؤلمني سواء أتناول طعامًا خفيفًا أم ثقيلًا، يبدو أنني كبرت، بينما أنت ما شاء الله، تزدادين جمالًا.. فجأة فوجئت به يتقيأ بحرًا من

الدماء، ويسقط مغشيًا عليه. صرخت، الهاتف، الدكتور، المستشفى، من المستشفي أكد الطبيب على ضرورة مراعاة انفعالات زوجي، وتجنيبه كل الضغوط، ومزاولته لعمل سهل. عدنا إلى البيت بعد عدة أيام، كان زوجي شاحبًا هزيلًا، كأنه خيال، يستند إلى كتفي، ويعتذر أنه أرهقني في ليالي المستشفى الطويلة، وظل يشكرني بعبارات تفيض حبًا وحنانًا، قائلًا: لست أدري ماذا كنت أفعل لو لم يرزقني الله بزوجة تحبني وتحنو عليَّ مثلك، إنني أحبك أكثر من نفسي، لكني سأصبح عبئًا عليك؛ لأن صلاحية معدتي قد انتهت، وأصبحت في حالة يرثى لها، كان وجهي قد غمرته دموعي، وزوجي الطيب لا يلاحظ ذلك، بل هو مسترسل في تعبيره الرقيق لي عن امتنانه، لا يعرف أنه يقتلني بهذه الكلمات، لأنني كثيرًا ما آلمته بالشك وبفقد الثقة وبالحدة والعنف. لكنه رجل رقيق بطبعه فلا يذكر حاليًا إلا حناني معه وهو مريض راقد بالمستشفى!

آه يا قلبي القاسي، كم قسوت على هذا الرجل حتى أمرضته، وآه يا خيالي المريض الذي عاقب رجلًا بريئًا بذنب آخر. نام زوجي كطفل شاحب، وتسللت إلى مكتبه، أرى التقرير الأخير الذي لم يرسله لعمله بسبب مرضه الأخير. فوجئت بأن الورقة، كان زوجي يسجل فيها حساباته، فعرفت أنه مدين بمبلغ كبير لأحد الأصدقاء، ولم يخبرني. نعم هو المبلغ الذي اشترى به السيارة حينما طلبت منه ذلك، كان زوجي يسهر إذن مؤرقًا لهذا الدين الكبير، لم يخبرني؛ لأنه فقد الأمل في تعاوني معه، كم أنا قاسية حقًا لتجربة ضيعت الأمان من نفسي، يا للماضي الذي كاد يحطم حاضري.

في صباح اليوم التالي دخلت لزوجي وهو يتناول شاي الصباح، ووضعت أمامه كل مجوهراتي، وكل مدخراتي وكل حياتي، وبكيت بين يديه عله ينسى!



فتاة في وادي الأحزان[1]

كانت سلمى تنصت باهتمام إلى حديث أخيها أحمد الذي كان يكبرها بعدة سنوات. فقد كان عائدًا لتوه من رحلته الأخيرة إلى خارج البلاد، تلك البلاد التي بدأت تجذب أنظار السياح لما يوجد فيها من مزايا عديدة هي محط آمالهم ومنتهى تطلعاتهم.

وبعفوية تامة، وبغير مبالاة، بدأ أحمد يقص على أخته أخبار مغامراته المثيرة التي كانت تبدأ مع غروب الشمس، ولا تنتهي إلا قبيل بزوغها.

واستمر أحمد يسرد أحداث رحلته، وهي في مجملها لا تتعدى مغامراته الليلية وبعض الأحداث التافهة الأخرى.

كان الامتعاض يبدو جليًا على وجه سلمى وهي تنصت لأحاديث أخيها التافهة الذي لم يكن يدرك جسامة أخطائه ولا المتاهات الكبيرة التي كان ضائعًا فيها.

وكادت سلمى أكثر من مرة أن تنفجر في وجهه لتسكته، لكنها كانت تكبت هذه الرغبة لعلمها أن لا فائدة منها لأنه رجل. وأخطاء الرجل في مجتمعها مغفورة، وفوق ذلك فهي فتاة، والفتاة لا يحق لها أن تنتقد رجلًا حتى وإن كان هذا الرجل أخاها.

وقررت سلمى أن تستعين بوالديها لإصلاح ما فسد من أمر أخيها أحمد.. فقد كانت تتألم من وضعه المتردي والذي يزداد يومًا بعد يوم.

ورغم مواقفه السيئة منها، فقد كانت تتمنى له الصلاح، واغتنمت سلمى فرصة خلوها بوالديها فانطلقت تحدثهما عن أخبار أخيها، وأهمية العمل على إصلاحه لاسيما وهو الابن الأكبر الذي سيخلف والده في

---

(١) رقصة الموت، تأليف: د. محمد بن علي الهرفي.

الإشراف على الأسرة. هذا الإشراف الذي يحتاج إلى حنكة ودراية لا يحسنهما أحمد بل ولا يقترب منهما.

وكم كانت دهشة سلمى كبيرة عندما عرفت أن والديها يعلمان كل شيء عن أخيها وأنهما تركا مسألة إصلاحه للزمن فهو - على حد قولهما- كفيل بذلك.

ورجعت سلمى إلى غرفتها، وارتمت على سريرها، وراحت تفكر فيما مر بها من أحداث ومتناقضات كان بعضها يكفي لجعلها تفقد عقلها واتزانها لولا رحمة الله.

وعادت بذاكرتها إلى الأمس البعيد تسترجع شريط الذكريات، ذكريات الطفولة وأيام الدراسة والمآسي التي مرت بها أثناء دراستها. وبعد تلك الدراسة تذكرت سلمى كيف سمعت بخبر افتتاح مدرسة ابتدائية في قريتهم من بعض صديقاتها اللواتي كن يلعبن معها، وهي في السادسة من عمرها وتلقت هذا النبأ بفرح كبير فقد كانت تود أن تبقى مع أترابها أطول فترة ممكنة والمدرسة تحقق لها هذه الرغبة التي تكمن في أعماقها.

وكما كان ألمها كبيرًا عندما عرفت أن والدها يعارض إدخالها المدرسة بحجة أن الفتاة لا تستفيد من هذه الدراسة، وقد تتأثر بها بشكل معاكس، ثم ما يدريه أن بعض الناس قد يسخر منه وهم يرونه يرسل ابنته لهذه المدارس الجديدة التي كثر الحديث عنها، وتلقاها الناس ما بين مؤيد لها ومعارض.

انصرفت معظم صديقات سلمى عنها، إذ التحقن بهذه المدرسة، وبدأن أولى خطواتهن نحو التعليم.

وبكت سلمى كثيرًا وهي ترى نفسها، وقد أصبحت وحيدة في منزل والديها وآلمها أن لا تجد من يؤنسها فذوى جسمها وظهر ذلك جليًا عليها.

ومضت سنتان كاملتان وسلمى تقبع في بيتها، والألم يعتصرها والحزن قد نال من جسمها الصغير.

ويحاول عمها الذي كان يسكن في العاصمة أن يقنع والدها بالتخلي عن رأيه وإدخالها المدرسة وينجح بعد جهد جهيد.

وتبدأ سلمى حياة جديدة، وتستطيع بصبرها ومثابرتها أن تجتاز مراحل التعليم الأولى وحتى الثانوية بنجاح منقطع النظير.

وفي هذه الأثناء تحدث متغيرات اجتماعية واقتصادية كبيرة في حياة مجتمعها مما حدا بوالدها وأسرتها إلى الانتقال إلى العاصمة، والانخراط في الحياة اليومية الجديدة التي تغاير حياة القرية بشكل كبير.

وأثرت الحياة الجديدة على فكر الأب وتصرفاته لا سيما وقد أصبح المال عنصرًا هامًا من عناصر هذا التفكير وذلك التصرف.

وتدخل سلمى الجامعة لإكمال دراستها، وقد كانت تجد في هذه الدراسة طريقًا لإصلاح ما فسد من أوضاع بنات جنسها، كما كانت تجد فيها متنفسًا لها من الضيق والعنت الذي تجده في منزل والديها.

وفي الجامعة تتعرف سلمى على العديد من زميلاتها، وتحاول إقناعهن بترتيب زيارات بينهن للتشاور في حل بعض المشكلات التي تعترضهن ولتدارس أوضاعهن بشكل عام.

لكن هذه الفكرة على أهميتها تصطدم برفض أهلهن، فمعظم الآباء أو الإخوة مشغولون بمشاكلهم الخاصة وشئونهم الخارجية، ولا يجدون ما يدفعهم أو يشجعهم على الالتزام بأي شكل لهؤلاء الفتيات، ولو بجزء يسير من الوقت الذي يقضون معظمه في غير فائدة.

وتحاول سلمى إقناع والدها بفائدة لقائها مع زميلاتها بين وقت وآخر ولكن محاولتها تصطدم برغبات الوالد الخاصة وانصرافه لشئونه فلا تجدي هذه المحاولة معه شيئًا.

ولم تقف المشكلة عند رفض والدها زيارتها لأولئك الصديقات، بل كانت تجد كذلك عنتًا في قضاء بعض حاجاتها الخاصة والتي لا بد منها.

وكم كان يؤلم سلمى أن تجد نظرات الشك والارتياب تلاحقها من والدها، فهو لا يثق بتصرفاتها، ولا بفكرها، ولا بمقدراتها على خوض غمار الحياة، والتعامل معها بشكل مناسب وكان يشعرها دائمًا بأنها ضعيفة، وبأنها معرضة للوقوع في المصائب في كل حين، وأن صرامة

رغباته عليها لصالحها لأنها لا تعرف هذا الصالح كما يعرفه هو.

وكانت تناقضات والدها تثير فيها الكثير من الدهشة والاستغراب والتساؤلات التي لا تجد لها تفسيرًا في بعض الأحيان. فبينما كان والدها يمنعها من زيارة صديقاتها ويشعرها بضرورة رغباته كي لا تخطئ وكان يردد دائمًا: إن العادات والتقاليد أساسية في كل خطوة نخطوها. بينما هو كذلك كانت ترى منه عجبًا عندما يسافر إلى خارج البلاد. كان ينقلب إلى شخص آخر في أقواله وأفعاله. فكان يرتكب كل المنكرات على مسمع منها ومشهد دون حياء أو خجل. بل كان يتبجح أحيانًا بما يفعل. وكان ينسى أنها فتاة في ريعان الشباب لها من العواطف أكثر مما له وأن الشيطان قد يؤثر عليها كما أثر عليه.

وفي تلك البلاد لم يكن يهتم بمراقبتها، بل ولا يهمه أن يسأل عنها غابت أو حضرت.

وكانت تسأله دائمًا: أين العادات والتقاليد يا أبي؟ وهل ما تفعله الآن يتناسب معها؟ وكان يكفهر وجهه لهذا السؤال؛ لأنه يدرك أنها تسخر منه لتشدقه بمثل هذا الكلام في بلاده، ونسيانه لكل أقواله عندما يكون خارجها.

ويتكرر هذا المنظر أمام سلمى في كل مرة تسافر فيها مع أسرتها، ولم تكن تملك إزاءه غير الألم والحسرة، وإطلاق بعض الصيحات الخافتة في بعض الأحيان.

وتبلغ سلمى العشرين، ويخطبها أخ لإحدى صديقاتها. وكانت تسمع من صديقتها عنه الشيء الكثير من نبل الأخلاق والتمسك بالإسلام والخلال الحميدة والصفات الحسنة.

وهفا قلبها الغض لهذا الشاب. وكانت ترى فيه منقذًا لها من الحياة البائسة التي تحياها في بيت والدها. هذه الحياة المليئة بالمتناقضات والمشاكل والمضايقات. وإذا تعلق القلب بمن يهوى صعب عليه أن يتخلص منه.

وتصاب المسكينة بخيبة أمل كبيرة عندما علمت أن والدها رفض هذا الشاب لا لشيء، إلا أن العادات والتقاليد التي يتشدق بها تعارض مثل هذا الزواج.

وتحاول سلمى عبثًا إقناع والدها بالعدول عن رأيه، فتذكره بالإسلام فلا تجدي هذه التذكرة شيئًا. كما تذكره بأنه يحطم هذه العادات كلما سافر إلى الخارج فما باله يتمسك بها الآن.

وتضيع صيحاتها في أوديته المجدبة، وتعنته العفن، ورجولته الكاذبة. وتمضي الأيام بسلمى كئيبة حزينة تذرف دموع الحزن كلما تذكرت ذلك الشاب الذي سكن شغاف قلبها وكانت دائمًا تتذكره، فالمحب قل أن ينسى، وكان لسان حالها يقول:

تطاول ليلى فلم أنمه تقلبًا　　كأن فراشي حال من دونه الجمر

فإن تكن الأيام قد فرقن بيننا　　فقد بان مني في تذكره العذر

وكانت تردد دائمًا قول القائل:

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم　　إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

وكانت تحاول دائمًا أن تتلمس سلواها في استذكار دروسها، والجلوس مع زميلاتها في الكلية، ولكن أنى لمثلها أن يسلو؟!

وتتزوج سلمى من شخص آخر بعد أن تعرضت لضغوط رهيبة من والدها ووالدتها، وكانا يتوقعان أن ينسيها هذا الزواج ذلك الشاب الذي تعلقت به، وجعلها تعيش في عزلة تامة أثرت على صحتها وعلى فكرها، بل وعلى دراستها كذلك. وتبذل المسكينة جهودًا كبيرة للتكيف مع هذا الزوج، وتحاول أن تنسى من سكن شغاف قلبها، ويأبى الساكن الخروج.

دخولك من باب الهوى إن أردته　　يسير ولكن الخروج عسير

وكانت كلما تذكرت صاحبها الأول تذرف عليه دموع الحزن.

أرى آثارهم فأذوب شوقًا　　وأسكب من تذكرهم دموعي

وتفشل المسكينة في الحياة مع زوجها، فتطلب منه الطلاق ويحصل لها ما تريد. وتعود سلمى مرة أخرى إلى بيت والدها، وكان الألم قد هدها والحزن قد أنهك جسمها فكانت كالثياب البالية أو أشد سوءًا.

وتشعر بالحنق الرهيب على والدها الذي أوصلها إلى هذه الحالة البائسة، والذي حطم أحلامها في حياة هانئة سعيدة، وعمل نافع لبنات جنسها.

ويصل عمرها إلى الثلاثين وهي المطلقة، وتعيش حياة صراع رهيبة مع نفسها بين الحلال والحرام. فهي امرأة تريد الاستقرار في حياة زوجية تختارها لنفسها. إنها تحلم بهذا الزواج، كما تحلم بأن يكون لها أطفال يملئون عليها حياتها، كما تحلم بأن يكون لها بيت تشعر أنها صاحبته، وليست كمًا مهملًا فيه لا يشعر أحد بوجودها.

ما بال أحلامها تتلاشى؟ ما بال أمانيها تتبخر؟ ماذا يريد منها هذا الوالد النكد؟ هل استعبدها لأنه والدها؟ هل تفعل مثله فترتكب المحرمات؟ إن دينها يمنعها من ذلك وعاطفتها ووالدها يدفعانها إليه دفعًا وتعيش المسكينة في دوامة قاسية. لماذا تقتات هذا الحزن صباحًا ومساءً؟ لماذا يفرض عليها هذا الحصار الرهيب دون مبرر؟ لماذا تدفع إلى الحرام دفعًا وهي الفتاة التي تريد أن تعف نفسها بزواج ترتضيه؟ أين هذا كله من الإسلام؟ هل كتب عليها أن تعيش ألم وحزن منذ طفولتها وحتى الآن؟ هل هذا من العادات والتقاليد أم أن هذا من الإسلام؟

ويدور رأس المسكينة من هذه الأسئلة التي لا تجد لها إجابة، لكنها تدور في رأسها كل يوم حتى جعلتها بقايا امرأة، فهل تجدون لها إجابة عندكم؟

حينما تختل مقاييس الحياة الصحيحة عند الناس تحدث الانتكاسات الفكرية والخلقية في حياتهم.

ونحن أمة مسلمة تعبدنا الله بمنهاج سليم يشمل جميع أمور حياتنا.

فإذا خرجنا عن هذا المنهاج، استهوتنا الشياطين، وقذفت بنا في متاهات الحياة، وأخرجتنا إلى صبغة أخرى غير التي يريدها الله.

ومشكلة العنوسة طرأت على واقعنا عندما ابتعدنا عن النهج السليم فهل نرجع إليه لتختفي هذه المشكلة؟

ودمرت حياتي أمي الحبيبة[1]

تقول ذات الخمسة والعشرين ربيعًا: من قال: إن «الأم إذا أعددتها أعدت شعبًا طيب الأعراق» فأنا أكفر بهذه المقولة، وإني أرى أن من قالها إما أن يكون شاعرًا مجنونًا لم يذق منها المر، بل شرب العسل بكلتا يديه، أو أنه رجل يحلم أحلام اليقظة فيتخيل أن الأمهات مثاليات في تربيتهن بنسبة ١٠٠% لهذا قال ما قال. وإن كانت أقواله تلك وأشعاره مردودة عليه جملة وتفصيلًا لأن الواقع يكذبها أما حقيقتها وجوهرها فهو البهتان بعينه، بل التزوير والكذب بمعانيه والتدليس إن صح كلامي هذا.

دعوني أفصل لكم ما قلت وأوجز عندما يقتضي الإيجاز وأعرج إلى الإسهاب إذا اقتضت الضرورة، فقصدي وإن كنت أريد أن أشرح وأفصل قصتي ومعاناتي كاملة وشكواي بالحياة. إلا أنني أحب أن أبين للناس أنه ليس كل ما تفعله الأم صحيحًا وصوابًا يصب في مصلحة الأبناء سواء كانوا من الأولاد أو البنات، بل أرى على العكس فأحيانًا تدمر الأم أبناءها سواء كان ذلك بقصد أو من دون قصد. المهم أن النتيجة واحدة هي دمار وفشل على جميع الأصعدة.

لقد ولدت وإن كانت في فمي ملعقة من الذهب كما يقولون، وإن كنت من أسرة ثرية، إلا أن هذا الثراء لا يغير من الأمر شيئًا فالإفراط في

(١) جريدة الهدف الكويتية، العدد: ١٨٦٨ .

تدليل الأبناء والبنات مفسدة للأخلاق ما بعدها مفسدة. ثم إن الإفراط والتدليل ليس مقصورًا على الأسرة الثرية بل حتى الأسرة الفقيرة تفرط فيها الأم بتدليل بناتها وأولادها حتى تتسبب بخسرانهم وخسرانهن. حيث إنها تقوم بكل شيء عنهم، بل وتحمل فوق ظهرها حتى مشاكلهم ومشاكلهن، وفي قرارة نفسها تقول: دعوا كل شيء لي فأنا أتحمل عنكم. وهذا في تقديري هو الخطأ الفادح الذي وقعت فيه أمي وغيرها من الأمهات اللواتي لهن عندي الاحترام والتقدير، إلا أنني أختلف معهن في أسلوب تربيتهن.

فما وعيت على هذه الدنيا وبدأت أتفهم وأفهم حتى وجدت نفسي أتمتع بدلال عجيب. بل إن لي كلمة مسموعة عند والدي وإن كنت صغيرة في السن، بل إن الساعة التي أبكي بها هي الساعة التي تشعر والدتي بالذات أن الدنيا اسودت في وجهها. ورغم أني كنت صغيرة كما أسلفت وعليه فلا أتذكر يومًا أني طلبت شيئًا إلا ووجدته أمامي في اليوم نفسه ومع هذا ومع كل ما جرى فإنني ألتمس لوالدتي العذر في ما تقدم منها، ولو بقدر معقول ولكن عندما كبرت كان يجب عليها أن تحملني شيئًا من المسؤولية وتتركني أعتمد على نفسي في حياتي ولو شيئًا قليلًا. ولكن والدتي هداها الله كرست حياتها لي وهذا هو الخطأ الكبير الذي دخلت هي فيه وأدخلتني معها، فلما كبرت زادت في تدليلي، وعدم تركي أعتمد على نفسي حتى في المذاكرة وحل الواجبات المنزلية. فلقد كانت تحاول أن تساعدني بها بل لم يكن لديها مانع أن تكتب عني الواجبات كلها، وليت الأمر توقف عند هذا الحد، فأنا أقسم بالله العظيم أني لو قلت لها أطعميني بيدك، لما تأخرت ولو لحظة واحدة، بل حتى لو قلت لها: تعالي يا أمي وألبسيني ثيابي وملابسي لهبت وهرولت من مكانها لتفعل ذلك.

فما تركت لي هذه الأم في الحياة من عمل فهي تقوم مقام يدي وقدمي فهي تدافع عني عند جميع الأهل والأقارب والأصدقاء، وتوهمهم بل وتجبرهم على الاعتقاد بأني على صواب. إلى أن تصورت وصدقت أن

كل شيء أفعله هو الصواب بعينه، وأن من يخطئني ولو بأمر بسيط وصغير أنظر إليه باستغراب وباشمئزاز أحيانًا، حيث كنت تلك الفتاة المدللة التي لم تتعود أن يخطئها أحد في بيتها. وهكذا نشأت على هذه التربية والطريقة التي عاملتني بها والدتي حيث ظنت أنها الطريقة المثلى في التربية، ولم تفكر يومًا أن اعتماد الأبناء والبنات على أنفسهم، هو السعادة للآباء. بل إن ثقتهم أي «الأبناء» في أنفسهم قمة التربية ولكن للأسف الشديد فتلك أمور لم تكن تدور في عقل والدتي لا من قريب أو من بعيد.

لقد حاولت أن أصدها وأنهاها، بل ونهيتها مرات ومرات، وأخبرتها بصريح العبارة أن طريقتها ومعاملتها لي بل وحتى تربيتها خطأ، في خطأ وأن الصواب في أن تتركني أعتمد على نفسي في حياتي كلها، وأنه ليس لها إلا النتائج. ولكنها للأسف الشديد كانت تقول: ما زلت صغيرة ويجب أن أساعدك فأنا أمك وعلى هذا الأساس لم يجد إصراري على أن تتركني وتدع حياتي شيئًا أن أقول الحقيقة فلقد كنت أشاركها بالخطأ ذلك أني لم أفكر في المستقبل، وفي الحياة العملية، ولم أتصور أني سأصل إلى طريق مسدود، وأن تربية أمي لي وإفراطها في تدليلي هو السبب بل سيكون وبالًا علي ونكسة وفشلًا. ولكن قد فات الأوان، وتغلغلت تربيتها في كياني ومشاعري ودمي، فلا أستطيع التخلص منها أو أن أفعل شيئًا حيالهما.

لقد تخطيت مرحلة الثانوية بنجاح، ودخلت الجامعة، وأنهيت دراستي منها ولم يبق إلا الوظيفة والزواج. وفعلًا وصلت الأولى وهي وظيفة مرموقة في إحدى الوزارات الحكومية. أما الثانية فقد تأخرت بسبب النصيب كما يقولون. لكني كنت واثقة أن ابن الحلال سيطرق يومًا باب بيتنا خاطبًا يطلب يدي للزواج فهذه هي سنة الحياة وما على الفتاة إلا أن تصبر إلى أن يأتيها نصيبها.

لقد باشرت العمل ودخلت الوزارة ذات يوم، وأنا الفتاة الثرية

المدللة، التي لم يؤنبها أو يخطئها أحد من قبل قط. وكانت بداية دوامي الساعة التاسعة صباحًا بعد بداية العمل الرسمي بساعة ونصف الساعة. فكتبوا اسمي في ورقة خارجية مع المتأخرين والمتأخرات من الموظفين والموظفات، واستدعاني في ذلك اليوم المسئول عني ونصحني بضرورة التقيد بموعد الدوام ثم التمس لي العذر لأنها أول مرة ولكن بعد ذلك تكرر مني التأخير مرات ومرات، فلم يجد المسئول مناصًا من كتابة تقرير عني. قال فيه: إني لا أصلح للعمل فأنا كثيرة التأخير والغياب وفوق هذا عندما يوكل لي عمل لا أنجزه وهكذا جلست في البيت وحيدة، وكانت هذه هي الضربة الأولى التي جاءتني فوق رأسي حيث كنت وكما أسلفت إنسانة مدللة لا تعبأ بشيء أبدًا.

لقد هونت والدتي الأمر علي وقالت: اصبري. فصبرت ولم تمض إلا بضعة أشهر إلا وجاءني النصيب فتزوجت ودخلت القفص الذهبي كما يقولون وقد كنت أتمناه أن يكون كذلك لولا ما عودتني عليه والدتي حيث كنت إنسانة اتكالية بمعنى الكلمة لا تحسن عمل شيء ولا أقصد هنا الواجبات المنزلية فقط، ولكن حتى الحديث. كنت أتمنى أن يتحدث عني زوجي فهل بعد هذه الاتكالية من شيء؟

أربع وعشرون شهرًا مرت وزوجي يتحمل إنسانة جسمها كبير وعقلها صغير إنسانة مدللة عديمة الثقة في نفسها، اتكالية، تحاول دائمًا أن تتسيد على من حولها وتأمرهم. إنسانة متسلطة على من حولها تطلب كل شيء ولا تقدم شيئًا إلى أن طفح الكيل بالزوج. فقال: لم ينفع الإمساك بمعروف فلا بأس من التسريح بإحسان. وهكذا فشلت حياتي وللمرة الثانية بسبب إفراط أمي في تدليلي.

والآن هذه هي قصتي وتلك هي رسالتي لكل أم في الخليج، وأقولها لهن بصراحة: إياكن والإفراط في تدليل بناتكن وعودنهن أن يعتمدن على أنفسهن في حياتهن، وإلا فإن الفشل سيكون من نصيبهن في الحياة. فهذه هي قصتي، فاعتبرن منها أيتها الأمهات قبل فوات الأوان. فالفشل في

الحياة طعمه مر ومذاقه علقم، وقد ينتهي ويتلاشى إن حاولت المرأة ترتيب أوراقها من جديد، ولكن آثار الإفراط في التدليل من المستحيل أن تخبو جذوتها داخل القلب وتختفي وتتلاشى لأنه يسري سريان الدم في العروق.



بعت نفسي مرتين[1]

تقول هذه المرأة: كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما تقدم لخطبتي رجل عجوز في الثمانين من العمر. كان أخي الوحيد يعمل لديه، حدثني أخي عنه وعن ثرائه وكيف أنني سأعيش عيشة الملوك إن تزوجته. لقد اعتنى بي أخي وتحمل مسؤوليتي عندما توفي والدي وحرم نفسه من متع كثيرة من أجل أن يبقى معي طوال الوقت ويرعاني، كنت أفكر بأن أخلصه من مسؤوليتي ليعيش حياته كما يريد ويتمتع بشبابه بعيدًا عن مسؤوليتي، لذلك فقد اتخذت قراري بنفسي فوافقت على الارتباط بذلك العجوز وقلت في نفسي: سنوات قليلة وسأصبح أرملة ثرية وسأبدأ حياتي من جديد.

كانت هذه هي الصفقة الخاسرة الأولى التي قبلت بها في حياتي، فبعد أن تم الزواج اكتشفت بأن هذا العجوز الغني بخيل إلى حد كبير. وأنني حكمت على نفسي بالعيش سجينة إحدى الغرف في بيته الكبير مع أولاده الذين لم أستطع يومًا حصر عددهم وقد كانوا حصيلة زيجات وطلاقات متعددة لهذا الرجل، لم يبق على ذمته سوى عجوز واحدة هي ابنة عمه التي تزوجها في أول حياته، وقد امتنعت من الهرب من بيته بسبب إصابتها بشلل أقعدها مجبرة في منزله، وهي لا تملك سوى لسانًا طويلًا كلسان الأفعى تلسع به من يقترب من جحرها.

حملت بطفلي الوحيد بعد سنة واحدة من الزواج، وكان هذا الحمل هو ما دفعني للاحتمال والصبر وعدم الاعتراض على حياتي التعيسة الكئيبة التي عشتها في ذلك المنزل، والسبب الآخر هو أن أخي قد وجد عملًا في مكان بعيد وتزوج هناك واستقر، ولا أريد أن أنكد عليه حياته بعد أن تحرر من مسؤوليتي والتفت إلى نفسه.

(١) جريدة الطب والأسرة، العدد: ٦٢ .

كنت أدعو ربي ليلًا ونهارًا بأن يخلصني من هذا العجوز وأن يختاره إلى جواره لكي أنعم ببعض الإرث الذي سنحصل عليه أنا ووليدي. أجمل أيام عمري ضاعت وأنا أعيش بحزن وألم وحسرة منتظرة أن يتحقق أملي الوحيد بأن لا أخرج من هذه الصفقة بخسارة كاملة، وأن أرث المال الذي سيعوضني عن سعادتي وشبابي الذي أفنيته مع هذا العجوز.

طال انتظاري ومرت السنين ولم يتحقق ذلك الأمل وأصبح العجوز أكثر شراسة وبخلًا. بلغ ابني سن المدرسة وهو يحتاج إلى مصاريف لكي يبدو أمام زملائه بصورة جيدة. لذلك قررت أن أعمل لأعيل ولدي، رفض العجوز تلك الفكرة فطالبته بالطلاق لأتحرر من سجني وطوقي البغيض، فعلت المستحيل ولكن دون جدوى، وقد ساعدني أخي كثيرًا بعد أن شعر بأنه المسؤول عما حدث لي، ولكن ذلك العجوز رفض أن يطلقني. وكلما حاولت أن أعمل في مكان ما، فإنه يستغل نفوذه لطردي من العمل. بعد أن أحسست بأنني وابني أصبحنا نشكل عبئًا على عائلة أخي، وبأنه لا فائدة من العناد رضيت بالعودة لزوجي بعد أن وعدني باستئجار مسكن مستقل لي، بعيدًا عن ذلك المنزل الكريه، الذي لم أجد فيه يومًا أية خصوصية أو راحة من أعين الفضول التي يتمتع بها أبناؤه وبناته العديدون.

استمر الحال هكذا حتى وصلت إلى سن الثلاثين، عندها تحقق لي ما أردت وتوفي العجوز بعد أن استهلك خمس عشرة سنة من سنوات عمري التي عشتها تحت القهر والحرمان المادي والمعنوي، عندها فقط أشرقت الشمس في حياتي المظلمة وقضيت العدة الكئيبة وأنا أحلم بأنني سأحقق جميع أحلامي وأحلام ولدي الغالي. وفعلًا فقد كان إرثي طيبًا أخذت أنفق الكثير منه على شراء ما تمنيته، واشتريت بيتًا جميلًا وسيارة فارهة وأثاثًا راقيًا. والكثير من الذهب والألماس والملابس وكل ما حرمت منه في حياتي الماضية.

بعد أن أشبعت رغباتي الشرائية، أصبح هاجسي هو تعويض نفسي عن

الحرمان العاطفي، الذي عشته وانطلقت بأحلامي للبحث عن الرجل الذي سيعوضني عما افتقدته طوال عمري، خصوصًا وأنني في الثلاثين من عمري وأمتلك جمالًا وجاذبية أحسد عليهما تقدم لي الكثيرون ولكنني رفضتهم فقد قررت أن أكون دقيقة في اختياري وحددت شروطًا كثيرة لمن سأرتبط به، وعلى رأس تلك الشروط أن أختاره عن حب وقناعة.

بعد سنة واحدة من وفاة زوجي تعرفت عليه، كان رجلًا رائعًا بكل المقاييس وله شخصية رائعة ويمتلك مركزًا مرموقًا ويتمتع بجاذبية وقدرة على التأثير بكل من يتعرف عليه، إنه بصراحة حلمي الذي بحثت عنه وظل يراودني طوال عمري.

خفق قلبي بمجرد رؤيته، وصرت أختلق الأسباب التي تجعلني ألتقي به، وتمنيت أن يجد في نفسه ما أجده في نفسي نحوه، وقد تحقق ما أردت، وأخذ الرجل يتابعني ويهتم بي، واستطاع أن يحصل على رقم هاتفي، وصار يحدثني عن شوقه وإحساسه بأنني المرأة التي انتظرها، وكان يبحث عنها طوال حياته. وأنه لم يشعر بالحب يومًا على الرغم من كونه في الأربعين من العمر. وأنه يعتقد بأن هذا الحب هو نعمة من الله تعالى لكلينا ويجب ألا نضيعها، ثم عرض علي الزواج، ولكن علمت منه بأنه محكوم بظروف قاهرة ويتمنى أن أمتلك القدرة على تقدير وفهم تلك الظروف وهي أنه رجل متزوج ولديه بنات وأبناء في مختلف الأعمار من سن الروضة إلى سن الجامعة، وهو يحترم زوجته شريكة عمره التي وقفت إلى جانبه وهي تتحمل مسؤولية تربية أبنائه لذلك فهو يحترمها ويقدرها ولا يريد أن يجرح مشاعرها بزواجه من غيرها، كما لا يريد لأبنائه وبناته أن يعيشوا الإحساس بعدم الاستقرار، وألا تهتز صورة أبيهم إذا عرض حياتهم الأسرية لهزة عنيفة، فهو في نظرهم الأب المخلص المتفاني من أجل أسرته.

اشترط للارتباط بي أن يبقى زواجنا سرًا لا يعرفه أحد سوى أخي وبعض المقربين مني. لم أفكر طويلًا لخيبتي وسوء تقديري لأنني كنت عطشى للحب والعاطفة، ولا أنكر أن هذا الرجل قد امتلك قلبي ومشاعري بشكل غير مقدور عليه. لذلك فقد رضيت بعقد هذه الصفقة

الخاسرة الأخرى في حياتي، ووافقت على أن نتزوج بشكل غير علني ووافقته على عدم الإنجاب وعدم المطالبة بأية أمور يمكنها أن تعلن هذا الزواج.

تزوجنا وعشت الحب الذي حرمت منه وقد غمرني زوجي بالحب والهدايا والمال والاهتمام، وكل ما كنت أحتاجه، وعامل ولدي كابنه تمامًا، وكنت في أسعد حال.. ولكن السنين تمر وقد نمت بداخلي الرغبة في إنجاب طفل أحتضنه وأحس بأمومتي معه، فرفض وقال: إن حملت دون علمي فلن أسجل الولد باسمي، ولن أضيف اسمه إلى خلاصة القيد؛ لأن ذلك قد يفضح مسألة زواجي بك، وأنا قد اشترط عليك ذلك وأنت قبلت.

بدأت أنظر إلى حياتي مع هذا الرجل فوجدت بأنني أعيش معه كخليلة وليست لي حقوق الزوجة، وأنه يرفض أن يخرج معي أو يصحبني إلى الطبيب أو إلى أي جهة حكومية.

لاستخراج أية أوراق. وبقيت بنظر القانون امرأة مطلقة غير متزوجة، لأنه يرفض إدخالي في خلاصة قيده، وعندما يكون معي فإنه وبمجرد أن تتصل به زوجته أو أحد أبنائه فإنه يتركني ويهرول نحوهم متناسيًا وجودي، وهو يمنعني من الاتصال به حتى لو تعرضت لمرض أو حادث حتى لا يحرج أمام أسرته أو أصدقائه أو زملاء العمل، حرصًا على عدم علم زوجته بزواجنا، وهو يأتيني كلما سنحت له الظروف بشكل متخف ولا يبقى سوى وقتٍ قصيرٍ ثم ينصرف عني، وهو يردد لا تتصلي بي أرجوك.

أخذ زوجته وسافر إلى لندن لعلاجها وبقي هناك ثلاثة أشهر بدون أن يكلف نفسه مشقة الاتصال بي والاطمئنان علي وكأنني لا أملك أية حقوق عنده، ندمت.. ندمت.. ندمت على هذه الصفقة الخاسرة التي عقدتها وهأنا ذي أعاني من حرمان أكبر، حرمان نفسي وعاطفي مع رجل لا أملك من حياته إلا الظل.

كبر ولدي وأصبح في الثانوية وهو يحس بإحراج كبير عندما يسأله

أصحابه من أبناء الجيران عن ذلك الرجل الذي يزورنا بشكل متقطع وهو ماهر بإخفاء سيارته خلف المنزل لئلا يراه أحد. ويكفي وجهه تمامًا عند دخوله المنزل وكأنه جاء ليسرق شيئًا. فيرد عليهم بأنه زوج أمي وهو متزوج ولا يريد أن تعلم زوجته بأمر زواجه الثاني. فيجلس الأولاد ليتندروا ويضحكوا على هذا الأمر وهم لا يدرون ما يسببه ذلك من إحراج لهذا المسكين. لقد أصبح معقدًا جدًا ولا يحب الاختلاط بالناس، وهو يجلس إلى جانبي طوال الوقت يحس بما أعانيه ويتألم لأجلي ويسألني باستمرار لماذا قبلت بهذا الزواج؟ فلا أستطيع أن أرد عليه وأكتفي بترديد هذه العبارة بداخلي «أمك غبية فقد باعت نفسها مرتين».

الهدية[1]

تمنت لو قدمت لها هدية ما، كما تفعل كل الزميلات في فصلها، تمنت لو لفتت تنظرها إليها وسط كوم الأولاد والبنات الذين تزدحم بهم الدار.

ولكن ماذا تهدي وهي لا تملك شيئًا؟!

تذكرت أن معلمة الأشغال علمتهن يومًا صنع الأزهار من الورق المطاط وأنها كانت بارعة في ذلك، فوفرت قروشًا قليلة من مصروفها الذي تأخذه يومًا وتحرم منه أيامًا لقلة ذات اليد. وعكفت على وريقاتها الملونة تصنعها خفية في اللحظات التي تهدأ فيها الدار من أوقات الظهيرة أو حتى الليل، وتتأملها. ثم تضيف إليها ورقة هنا وبرعمًا صغيرًا هناك حتى اكتملت بين يديها باقة حلوة، راحت ترمقها باعتزاز وتتخيل نفسها تقدّمها إلى الحبيبة هدية حب وإكبار.

(١) صور من الحياة، تأليف: ثناء أبو صالح.

في اليوم التالي عادت من المدرسة مبتهجة، وراحت تشرح لأخيها الأصغر وبانفعال حديث المعلمة عن فضل الأم وتعبها وحبها لأولادها وحدثته عن أنواع الهدايا التي قدمتها كل من زميلاتها لأمها في مناسبات عديدة مختلفة، تأثر أخوها بحماسها وتساءل: وأنت ماذا تقدمين لها؟

سرحت بنظرها لحظة ثم ابتسمت وهي تفتح حقيبتها المدرسية وتخرج بطاقة ملونة، وهمست: انظر هذه البطاقة، لقد اشتريتها اليوم.

أراد أن يلمسها، لكنها أبعدتها مسرعة وهي تقول: ستراها بعد أن أعطيها لها.

وقامت إلى غرفتها تفكر بكلمات حلوة تخطها خلف البطاقة.

في المساء زرعت البطاقة بين وريقات الباقة، وعطرت الزهرات وتأملتها للمرة الأخيرة، ثم فتحت باب غرفتها وانسلت مترددة خجلة تبحث عن أمها.

وجدتها تهم بالخروج إلى الجيران، فاستوقفتها، ومدت يدها بالباقة وقد تضرج وجهها حياء وهمست: ماما.. هذه لك.

أخذتها من يدها، تأملتها باستغراب، فأردفت الطفلة بحماس: ماما.. أنا صنعتها.. من أجلك.

ارتسمت ابتسامة ما على شفتيها، وفتحت الباب في طريقها إلى الجيران وبيدها الباقة، راقبتها بقلب واجفٍ متلهفٍ إلى كلمة حبّ رأتها تدخل هناك، في البيت المقابل وتقول لصاحبته وهي مغرقة في ضحكةٍ طويلة: انظري بالله عليك، ماذا قدمت لي ابنتي؟!

لم تنتظر طويلًا عند الباب لترى نظرات السخرية تحيط بها من العيون المطلة، وأسرعت إلى غرفتها تلقي بنفسها فوق الفراش وتخفي شهقاتها فيه، وتحس الطعنة داميةً في القلب الصغير.

❁ ❁ ❁

صفعات آثمة على وجه اليتيمة شهد!![1]

أجمل شيء في حياة الإنسان أيام الطفولة وبراءتها وعذوبة الصدق التي تتمتع بها تلك الأيام من لعب ولهو بالغ الصفاء، ولكن إذا تهاوت هذه السعادة أدراج الرياح دون إنذار ولا إذن مسبق حيث كانت الكلمة العليا لرب العالمين الذي اختارني من دون الناس كي أقضي بقية عمري من غير حضن الحنان الذي يتمناه كل إنسان مهما بلغ عمره وهو حضن الأم الدافئ الذي ليس له بديل مهما كان. قضيت بقية حياتي من دون صدر حنون يحميني من غدر الأيام ومصاعبها. لقد ذهبت أيام السعادة من حياتي وأنا ابنة السابعة من عمري، حينما توفيت أمي وأنا في ذلك السن الصغير الذي يحتاج إلى الرعاية والاهتمام بعناية فائقة.

رحلت أمي وأنا في سن ضعيف، يحتاج إلى كل لمسة حانية تضمد الجراح إذا ألمت بي. عشت أيامًا في غاية الصعوبة، وتجرعت مرارة الحرمان من بداية هذه اللحظة. راحت أمي وتركت وراءها فراغًا كبيرًا من الصعب جدًا أن يملأه أي إنسان بعدها. . حتى أبي الذي يحبنا ولا يحرمنا من شيء حيث إن حالته المادية متوسطة ومستورة والحمد لله وتتكون أسرتي من ستة أولاد أحتل أنا المركز الثاني بعد أختي الكبيرة، وهذا كان السبب الرئيس والدافع الذي جعل والدي يفكر في الزواج من امرأة أخرى. ولم يكن لدينا أي مانع إذا كان لراحة أبي.

وفعلًا تم زواجه لتأتي زوجته إلينا وتحتل مكان أغلى وأطيب وأحن الناس إلى قلبي.

دخلت المنزل بقناع العواطف والحب والحنية لتظهر به علينا في أول

---

(١) جريدة الهدف، العدد: ١٨٦٢ .

أيامها، وخصوصًا أمام أبي. ولكن القناع الثاني الذي يخفي وراءه القبح بجميع ألوانه.

وأرجو أن تلتمسوا لي العذر إذا تعديت عليها بأي لفظ. برغم أن أول مرة أقول فيها هذا الكلام، وعمري ما فكرت حتى بيني وبين نفسي أن أنطق بتلك الحروف التي تسيء لها، لأني أخاف الله ولا أريد أن يغضب علي. وكذلك أبي فإني أحبه جدًا ولا أريده أن يزعل مني، وهو لا يدري ما تفعله زوجته بنا. كما أنه لا يتحدث معنا أبدًا في أي شيء يهمنا أو يخصنا وهذا ما جعلها تكون سيدة المنزل وتقوم بدور زوجة الأب سليطة اللسان ببراعة ومهارة بالغة. وأخذت الأيام تمر، ونزداد حرمانًا ومرارة، واشتدت أكثر عندما شرفنا طفل صغير أخ لنا منها فاحتويناه وأحببناه كثيرًا ومن لحظتها تم رفع شعار «اخدم نفسك بنفسك»، فكنت أنا الضحية عن طيب خاطر من أجل إخوتي والعمل على راحتهم وتلبية رغباتهم فتركت الدراسة من نصف الدبلوم، ولم أكمل تعليمي، وجلست في المنزل من أجل ذلك أدير شئون المنزل من الألف إلى الياء. وكما قلت باختياري ولم يجبرني أحد على ذلك، احتويت أخواتي بالتفاهم والحب كي نعوض بعضنا عن فقدان حنان الأم وحتى أخونا الصغير منها؛ لأنه ليس له أي ذنب. ولكن مشكلتي أصبحت أكثر عندما قررت عدم إكمال تعليمي فقد انشغل كل واحد من أخواتي في دراسته وأحلامه، وبقيت أنا وحيدة لا يهتم بي أحد إلا إذا أراد مني شيئًا.

حبست همومي بين أضلعي وتركتها لرب العالمين؛ لأنه المعين الوحيد في تلك الأمور. ولكن كلما مر الوقت تزداد الأمور تعقيدًا ولا أعرف ما السبب الذي يجعل زوجة أب توجه لي الشتائم في كل وقت ومن غير داع أو سبب. أتحامل على نفسي وأدخل غرفتي وأبكي وحيدة دون أن يعلم أحد ما بداخلي من قهر وحزن كما أنه لا يوجد من يسألني عما بي ووصل الأمر بزوجة أبي أن تدعو علي بعدم الراحة وقلة الهناء، وجعلتني أموت خوفًا من تلك الدعوات التي لا أستحقها كما أنها تزعم

بين أقاربنا وجميع من يعرفنا بأنني شريرة وقلبي مغلف بالسواد والحقد عليها وعلى من حولها.. ولكن يشهد الله إنني لم أفعل أي شيء تقوله عني للناس. ولكن الآن أريد أن أوضح لكم جميعًا بأنني تغلبت على جميع أهوالي وأحزاني باللجوء إلى الله عز وجل، فهو حسبي ووكيلي وأنا إلى الآن وحتى هذه اللحظة التي أكتب فيها لكم أعاني العذاب بشتى ألوانه.. ولا أعرف كيف أتصرف مع تلك الإنسانة التي لا يكفيها أنني حرمت من حنان أمي وعطفها، بل على العكس فهي تتفنن في تجريحي وإهانتي وتتلذذ في التحدث عني والتشهير بي وبسمعتي، وكما وصل بها الأمر بأنها تتهمني بسوء أخلاقي مع إني وأقسم بالله لم أخرج من المنزل.. إلا مع جميع أخواتي أو أبي ولا نذهب إلى أي مكان إلا منزل عمي القريب من منزلنا جدًا وصدقوني بأنني ليس لدي أي تفسير لما يحدث معي فأنا لم يبدر مني أي شيء ضدها وأعمل على راحتها وكل ما تطلبه، وذلك فقط من أجل حبي لأبي.

ولكن يبقى اللغز الذي يبحث عن حل دائمًا، والذي لا يعرف أحد سره حتى من هم خبراء في العلاقات الأسرية، وهو لماذا تكره زوجة الأب أبناء زوجها وتعاملهم بقسوة من دون أي ذنب اقترفوه؟

لقد طفح الكيل بي ولم أعد أتحمل كل ذلك.. فما الذي أستطيع فعله كي أعيش بقية حياتي حتى يأتي لي النصيب بالزواج وأخرج من هذا الجحيم.

فتش عن المرأة[1]

قال الله تعالى عن كيد النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٢٨].

قديمًا قال (إخوان الصفا) ذائعي الصيت في الفلسفة والحكمة: (المرأة تفسد المرأة، كالأفعى تبث السم في الأفعى)! وإذا انطبقت هذه المقولة

---

(١) المصدر: مجلة الجزيرة العدد: ٨٣ / الثلاثاء ١٣، ربيع الثاني ١٤٢٥ .

على عصر ما فإنها تنطبق تمامًا على أيامنا الحالية، حيث تطالعنا الحوادث والحكايات والدراسات الاجتماعية بطوفان من القصص والمآسي، تؤكد صدق قولهم: (فتش عن المرأة) ليس في حياة الرجل فحسب، بل في حياة المرأة أيضًا، عندما تلعب حواء دورًا مصيريًا في توجيه صديقتها نحو الخير أو الشر.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو: كيف تفسد الأنثى صاحبتها وتدفعها إلى سلوك طريق غير مستقيم، فتحيد عن جادة الصواب والعقل والأخلاق أحيانًا، وينتهي بها المطاف أن تخرب بيتها بيدها وتدمر حياتها الزوجية ؟

أما الإجابة فسوف نعرفها من خلال هذا التحقيق:

فى البداية تقول السيدة عفاف الهلباوي (مدرسة): لا شك أن إفساد المرأة للمرأة نقيصة نسائية معروفة في مجتمعنا، وتلاحظها المرأة العاملة بالذات لأنها منتشرة في أوساط الموظفات مثل انتشارها في النوادي، والجامعات في التجمعات النسائية أينما وجدت فيما يمكن أن نسميه (رفيقات السوء).

وتبرهن السيدة (عفاف) على رؤيتها قائلة: أنا شخصيًا تعرضت في بداية زواجي لهذا (المطب النسائي) عندما شكوت من بعض تصرفات زوجي لإحدى الزميلات التي كانت تكبرني في السن، ظنًا مني أنها ستفيدني بخبرتها في الحياة، ولقد استمعت إليّ بإنصات شديد، ثم بادرتني (حالة زوجك هذه عادة رجالية لا علاج لها على الإطلاق انقذي نفسك بسرعة واطلبي الطلاق، وتزوجي من رجل كريم يقدرك ويقدر جمالك، ويقدر تعبك معه في الحياة)..

والواقع أنني: كنت أشكو من بخل زوجي ولا أخفيك أنني عملت بنصيحتها وافتعلت مشاكل كثيرة مع زوجي ليطلقني بالفعل، ولكن فجأة اكتشفت أنني حامل، وتحول زوجي بعد سماعه خبر حملي إلى إنسان هادئ، كريم، وأظهر حبًا وحنانًا ورعاية كبيرة لي، فشعرت بالندم..

وأعلنت توبتي بألا أشكو إلى امرأة أخرى من أي مشكلة إلا إذا كنت أثق في عقلها والأهم حرصها على مصلحتي مثل شقيقتي، أو خالتي أما الصديقات والزميلات فلا !.

وتحكي لنا مذيعة تليفزيونية معروفة أن صديقتها (المذيعة أيضًا) دفعتها دفعًا إلى الزواج من أحد رجال الأعمال الأثرياء بدعوى أنه سيحقق أحلامها في إنشاء قناة فضائية. تضيف المذيعة، وبعد فترة وجيزة تبين لي أنه رجل (لعوب) ومتزوج من سيدة فاضلة وأنه لا يريد زواجًا ولا (حلالًا) واتضح أن صديقتي كانت تعلم ذلك، وتتعمد أن تضعني في طريقه، ولولا أن حماني الله، كان يمكن أن أقع تحت ضغط (إغراءاته المادية) وهي بدون حدود.

وتتحدث الزوجة (ل. م) بندم شديد عن المعاملة السيئة للغاية التي عاملت بها (حماتها) وتقول: كانت حماتي سيدة فاضلة وصبورة، وتعرف حدودها..

وفي الأيام الأولى من زواجي كنت أعاملها بلطف، إلى أن زارتني إحدى صديقاتي المقربات ونصحتني أن أبدأ في معاملتها بعنف وقسوة، لأن الحموات حسب نصيحتها إذا لم تظهر لهن زوجة الابن قوة الشخصية فإنهن يعاملنها على أنها جارية، ولابد من إظهار (العين الحمراء) من بداية الطريق حتى لا أصبح غريبة في بيتي وتسيطر هي أي حماتي على البيت.

وبالفعل اقتنعت بكلامها، وعاملت حماتي بقسوة شديدة وأهملتها وأهملت احتياجاتها وكانت مسنة مريضة، وصبرت المسكينة وتأملت في صمت حتى لا تخرب بيتي، وكنت أرى نظرات الحزن والألم والعتاب في عينها ولا أرحمها..

وقبل وفاتها بأيام قالت لي: (سوف تصبحين يا زوجة ابني حماة في يوم من الأيام).

وتضيف(ل. م) وبالفعل أنا حماة منذ عامين، واضطرت الظروف المادية ابني أن يعيش معي في نفس البيت.. والله كأن شريطًا سينمائيًا يُعاد عرضه..

كل ما كنت أفعله في حماتي تفعله معي زوجة ابني، وهنا فقط، أدركت أنني وقعت ضحية صديقات السوء ونصائحهن، لهذا دائمًا أنصح ابنتى، وزوجة ابني، ألا يعطين آذانهن لنصيحة الصديقات، أو بالأحرى (لوسوستهن).

وتحكي طالبة جامعية كيف أفسدتها صديقتها وكيف علمتها الكذب على أسرتها، تقول: حتى الثانوية العامة كنت مثالًا للبنت الملتزمة في كل شيء، الأخلاق، والدراسة، والدين إلى آخره، ومرت السنة الأولى في الجامعة بخير، إلى أن تعرفت في السنة الثانية على إحدى الزميلات التي دعتني يومًا للعشاء في منزلها، وهناك فوجئت بعائلة مختلفة تمامًا عن عائلتنا، فوالدها متوفى، وأمها سيدة متحررة للغاية، ولها شقيقتان يكبرنها، وفي البيت فوجئت بمجموعة من الشباب من أصدقائها وأصدقاء أمها وشقيقاتها، يمزحون ويمرحون ويتصرفون بحرية وتلقائية، يغنون ويشاهدون أفلام الفيديو..

ولا أخفيك كان جوًا جديدًا بالنسبة لي وشدني، وكررت الذهاب معها أكثر من مرة، ولم يتعد الأمر ما وصفته، لكنني عندما أتأخر على البيت وأخاف من أهلي كانت تعلمني هي وأمها الكذب، وكانت أمها تتصل بأمي لتطمئنها أنني مع ابنتها نذاكر دروسنا، وبعد الانتهاء من المذاكرة سوف تصحبني بنفسها إلى البيت، واستمر الحال عدة شهور، وفجأة فوجئت أن الأمور بدأت تنقلب إلى ما هو أبعد من ذلك، ومن خوفي حكيت لزميلة أخرى أثق في عقلها ودينها، فنصحتني بسرعة الابتعاد وشرحت لي عواقب هذا الطريق، وعندما امتنعت حضرت لي أم صديقتي لتقنعني بالعودة، وكان ستر الله عظيمًا أن شاهدتها زميلتنا الأخرى معي أمام الجامعة واستمعت لكلامها، فطردتها وهددتها بالفضيحة..

وهكذا كادت هذه المرأة وبناتها أن يفسدنني لولا ستر الله ودعاء الوالدين.

زوجة رجل محترم

وبحزن تؤكد إحدى السيدات أن سبب تعاستها في الحياة هي إحدى صديقاتها، وتضيف: كنت زوجة لرجل محترم ولكن كان عصبيًا للغاية، أنجبت منه ولدين وبنتًا وتحملت عصبيته من أجل أولادي إلى أن ظهرت في حياتي إحدى الجارات التي سكنت بجواري حديثًا، وكانت تسمع زوجي وهو يرفع صوته عليَّ وعلى الأولاد، وزارتني ذات يوم وسألتني عن سبب عصبية زوجي فقلت لها: هذا طبعه إنه عصبي لكنه طيب القلب، فأبدت استياء ونصحتني ألا أسكت على هذا الوضع، وأن هذا غير لائق بي، ورفع صوته علي يعني أنه لا يحترمني ولا يحبني.. واتهمتني بالضعف وطالبتني أن آخذ حقي من زوجي ويكون لي موقفًا إيجابيًا معه.

وبعد أسبوع زارتني ثانية وكررت نصائحها، وظلت تحكي لي عن شقيقها، وحنانه على زوجته رغم تسلطها، ورقته معها رغم نكدها.

وأيضًا تحكي لي عن شقيقها المثالي في معاملته للنساء وحنانه ورقته إلى آخره..

إلى أن جاءتني يومًا وقالت لي: إن شقيقها موجود وطلبت مني أن أجلس معه لأحكي له عن مشاكلي مع زوجي ولا أعرف كيف وافقتها وذهبت معها إلى شقتها، وبالفعل وجدت رجلًا وسيمًا، هادئًا، رقيقًا، مثقفًا في حديثه وشعرت براحة شديدة وأنا أتحدث معه، وتكررت زياراته، وبالتالي لقاءاتنا، فطلبت من زوجي الطلاق وهدمت بيتي، وأبدى هو وشقيقته سعادة بالغة بهذا الخبر، وفي شهور العدة حاول أن يقيم معي علاقة غير شرعية ولما رفضت بشدة وإصرار اختفى فجأة هو وشقيقته من العمارة نهائيًا، ولا أعرف أين ذهبا..

ولكن بعد أن فقدت زوجي وبيتي وأولادي واستقراري. .

ولم يبق لي إلا أصابع الندم أعضها ليل نهار وأقول: حسبي الله ونعم الوكيل في هذه الجارة الشيطانة، التي أحذِّر كل النساء من أمثالها، وأنصحهن بألا يضعن أذنهن لنصائح الأخريات، وألا يسمحن لهن بالتدخل في حياتهن مهما كان الثمن.



إفساد المرأة للمرأة

إفساد المرأة للمرأة حقيقة تؤكدها السيدة فوزية علي نجم مسئولة علاقات عامة قائلة: أسمع في النوادي التي أرتادها كثيرًا بحكم عملي، وأيضًا في المجتمعات النسائية في المناسبات الخاصة، حكايات يشيب لها الولدان عن (مقالب) النساء في بعضهن البعض، والتي يقصد منها في النهاية تدمير حياة المرأة أو وصفها في وضع اجتماعي سيئ أو على الأقل محرج، والسبب الغالب والأعم لهذه الكارثة هو (الغيرة).. غيرة المرأة من المرأة التي لا يحدها حد، وفي أحيان أخرى يكون سببها (الإفساد) في حد ذاته، كأن تجر المرأة الأخرى إلى الرذيلة أو الطلاق أو التمرد على حياتها بصورة أو أخرى لهدف (براجماتي) أو لغرض ما في نفس المرأة المخربة أي الداعية للفساد.



اعترافات ليلية

ومن جهتها تقول الإعلامية المعروفة بثينة كامل صاحبة برنامج (اعترافات ليلية): ووضعهن على طريق إدمان المخدرات والزواج العرفي، والانحراف بصفة عامة.

والمعروف أن تأثير المرأة على المرأة مثل السحر وخاصة إذا كانت إحداهما تثق في الأخرى وعادة المرأة المفسدة تتمتع بوسائل جذب في كلامها وتحركاتها وتصرفاتها يمكن أن تخدع البعض، وتبهر البعض الآخر وهذه المرأة تكون بالفعل كالأفعى، تبث سمومها في رأس الأخرى فتقلب حياتها رأسًا على عقب.

وتشير بثينة كامل إلى أن منبع خطورة المرأة على المرأة أنها تفهمها جيدًا، ربما من مجرد النظر في وجهها وتفهم احتياجاتها، وما يمكن أن يسعدها أو يتعسها، ولذلك فإنني أنصح الأمهات في ضرورة مراقبة صديقات بناتهن، والتدقيق جيدًا بينهن وفي البيئة التي خرجن منها، ولا مانع أبدًا أن تتدخل الأم بأسلوب جيد في اختيار صديقات ابنتها المراهقة.



في حبائل امرأة

وتمسك بطرف الحديث الأديبة هالة الشاروني مؤكدة أن انتشار الظواهر الشبابية السلبية بين الشباب عامة تأتي عادة من خلال الصداقات والزمالات..

وإذا لم يحترس الأهل مما يسمى (الشلة) أي شلة صديقات بناتها سواء في المدرسة الثانوية، أو الجامعة، أو النادي فربما تكون الخسائر فادحة.

فالبنات تتأثر ببعضها تأثيرًا كبيرًا، وأصبحت إغراءات الحياة والإحباطات التي يعيشها الأهل والتي انعكست بالتالي على كل أفراد الأسرة بما فيها الأبناء، هذه العوامل أصبحت عوامل هدم مخيفة في مجتمعنا العربي، ولن ينجو منها إلا من رحم ربي..

وتضيف: إذا كانت كثير من السيدات الناضجات صاحبات الخبرة في الحياة قد يقعن فريسة صديقات السوء، فما بالنا بالصغيرات حديثات السن؟!

وتحكي الزميلة حنان حسين (محررة صحفية) عن إحدى صديقاتها التي انتحرت قبل عام تقريبًا رغم أنها كانت على قدر كبير من العقل والاتزان وأيضًا الجمال، لكن لسوء حظها أنها وقعت في حبائل امرأة مدربة على الشر من خلال رحلة البحث عن العمل، واستطاعت هذه المرأة بأسلوب ساحر، والتظاهر بالأخلاق والمبادئ والتلون كالحرباء أن تجعل هذه الصديقة تدمن المخدرات، وبعد سيطرتها عليها تمامًا، طلبت منها أشياء غير أخلاقية لم تستطع هذه الفتاة المسكينة أن تلبيها..

ولم تجد وسيلة للتخلص من هذه الأفعى إلا بالتخلص من الحياة نهائيًا.

ومن جانبها تحذّر الدكتورة ملكة يوسف من أخذ النصح والإرشاد من

صديقات السوء، وتحذّر مجالستهن بصفة عامة، فقد حذّر الرسول من جلساء السوء، قال النبي ﷺ: «**إن الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثًا**»

فصديق السوء يورد الإنسان الهلاك ويضره أكثر مما ينفعه وقال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ أما كيد المرأة فوصفه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾



قصص مؤثرة للفتيات

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

دائمًا تحتل القصة والعظة الصدارة في التأثير في النفوس، فتأخذ منها العبرة والعظة، لذلك حرص القرآن الكريم على إيراد كثير من قصص الأولين السابقين، وما ذلك إلا لأخذ العبرة، ولتكون مؤثرة في النفوس، فتأتي منها الثمرة المرجوة.

وفي هذا الباب العديد من القصص المؤثرة، التي فيها العبرة لمن يعتبر.



سارة.. وكوخ الأحزان.. !!

ولدت على شفير المأساة. . وشمّت الحياة برائحة الحزن والمعاناة. . هي طفلة عاشرها الألم حتى ملّها. . ولاكها القهر حتى مجّها. . كانت تلهو مع الصبيان. . تغني وتغرد، تسرح وتمرح، وهي لا تعلم عن عمق مأساتها شيئًا. . لا تدري عن سر النظرات المشفقة التي تلاحقها!! أو التنهدات العميقة التي تحيط بها!! بعضهم إذا رآها شمت بها. . والبعض الآخر يغمض عينيه وينصرف. . والبعض الثالث يشمئز ويحمد ربه على النعمة والعافية. . والبعض الرابع. . يبكي لحالها. . ولمآلها. . وإني - ولعمر الله- من البعض الأخير. . كبرت سارة. . وكبر معها الهم والمعاناة. . بكيتُ لحالها والله، وتنهدت ثم استرجعت وحوقلت. . سارة. . كُتب على جبينها ثلاثة أحرف. . ح. . ز. . ن ونُحت على صدرها. . أ. . ل. . م فكرت بأن لا أطلعكم على مأساتها. . كي لا أُلهب قلوبكم، أو أُعكر صفو مزاجكم. . فيكفي ما أصابني حين سمعت قصتها. . فلك الله يا سارة. . فهو الذي ابتلاك. . وهو القادر على كشف ما ألم بك. . لقد أنفق والدها أموالًا طائلة في سبيل علاجها. . ولكن طبيب الجلدية أخبره بأن البثور الحمراء، والممتدة من أنفها إلى منتصف جبينها لن تزول أبدًا. . وأخبره كذلك بأن إجراء عملية تجميلية غير ممكن، إذ إن بها مخاطر عديدة، ولا يَأمن عاقبتها. . سلّم الجميع لأمر الله. .

وسلمت سارة أيضًا، فهي الفتاة العابدة الصالحة. . صبرت على قضاء الله وقدره. .

كانت سارة تنظر في المرآة إلى هذه البثور التي حولت بشرتها الصافية إلى لون داكن غريب؛ فتتألم وينكسر خاطرها. .

وفي أحد الأيام، عادت كسيرة من المدرسة. . والهم والغم يعلو

محياها.. اتجهت إلى غرفة نومها خلسة، ولم تقبّل جبين والدتها كالعادة.. أحست الأم بشيء غريب حدث لها.. طرقت الباب واقتربت منها، فسمعتها تبكي، ولها نشيج يكاد يقطع نياط القلوب..!!

فزعت الأم، واحتضنتها، واستخبرتها عن سر بكائها؟! فقالت: زميلتي أمل.. ثم انخرطت في البكاء مرة ثانية، إلا أنها استجمعت قواها وقالت: إن زميلتي أمل قد جعلتني أضحوكة بين الطالبات اليوم..

لقد استهزأت بي.. وبالبثور التي تعلو هامتي.. لقد ضحكت جميع الطالبات علي، حتى الحيطان والنوافذ، بل والدفاتر والأوراق..

ثم كفكفت دمعاتها وقالت: أماه.. إني أحس بأن ذرات الهواء تعيبني، وتضحك علي.. وأظن بأن الشمس تهرب من ملاقاتي عند المغيب.. بل وأشعر بأن ظلي الذي يلازمني، والذي أعتبره أعز أصدقائي، أشعر بأنه يشمت بشكلي ومنظري.. أماه.. لقد سئمت هذه الحياة.. لكم تمنيت أني مت قبل هذا، وكنت نسيًا منسيًا.. ولم يقطع حديثها إلا دخول أختها حياة، والتي كانت تسترق السمع إليهما..

فحاولت تهدئتها وتذكيرها بالله.. إلا أن ضعف النساء وقلة حيلتهن كان له النصيب الأعظم..

انخرط الجميع في البكاء، وكأنهن في مأتم.. في مشهد يستدر الدمع..

وتوالت الأيام والأيام.. وأصبحت سارة فتاة يافعة، تدبر أمر البيت، وتوجه إخوتها، وتصلح بيتها، لقد أصبحت في سن الزواج، فيا ترى من سيتزوجها، ومن سيرضى بها؟ ولكن الأرزاق بيد الله.

بالفعل!! طرق بابهم شاب جميل ووسيم، كان ذا خلق ودين، ولما علمت سارة بقدومه خاطبًا، اعتلى وجهها البئيس حمرة خجلى، وانكسار وحياء.. لبست أحلى ملابسها، وتزينت وتجملت ويا ليتها لم تفعل!! فالخاطب لم يكن يطلبها، بل كان يقصد أختها الصغيرة حياة عندما أخبروها بذلك، حاولت أن تتصابر، أو أن تتظاهر بالتجلد، ولكن الموقف كان أشد من ذلك

كله.. يا لله.. ما أقسى هذه الحياة.. ما أشد أساها، وما أكبر فتنتها وبلاءها.. هذه الحياة لا ترحم مسكينة أو أرملة، ولا تعطف على بائسة أو قانطة، هذه الحياة دار حزن وألم وحسرة، فلك الله يا سارة..

فكم من مرة نظرتِ في المرآة فبكيتِ، وكم مرة سمعت لمزًا وغمزًا فانكسرت..

سارة ترى الفتيات من حولها فرحات، فهذه مخطوبة، وهذه تستعد لحفل زفافها، وتلك أم لطفلين.. أما هي، فحبيسة غرفتها، وأسيرة أنّتها.. هي لا تتمنى الزواج..

ولا تتمنى العيش الرغيد الهني.. إنها تأمل بألا ينظر إليها الناس بشماتة أو بشفقة.. إنها ترجو بأن تحادث الناس بحرية وطلاقة.. ولكن أنى لها ذلك، وهذه البثور تعلو محياها..

وتمضي السنون والسنون، والمعاناة ألِفتْ سارة، وكذا ألفتها سارة؛ إذْ إن بينهما عِشرة أربعين سنة، أربعون سنة، والألم لم يفارق وجنتيها، فاتها قطار الزوجية، وركب الحياة الهنية، فيا رب، رحماك رحماك بها، رحماك بدمعاتها الحرى رحماك بأناتها وتنهداتها.

سارة.. انبثق في ظلام حياتها نور خافت؛ فقد أُخبرت أن داءها يمكن أن يُعالج..

هو مجرد خيط أمل رفيع، وذرة رجاء.. فأسألكم أن ترفعوا أكف الضراعة في ظلام الليل البهيم، وفي ثلث الليل الأخير، وفي وقت السحر، وتسألون الله بأن يرأف بحالها.

❁ ❁ ❁

قصة فتاة جامعية (عصرية)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. . وبعد:

كان حلمًا أن تطأ قدماي أعتاب الجامعة. . كنت أتمنى تلك اللحظة التي أصبح فيها فتاة جامعية. . لأتمتع بهذا القدر الكبير من الاحترام الذي تحظى به فتاة الجامعة. .

كان تديني ناقصًا وتهاوني بالصلاة وغيرها من العبادات أمرًا عاديًا. . ومع ذلك فقد كنت راضية عن هذا القدر الضئيل من التدين. .

كنت أنظر إلى المتدينين نظرة دونية، وأراهم أناسًا رجعيين ومتأخرين؛ ولذلك فإنهم يقفون موقف الرفض لكل ما هو جديد عصري، كنت أتشبث بالآراء المتساهلة التي أسمعها عرضًا من شيوخ الفضائيات، وأجعلها حجة لي فيما أنا عليه من خطأ أو منكر.

لقد سئمت منظومة الأوامر والنواهي التي كانت تقيدنا في المدرسة، كنت أطمع في المزيد من الحرية والانطلاق.

في الجامعة سوف ألبس ما أشاء، وأفعل ما أشاء، لقد ضقت ذرعًا بنصائح المدرسات وتحكماتهن. . لا تضعي العباءة على كتفيك، لا تلبسي هذا النوع من العباءات. . إياك ولبس القصير. . أزيلي هذا الماكياج من وجهك، على الإنسان أن يصبر حتى يصل إلى أهدافه. . نعم سأصبر. كنت أذاكر كثيرًا وأنتظر اليوم الذي أتخلص فيه من هذه القيود. . أريد أن أصبح فتاة لها رأيها الخاص وتفكيرها الشخصي وإرادتها المستقلة. .

نجحت في الثانوية. . وكانت درجاتي تؤهلني لدخول الجامعة. . أخيرًا تحقق الحلم الذي تمنيته مرارًا. . أخيرًا سيكون لي رأي ولن أعبأ بآراء الآخرين. .

بدأ العام الدراسي فبدأت أبحث عن صديقات يبادلنني نفس الشعور، ويعشن نفس الهموم التي أعيشها، صديقات يتسمن بالتفتح والعصرية.. ويتطلعن إلى الحرية التي أتطلع إليها.

تعرفت على بعض الصديقات وأقمت معهن علاقة وطيدة، كانت أحاديثنا تدور حول أمور تافهة تشير إلى تفاهتنا وسطحيتنا، الموضة والأزياء، أدوات التجميل، القنوات الفضائية، الأفلام المسلسلات، آخر أغنيات الفيديو كليب، الإشاعات، الغيبة والنميمة، السخرية والاستهزاء، وأمور أخرى كثيرة من هذا النوع.

في البيت كان والدي مشغولًا بتجارته.. وإخواني كل في طريقه، لم أسمع منهم أبدًا كلمة نصح أو همسة عتاب، كنت أعيش في عالم آخر اصطنعته لنفسي، ولا أريد الفكاك منه.. فأنا لا أفعل شيئًا خطأ طالما أنه في محيط الصديقات أو الزميلات.

في ذات يوم بينما كنت أنتظر السائق عند بوابة الجامعة أقبلت نحوي فتاة يبدو من شكلها أنها تنتمي إلى نفس الطراز الذي تنتمي إليه أمي وجدتي.. فلباسها ساتر جدًا، ولا يظهر منها شيء.. سلمت علي ومدت إليَّ يدها المغطاة بالقفاز.. فمددت لها يدي ثم سحبتها بسرعة.. قلت لها: كأنك تريدين شيئًا؟ قالت: في الحقيقة يا أختاه إن عباءتك لفتت نظري.. فأحببت أن أسألك عن موديلها.. فانتفشت وقلت لها بثقة: فرنسي.. إنها أحدث شيء نزل في الأسواق حتى الآن.. قالت: وهل تظنين أن مصممي هذه العباءة من الفرنسيين المسلمين؟

قلت لها: أية ضوابط تقصدين؟

قالت: ألا تعلمين أن للحجاب الشرعي شروطًا منها: استيعاب جميع البدن.. وألا يكون زينة في نفسه.. وأن يكون صفيقًا لا يشف.. وأن يكون فضفاضًا غير ضيق.. وألا يشبه ملابس الرجال.. ولا يشبه ملابس الكافرات.. ولا يكون لباس شهرة.. وعباءتك كما ترين تخالف معظم هذه الشروط الشرعية.. فهي مليئة بالزركشة والزينة.. وهي ضيقة.. وشفافة كذلك..

وهي تشبه ملابس الكافرات؛ لأنها تظهر يديك وساعديك..

قلت: كفى كَفى.. يكفي هذا.. أنتم دائمًا تأخذون الآراء المتشددة.. وهناك من العلماء من رخص في لبس مثل هذه العباءة..

قالت: القضية يا أختاه ليست في قول فلان أو فلان فالحق لا يعرف بالرجال.. وكل يؤخذ منه ويترك إلا رسول الله ﷺ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[رواه مسلم].

وقد قال العلماء: إن التي تلبس مثل هذه العباءة التي تلبسينها تعتبر من الصنف الثاني الذي ذكر في هذا الحديث.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل»**[رواه ابن ماجه]. وهذا عطرك الجميل قد جذبني نحوك فكيف بالشباب والرجال؟ إن الحجاب يا أختاه عفة وطهارة وصيانة للمرأة من أعين لصوص الأعراض الطامعين فيما لا يحل لهم.

الحجاب يا أختاه... عند ذلك قاطعتها بشدة قائلة: خلاص خَلاص.. انتهينا.. سأبحث هذه المسألة فيما بعد.. ثم ابتعدت عنها قليلًا..

لم أتأثر كثيرًا بهذا الموقف.. فقد عددته من جملة المواقف التي كنت ألاقيها في مدرستي من المدرسات وبعض الطالبات أمثال تلك الفتاة..

في إحدى جلساتي مع زميلاتي بجوار الكافيتريا.. كنا نتجاذب أحاديثنا المعتادة.. وقد توالت ضحكاتنا عالية.. ومن بالغ جرأتنا أننا وضعنا بجوارنا جهازًا صغيرًا للتسجيل.. وأدرناه على أغنية صاخبة من أحب الأغنيات إلينا.. ويبدو في هذه المرة أن صوت المسجل كان عاليًا..

جاءت إلينا فتاة.. فألقت علينا السلام.. وطلبت منا تقصير صوت

المسجل حتى تستطيع الحديث معنا.. فقمنا بتقصير الصوت..

كانت فتاة جميلة جدًا.. ولباسها يشير إلى ذوق رفيع.. ومع ذلك فليس فيه بهرجة أو تبرج.. ولكنه يمتاز بالدقة والجودة والتناسق بين الألوان.. كنت أنتظر حديث تلك الفتاة التي أعجبت بجمالها وملابسها جدًا.. فبدأت- هي الأخرى تلومنا على سماع الأغاني.. وتنصحنا بسماع القرآن والأشرطة المفيدة.

تعجبت أن تحدثنا هذه الفتاة الجميلة العصرية عن هذه الأمور.. ولكنني آثرت هذه المرة أن أحتفظ بهدوئي وأبحث في معلوماتي الدينية القديمة.. فقلت لها: إننا نستمع إلى القرآن أحيانًا.. ولكن هذا لا يمنع أن نرفه عن أنفسنا بسماع شيء من الموسيقى والغناء..

قالت: هناك موانع كثيرة.. فالقرآن والغناء لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد.. بل إذا تمكن أحدهما من القلب طرد الآخر على الفور..

قلت: هذا رأيك أنت، ولا ينبغي أن تفرضي رأيك على الآخرين.. فنحن نحب القرآن ونحب الغناء أيضًا..

قالت: لكي أثبت لكن صحة كلامي أريد أن تخبرني أي واحدة منكن: متى آخر مرة بحثت عن إذاعة القرآن الكريم لتستمع إلى القرآن؟

فسقط في أيدينا.. ولم تنطق إحدانا ببنت شفة.. ومع ذلك فقد كان صوت الكبر والغرور يتعالى داخلنا.. فقالت لها إحدانا: ليس لك أن تحاسبينا على ما نفعل.. ونحن لسنا في كلية شرعية حتى تأتينا بهذه النصائح..

قالت: وهل تعاليم الإسلام خاصة بمنسوبي الكليات الشرعية فقط.. والآخرون يفعلون ما يشاءون؟

قلت: لا لا.. هي لم تقصد ذلك.. وإنما تقصد أن الغناء ليس محرمًا.. وليس هناك دليل على تحريمه..

قالت: بل هناك أدلة كثيرة.. منها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان: ٦].. قال ابن

مسعود رضي الله عنه: لهو الحديث هو الغناء.. وقال النبي ﷺ: **«سيأتي زمان على أمتي يستحلون فيه الحِرَ والحرير والخمر والمعازف»** [رواه البخاري] والمعازف هي الموسيقى والغناء..

ولما رأت زميلاتي أننا لن نستطيع مجاراتها.. قالت إحداهن: اتركن الحديث مع هؤلاء المتزمتات. ثم توجهت إليها قائلة: لقد قطعت علينا حديثنا.. وأرى أن نصيحتك قد انتهت.. فدعينا الآن وانصرفي لشأنك..

فقالت: آسفة لقطع حديثكن.. ولكن لا تنسين كذلك أن هذا العمل مخالف لأنظمة الجامعة.. ثم استأذنت وانصرفت..

لم أكن أحب أن تواجه هذه الفتاة الجميلة المنظمة بمثل هذا الأسلوب الجاف الذي دل على ضعفنا أمام حججها القوية.. كنت أحب أن أظهر عليها في المناقشة.. وأثبت لها رأيي في عدم حرمة الغناء.. ولكن كيف ذلك وهي تستدل بآيات وأحاديث في تحريم الغناء؟! انصرفت الفتاة.. فانطلقت يد إحدى صاحباتي لترفع صوت الأغنية كما كان.. وتوالت الضحكات مرة أخرى..

وفي أحد الأيام قابلتني هذه الفتاة في الكلية.. فجاءت وسلمت علي.. وأرادت أن تعتذر.. فبادرتها أنا بالاعتذار عما حدث من زميلتي.. واتضح من خلال الحوار أنها تدرس في القسم الذي أدرس فيه.. فتعجبت من ذلك وقلت لها: لقد حسبتك تدرسين في إحدى الكليات الشرعية. قالت: ولماذا؟

قلت: لأن ثقافتك الشرعية يبدو أنها عالية.. أفلا يؤثر ذلك على مستواك الدراسي؟!

قالت: أبدًا فأنا أنظم وقتي.. وقد زادني التزامي تنظيمًا ومعرفة لقيمة الوقت وأهميته.. وبالمناسبة فأنا أجيد الإنجليزية وعلوم الحاسب الآلي، وهما من أهم الأمور في تخصصنا.. وأقوم بشرح بعض الدروس للطالبات فإذا احتجت شيئًا في ذلك فأنا على أتم الاستعداد.

عند ذلك نظرت إليها بإعجاب وإكبار.. واستصغرت نفسي.. إنها

تعطي دروسًا في الإنجليزية والحاسب الآلي.. ونحن نجلس للضحك وسماع الغناء.. أهذه هي العصرية التي كنت أحلم بها؟!

أحسست أن هذه الفتاة تهتم بي بشكل خاص.. وتريد إقامة علاقة صداقة معي.. ولكن كيف أقيم معها علاقة وهي تتكلم دائمًا عن الحلال والحرام، وهذا يشعرني بأنني ما زلت طالبة المتوسط أو الثانوي.. دعك منها فإن هؤلاء متشددون ولا يعرفون أن الزمن قد تغير وأن الإنسان لا بد من أن يواكب عصره الذي يعيش فيه.. كفي عن ترديد هذه الاسطوانة المشروخة.. عصرية.. مدنية.. تقدم.. ورقي.. ما هي مظاهر العصرية التي نعيش فيها سوى بنطال لاصق.. وتنورة مفتوحة.. وحذاء رجالي.. ووجه يشبه وجوه البهلوانات.. أما هي فتدرس الإنجليزية وعلوم الحاسب الآلي.. إنها أكثر مني مدنية.. وكذلك فهي ملتزمة بتعاليم دينها.. فقد جمعت بين الحسنيين.

ما هذا الذي أقول؟! هل تأثرت بهذه الفتاة إلى هذه الدرجة؟ أين رأيي المستقل؟ وتفكيري الخاص.. وحريتي التي كنت أبحث عنها دائمًا؟. لا لا.. لا بد أن أتخلص من هذه الفتاة حتى لا تعكر علي حياتي..

كنت أتعمد بعد ذلك ألا أراها ولا تراني.. وإذا رأيتها من بعيد.. سلكت طريقًا آخر حتى لا تراني.. وظلت علاقتي كما هي بزميلاتي الأخريات.. غير أن صورة هذه الفتاة.. وثقتها بنفسها.. وثقافتها العالية والمتنوعة وعصريتها الواضحة.. كانت لا تزال ترد على خاطري بين فترة وأخرى..

وحانت ساعة الحقيقة.. فقد مرضت مرضًا شديدًا.. أدخلت على إثره المستشفى وبقيت بها فترة طويلة..

كنت قد اشتقت إلى رؤية زميلاتي.. لمعرفة آخر أخبار الكلية.. والدروس التي فاتتني..

وبعد أسبوع جاءتني إحداهن.. وأخبرتني باعتذار الأخريات لعدم تمكنهن من الزيارة.. فطلبت منها تصوير المحاضرات التي فاتتني.. فوعدتني بذلك..

كنت أنتظر تلك المحاضرات بفارغ الصبر.. ولكن أحدًا من زميلاتي لم يأت لزيارتي بعد هذا الطلب!!

ما فائدة الصداقة إذا لم تكن لها ثمار وقت الأزمات والشدة؟ أليس الصديق عند الضيق؟!.. و ظللت أنتظر أسبوعًا آخر ولكن دون جدوى.. وبعد يومين.. أخبرت أن هناك فتاة تريد زيارتي.. فحسبت أنها إحدى زميلاتي أتت بالمحاضرات كما طلبت.. فطلبت من الممرضات إدخالها.. فدخلت تلك الفتاة التي ناقشتني في مسألة الحجاب عند باب الجامعة.. فتعجبت من زيارتها.. وكيف عرفت أنني مريضة في المستشفى.. فلما خلعت نقابها وجلست بجواري. عرفت أنها هي نفس الفتاة التي قدمت لنا النصيحة عند الكافيتريا.. وهي نفس الفتاة التي تدرس معي بنفس القسم.. وهي التي أعجبت بها إعجابًا شديدًا لجمالها وثقافتها ودقتها في اختيار ملابسها.. وشخصيتها القوية.. كدت لا أصدق أن هذه الفتاة العصرية تجلس أمامي وتلبس هذه العباءة الساترة.. فقلت لها: أنت أنت؟ قالت: نعم.. لقد سألت زميلاتك عنك فأخبرنني عن مرضك.. فطلبت منهن اسم المستشفى ورقم الغرفة.. لأقوم بزيارتك.. فإن في زيارة المريض أجرًا كبيرًا..

قلت لها: في الحقيقة أنا لا أعرف كيف أشكرك على هذا الشعور النبيل.. وأريد أن أعتذر لك عن كل ما حصل مني.. قالت: لا عليك.. المهم أن تخرجي بالسلامة.. لأن الاختبارات على الأبواب.. ثم أخرجت من حقيبتها مجموعة من الأوراق وقالت لي.. هذه مجموعة المحاضرات التي فاتتك.. وسوف تجدين في نهاية كل محاضرة ملخصًا لها.. كما أنني سوف أقوم بزيارتك- إن شاء الله- بعد أسبوع لموافاتك بالمحاضرات الجديدة.

عند ذلك لم أتمالك نفسي من البكاء.. وتذكرت شدتي معها وصدي لها عند البوابة وعند الكافيتريا.. ومع ذلك فهي تعاملني بكل هذا الود والمحبة والشفقة..

وتذكرت كذلك زميلاتي اللاتي بخلن علي بزيارة أو حتى بسؤال عبر الهاتف.. عند ذلك تهاوت كل أفكاري وتصوراتي عن الحرية والتقدم والعصرية.

لقد فهمت الآن أن الحرية ليست في التخلي عن القيم والتنصل للعادات والمبادئ الحميدة..

لقد فهمت الآن أن العصرية ليست في التنكر للدين والأخلاق والتشبث بأفكار وثقافات بعيدة كل البعد عن هويتنا وقيمنا.

لقد فهمت الآن أن الحرية في كبح جماح النفس وعدم الخضوع لرغباتها والاستسلام لنزغاتها.

لقد فهمت الآن أن الحرية في الإحساس بالآخرين ومساعدتهم والتخفيف من معاناتهم وآلامهم..

لقد فهمت الآن أن الإسلام قد كفل للمرأة حريتها وأعطاها من الحقوق ما يكفل لها حياة كريمة في ظل تعاليمه الرشيدة.. قلت لها: أعترف الآن بالهزيمة.. وقد نويت من هذه اللحظة أن أغير حياتي وفق ما شرعه الله تعالى.. لأكون فتاة طيبة مثلك..

قالت وقد تهلل وجهها بابتسامة مشرقة: يا أختاه! ليس في علاقتنا غالب ومغلوب.. المهم أن نصل جميعًا إلى بر الأمان.. والفوز الحقيقي.. والسعادة الدائمة..

قلت: نعم.. هذا هو المهم..

كما تدين تدان

لطالما كانت ليالي الزفاف حلم الفتيات المراهقات، ولطالما كان الزواج الغاية التي يسعى إلى تحقيقها الشباب، بل بعض الشباب والمراهقات يسعى إليه بكل السبل، جريًا على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة،

حتى ولو كانت هذه الوسيلة منافية لقواعد الدين الإسلامي، فإما أن ينشد المتعة المحرمة بالمكالمات الهاتفية واللقاءات العاطفية، أو عبر الإنترنت.

وقد تعتقد الفتاة العفيفة التي لا ترى الرجال طوال حياتها إلا محارمها، هي فتاة لا يمكن أن تتزوج في هذا العصر مع أن تأخر سن الزواج قد يكون نعمة فربما يرزقها الله برجل صالح تسعد معه طوال حياتها.

إلا أن بطلة هذه القصة فتاة مسلمة عفت واحتشمت، فغطت وجهها والتزمت بدينها وارتقت بأخلاقها، فرزقها الله برجل مسلم بتدبيره وقدرته دون أن تضطر إلى كشف وجهها ويديها وأجزاء من بدنها كما تفعل بعض الفتيات اليوم اللواتي يدعين التطور ويتحدثن بصوت مرتفع، ويبتسمن أو يضحكن أمام الرجال دون اكتراث.

وحانت ساعة الزفاف على الطريقة الإسلامية البسيطة ودخل العروسان إلى منزلهما، وقدمت الزوجة العشاء لزوجها واجتمعا على المائدة.

وفجأة سمع الاثنان صوت دق الباب، فانزعج الزوج وقال غاضبًا: من ذا الذي يأتي في هذه الساعة؟

فقامت الزوجة لتفتح الباب، وقفت خلف الباب وسألت: من بالباب؟

فأجابها الصوت من خلف الباب: سائل يريد بعض الطعام.

فعادت إلى زوجها، فبادر يسألها: من بالباب؟

فقالت له: سائل يريد بعض الطعام.

فغضب الزوج وقال: أهذا الذي يزعج راحتنا ونحن في ليلة زفافنا الأولى؟!

فخرج إلى الرجل فضربه ضربًا مبرحًا، ثم طرده شرَّ طردة.

فخرج الرجل وهو ما يزال على جوعه والجروح تملأ روحه وجسده وكرامته.

ثم عاد الزوج إلى عروسه وهو متضايق من ذاك الذي قطع عليه متعة الجلوس مع زوجته.

وفجأة أصابه شيء يشبه المس وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فخرج

من منزله وهو يصرخ، وترك زوجته التي أصابها الرعب من منظر زوجها الذي فارقها في ليلة زفافها ولكنها مشيئة الله.

صبرت الزوجة واحتسبت الأجر عند الله تعالى، وبقيت على حالها لمدة خمسة عشر سنة.

وبعد خمس عشرة سنة من تلك الحادثة تقدم شخص مسلم لخطبة تلك المرأة، فوافقت عليه وتم الزواج.

وفي ليلة الزفاف الأولى اجتمع الزوجان على مائدة العشاء.

وفجأة سمع الاثنان صوت الباب يقرع، فقال الزوج لزوجته: اذهبي فافتحي الباب.

فقامت الزوجة ووقفت خلف الباب، ثم سألت: من بالباب ؟

فجاءها الصوت من خلف الباب: سائل يريد بعض الطعام.

فرجعت إلى زوجها فسألها من بالباب؟ فقالت له: سائل يريد بعض الطعام.

فرفع الزوج المائدة بيديه وقال لزوجته: خذي له كل الطعام ودعيه يأكل إلى أن يشبع وما بقي من طعام فسنأكله نحن.

فذهبت الزوجة وقدمت الطعام للرجل، ثم عادت إلى زوجها وهي تبكي فسألها: ماذا بك؟ لم تبكين؟ ماذا حصل؟ هل شتمك؟

فأجابته والدموع تفيض من عينيها: لا.

فقال لها: فهل عابك ؟

فقالت: لا.

فقال: فهل آذاك ؟

قالت: لا.

إذن ففيم بكاؤك ؟

قالت: هذا الرجل الذي يجلس على بابك ويأكل من طعامك، كان زوجًا لي من قبل خمس عشرة عامًا، وفي ليلة زفافي منه، طرق سائل بابنا فخرج زوجي وضرب الرجل ضربًا موجعًا ثم طرده ثم عاد إليّ متجهمًا

ضائق الصدر، ثم أظنه جن أو أصابه مس من الجن والشياطين، فخرج هائمًا لا يدري أين يذهب، ولم أره بعدها إلا اليوم، وهو يسأل الناس.

فانفجر زوجها باكيًا..

فقالت له: ما يبكيك؟

فقال لها: أتعرفين من هو ذاك الرجل الذي ضربه زوجك؟

فقالت: من؟!

فقال لها: إنه أنا.

فسبحان الله العزيز المنتقم، الذي انتقم لعبده الفقير المسكين الذي جاء مطأطأ الرأس يسأل الناس والألم يعصره من شدة الجوع، فزاد عليه ذلك الزوج ألمه، وجعله يخرج وقلبه يعتصر لما أصابه من إهانة جرحت كرامته وبدنه.

إلا أن الله لا يرضى بالظلم، فأنزل عقابه على من احتقر إنسانًا وظلمه، وكافأ عبدًا صابرًا على صبره، فدارت بهما الدنيا ورزق الله عبده المسكين فأغناه عن الناس. وأرسل بلاءه على الرجل الظالم ففقد عقله وفقد ماله، ثم صار يسأل الناس.

وسبحان الله الكريم الذي رزق أمة مؤمنة صبرت على ابتلاء الله خمس عشرة سنة، فعوضها الله بخير من زوجها السابق.



إسلام فتاة نصرانية لما رأت من حسن أخلاق المسلمات

تقول: نشأت كأي فتاة نصرانية مصرية على التعصب للدين النصراني، وحرص والديَّ على اصطحابي معهما إلى الكنيسة صباح كل يوم أحد لأقبّل يد القس، وأتلو خلفه التراتيل الكنسية، وأستمع إليه وهو يخاطب الجمع ملقنًا إياهم عقيدة التثليث، ومؤكدًا عليهم بأغلظ الأيمان أن غير المسيحيين مهما فعلوا من خير فهم مغضوب عليهم من الرب، لأنهم - حسب زعمه- كفرة ملاحدة.

كنت أستمع إلى أقوال القس دون أن أستوعبها، شأني شأن غيري من الأطفال، وحينما أخرج من الكنيسة أهرع إلى صديقتي المسلمة لألعب معها، فالطفولة لا تعرف الحقد الذي يزرعه القسيس في قلوب الناس.

كبرت قليلًا، ودخلت المدرسة، وبدأت بتكوين صداقات مع زميلاتي في مدرستي الكائنة بمحافظة السويس. وفي المدرسة بدأت عيناي تتفتحان على الخصال الطيبة التي تتحلى بها زميلاتي المسلمات، فهن يعاملنني معاملة الأخت، ولا ينظرن إلى اختلاف ديني عن دينهن، وقد فهمت فيما بعد أن القرآن الكريم حث على معاملة الكفار (غير المحاربين) معاملة طيبة طمعًا في إسلامهم وإنقاذهم من الكفر، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨].

إحدى زميلاتي المسلمات ربطتني بها على وجه الخصوص صداقة متينة، فكنت لا أفارقها إلا في حصص التربية الدينية، إذ كنت (كما جرى النظام) أدرس مع طالبات المدرسة النصرانيات مبادئ الدين النصراني على يد معلمة نصرانية.

كنت أريد أن أسأل معلمتي كيف يمكن أن يكون المسلمون (حسب افتراضات المسيحيين) غير مؤمنين وهم على مثل هذا الخلق الكريم وطيب المعشر؟ لكني لم أجرؤ على السؤال خشية إغضاب المعلمة حتى تجرأت يومًا وسألت، فجاء سؤالي مفاجأة للمعلمة التي حاولت كظم غيظها، وافتعلت ابتسامة صفراء رسمتها على شفتيها وخاطبتني قائلة: (إنك ما زلت صغيرة ولم تفهمي الدنيا بعد، فلا تجعلي هذه المظاهر البسيطة تخدعك عن حقيقة المسلمين كما نعرفها نحن الكبار).

صمت على مضض على الرغم من رفضي لإجابتها غير الموضوعية وغير المنطقية. وتنتقل أسرة أعز صديقاتي إلى القاهرة، ويومها بكينا لألم الفراق، وتبادلنا الهدايا والتذكارات، ولم تجد صديقتي المسلمة هدية تعبر بها عن عمق وقوة صداقتها لي سوى مصحف شريف في علبة قطيفة أنيقة صغيرة، قدمتها لي قائلة: (لقد فكرت في هدية غالية لأعطيك إياها ذكرى صداقة وعمر عشناه سويًا فلم أجد إلا هذا المصحف الشريف الذي يحتوي على كلام الله).

تقبلت هدية صديقتي المسلمة، كنت كلما تناهى إلي صوت المؤذن مناديًا للصلاة وداعيًا المسلمين إلى المساجد أعمد إلى إخراج هدية صديقتي وأقبلها وأنا أنظر حولي متوجسة أن يفاجأني أحد أفراد الأسرة فيحدث لي ما لا تحمد عقباه، ومرت الأيام وتزوجت من (شمّاس) كنيسة العذراء مريم، ومع متعلقاتي الشخصية حملت هدية صديقتي المسلمة (المصحف الشريف) وأخفيته بعيدًا عن عيني زوجي الذي عشت معه كأي امرأة شرقية وفية ومخلصة وأنجبت منه ثلاثة أطفال.

وتوظفت في ديوان عام المحافظة، وهناك التقيت بزميلات مسلمات متحجبات ذكرنني بصديقتي الأثيرة، وكنت كلما علا صوت الأذان من المسجد المجاور يتملكني إحساس خفي يخفق له قلبي دون أن أدري لذلك سببًا محددًا، إذ كنت لا أزال غير مسلمة، ومتزوجة من شخص ينتمي إلى الكنيسة بوظيفة يقتات منها، ومن مالها يطعم أسرته.

وبمرور الوقت وبمحاورة زميلات وجارات مسلمات على دين وخلق بدأت أفكر في حقيقة الإسلام والمسيحية، وأوازن بين ما أسمعه في الكنيسة عن الإسلام والمسلمين وبين ما أراه وألمسه بنفسي، وهو ما يتناقض مع أقوال القسس والمتعصبين النصارى.

بدأت أحاول التعرف على حقيقة الإسلام وأنتهز فرصة غياب زوجي لأستمع إلى أحاديث المشايخ عبر الإذاعة والتلفاز علّي أجد الجواب الشافي لما يعتمل في صدري من تساؤلات حيرى، وجذبتني تلاوة الشيخ محمد رفعت، وتلاوة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد للقرآن الكريم، وأحسست وأنا أستمع إلى تسجيلاتهم عبر المذياع أن ما يرتلانه لا يمكن أن يكون كلام بشر، بل هو وحي إلهي.

وعمدت يومًا أثناء وجود زوجي في الكنيسة إلى دولابي وبيد مرتعشة أخرجت كنزي الغالي (المصحف الشريف) فتحته وأنا مرتبكة فوقعت عيناي على قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ارتعشت يدي أكثر وتصبب وجهي عرقًا، وسرت في جسمي قشعريرة، وتعجبت لأني سبق أن استمعت إلى القرآن كثيرًا في الشارع والتلفاز والإذاعة وعند صديقاتي المسلمات، لكني لم أشعر بمثل هذه القشعريرة التي شعرت بها وأنا أقرأ من المصحف الشريف مباشرة بنفسي.

هممت أن أواصل القراءة إلا أن صوت أزيز مفاتيح زوجي وهو يفتح باب الشقة حال دون ذلك فأسرعت وأخفيت المصحف الشريف في مكانه الأمين وهرعت لأستقبل زوجي.

وفي اليوم التالي لهذه الحادثة ذهبت إلى عملي، وفي رأسي ألف سؤال حائر، إذ كانت الآية الكريمة التي قرأتها قد وضعت الحد الفاصل لما كان يؤرقني حول طبيعة عيسى -عليه السلام- أهو ابن الله كما يزعم القسيس (تعالى الله عما يقولون) أم أنه نبي كريم كما يقول القرآن؟ فجاءت الآية لتقطع الشك باليقين معلنة أن عيسى -عليه السلام- من

صلب آدم فهو إذن ليس ابن الله، فالله سبحانه وتعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] .

تساءلت في نفسي عن الحل وقد عرفت الحقيقة الخالدة، حقيقة أن (لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، أيمكن أن أشهر إسلامي؟ وما موقف أهلي مني؟ بل ما موقف زوجي ومصير أبنائي ؟!

طافت بي كل هذه التساؤلات وغيرها وأنا جالسة على مكتبي أحاول أن أؤدي عملي لكني لم أستطع فالتفكير كاد يقتلني، واتخاذ الخطوة الأولى أرى أنها ستعرضني لأخطار جمة أقلها قتلي بواسطة الأهل أو الزوج والكنيسة.

ولأسابيع ظللت مع نفسي بين دهشة زميلاتي اللاتي لم يصارحنني بشيء، إذ تعودنني عاملة نشيطة لكني من ذلك اليوم لم أعد أستطيع أن أنجز عملًا إلا بشق الأنفس.

وجاء اليوم الموعود اليوم الذي تخلصت فيه من كل شك وخوف وانتقلت فيه من ظلام الكفر إلى نور الإيمان، فبينما كنت جالسة ساهمة الفكر شاردة الذهن، أفكر فيما عقدت العزم عليه تناهى إلى سمعي صوت الأذان من المسجد القريب داعيًا المسلمين إلى لقاء ربهم وأداء صلاة الظهر، تغلغل صوت الأذان داخل نفسي فشعرت بالراحة النفسية التي أبحث عنها، وأحسست بضخامة ذنبي لبقائي على الكفر على الرغم من عظمة نداء الإيمان الذي كان يسري في كل جوانحي، فوقفت بلا مقدمات لأهتف بصوت عال بين ذهول زميلاتي: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله)، فأقبل علي زميلاتي وقد تحيرن من ذهولهن، مهنئات باكيات بكاء الفرح، وانخرطت أنا أيضًا معهن في البكاء، سائلة الله أن يغفر لي ما مضى من حياتي وأن يرضى عليّ في حياتي الجديدة.

كان طبيعيًا أن ينتشر خبر إسلامي في ديوان المحافظة، وأن يصل إلى أسماع زملائي وزميلاتي النصارى اللواتي تكفلن (بين مشاعر سخطهن) بسرعة إيصاله إلى أسرتي وزوجي، وبدأن يرددن عني مدعين أن وراء القرار أسباب لا تخفى.

لم آبه لأقوالهن الحاقدة، فالأمر الأكثر أهمية عندي من تلك التخرصات: أن أشهر إسلامي علنًا، وبالفعل توجهت إلى مديرية الأمن حيث أنهيت الإجراءات اللازمة لإشهار إسلامي.

وعدت إلى بيتي لأكتشف أن زوجي ما إن علم بالخبر حتى جاء بأقاربه وأحرق جميع ملابسي، واستولى على ما كان لدي من مجوهرات ومال وأثاث، فلم يؤلمني ذلك، وإنما تألمت لخطف أطفالي من قبل زوجي ليتخذ منهم وسيلة للضغط عليّ للعودة إلى ظلام الكفر، آلمني مصير أولادي، وخفت عليهم أن يتربوا بين جدران الكنائس على عقيدة التثليث، ويكون مصيرهم كأبيهم في سقر.

رفعت ما اعتمل في نفسي بالدعاء إلى الله أن يعيد إلي أبنائي لتربيتهم تربية إسلامية، فاستجاب الله دعائي إذ تطوع عدد من المسلمين بإرشادي للحصول على حكم قضائي بحضانة الأطفال باعتبارهم مسلمين، فذهبت إلى المحكمة ومعي شهادة إشهار إسلامي فوقفت المحكمة مع الحق، فخيرت زوجي بين الدخول في الإسلام أو التفريق بينه وبيني فقد أصبحت بدخولي في الإسلام لا أحل لغير مسلم، فأبى واستكبر أن يدخل في دين الحق فحكمت المحكمة بالتفريق بيني وبينه، وقضت بحقي في حضانة أطفالي باعتبارهم مسلمين لكونهم لم يبلغوا الحلم، ومن ثم يلتحقون بالمسلم من الوالدين.

ظننت أن مشكلاتي قد انتهت عند هذا الحد، لكني فوجئت بمطاردة زوجي وأهلي أيضًا، بالإشاعات والأقاويل بهدف تحطيم معنوياتي ونفسيتي، وقاطعتني الأسر النصرانية التي كنت أعرفها وزادت على ذلك بأن سعت هذه الأسر إلى بث الإشاعات حولي بهدف تلويث سمعتي، وتخويف الأسر المسلمة من مساعدتي لقطع صلتهن بي.

وبالرغم من كل المضايقات ظللت قوية متماسكة، مستمسكة بإيماني رافضة كل المحاولات الرامية إلى ردتي عن دين الحق، ورفعت يدي بالدعاء إلى مالك الأرض والسماء أن يمنحني القوة لأصمد في وجه كل

ما يشاع حولي وأن يفرج كربي.

فاستجاب الله دعائي وهو القريب المجيب وجاءني الفرج من خلال أرملة مسلمة، فقيرة المال، غنية النفس لها أربع بنات يتامى وابن وحيد بعد وفاة زوجها، تأثرت هذه الأرملة المسلمة للظروف النفسية التي أحياها، وتملكها الإعجاب والإكبار لصمودي، فعرضت علي أن تزوجني بابنها الوحيد (محمد) لأعيش وأطفالي معها ومع بناتها الأربع، وبعد تفكير لم يدم طويلًا وافقت، وتزوجت محمدًا ابن الأرملة المسلمة الطيبة.

وأنا الآن أعيش مع زوجي المسلم (محمد) وأولادي وأهل الزوج في سعادة ورضا وراحة بال على الرغم مما نعانيه من شظف العيش وما نلاقيه من حقد زوجي السابق، ومعاملة أسرتي المسيحية.

ولا أزال بالرغم مما فعلته عائلتي معي أدعو الله أن يهديهم إلى دين الحق ويشملهم برحمته مثلما هداني وشملني برحمته، وما ذلك عليه (سبحانه وتعالى) بعزيز.



ما أجمله من رحيل ؟!

بدت أختي شاحبه الوجه نحيلة الجسم. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم. تبحث عنها فتجدها في مصلاها. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء.

هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل. كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي. أشاهد الدش بكثرة لدرجة أنني عُرفت به. ومَنْ أكثرَ مِنْ شيءٍ عُرفَ به. لا أؤدي واجباتي كاملة ولست منضبطة في صلواتي.

بعد أن أغلقت الدش وقد شاهدت أفلامًا متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.

ها هو الأذان يرتفع من المسجد المجاور.

عدت إلى فراشي. تناديني من مصلاها. نعم ماذا تريدين يا نورا؟

قالت لي بنبرة حاده: لا تنامي قبل أن تصلي الفجر.

أوه. .بقي ساعة على صلاة الفجر وما سمعته كان الأذان الأول.

بنبرتها الحنونة. .هكذا هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش.

نادتني. .تعالي يا هناء بجانبي. لا أستطيع إطلاقًا رد طلبها. تشعر بصفائها وصدقها. لا شك طائعًا ستلبي.

ماذا تريدين؟ اجلسي. .

ها قد جلست ماذا لديك؟

بصوت عذب رخيم قالت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾. سكتت هنيهة.

ثم سألتني. .ألم تؤمني بالموت؟

بلى مؤمنة!

ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة ؟

بلى.. ولكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل.. يا أختي.

ألا تخافين من الموت وبغتته ؟ انظري هند أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة..

الموت لا يعرف العمر.. وليس مقياسًا له..

أجبتها بصوت الخائف حيث مصلاها ذو ضوء خافت : إنني أخاف من الظلام وزدت خوفي بذكر الموت. .كيف أنام الآن ؟

كنت أظن أنك وافقت على السفر معنا هذه الإجازة.

فجأة..

تحشرج صوتها واهتزّ قلبي..

لعلي هذه السنة أسافر سفرًا بعيدًا..

إلى مكان آخر..

ربما يا هناء..

الأعمار بيد الله.

وانفجرت بالبكاء..

تفكرت في مرضها الخبيث وأنّ الأطباء أخبروا أبي سرًا أنّ المرض ربما لن يمهلها طويلًا.

ولكن من أخبرها بذلك؟ أم أنها تتوقع هذا الشيء. ما لك تفكرين.

جاءني صوتها القوي هذه المرة :

هل تعتقدين أنني أقول هذا لأنني مريضه. كلا..

ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء.

وأنت إلى متى ستعيشين.

ربما عشرين سنة.

ربما أربعين.. ثم ماذا؟

لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة.

لا فرق بيننا كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا إما إلى جنة وإما إلى نار.

ألم تسمعي قول الله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

تصبحين على خير.

هرولت مسرعه وصوتها يطرق أذني.

هداك الله. لا تنسي الصلاة.

الثامنة صباحًا. أسمع طرقًا على الباب. هذا ليس موعد استيقاظي.

بكاء. .وأصوات. .يا إلهي ماذا جرى.

لقد تردت حالة نورة وذهب بها أبي إلى المستشفى.

إنا لله وإنا إليه راجعون. لا سفر هذه السنة.

مكتوب علي البقاء هذه السنة في بيتنا.

بعد انتظار طويل. عند الساعة الواحدة ظهرًا.

هاتفنا أبي من المستشفى: تستطيعون زيارتها الآن هيا بسرعه.

أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مطمئن وأن صوته متغير.

عباءتي في يدي. أين السائق.

ركبنا على عجل. . أين الطريق الذي كنت أذهب لأتمشى مع السائق فيه وكان يبدو قصيرًا.

ماله اليوم طويل. . وطويل جدًا. أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفت يمنة ويسرة. زحام أصبح قاتلًا ومملًا.

أمي بجواري تدعو لها. إنها بنت صالحة مطيعة. لم أرها تضيع وقتها أبدًا.

دلفنا من الباب الخارجي للمستشفى. هذا مريض يتأوه. وهذا مصاب بحادث سيارة. وثالث عيناه غائرتان.

لا تدري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة.

منظر عجيب لم أره من قبل. صعدنا درجات السلم بسرعة. إنها في غرفة العناية المركزة. وسآخذكم إليها.

ثم واصلت الممرضة: إنها بخير وطمأنت أمي إنها في تحسن بعد الغيبوبة التي حصلت لها.

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد. هذه غرفة العناية المركزة.

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة أرى عيني أختي نورة تنظر إليّ وأمي واقفه بجوارها.

بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها.

سمحوا لي بالدخول والسلام عليها على أن لا أتحدث معها كثيرًا.

دقيقتان كافية لك. كيف حالك يا نورة. لقد كنت بخير مساء البارحة. ماذا جرى لك؟!

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي: وأنا الآن ولله الحمد بخير.

الحمد لله لكن يدك باردة. كنت جالسة على حافة السرير ولامست يدي ساقها.

أبعدتها عني.

آسفه إذا ضايقتك. كلا ولكني تفكرت في قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ عليك يا هناء بالدعاء لي فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة.

سفري بعيد وزادي قليل .. سقطت دمعه من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.

لم أع أين أنا. استمرت عيناي في البكاء. أصبح أبي خائفًا علي أكثر من نورة.

لم يتعودوا مني هذا البكاء والانطواء في غرفتي. مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين. ساد صمت طويل في بيتنا. دخلت عليّ ابنة خالتي. ثم ابنة عمتي.

أحداث سريعة.. كثر القادمون.. اختلطت الأصوات.. شيء واحد عرفته..

(نورة ماتت) لم أعد أميز من جاء. ولا أعرف ماذا قالوا.

يالله. . أين أنا وماذا يجري؟ عجزت حتى عن البكاء.

فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداع الأخير.

وأني قبّلتها. لم أعد أتذكر إلا شيئًا واحدًا. حين نظرت إليها مسجاة على فراش الموت. تذكرت قولها: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ عرفت حقيقة أن ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ لم أعرف أنني عدت إلى مصلاها إلا تلك الليلة. .

وحينها تذكرت من قاسمتني رحم أمي فنحن توأمان. تذكرت من شاركتني همومي. تذكرت من نفَّست عني كربتي. من دعت لي بالهداية. من ذرفت دموعها ليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت، والحساب. الله المستعان.

هذه أول ليلة لها في قبرها. اللهم ارحمها ونوّر لها قبرها.

هذا هو مصحفها. وهذه سجادتها. . وهذا. . وهذا. .

بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي.

تذكرتها وبكيت، وبكيت على أيامي الضائعة. بكيت بكاءً متواصلًا.

ودعوت الله أن يرحمني ويتوب علي ويعفو عني.

دعوت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو.

فجأة سألت نفسي ماذا لو كنت أنا الميتة؟ ما مصيري؟

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي أصابني. بكيت بحرقة. . الله أكبر. . الله أكبر. . ها هو أذان الفجر قد ارتفع.

ولكن ما أعذبه هذه المرة، أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن.

لففت ردائي وقمت واقفه أصلي صلاة الفجر. صليت صلاة مودع.

كما صلتها أختي من قبل وكانت آخر صلاة لها.

(إذا أصبحت لا أنتظر المساء. وإذا أمسيت لا أنتظر الصباح).



امرأة صالحة تقية تحب الخير؟!

إنها امرأة صالحة تقيّة تحب الخير ولا تفتر عن ذكر الله، لا تسمح لكلمة نابية أن تخرج من فمها. إذا ذكرت النار خافت وفزعت ورفعت أكف الضراعة إلى الله طالبة الوقاية منها.

وإذا ذكرت الجنة شهقت رغبة فيها ومدّت يديها بالدعاء والابتهال إلى الله أن يجعلها من أهلها.

تحب الناس ويحبونها وتألفهم ويألفونها.

وفجأة تشعر بألم في الفخذ وتسارع إلى الدهون والكمادات ولكن الألم يزداد شدة.

وبعد رحلة في مستشفيات كثيرة ولدى عدد من الأطباء سافر بها زوجها إلى لندن، وهناك وفي مستشفى فخم وبعد تحليلات دقيقة يكتشف الأطباء أن هناك تعفنًا في الدم ويبحثون عن مصدره فإذا هو موضع الألم في الفخذ.

ويقرر الأطباء أن المرأة تعاني من سرطان في الفخذ هو مبعث الألم ومصدر العفن.

وينتهي تقريرهم إلى ضرورة الإسراع ببتر رجل المرأة من أعلى الفخذ حتى لا تتسع رقعة المرض.

وفي غرفة العمليات كانت المرأة ممددة مستسلمة لقضاء الله وقدره.

ولكن لسانها لم ينقطع عن ذكر الله، وصدق اللجوء والتضرع إليه.

ويحضر جمع من الأطباء فعملية البتر عملية كبيرة ويوضع الموس في المقص وتدنى المرأة ويحدد بدقة موضع البتر وبدقة متناهية ووسط وجل شديد ورهبة عميقة يوصل التيار الكهربائي وما يكاد المقص يتحرك حتى ينكسر الموس وسط دهشة الجميع.

وتعاد العملية بوضع موس جديد وتتكرر الصورة نفسها وينكسر الموس.

وما يكاد الموس ينكسر للمرة الثالثة لأول مرة في تاريخ عمليات البتر التي أجريت من خلاله حتى ارتسمت علامات حيرة شديدة على وجوه الأطباء الذين راحوا يتبادلون النظرات!

انعزل كبير الأطباء بهم جانبًا وبعد مشاورات سريعة قرر الأطباء إجراء جراحة للفخذ التي يزمعون بترها.

ويا لشدة الدهشة!!

ما كاد المشرط يصل إلى وسط أحشاء الفخذ حتى رأى الأطباء بأم أعينهم قطنًا متعفنًا بصورة كريهة.

وبعد عملية يسيرة نظف الأطباء المكان وعقموه.

صحت المرأة وقد زالت الآلام بشكل نهائي حتى لم يبق لها أثر.

نظرت المرأة فوجدت المرأة رجلها لم تمس بأذى.

ووجدت زوجها يحادث الأطباء الذين لم تغادر الدهشة وجوههم، فراحوا يسألون زوجها: هل حدث وأن أجرت المرأة عملية جراحية في فخذها ؟

لقد عرف الأطباء من المرأة وزوجها أن حادثًا مروريًا تعرضا له قبل فترة طويلة، كانت المرأة قد جرحت جرحًا بالغًا في ذلك الموضع وقال الأطباء بلسان واحد إنها العناية الإلهية.

وكم كانت فرحة المرأة وكابوس الخطر ينجلي وهي تستشعر أنها لن تمشي برجل واحدة كما كان يؤرقها.

فراحت تلهج بالحمد والثناء على الله الذي كانت تستشعر قربه منها ولطفه بها ورحمته لها.

إخوتي : هذه القصة نموذج من نماذج لا حصر لها من أولياء الله الذين التزموا أمره وآثروا رضاه على رضا غيره.

وملأت محبته قلوبهم فراحوا يلهجون بذكره لا يفترون عنه حتى أصبح

ذكر الله نشيد عذب لا تمل ألسنتهم من ترديده بل تجد فيه الحلاوة واللذة وهؤلاء يقبلون على أوامر الله بشوق ويمتثلون أحكامه بحب.

والله سبحانه وتعالى لا يتخلى عنهم بل يمدهم بقوته ويساعدهم ويمنعهم بعزته.

وبعد ذلك يمنحهم رضاه ويحلهم جنته.



«البصر» يعود لامرأة بجوار الكعبة المشرفة؟!

عاد البصر مرة أخرى لامرأة عمرها (سبعة وعشرون عامًا) بجوار الكعبة المشرّفة بعد أن فقدته لعدة أشهر إثر سقوطها في المنزل بعد إصابتها بدوار، وقد راجعت خلال تلك الأشهر التي فقدت فيها بصرها أكثر من مستشفى داخل المملكة إلا أن جميع الأطباء أكدوا بأن الأمر يحتاج إلى صبر وإرادة، كما أن العلاج قد يكون نفسيًا، وفيما كانت أسرتها تتابع الحالة هنا وهناك وتنتقل بين أكثر من مستشفى أشار عليهم بعض المقربين بأن يذهبو بها إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والدعاء إلى الله بأن يعيد إليها بصرها.

وفي أحد الأيام وحسب رواية شقيقها الذي كان سعيدًا جدًا وهو يتحدث قال: إن شقيقته عندما كانت تؤدي مناسك العمرة بصحبة أسرتها شعرت بدوار وهي حول الكعبة ومن ثم سقطت، وعندما أفاقت داخل الحرم المكي أبصرت أسرتها والحرم في وقت غمرت فيه السعادة الجميع الذين رفعو أيديهم إلى الله شاكرين بينما أصرت الفتاة على البقاء داخل الحرم عدة أيام للصلاة والدعاء وشكر الله.



امرأة في اللحظات الأخيرة !!

هذه قصة أشبه بالخيال منها بالحقيقة.. ولو حدثني بها أحد لأكثرت عليه وأكثرت الاستيثاق منه.

فقد كنت أجلس في مكتبي بعد أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة في إحدى الليالي الطويلة من شتاء (يوجين) الطويل في شمال غربي القارة الأمريكية بالولايات المتحدة في شهر شوال من عام ١٤١٩هـ.

وفي مدينة (يوجين) حيث كنت طالبًا في جامعة (أوريجن) أمسيت مستغرقًا للدرس، وبينا أنا كذلك والهدوء مخيم والصمت مطبق لا يقطعه إلا صوت ابنتي الصغيرة وهي تلعب.. وإلا صوت رخات المطر المتقطع وإن كنت أستأنس بذلك كله ويبعث فِيَّ روحًا من النشاط جديدة.

وبينما أنا كذلك إذا برنين الهاتف يتسلل بين تلك اللحظات الساكنة؛ وها هو أخ لي في الله جزائري اسمه (شكيب).

وبعد التحية والسلام.. أخبرني بحادثة جد غريبة.. وسعيدة في آن واحد!! فقد كان لزوجته الأمريكية المسلمة (كريمة) خالة على ديانة الصليب والتثليث، وقد أُخذت الخالة تلك إلى مستشفى سيكرت هارت - الذي يبعد عن منزلي مسير ثلاث دقائق - وبعد تشخيص حالتها لم يستطع الأطباء إخفاء الحقيقة.. فالمرأة ميئوس من حياتها.. وإنها مفارقة لا محالة.. والأمر ساعة أو ساعتان أو أكثر أو أقل، والعلم عند الله وحده.

ثم ذكر لي ما جرى له ولزوجته وأنا في ذهول تام أستمع إلى نبرات صوته يتهدج، وكأني أحس بنبضات قلبه وحشرجته تعتري صوته بين الحين والآخر، وقد قال لي بالحرف الواحد.

تحدثت مع زوجتي في حال خالتها، وتشاورنا في إجراء محاولة أخيرة ندعوها فيها إلى الإسلام ولو بقي في عمرها ساعة ما دامت لم تغرغر الروح.

قال صاحبي: فاستعنت بالله، وصليت ركعتين، ودعوت الله عز وجل لها بالهداية وأنا في السجود، وأن يشرح صدرها لدين الهدى والحق.. وذلك لعلمي أن العبد أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد.

ثم اتجهت كريمة إليها في المستشفى وعرضت عليها الإسلام وأخبرتها أن الإسلام يجبُ ما قبله، وأن الله يغفر لها ما قد سلف من عمرها إن هي قالت: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) خالصةً من قلبها. غير أن تلك المرأة المريضة قد فقدت القدرة على الكلام، فطلبت زوجة صاحبي بفطانة وحسن تصرف من خالتها المريضة أن تنطق بالشهادتين في نفسها إذا كانت عاجزة عن النطق بلسانها، وأنها إن فعلت ترفع يدها إشارة لذلك.

وبعد أن أوضحت لها معناها بالإنجليزية قالت لها: قولي بقلبك: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. ثم كانت لحظات حرجة على كريمة؛ فكم تتمنى لخالتها النجاة من نار وقودها الناس والحجارة، ومع دقات قلب متسارعة مرت ثوان بطيئة متثاقلة لا يشبه تثاقلها إلا حركة يد المرأة المريضة التي بدأت ترفع يدها بعد أن سمعت تلقين الشهادة أكثر مما كانت تستطيع أن ترفعها من قبل، وتبسمت معلنة رضاها واختيارها وقبولها دين الإسلام.

فما كان من (كريمة) وهي في قمة الفرحة والسرور إلا أن بدأت تبشرها وتقرأ عليها سورة يس.. بينما ظلت ترتسم على محيا تلك المرأة ابتسامة سرور بسماع القرآن إعلانًا منها برضاها التام بما تسمع من آيات الذكر الحكيم.

وإذا بالممرضة الأمريكية التي كانت تتابع ما يحدث دون أن يشعر بها أحد تتقدم لتعرض تبرعها بأن تكون شاهدًا رسميًا على إسلام خالة كريمة إن احتيج إلى ذلك.

أنطقها الله الذي أنطق كل شيء.

لا إله إلا الله!! وها هو صديقي شكيب يسألني عما يجب علينا تجاه هذه المرأة التي ما زال لها عرق ينبض ونفس يجري.

أجبته: إنها أخت لنا في الإسلام لما ظهر لنا من شأنها، ونَكِلُ سريرتها إلى الله عز وجل. قلت له ذلك وأنا في غاية الذهول، وقلبي يخفق فرحًا لإسلام هذه المرأة وهي في مراحل متقدمة من المرض وقد أيس الأطباء من شفائها.

وذكَّرت أخي قول الرسول ﷺ في الحديث المتفق عليه الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه في أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد؛ فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها**»

ثم وضعت سماعة الهاتف.. أطرقت لحظة، وضعت كفي على خدي؛ فما شعرت بنفسي إلا وأنا أجهش بالبكاء تأثرًا واستبشارًا، وكذلك كان حال من حولي عندما رويت لهم القصة تلك الليلة وكانت لحظات معطرات بالخشوع والدموع حامدين فيها لله تعالى، مهللين له ومسبحين لما تفضل به على هذه المرأة من الهداية.. أما صاحبي فقد أخبرني عندما التقيت به في المسجد فيما بعد أنه كلما ارتسمت في خياله صورة هذا الموقف، غلب عليه شعور غريب من الدهشة وأحس في جسده بقشعريرة، ثم لا يجد في نفسه إلا مزيدًا من الرغبة في الصلاة وطول السجود والمكث في المسجد.

مهلًا؛ فالحكاية لم تنته بعد.. ففي الليلة نفسها التي أسلمت فيها هذه المرأة - وما مضت ساعات على محادثتي معه - وعندما هاتفت صاحبي

لأخبره بأن عليها أن تصلي المغرب والعشاء على ما يتيسر لها ولو إيماءً؛ وإذا به يخبرني بأن الأجل المحتوم قد سبق الجميع إليها، أسلمت روحها لباريها مسلمة هكذا نحسبها والله حسيبها راضية بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولًا؛ وما صلت لله صلاة واحدة.

فاللهم بحق الإسلام وأُخُوَّته نسألك أن ترحمها وأن تتقبلها بأحسن القبول.

اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.. يا أرحم الراحمين.



مأساة سارة

الدموع وحدها لا تكفي، والموت ألف مرة لا تعادل آهة واحدة تخرج من جوفي المجروح وفؤادي المكلوم.. أنا الآن عرفت أن السعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه.. ولله دره من قال هذا المثل ما أصدقه، ولله دره ما أحكمه..

إنه الألم.. إنها الندامة على كل لحظات الحياة، كلما بدأ يوم جديد بدأت معاناتي في كل لحظة، بل كل غمضة عين تحرق في قلبي كل شيء..

أموت في اليوم ألف بل آلاف المرات، ولا أحد يدري بي ولا أحد يعلم ما بي إلا الله. أنا الذي هدم كل ما بني له وخرب أعز ما يملك بيديه، نعم بيدي المجرمتين النجستين الملعونتين.

يا لله ما أقسى التفكير.. يا لله ما أشد المعاناة.

في كل صبح جديد يتجدد الألم وتتجدد الأحزان وفي كل زاوية من زوايا البيت أرى ألوان العذاب وأصيح في داخلي صيحات لو أخرجها لأحرقت وهدمت الجدران التي أمامي.

إذا ما انساب الليل على سماء النهار وغطاها وبدا ليل الأسرار الذي يبحث عنه العاشقون ويتغنى به المغنون وينادمه الساهرون.. أنا أبكي ألف مرة وأتحسر ألف مرة لأنني حي وأعيش إلى الآن.. أريد أن أموت ولكن لا أستطيع ربما لأني جبان وربما لأنني لا أريد أن أكرر الخطأ مرتين فلعل الله أن يغفر لي ما جنيت في حياتي الماضية، بل في مرارتي الماضية.

كثيرون يتلذذون بالماضي وما فيه ويحبون الحديث عنه إلا أنا.. أتعلمون لماذا؟!

لا أريد أن أخبركم لأنني أخاف أن تلعنوني وتدعوا عليَّ أكثر من

دعواتي ولعناتي على نفسي، ويكون فيكم صالح تجاب دعوته فيعاقبني الله بدعوته ويلعنني بلعنته.

اعذروني على كلماتي المترنحة غير المرتبة لأنني مصاب وأية مصيبة وليتها كانت مصيبة، بل اثنتان بل ثلاث بل أكثر..

أنا من باع كل شيء وحصل على لا شيء، ووالله لم أذكر قصتي لكم لشيء إلا أنني أحذركم.. أحذر من يعز عليكم من أن يقع في مثل ما وقعت به.

لا أدري أأكمل القصة أم أتوقف.. والله إن القلم ليستحي مما أريد أن أكتب، وإصبعي يردني ألف مرة ويريد أن يمنعني ولكن سأكتب قصتي

لعل الله أن يكتب لي حسنة بها أو حسنتين ألقى بها وجهه يوم القيامة، مع أني أتوقع أن يقبل الله توبة الشيطان ولا يقبل توبتي. لا تلوموني فاسمعوا قصتي واحكموا واتعظوا واعتبروا قبل أن يفوت الأوان.

أنا شاب ميسور الحال من أسرة كتب الله لها الستر والرزق الطيب والمبارك

منذ أن نشأنا ونحن نعيش سويًا يجمعنا بيت كله سعادة وأنس ومحبة.. في البيت أمي وأبي وأم أبي (جدتي) وإخواني وهم ستة وأنا السابع وأنا الأكبر من الأولاد والثاني في ترتيب الأبناء فلي أخت اسمها سارة تكبرني بسنة واحدة. فأنا رب البيت الثاني بعد أبي والكل يعول عليَّ كثيرًا. تابعت دراستي حتى وصلت للثاني الثانوي وأختي سارة في الثالث الثانوي وبقية أخوتي في طريقنا وعلى دربنا يسيرون.

أنا كنت أتمنى أن أكون مهندسًا، وأمي كانت تعارض وتقول: بل طيارًا، وأبي في صفي يريد أن أكون جامعيًا في أي تخصص، وأختي سارة تريد أن تكون مدرِّسة لتعلم الأجيال الدين والآداب.. ولكن يا للأحلام ويا للأمنيات، كم من شخص انقطعت حياته قبل إتمام حلمه، وكم من شخص عجز عن تحقيق حلمة لظروفه، وكم من شخص حقق أحلامه..

ولكن لن يكون كما كنا لا أحد مثلنا انقطعت أحلامنا بما لا يصدق ولا يتخيله عاقل ولا مجنون ولا يخطر على بال بشر.

تعرفت في مدرستي على أصحاب كالعسل وكلامهم كالعسل ومعاملتهم كالعسل بل وأحلى.. صاحبتهم عدة مرات ورافقتهم بالخفية عن أهلي عدة مرات ودراستي مستمرة وأحوالي مطمئنة وعلى أحسن حال، وكنت أبذل الجهد لأربط بين أصحابي وبين دراستي واستطعت ذلك في النصف الأول.. وبدأت الإجازة ويا لها من إجازة، لا أعادها الله من إجازة وأيام.

لاحظ أبى أن طلعاتي كثرت وعدم اهتمامي بالبيت قد زاد، فلامني ولامتني أمي.. وأختي سارة كانت تدافع عني لأنها كانت تحبني كثيرًا وتخاف علي من ضرب أبى القاسي إذا ضرب وإذا غضب، واستمرت أيام العطلة ولياليها التي لو كنت أعلم ما ستنتهي به لقتلت نفسي بل قطعت جسدي قطعة قطعة ولا مضيت فيها ولكن إرادة الله.

كنا أنا وأصحابي في ملحق لمنزل أحد الشلة وقد دعانا لمشاهدة الفيديو، وللعب سويًا فجلسنا من المغرب حتى الساعة الحادية عشر ليلًا وهو موعد عودتي للبيت في تلك الأيام، ولكن طالبني صاحب البيت بالجلوس لنصف ساعة، ومن ثم نذهب كلنا إلى بيوتنا، أتدرون ما هو ثمن تلك النصف ساعة!!. إنه كان عمري، لا إنه كان عمري وعمر أبي وعمر أمي وعائلتي كلها. نعم.. كلهم.

كانت تلك النصف ساعة ثمنًا لحياتنا وثمنًا لنقلنا من السعادة إلى الشقاء الأبدي، بل تلك النصف ساعة مهدت لنقلي إلى نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.

أتأسف لكم لأنني خرجت من القصة.. تبرع أحد الأصحاب بإعداد إبريق من الشاي لنا حتى نقطع به الوقت، فأتى بالشاي وشربنا منه ونحن نتحادث ونتسلى ونتمازح بكل ما تعنية البراءة والطهر وصفاء النوايا من كلمة.. ولكن بعد ما شربنا بقليل أصبحنا نتمايل ونتضاحك ونتقيأ بكل

شكل ولون، كلنا نعم كلنا. . . . ولا أدري بما حدث حتى أيقظنا أول من تيقظ منا، فقام صاحب المنزل ولامنا وعاتبنا على ما فعلنا فقمنا ونحن لا ندري ما حدث، ولماذا وكيف حدث ؟ فعاتبنا من أعد الشاي فقال: إنها مزحة. فتنظفنا ونظفنا المكان وخرجنا إلى منازلنا، فدخلت بيتنا مع زقزقة العصافير والناس نيام إلا أختي سارة التي أخذتني لغرفتها ونصحتني وهددتني بأنها ستكون آخر مرة أتأخر فيها عن المنزل، فوعدتها بذلك، ولم تعلم المسكينة أن المهددة هي حياتها قبل حياتي، ليتها ما سامحتني. . ليتها ضربتني بل وقتلتني وما سامحتني. . . يا رب ليتها ما سامحتني سامحها الله ليتها ما سامحتني. .اعذروني لا أستطيع أن أواصل. .

فاجتمعنا بعد أيام عند أحد الأصحاب وبدأنا نطلب إعادة تلك المزحة لأننا أحببناها وعشقناها، فقال لنا صاحبنا: إنها تباع بسعر لا يستطيعه لوحده، فعملنا جمعية فاشترينا بعددنا كبسولات صاحبنا. . أظنكم عرفتم ما هي. . إنها المخدرات. . إنها مزحة بحبة مخدرات ونحن لا ندري، دفعنا بعضنا إلى التهلكة بمزحة وضحكة وحبة من المخدرات.

فاتفقنا على عمل دورية كل أسبوعين على واحد منا والحبوب نشتريها بالجمعية، فمرت الأيام وتدهورت في المدرسة، فنقلني أبى إلى مدرسة أهلية لعلي أفلح وأخرج من الثانوي فقد تبخرت أحلامي وأحلامه وأحلام أمي بالطيران. . . . أي طيران وأية هندسة ترجى من مثلي، ووالله لم يكن ذنبي ولم أكن أعلم ولو عرض الأمر علي لرفضت ولتركت شلتي، ولكنها المزحة لعن الله من مزحها ومن لا زال يمزحها مع شباب المسلمين.

فمرت الأيام ونحن في دوريتنا واجتماعنا الخبيث ولا أحد يعلم ولا أحد يحس بما يجري. لقد أصبحت لا أطيق البعد عنها ولا عن أصحابي، فجاءت نتائج نهاية العام مخيبة لكل أهلي، ولكن خفف علينا أن سارة نجحت وتخرجت بتقدير عالي. .مبروك يا سارة، قلتها بكل إخلاص على الرغم مما قد كان أصابني. قلتها وأنا لأول مره وكانت آخر مرة أحس فيها بفرح من أعماقي.

ماذا تريدين أن أشتري لك يا سارة بمناسبة نجاحك؟. أتدرون ما قالت! كأنها حضرتنا أنا وأصحابي، كأنها عرفت حالنا: أريدك أن تنتبه لنفسك يا أخي، فأنت سندي بعد الله- لا أستطيع المواصلة- لقد قالتها في ذلك اليوم مجرد كلمات لا تعلم هي أنها ستكون في بقية حياتي

أشد من الطعنات، ليتها ما قالتها، وليتني ما سألتها، أي سند وعزوة يا سارة ترجين.. أي سند وأي عزوة يا سارة تريدين. حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله حسبي الله، حسبي الله ونعم الوكيل.

دخلت سارة معهد المعلمات وجدت واجتهدت، وأنا من رسوب إلى رسوب، ومن ضلال وظلام إلى ضلال وظلام، ومن سيئ إلى أسوأ، ولكن أهلي لا يعلمون ونحن في زيادة في الغي حتى إننا لا نستطيع أن نستغني عن الحبة فوق يومين، فقال لنا صديق - بل عدو رجيم؛ بل شيطان رجيم-:

هناك ما هو أغلى وأحلى وأطول مدة وسعادة فبحثنا عنه ووجدناه، فدفعنا فيه المال الكثير، وكل ذاك من جيوب آبائنا الذين لا نعلم هل هم مشاركون في ضياعنا أم لا وهل عليهم وزر وذنب أو لا؟

وذات مرة وأنا عائد للبيت أحست سارة بوضعي وشكت في أمري وتركتني أنام وجاء الصباح، فجاءتني في غرفتي ونصحتني وهددتني بكشف أمري إن لم أخبرها بالحقيقة، فدخلت أمي علينا وقطعت النقاش بيننا وليتها ما دخلت، بل ليتها ماتت قبل أن تدخل، بل ليتها ما كانت على الوجود لأعترف لأختي لعلها أن تساعدني، فأرسلتني أمي في أغراض لها، فذهبت وأصبحت أتهرب عن أختي خوفًا منها على ما كتمته لأكثر من سنة أن ينكشف، وقابلت أحد أصدقائي فذهبنا سويًا إلى بيت صديق آخر، فأخذنا نصيبنا من الإثم

فأخبرتهم بما حدث، فخفنا من الفضيحة وكلام الناس، ففكرنا، بل فكروا شياطيننا، وقال أحدهم لي: لدي الحل، ولكن أريد رجلًا وليس أي كلام. .أتدرون ما هو الحل!.أتدرون! والله لو أسال الشيطان ما هو

الحل لما خطرت على باله لحظة أتدرون ما قال؟! أتدرون كيف فكر!. لا أحد يتوقع ماذا قال! أقال: نقتلها، ليته قالها، بل قال أعظم. أقال: نقطع لسانها ونفقأ عيونها، لا بل قال أعظم.. أقال: نحرقها، لا بل قال أعظم.. أتدرون ماذا قال!. حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله على الظالمين. حسبي الله على أهل المخدرات جميعًا وعلى مهربيها وعلى مروجيها وعلى شاربيها. حسبي الله على صاحبي ذاك. حسبي الله على نفسي الملعونة. حسبي الله ونعم الوكيل.

لقد قال -فصل الله عظامه وأعمى بصره وأفقده عقله، ولا وفقه الله في الدنيا ولا في الآخرة، اللهم لا تقبل توبته؛ إنه شيطان. إنه السبب في كل ما بي وأنت تعلم. اللهم اقبضه قبل أن يتوب، وعاقبه في الدنيا قبل الآخرة.

أتدرون ماذا قال! لقد قال المنكر والظلم والبغي والعدوان. لقد قال: أفضل طريقة نخليها في صفنا (جعله الله في صف فرعون وهامان يوم القيامة (نضع لها حبة وتصير تحت يدينا ولا تقدر أن تفضحنا أبدًا، فرفضت.. إنها سارة العفيفة الشريفة الحبيبة الحنونة.. إنها سارة أختي، ولكن وسوسوا لي وقالوا: هي لن تخسر شيئًا، أنت تحضر لها في بيتكم وهي معززة مكرمة، وحبوبًا فقط وأنت تعرف أنها لا تأثر ذاك التأثير، وتحت تأثير المخدر وتحت ضغوط شياطينهم وشيطاني وافقت ورتبت معهم كل شيء.

رحت للبيت وقابلتني وطالبتني وقلت لها: اصنعي شايًا وأنا أعترف لك بكل

شيء، فراحت المسكينة من عندي وكلها أمل في أن تحل مشكلتي، وأنا في رأسي ألف شيطان وهمي هدم حياتها كلها، أحضرت الشاي، وقلت: صبي لي ولك فصبت، ثم قلت لها: أحضري كأس ماء لي، فراحت، وحين خرجت من الغرفة أقسم بالله من غير شعور نزلت مني دمعة.. ما أدري دمعة ألم على مستقبلها، أم هي روحي التي خرجت من

عيني، أم هو ضميري، أم دمعة فرح بأني أوفيت لأصحابي بالوعد وأني حفظت السر للأبد.

وضعت في كأسها حبة كاملة، وجاءت وهي تبتسم وأنا أراها أمامي كالحمل الصغير الذي دخل في غابة الذئاب بكل نية طيبة وصافية.

رأت دموعي فصارت تمسحها وتقول: الرجل ما يبكي وتحاول تواسيني تظنني نادمًا، وما درت أني أبكي عليها وليس على نفسي، أبكي على مستقبلها، على ضحكتها، على عيونها، على قلبها الأبيض الطاهر، والشيطان في نفسي يقول: اصبر فلن يضرها، غدًا تتداوى أنت وهي، كما أنها يجب أن تعرف معاناتك

وتعيشها، فهي لن تقدرها وتعذرك إلا إذا جربتها.

وراح يزين لي السوء والفسق والفساد - حسبي الله عليه- فقلت: دعينا نشرب الشاي إلى أن أهدأ ثم نتحدث. فشربت ويا ليتها ما شربت! ويا ليتها ما صنعت الشاي! ولكن جلست أجرها في الحديث حتى بدأت تغيب عن الوعي، فصرت أبكي مرة وأضحك مرة، لا أدري ما أصابني؟! أضحك وأبكي ودموعي على خدي، وبدأ إبليس يوسوس لي أنني سأنكشف، وسيعلم أبواي إذا رأوا أختي بهذه الحالة. ففكرت في الهروب.

هربت إلى أصحابي وبشرتهم بالمصيبة التي فعلتها، فباركوا لي وقالوا: ما يفعلها إلا الرجل، الآن أنت زعيم شلتنا وأميرها، ونحن بإمرتك. ونمنا تلك الليلة. وعند الظهر بدأت أسال نفسي: ما ذا فعلت؟ وماذا اقترفت يداي؟ فصاروا أصحابي يسلونني ويقولون: نحن أول الناس معك في علاجها، والمسألة بسيطة ما دامت حبوبًا فقط. وأهم شيء أنَّ سرنا في بئر.

وبعد يومين بدأ أبي يسأل عني بعد انقطاعي عنهم، فأرسلت أصحابي ليستكشفوا الوضع في البيت لأني خائف من أختي وعليها. فعادوا وطمأنوني أن كل شيء على ما يرام ولم يحصل أي شيء يريب.

فرحت للبيت وأنا مستعد للضرب والشتم والملام الذي لم يعد يجدي معي فضربني أبي ولامتني أمي وأختي.

وبعد أيام جاءتني أختي وسألتني عن شيء وضعته لها في الشاي أعجبها وتريد منه. فرفضت فصارت تتوسل إليَّ وتُقبّل قدمي تمامًا كما أفعل مع أصحابي يوم أطلبهم منهم، فرحمتها وأعطيتها. وتكرر هذا مرات كثيرة وبدأت أحوالها الدراسية تتدهور إلى أن تركت الدراسة بلا سبب واضح لأهلي الذين صبروا أنفسهم بأن البنت ليس لها في النهاية إلا بيتها. فتحولت الآمال إلى أخي الأصغر. ومرة، وما أبشعها من مرة نفذت المخدرات من عندي فطلبتها من أحد أصحابي، فرفض إلا إذا. أتدرون ما كان شرطه؟ حسبي الله عليه وعلى إبليس حسبي الله عليه. شرطه أختي سارة، يريد أن يزني بها. فرفضت وتشاجرت معه، وأصحابنا الحاضرون يحاولون الإصلاح ويقولولي: ما فيها شيء، ومرة لن تضر، واسألها إذا هي موافقة ما يضرك أنت؟ لن تخسر شيئًا. صاروا معه ضدي. كلهم معه. وقلت له: أنت أول من كان يقول لي: أنا معك في طلب دوائها وعلاجها، واليوم تطلب هذا! وا أسفًا على الصداقة. فقال ملء فمه: أية صداقة وأي علاج يا شيخ؟ انسَ، انسَ، انسَ. فتخاصمنا وقاطعت الشلة. وطالت الأيام وصبرت أنا، وأختي بدأت تطلب المخدر، وأنا ليس عندي وليس لي طريق سواهم. وبدأت حالة أختي تسوء، وراحت تطالبني لو بكسرة حبة، فوسوس لي الشيطان أن أسألها إذا وافقت مما نخسر شيئًا ولن يدري أحد، أنت وهي وصاحبك فقط. وخذ منه وعدًا بألا يخبر أحدًا وأن يبقى الأمر سرًا بيننا. فصارحتها قائلًا: الذي عنده الحبوب يريد أن يقابلك ويفعل بك ثم يعطينا كل ما نريد بدون مال، بل ويعطينا مؤونة منه ولن نحتاج لأحد أبدًا. فقالت على الفور: موافقة، هيا بنا نذهب إليه. فخططنا أنا وأختي للخروج من البيت، وفعلًا ذهبنا إليه وأخذت أختي إلى صاحبي وجلسنا في شقته، وطلب مني أقضي مشوارًا إلى أن ينتهي، فرحت، وجئتهم بعد ساعة وإذا بأختي شبه عارية في شقة

صاحبي وأنا مغلوب على أمري ذاهل عن حالي أريد لو ريح هروين، فجلسنا سويًا أنا وصاحبي وأختي من الظهر إلى بعد العشاء في جلسة سمر وشرب وعهر. يا ويلي من ربي. .يا ويلي من ربي. . ويلي من النار. أنا من أهلها أنا من أهلها. ليتني أموت يا رب موتني يا رب موتني. أنا حيوان ما أستاهل أن أعيش لو لحظة، فرجعنا أنا وأختي للبيت ولا كأن شيئًا صار، فصرت أقول لأختي هذه أول وآخر مرة، وإذا صاحبي النجس أعطى أختي مواعيد وأرقامه الخاصة إذا أرادت فالأمر لا يحتاج وجودي وأنا ما دريت.

ومرت الأيام وأنا أرى أختي تخرج على غير عادتها، في البداية مع أختي الصغيرة بأي عذر للسوق وللمستشفى حتى إنها طلبت أن تسجل مرة ثانية بالمعهد، فحاول أبي المسكين بكل ما يملك وبكل من يعرف كي يرجعها من جديد، وفرحت العائلة من جديد بعودتها للدراسة واهتمامها بها، ومرة وأنا عند أحد أصحابي قال: قوموا بنا نذهب إلى أحد أصحابنا، ورحنا له ويا للمصيبة لقيت أختي عنده وبين أحضانه، وانفجرت من الزعل فقامت أختي وقالت: ما لك أنت؟! إنها حياتي وأنا حرة فأخذني صاحبي معه وأعطاني السم الهاري الذي ينسي الإنسان أعز وكل ما يملك ويجعله في نظره أبخس الأشياء وأرذلها، فرجعنا لصاحبنا وأنا متجرد من إنسانيتي ولعبوا مع أختي وأنا بينهم كالبهيمة بل أسوأ. ومع العصر رجعنا للبيت وأنا لا أدري ما أفعل فالعار جاء والمال والشرف ذهبا والمستقبل ذهب والعقل ذهب. كل شيء بالتأكيد ذهب، ومرت الأيام وأنا أبكي إذا صحوت وأضحك إذا سكرت. . حياة بهيمة بل أردى. .حياة رخيصة سافلة نجسة. .

ومرة من المرات المشؤومة وكل حياتي مشؤومة. وفي إحدى الصباحات السوداء عند التاسعة إذا بالشرطة تتصل على أبى في العمل ويقولون احضر فورًا.

فحضر فكانت الطامة التي لم يتحملها ومات بعدها بأيام وأمي فقدت

نطقها منها، أتدرون ما هي! أتدرون !! لقد كانت أختي برفقة شاب في منطقة استراحات خارج المدينة وهم في حالة سكر وحصل لهما حادث وتوفي الاثنان فورًا.

يا لها من مصيبة تنطق الحجر، وتبكي الصخر. يا لها من نهاية يا سارة لم تكتبيها، ولم تختاريها، ولم تتمنيها أبدًا.. سارة الطاهرة أصبحت عاهرة، سارة الشريفة أصبحت زانية مومس، سارة الطيبة المؤمنة أصبحت داعرة. يالله ماذا فعلت أنا بأختي، ألهذا الدرب أوصلتها؟ إلى نار جهنم دفعتها بيدي إلى اللعنة. أوصلتها أنا إلى السمعة السيئة.. يا رب ماذا أفعل؟ اللهم إني أدعوك أن تأخذني وتعاقبني بدلًا عنها، يا رب إنك تعلم أنها مظلومة وأنا الذي ظلمتها وأنا الذي حرفتها وهي لم تكن تعلم. كانت تريد إصلاحي فأفسدتها. .لعن الله المخدرات وطريقها وأهلها.

أبى مات بعد أيام، وأمي لم تنطق بعد ذلك اليوم، وأنا لا زلت في طريقي الأسود، وإخواني على شفا حفرة من الضياع والهلاك.. لعن الله المخدرات وأهلها، وبعدها بفترة فكرت أن أتوب، ولم أستطع الصبر، فاستأذنت من أمي في السفر إلى الخارج بحجة النزهة لمدة قد تطول أشهرًا بحجة أني أريد النسيان، فذهبت إلى مستشفى الأمل بعد أن هدمت حياتي، وحياة أسرتي، وحياة أختي سارة.

رحمك الله يا سارة، رحمك الله، اللهم اغفر لها إنها مغلوبة، اللهم ارحمها إنها مسكينة، وعاقبني بدلًا عنها يا رب، فعزمت على العلاج، ولما سألوني عن التعاطي زعمت أنه من الخارج، وأن تعاطي المخدرات كان في أسفاري، وبعد عدة أشهر تعالجت مما كان أصابني من المخدرات، ولكن بعد ماذا ! بعد ما قطعت كل حبل يضمن لنا حياة هانية سعيدة.

عدت وإذا بأهلي يعيشون على ما يقدمه الناس لهم، لقد باعت أمي منزلنا، واستأجرت آخر من بعد الفيلا الديلوكس إلى شقة فيها ثلاث غرف ونحن ثمانية أفراد، من بعد العز والنعيم ورغد العيش إلى الحصير ومسألة

الناس، لا علم لدي ولا عمل، وإخواني أصغر مني ونصفهم ترك الدراسة لعدم كفاية المصاريف، فأهلي إن ذكر اسم أختي سارة لعنوها وسبوها وجرحوها؛ لأنها السبب في كل ما حصل ودعوا عليها بالنار والثبور وقلبي يتقطع عليها؛ لأنها مظلومة، وعلى أهلي لأنهم لا يعلمون ولا أستطيع أن أبلغ عن أصحاب الشر والسوء الذين هدموا حياتي وحياة أختي لأني إذا بلغت سأزيد جروح أهلي التي لم تندمل بعد على أختي وأبى وأمي وسمعتنا وعزنا وشرفنا، لأنهم سيعلمون أني السبب وستزيد جراحهم، وسيورطني أصحاب السوء إن بلغت عنهم معهم فأنا في حيرة من أمري. إني أبكي في كل وقت ولا أحد يحس بي وأنا أرى أن المفروض أن أرجم بالحجارة ولا يكفي ذلك ولا يكفر ما فعلت وما سببت.

انظروا يا إخواني ماذا فعلت أنا.. إنها المخدرات، ونزوات الشيطان، إنها المخدرات.. إنها أم الخبائث.. إنها الشر المستطير.. كم أفسدت من بيوت؟ وكم شردت من بشر؟ وكم فرقت من أسر؟ لا تضحكوا يا إخواني ولا تعجبوا وقولوا: اللهم لا شماتة. يا إخواني اعتبروا وانشروا قصتي على من تعرفون لعل الله أن يهدي بقصتي لو شخصًا واحدًا أكفر به عن خطئي العظيم الذي أعتقد أنه لن يُغفر.

أرجوكم أن تدعوا لأختي سارة في ليلكم ونهاركم ولا تدعوا لي لعل الله أن يرحمها بدعواتكم لأنه لن يقبل مني، وأنا من فعل بها كل ما حدث لها.

اللهم ارحم سارة، اللهم ارحمها واغفر لها، ووالله إني محتاج لوقفتكم معي في شدتي، ولكن لا أريد منكم شيئًا، وأشكر أخى الذي كتب معاناتي التي بين أيديكم وأحسبه الصاحب الصادق والله حسبه، وأشكر من نشرها وعممها، وهذا مختصر المختصر من قصتي التي لو شرحتها بالتفصيل لزهقت أنفسكم اشمئزازًا، وغمضت عيونكم خجلًا، ولعل فيما قلت الكفاية والفائدة، ووالله لولا الحياء وسكب ماء الوجه لأعطيتكم طريقة اتصال بي لتعرفوا أن في الدنيا مصائب لا تخطر على بال

بشر ولا يتخيلها إنسان فقولوا: اللهم الستر والعافية، الستر الذي ضيعته أنا، والعافية التي ضيعتها أنا، لو تعرفون طعمها ما تركتم الدعاء والشكر، والحمد لله عليها لحظة ولكن خلق الإنسان عجولًا وجزاكم الله خيرًا.

قصها وعاشها طالب غفران ربه لأخته.

ذات الكلية الواحدة

اقتربت الساعة من الرابعة صباحًا.. كل شيء حولها ساكن لا شيء يتحرك سوى أوراق الشجر عندما يداعبها نسيم السَّحر.. أغصان الشجرة تتدلى بالقرب من النافذة تكاد أن تعانقها.. الهدوء والسكينة يعمان كل شيء.. فجأة انطلق صوت المنبه.. ترررررن.. تررررن.. تررر.. أسكتت خديجة هذا الصوت المزعج في سرعة فائقة وهبت من الفراش، توجهت متثاقلة إلى المغسلة.. مشيتها الثقيلة صارت معتادة بالنسبة لها؛ فهي في نهاية الشهر الثامن من الحمل.. بطنها كبير وأرجلها متورمة.. أصبحت تتعب بسهولة.. وحتى تنفسها تجد فيه صعوبة.. وجهها شاحب.. جفونها متدلية من كثرة البكاء.. ولكنها لا بد أن تقوم في ذلك الوقت.. فلم يبقَ على آذان الفجر سوى ساعة واحدة!!

خديجة من أقرب صديقاتي.. كان قد مرَّ على زواجها حوالي ثلاث سنوات فبالطبع كانت فرحتها وفرحة زوجها غامرة عندما عرفا أنها حامل، ولكن في إحدى زيارتها للطبيبة المتخصصة وبعد إجراء الاختبارات اللازمة أخبرتها الطبيبة أن الابنه التي تحملها في أحشائها عندها كلية واحدة فقط!!.

سبحان الله! الأطباء هنا في الغرب بالرغم من تفوقهم العلمي إلا أنهم يفتقدون المشاعر الإنسانية؛ فها هي خديجة في صدمة رهيبة مما سمعت والطبيبة تخبرها في منتهى البرود أنه لا يوجد حل فوري، ولكن بعد

الولادة من الممكن أن تجرى فحوصات على المولودة لتحدد صلاحية الكلية الواحدة، وإن لم تكن صالحة فعمليات زراعة الكلى أصبحت مثل عمليات اللّوز!!

خرجت خديجة من عند الطبيبة وهي في حالة ذهول.. لا تدري كيف وصلت إلى بيتها!!.

أول مولودة لها وبكلية واحدة!! ما العمل؟ هل من الممكن أن تكون الطبيبة مخطئة؟

بحثت خديجة وزوجها عن أحسن الأطباء في هذا المجال ولكن كل طبيب كان يأتي بالتشخيص نفسه.. كلية واحدة! ومع كل زيارة لكل طبيب منهم كان أملها يقل ويضعف وفي النهاية سلمت للأمر الواقع. وآخر طبيب قال لها ألا تتعب نفسها فالوضع لن يتغيير.. وأدركت خديجة في تلك اللحظة أنه ليس بيدها شيء سوى التوجه إلى الله بالدعاء.. ومنذ ذلك اليوم قررت أن تقوم في الثلث الأخير من الليل للصلاة والدعاء لابنتها التي لم تولد بعد؛ فقد أخبر سبحانه وتعالى في محكم التنزيل:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وأيضًا ورد في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث

الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» (رواه البخاري ومسلم).

أيقنت خديجة أنه لا ملجأ إلا إليه فلم تتردد في القيام يوميًا قبل الفجر بساعة أو أكثر بالرغم من التعب الذي كانت تعانيه من الحمل ومن قلة النوم.. يوميًا تتجه في الثلث الأخير من الليل إلى سجادتها في مصلاها وتسجد في خشوع وتسأله سبحانه وتعالى أن يرزقها ابنة بصحة جيدة وكليتين! كانت تلح في دعائها وتبكي إلى أن تبتل سجادتها، لم تكل يومًا أو تمل.. جسدها أصبح منهكًا.. الركوع والسجود أصبحا في غاية الصعوبة ولكنها لم تتراجع أو تشكو ولو مرة واحدة. وكلما أخبرتها الطبيبة بنفس النتيجة مع كل زيارة ومع كل فحص ازداد عزم خديجة على القيام في الثلث الأخير من الليل.

أشفق عليها زوجها من كثرة القيام وخشي عليها من الصدمة عند مولد الابنة ذات كلية واحدة وكان دائمًا يذكرها بأن الله سبحانه وتعالى قد يؤخر الاستجابة؛ فقد روى أبو سعيد رضي الله عن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»** رواه أحمد في المسند.

وكانت هي تذكر زوجها بأن لا حيلة لها إلا أن تسأل الله؛ فإن لم تسأله هو سبحانه وتعالى فمن تسأل؟!

لا تطلبنَّ بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

وكيف لا تسأله وقد أخبرنا الرسول ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه عن ربه تبارك وتعالى: **«يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقُص المخيط إذا أُدخل البحر»** (رواه مسلم).

قبل الموعد المتوقع للولادة بحوالي أسبوعين حضرت خديجة لزيارتي، ودخل وقت صلاة الظهر فصلينا، وقبل أن نقوم من جلستنا امتدت يد خديجة إلي وأمسكت بذراعي وأخبرتني أنها تحس بإحساس غريب. سألتها إن كانت تحس بأي ألم فأجابت بالنفي ولكن للزيادة في الاطمئنان قررنا الاتصال بالطبيبة فطلبت منا مقابلتها في المستشفى. حاولنا الاتصال بزوج خديجة لكن بدون جدوى؛ فهو في صلاة الجمعة. فتوكلنا على الله وذهبنا إلى المستشفى وتعجبنا أنهم أخبرونا أنها في حالة ولادة!! فجلست بجانبها أشد من أزرها وأربط على كتفها... وكانت والحمد لله كثيرة الدعاء، وبالرغم من الآلام إلا أنها كانت تسأل الله أن يرزقها ابنة بصحة جيدة وكليتين، وولدت فاطمة.. صغيرة الحجم.. دقيقة الملامح.. وجهها يميل إلى الزرقة، وفي ظهرها نقرة (نقزة) صغيرة قرب موقع الكلية، كأن جسدها الصغير امتص فراغ الكلية الناقصة.. بكيت وبكت خديجة ووسط دموعها كانت تسأل عن حالة ابنتها.. بماذا أرد؟! ماذا أقول لأم أعياها السهر وتهدلت جفونها من البكاء وما زالت تتألم؟!! (ما شاء الله حلوة) حاولت أن أقول شيئًا آخر ولكن الكلمات انحبست!! وسبحان الله ما كانت إلا دقائق معدودة وتحول اللون الأزرق إلى لون وردي، ودققت في وجه فاطمة.. سبحان الخالق.. وجهها جميل، ولكن كل ما نظرت اليها تذكرت المشاكل التي قد تواجهها بسبب الكلية الواحدة. لم أتكلم ولم تتكلم خديجة فكل واحدة منا كانت تفكر.. ماذا سيكون مصير الطفلة ذات الكلية الواحدة؟

حضر أطباء الأطفال وأجروا الفحص المبدئي وأبلغونا أنها فيما يبدو طبيعية ولكن لا بد من إجراء فحوصات مكثفة لمعرفة صلاحية الكلية وهذا لن يتم إلا بعد أسبوعين من ميلادها. ترددت خديجة كثيرًا في أخذ فاطمة لإجراء الفحص الشامل. قالت لي في يوم من الأيام: (قدر الله وما شاء فعل.. لا داعي لأن أرهق جسدها الضئيل بتلك الفحوصات). ولكنها أخذت بالأسباب وقررت إجراء تلك الفحوصات. وجاء اليوم الموعود

وجلسنا في غرفة الانتظار نترقب خروج الطبيبة لتخبرنا عن حالة الكلية الواحدة.. هل ستحتاج فاطمة إلى كلية (جديدة) أم أن كليتها الواحدة ستقوم بعمل الكليتين؟!.

وخرجت الطبيبة وعلى وجهها ابتسامة باهتة.. توجهت إلينا وقالت: (لا أدري ماذا أقول ولا أعرف ماذا حدث!! لكن ابنتك بصحة جيدة وبكليتين!!).

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء!!

ما أجمل أثر الدعاء وما أرحم الله بخلقه!!

فاطمة تبلغ الآن الخامسة من عمرها.. حفظها الله وجعلها قرة لعين والديها.



الأيادي الناصعة

«فابيان» عارضة الأزياء الفرنسية، فتاة في الثامنة والعشرين من عمرها، جاءتها لحظة الهداية وهي غارقة في عالم الشهرة والإغراء والضوضاء. .

انسحبت في صمت، تركت هذا العالم بما فيه، وذهبت إلى أفغانستان! لتعمل في تمريض جرحى المجاهدين الأفغان! وسط ظروف قاسية وحياة صعبة.

تقول «فابيان»:

(لولا فضل الله عليَّ ورحمته بي لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ).

ثم تروي قصتها فتقول :

«منذ طفولتي كنت أحلم دائمًا بأن أكون ممرضة متطوعة، أعمل على تخفيف الآلام للأطفال المرضى، ومع الأيام كبرت، ولفتُّ الأنظار بجمالي ورشاقتي، وحرَّضني الجميع -بما فيهم أهلي- على التخلي عن حلم طفولتي، واستغلال جمالي في عمل يدرُّ عليَّ الربح المادي الكثير، والشهرة والأضواء، وكل ما يمكن أن تحلم به أية مراهقة، وتفعل المستحيل من أجل الوصول إليه.

وكان الطريق أمامي سهلًا - أو هكذا بدا لي -، فسرعان ما عرفت طعم الشهرة، وغمرتني الهدايا الثمينة التي لم أكن أحلم باقتنائها.

ولكن كان الثمن غاليًا. . فكان يجب عليَّ أولًا أن أتجرد من إنسانيتي، وكان شرط النجاح والتألّق أن أفقد حساسيتي، وشعوري، وأتخلى عن حيائي الذي تربيت عليه، وأفقد ذكائي، ولا أحاول فهم أي شيء غير حركات جسدي، وإيقاعات الموسيقى، كما كان عليَّ أن أُحرم من جميع

المأكولات اللذيذة، وأعيش على الفيتامينات الكيميائية والمقويات والمنشطات، وقبل كل ذلك أن أفقد مشاعري تجاه البشر. . لا أكره. . لا أحب. . لا أرفض أي شيء.

إن بيوت الأزياء جعلت مني صنمًا متحركًا مهمته العبث بالقلوب والعقول، فقد تعلمت كيف أكون باردة قاسية مغرورة فارغة من الداخل، لا أكون سوى إطار يرتدي الملابس، فكنت جمادًا يتحرك ويبتسم ولكنه لا يشعر، ولم أكن وحدي المطالبة بذلك، بل كلما تألقت العارضة في تجردها من بشريتها وآدميتها زاد قدرها في هذا العالم البارد. . أما إذا خالفت أيًا من تعاليم الأزياء فتُعرِّض نفسها لألوان العقوبات التي يدخل فيها الأذى النفسي، والجسماني أيضًا.

وعشت أتجول في العالم عارضة لأحدث خطوط الموضة بكل ما فيها من تبرج وغرور ومجاراة لرغبات الشيطان في إبراز مفاتن المرأة دون خجل أو حياء).

وتواصل «فابيان» حديثها فتقول:

لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ - إلا من الهواء والقسوة - بينما كنت أشعر بمهانة النظرات واحتقارهم لي شخصيًا واحترامهم لما أرتديه.

كما كنت أسير وأتحرك. . وفي كل إيقاعاتي كانت تصاحبني كلمة (لو). . وقد علمت بعد إسلامي أن لو تفتح عمل الشيطان. . وقد كان ذلك صحيحًا، فكنا نحيا في عالم الرذيلة بكل أبعادها، والويل لمن تعرض عليها وتحاول الاكتفاء بعملها فقط.

وعن تحولها المفاجئ من حياة لاهية عابثة إلى أخرى تقول :

كان ذلك أثناء رحلة لنا في بيروت المحطمة، حيث رأيت كيف يبني الناس هناك الفنادق والمنازل تحت قسوة المدافع، وشاهدت بعيني مستشفى للأطفال في بيروت، ولم أكن وحدي، بل كان معي زميلاتي من أصنام البشر، وقد اكتفين بالنظر بلا مبالاة كعادتهن.

ولم أتمكن من مجاراتهن في ذلك. فقد انقشعت عن عيني في تلك اللحظة غُلالة الشهرة والمجد والحياة الزائفة التي كنت أعيشها، واندفعت نحو أشلاء الأطفال في محاولة لإنقاذ من بقي منهم على قيد الحياة.

ولم أعد إلى رفاقي في الفندق حيث تنتظرني الأضواء، وبدأت رحلتي نحو الإنسانية حتى وصلت إلى طريق النور وهو الإسلام.

وتركت بيروت وذهبت إلى باكستان، وعند الحدود الأفغانية عشت الحياة الحقيقية، وتعلمت كيف أكون إنسانة.

وقد مضى على وجودي هنا ثمانية أشهر قمت بالمعاونة في رعاية الأسر التي تعاني من دمار الحروب، وأحببت الحياة معهم، فأحسنوا معاملتي.

وزاد قناعتي في الإسلام دينًا ودستورًا للحياة من خلال معايشتي له، وحياتي مع الأسر الأفغانية والباكستانية، وأسلوبهم الملتزم في حياتهم اليومية، ثم بدأت في تعلم اللغة العربية، فهي لغة القرآن، وقد أحرزت في ذلك تقدمًا ملموسًا.

وبعد أن كنت أستمد نظام حياتي من صانعي الموضة في العلم أصبحت حياتي تسير تبعًا لمبادئ الإسلام وروحانياته.

وتصل «فابيان» إلى موقف بيوت الأزياء العالمية منها بعد هدايتها، وتؤكد أنها تتعرض لضغوط دنيوية مكثفة، فقد أرسلوا عروضًا بمضاعفة دخلها الشهري إلى ثلاثة أضعافه، فرفضت بإصرار..

فما كان منهم إلا أن أرسلوا إليها هدايا ثمينة لعلها تعود عن موقفها وترتد عن الإسلام.

وتمضي قائلة :

(ثم توقفوا عن إغرائي بالرجوع.. ولجأوا إلى محاولة تشويه صورتي أمام الأسر الأفغانية، فقاموا بنشر أغلفة المجلات التي كانت تتصدرها صوري السابقة أثناء عملي كعارضة أزياء، وعلقوها في الطرقات وكأنهم

ينتقمون من توبتي، وحاولوا بذلك الوقيعة بيني وبين أهلي الجدد، ولكن خاب ظنهم والحمد لله).

وتنظر «فابيان» إلى يدها وتقول :

(لم أكن أتوقع أن يدي المرفهة التي كنت أقضي وقتًا طويلًا في المحافظة على نعومتها سأقوم بتعريضها لهذه الأعمال الشاقة وسط الجبال، ولكن هذه المشقة زادت من نصاعة وطهارة يدي، وسيكون لها حسن الجزاء عند الله سبحانه وتعالى إن شاء الله).



وتحسبونه هينا

كانت زهية تتوقد شبابًا وتتألق حيوية، مزهوة بشعرها المنسدل على كتفيها والذي يأبى إلا أن يندس تحت حزامها الضاغط. تتمتع برشاقة الغزال وخفة الفراشة، وتعتقد أنها يجب أن تعيش حياتها وتستمتع بكل ماهو متاح لها. ولما دعيت يومًا لحفل إحدى صاحباتها ودارت الأحاديث الشائقة بين الحضور ودار الحوار المتأرجح من البارد الثلجي إلى الحار البركاني، وكان مما أثار حفيظتها حقًّا حوار حول الحجاب.

إنها تذكر تلك الجميلة الفاتنة سناء، وهي تتحدث عن طمأنينة قلبها وسكون نفسها يوم أن ارتدت الحجاب، وذهبت إلى أبعد من ذلك، وهي تؤكد أن الحجاب كان الخطوة الأولى في مشوارها الطويل عبر دروب الحق والنور، إذ عليها أن تضيء قلبها بحفظ آيات الله وتنير بصيرتها بتدبر معاني تلك الآيات العظيمة، كما عليها أن تقرأ في الفقه والسيرة. ثم قررت سناء أن العبارات أكثر من الأوقات.

تفاوت تفاعل الحضور مع كلام سناء، فمن مؤيد ومعارض ومستغرب ومؤكد، عدا صاحبتنا فقد غلب على تعليقاتها السخرية والاستهزاء. خاصة لحظة محاولة إحداهن ربط الحجاب حول عنق زهية من باب الاستدراج بالإطراء بجمالها لو كانت محجبة، فما كان من زهية إلا أن ثارت وانتفضت كمَارِدٍ ناهض من قمقم وقالت بانفعال:

أرجوك أميطي عني هذا الـ. . . ثم مسحت عنقها وشعرها وهي ترتجف وتهذي بعبارات أذهلت الجميع، فقد تطاولت على الشرع الحنيف الذي ربط عنق المرأة بحبل المشنقة ثم رماها بكيس أسود !!

انبرت لزهية واحدة من الحضور وبدأت بالرد عليها، لكن زهية تمادت في جحود ونكران الأدلة الشرعية، ولم تجد أمامها سوى قاموس السباب

والشتائم فنهلت منه. أما سناء فقد أدركت أن زهية أخرجت ما بقلبها من ضغينة على الإسلام وأهله، وخشيت أن يهلك الله جمعهن بفعل واحدة من السفيهات، فطلبت من الجميع الاستغفار ثم اللجوء للصمت، فالوضع ليس وضع نقاش ولا حوار ولا إقناع. وتفرق جمع الحفل على أتعس حال من التوقع. وعادت كل واحدة ولحظات الحوار والانفعال شاخصة في خيالها.

بعد ذلك الحفل التعس، أحست زهية أن شيئًا غامضًا سكن قلبها وزرع فيه الكآبة. حاولت أن تهرب من ذاتها بالتفتيش عن علاقات لاهية طائشة، لكن كآبتها تحولت إلى صداع مؤلم وشرود دائم. في البداية جربت الحبوب المسكنة والمهدئة فلم يهدأ صداعها، كان كبرياؤها يمنعها من إظهار التألم أمام أفراد عائلتها خاصة زوجة أبيها. التي كانت تختصر معاناة زهية بعبارة (دلع بنات)، ولم تكن تلك السيدة لتصدق حقيقة ما فيه زهية إلا ساعة أن رأت رأسها قد ارتطم بأرض الغرفة فخرجت مسرعة تخبر الوالد الذي صحبها إلى المستشفى.

هناك طلب الطبيب عدة تحليلات، وبدأت الشكوك تراود الطبيب وتسرق النوم من عيني الوالد، ثم طلب الطبيب صورة طبقية للدماغ فجاءته الصورة تحمل اليقين في ثناياها.

أخفى الطبيب تأثره وطمأن والد زهية وحمد الله أنه أدرك المرض قبل فوات الأوان. قفز قلب والد زهية من بين أضلعه وجمع أطرافه مخفيًا ارتجاف مفاصله وهو يسمع التقرير: بداية سرطان دماغ، وعلاجه ممكن إن شاء الله.

عليك احضار زهية غدًا صباحًا لبدء العلاج.

أمسك الطبيب بإبرة الدواء، وأعطى زهية التعليمات، وشرح لها المضاعفات المتوقعة، كل شيء يمكن أن تتوقعه زهية عدا تساقط شعرها!!

قامت الممرضة بإعطاء زهية حقنًا خاصة لمنع التقيؤ الذي يصحب

العلاج الكيماوي، وفي اليوم التالي تم تثبيت إبرة غليظة تستعمل لزرق المحاليل والعلاجات الكيماوية طوال أربع و عشرين ساعة.

مرت على زهية الأربع والعشرون ساعة الأولى بمرارة علقمية، فمنذ ساعات ألمها الأولى نسيت زهية سعادة حياتها كلها، ولو سألها أحد كما سألها والدها:

كيف حالك يا بنية ؟

أجابت: في أتعس حال، الموت أرحم مرات من هذه الحياة !!

أطرق والد زهية رأسه، وكفكف دموعه، وود لو يفتديها بروحه، لكن هيهات، فما أصاب زهية يعجز أهل الأرض عن تغيير مساره وتصويبه نحو أي حبيب أو عدو.

وكانت مشاعر زوجة أبيها متأرجحة بين الإستنكار والرثاء، وفي اليوم الثالث بعد إعطائها الحقن والحبوب بحوالي ساعة، بدأت زهية بالتقيؤ الشديد المتكرر المصحوب بالآلام الحادة في المعدة، وبدأت معنوياتها بالإنهيار مما أثر أبلغ الأثر على زوجة أبيها التي هرعت إلى الطبيب طالبة النجدة والمعونة، فتوجه الطبيب إلى حيث ترقد زهية وحاول تهدئة روعها بإعلامها أن هذه أعراض مؤقتة وسوف تذهب بذهاب المرض بإذن الله.

توالت المصائب والآلام على زهية، ومرت أيام ذاقت فيها مرارة انتظار الجرعات، ولا تسل عن حالتها يوم أخذها للجرعة، لقد كادت أن ترفض العلاج الذي هو أشد صعوبة من المرض نفسه لولا تثبيت ذويها لها والطاقم الطبي حولها.

وما هي إلا أسابيع قليلة حتى رأت زهية هالات من السواد حول عينيها، أرادت أن تهرب من هذه الحقيقة فوضعت شيئًا- من الزينة حول عينيها، ارتدت أضيق ملابسها فوجدتها فضفاضة، وقفت أمام مرآتها وأمسكت خصلة من شعرها فتساقطت بين أناملها، وسقطت زهية منهارة تبكي إنها لا تقوى على استقبال سناء التي أصرت على زيارتها، فأجلت زيارتها علها تزورها بعد أن يثمر العلاج الذي وصفه الأطباء بأنه فعال.

كانت كلما شعرت بالآلام في رأسها تصرخ وتمسك رأسها فيتساقط شعرها، وغدا بكثافة أشجار صحراء قاحلة بعد أن كان بكثافة أشجار الأمازون.

أخبرت زوجة أبي زهية سناء قائلة:

الحقيقة يا بنيتي أن حالة زهية تتدهور بسرعة، و حبذا لو قمت بزيارتها علها تسعد بوجودك إلى جوارها.

طارت سناء من الفرح، وحملت أجمل الهدايا وأطيب المأكولات لزميلتها زهية، وعندما دخلت عليها تعرفت عليها بصعوبة وصافحتها، كفكفت دموعها وقاومت انفعالاتها، وأظهرت تماسكا أجوف أمام زهية، حاولت مخاطبة الروح فيها قائلة:

قد يكون المرض كفارة ورفع درجات، هنيئا لك إنك تقضين وقتك الطويل في التسبيح والذكر والاستغفار، صوبت زهية نحوها نظرات زائفة وأشاحت بوجهها عنها وعن أصناف الأطعمة الملقاة أمامها.

تأملت سناء حجاب زهية الذي تغطي به رأسها. . فرأته قذرًا ملوثًا، تمامًا كما وصفت زهية الحجاب أول مرة !!

ازدحمت المعاني والعبر في عقل سناء، وأطرقت رأسها. . وهي تسمع وجيب قلبها وهي تذكر الآية الكريمة: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.



لا أدري من أطيع[1]

عادت الفتاة الصغيرة من المدرسة، وبعد وصولها إلى البيت لاحظت الأم أن ابنتها قد انتابها الحزن، فاستوضحت من الفتاة عن سبب ذلك الحزن.

قالت الفتاة: أماه إن مدرّستي هددتني بالطرد من المدرسة بسبب هذه الملابس الطويلة التي ألبسها.

الأم: ولكنها الملابس التي يريدها الله يا ابنتي.

الفتاة: نعم يا أماه.. ولكن المدرّسة لا تريد.

الأم: حسنًا يا ابنتي، المدرسة لا تريد، والله يريد فمن تطيعين؟

أتطعين الله الذي أوجدك وصورك، وأنعم عليك؟

أم تطيعين مخلوقة لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا.

فقالت الفتاة: بل أطيع الله.

فقالت الأم: أحسنت يا ابنتي و أصبت.

وفي اليوم التالي.. ذهبت تلك الفتاة بالثياب الطويلة.. وعند ما رأتها معلمتها أخذت تؤنبها بقسوة.. فلم تستطع تلك الصغيرة أن تتحمل ذلك التأنيب مصحوبًا بنظرات صديقاتها إليها فما كان منها إلا أن انفجرت بالبكاء.. ثم هتفت تلك الصغيرة بكلمات كبيرة في معناها.. قليلة في عددها: والله لا أدري من أطيع؟ أنت أم هو!

فتساءلت المدرسة: ومن هو؟

فقالت الفتاة: الله، أطيعك أنت فألبس ما تريدين وأعصيه هو.

أم أطيعه وأعصيك، سأطيعه سبحانه وليكن ما يكون.

المراجع (مواقف إيجابية، لنجيب العامر، ج ٢ / ٢٧ ـ ٣١ والقصة نقلًا عن «مواقف ذات عبر» لعمر الأشقر.

يا لها من كلمات خرجت من ذلك الفم الصغير.

كلمات أظهرت الولاء المطلق لله تعالى.

أكدت تلك الصغيرة الالتزام والطاعة لأوامر الله الواحد القهار.

هل سكتت عنها المعلمة ؟

لقد طلبت المعلمة استدعاء أمّ تلك الطفلة.. فماذا تريد منها؟

وجاءت الأم. فقالت المعلمة للأم: لقد وعظتني ابنتك أعظم موعظة سمعتها في حياتي.

نعم لقد اتعظت المعلمة من تلميذتها الصغيرة.

المعلمة التي درست التربية وأخذت قسطًا من العلم.

المعلمة التي لم يمنعها علمها أن تأخذ «الموعظة» من صغيرة قد تكون في سن إحدى بناتها.

فتحية لتلك المعلمة.

وتحية لتلك الفتاة الصغيرة التي تلقت التربية الإسلامية وتمسكت بها.

وتحية للأم التي زرعت في ابنتها حب الله ورسوله. الأم التي علمت ابنتها حب الله ورسوله.

فيا أيتها الأمهات المسلمات: بين أيديكن أطفالكن وهم كالعجين تستطعن تشكيلهم كيفما شئتن فأسرعن بتشكيلهم التشكيل الذي يرضي الله ورسوله.

علمنهم الصلاة. علمنهم طاعة الله تعالى. علمنهم الثبات على الحق.

علمنهم كل ذلك قبل وصولهم سن المراهقة.

فإن فاتتهم التربية وهم في مرحلة الصغر فإنكن ستندمن أشد الندم على ضياع الأبناء عند الكبر.

وهذه الفتاة لم تكن في عصر الصحابة.. ولا التابعين. إنما في العصر الحديث.

وهذا مما يدل على أننا باستطاعتنا أن نوجد أمثال تلك الفتاة.

الفتاة التقية الجريئة على إظهار الحق والتي لا تخشى في الله لومة لائم.

فيا أختي المؤمنة . ها هي ابنتك بين يديك فاسقيها بماء التقوى والصلاح، وأصلحي لها بيئتها طاردة عنها الطفيليات والحشرات الضارة.

وها هي الأيام أمامك، فانظري ماذا تفعلين بالأمانة التي أودعها لديك رب السماوات والأرض !!

قال رسول الله ﷺ: **«من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»**(1)



(١) صحيح الجامع الصغير ج ٥ حديث رقم (٥٨٨٦).

قصة حب تبكي

قرر صاحبنا الزواج وطلب من أهله البحث عن فتاة مناسبة ذات خلق ودين، وكما جرت العادات والتقاليد حين وجدوا إحدى قريباته وشعروا بأنها تناسبه ذهبوا لخطبتها، ولم يتردد أهل البنت في الموافقة لما كان يتحلى به صاحبنا من مقومات تغري أية أسرة بمصاهرته، وسارت الأمور كما يجب وأتم الله فرحتهم، وفي عرس جميل متواضع اجتمع الأهل والأصحاب للتهنئة.

وشيئًا فشيئًا بعد الزواج وبمرور الأيام لاحظ المحيطون بصحابنا هيامه وغرامه الجارف بزوجته وتعلقه بها، وبالمقابل أهل البنت استغربوا عدم مفارقة ذكر زوجها للسانها. أي نعم هم يؤمنون بالحب ويعلمون أنه يزداد بالعشرة، ولكن الذي لا يعلمونه أو لم يخطر لهم ببال أنهما سيتعلقان ببعضهما إلى هذه الدرجة.

وبعد مرور ثلاث سنوات على زواجهما بدءوا يواجهون الضغوط من أهاليهم في مسألة الإنجاب، لأن الآخرين ممن تزوجوا معهم في ذلك التاريخ أصبح لديهم طفل أو اثنان وهم ما زالوا كما هم، وأخذت الزوجة تلح على زوجها أن يكشفوا عند الطبيب عل وعسى أن يكون أمرًا بسيطًا ينتهي بعلاج أو توجيهات طبية.

وهنا وقع ما لم يكن بالحسبان، حيث اكتشفوا أن الزوجة (عقيم)!!

وبدأت التلميحات من أهل صاحبنا تكثر والغمز واللمز يزداد إلى أن صارحته والدته وطلبت منه أن يتزوج بثانية ويطلق زوجته أو يبقها على ذمته بغرض الإنجاب من أخرى، فطفح كيل صاحبنا الذي جمع أهله وقال لهم بلهجة الواثق من نفسه: تظنون أن زوجتي عقيم ؟! إن العقم الحقيقي لا يتعلق بالإنجاب، أنا أراه في المشاعر الصادقة والحب الطاهر العفيف،

ومن ناحيتي ولله الحمد تنجب لي زوجتي في اليوم الواحد أكثر من مائة مولود وراض بها وهي راضية فلا تعيدوا لها سيرة الموضوع التافه أبدًا.

وأصبح العقم الذي كانوا يتوقعون وقوع فراقهم به، سببًا اكتشفت به الزوجة مدى التضحية والحب الذي يكنه صاحبنا لها، وبعد مرور أكثر من تسع سنوات قضاها الزوجان على أروع ما يكون من الحب والرومانسية بدأت تهاجم الزوجة أعراض مرض غريبة اضطرتهم إلى الكشف عليها بقلق في إحدى المستشفيات، الذي حولهم إلى (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وهنا زاد القلق لمعرفة الزوج وعلمه أن المحولين إلى هذا المستشفى عادةً ما يكونون مصابين بأمراض خطيرة.

وبعد تشخيص الحالة وإجراء اللازم من تحاليل وكشف طبي، صارح الأطباء زوجها بأنها مريضة بداء عضال عدد المصابين به معدود على الأصابع في الشرق الأوسط، وأنها لن تعيش كحد أقصى أكثر من خمس سنوات بأية حال من الأحوال والأعمار بيد الله.

ولكن الذي يزيد الألم والحسرة أن حالتها ستسوء في كل سنة أكثر من سابقتها، والأفضل إبقاؤها في المستشفى لتلقي الرعاية الطبية اللازمة إلى أن يأخذ الله أمانته. ولم يخضع الزوج لرغبة الأطباء ورفض إبقاءها لديهم وقاوم أعصابه كي لا تنهار وعزم على تجهيز شقته بالمعدات الطبية اللازمة لتهيئة الجو المناسب كي تتلقى زوجته به الرعاية فابتاع ما تجاوزت قيمته الـ (٢٦٠٠٠٠ ريال) من أجهزة ومعدات طبية، جهز بها شقته لتستقبل زوجته بعد الخروج من المستشفى، وكان أغلب المبلغ المذكور قد تدينه بالإضافة إلى سلفة اقترضها من البنك.

واستقدم لزوجته ممرضة متفرغة كي تعاونه في القيام على حالتها، وتقدم بطلب لإدارته ليأخذ أجازة من دون راتب، ولكن مديره رفض لعلمه بمقدار الديون التي تكبدها، فهو في أشد الحاجة لكل ريال من الراتب، فكان في أثناء دوامه يكلفه بأشياء بسيطة ما إن ينتهي منها حتى يأذن له رئيسه بالخروج، وكان أحيانًا لا يتجاوز وجوده في العمل الساعتين

ويقضي باقي ساعات يومه عند زوجته يلقمها الطعام بيده، ويضمها إلى صدره ويحكي لها القصص والروايات ليسليها وكلما تقدمت الأيام زادت الآلام، والزوج يحاول جاهدًا التخفيف عنها. وكانت قد أعطت ممرضتها صندوقًا صغيرًا طلبت منها الحفاظ عليه وعدم تقديمه لأي كائن كان، إلا لزوجها إذا وافتها المنية.

وفي يوم الإثنين مساءً بعد صلاة العشاء كان الجو ممطرًا وصوت رخات المطر حين ترتطم بنوافذ الغرفة يرقص لها القلب فرحًا.. أخذ صاحبنا ينشد الشعر على حبيبته ويتغزل في عينيها، فنظرت له نظرة المودع وهي مبتسمة له.. فنزلت الدمعة من عينه لإدراكه بحلول ساعة الصفر.. وشهقت بعد ابتسامتها شهقة خرجت معها روحها، وكادت تأخذ من هول الموقف روح زوجها معها.

ولا أرغب في تقطيع قلبي وقلوبكم بذكر ما فعله حين توفاها الله، ولكن بعد الصلاة عليها ودفنها بيومين جاءت الممرضة التي كانت تتابع حالة زوجته فوجدته كالخرقة البالية، فواسته وقدمت له صندوقًا صغيرًا قالت له: إن زوجته طلبت منها تقديمه له بعد أن يتوفاها الله... فماذا وجد في الصندوق ؟! زجاجة عطر فارغة، وهي أول هدية قدمها لها بعد الزواج... وصورة لهما في ليلة زفافهم. وكلمة (أحبك في الله) منقوشة على قطعة مستطيلة من الفضة وأعظم أنواع الحب هو الذي يكون في الله، ورسالة قصيرة سأنقلها كما جاء نصها تقريبًا مع مراعاة حذف الأسماء واستبدالها بصلة القرابة.

الرسالة:

زوجي الغالي: لا تحزن على فراقي فوالله لو كتب لي عمر ثان لاخترت أن أبدأه معك ولكن أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد.

أخي فلان: كنت أتمنى أن أراك عريسًا قبل وفاتي.

أختي فلانة: لا تقسي على أبنائك بضربهم فهم أحباب الله ولا يحس بالنعمة غير فاقدها.

عمتي فلانة (أم زوجها) : أحسنت التصرف حين طلبت من ابنك أن يتزوج من غيري لأنه جدير بمن يحمل اسمه من صالح الذرية بإذن الله.

كلمتي الأخيرة لك يا زوجي الحبيب أن تتزوج بعد وفاتي حيث لم يبق لك عذر، وأرجو أن تسمى أول بناتك باسمي، واعلم أني سأغار من زوجتك الجديدة حتى وأنا في قبري..



قصة ولا في الخيال(١)

امرأة في العقد الرابع من عمرها لديها أولاد التزمت منذ ما يقارب أربعة عشر عامًا، كانت فيها تواجه طوفانًا جارفًا ممن كانوا حولها كلهم يريدون منها أن تبتعد عن هذا الطريق، ولكن كان الله معها وعلم صدق نيتها فأعانها بمدد من عنده وزاد في إيمانها به في كل يوم يمر بها بفضل من الله، فقرأت الآلاف من الكتب والمجلدات في العقيدة والرقائق والحديث والفقه لعلماء كثر منهم ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومحمد بن عبد الوهاب وابن حجر العسقلاني وعبد الرحمن الدوسري وسيد قطب وكتب كثيرة لا أقدر أن أحصيها لكم وأيضًا الآلاف من الأشرطة لجمع من العلماء. هذا بالنسبة للذي قرأته..

أما كيف تقضي وقتها فهو كالآتي: تقوم الساعة العاشرة والنصف صباحًا تصلي الضحى لمدة نصف ساعة، ثم تدخل المطبخ، ثم تصلي الظهر والراتبة التي قبله وبعده، ثم تقرأ القرآن وهي تختم كل خمسة أيام أو سبعة، ثم يأتي العصر فتصلي العصر، ثم تقرأ كتب العلم وهي تنام في الليل فقط ساعتين، وتقوم باقي الليل حتى شروق الشمس وتصلي ركعتين وتنام. وهي تصوم صيام نبينا داود عليه السلام.

أما إذا أتى رمضان فلها معه شأن آخر، فهي تختم القرآن كل يومين في العشرين الأولى وفي العشر الأواخر تختم القرآن كل يوم تقوم على قدميها من بعد صلاة العشاء حتى قبل الفجر بنصف ساعة فتتسحر وتنام وأكثر ما تنام في رمضان ٤ ساعات فقط في اليوم وخاصة في العشر الأواخر.

أسألكم بالله هل توجد امرأة تعمل مثلها في هذا الزمن؟ عليكم

---

(١) منتديات المسافر.

بالإجابة. وهذه المرأة تقوم بمساعدة الأسر الفقيرة بالطعام والملابس وبكل ما تستطيعه، وهي أيضًا داعية ولكن بشراء الكتب والأشرطة وتوزيعها على الناس.

ولكن يا إخوتي الأهم من كل هذا أن هذه المرأة تعيش بين أناس كلهم يريدون أن يثنوها عن هذا الطريق حتى إنهم قالوا لها: إنه بك سحر وأتوا لها بالقراء وكل واحد يقول لهم: ليس بها شيء، ولكن لم يقتنعوا أبدًا. وفي مرة أخذوها بخدعة وقالوا لها: سوف نذهب للعشاء عند قريب وذهبوا بها إلى مقرئ والله العظيم إنها تقول قبل أن يقرأ الرجل أمسك بها من عنقها وبمساعدة أولادها وزوجها وأخذ يضغط على عنقها حتى كادت روحها تخرج وهي تتوسل لأولادها أن يخلصوها، ولكن لم يستجب أحد منهم لها، ولكنها صبرت وتحملت كل ذلك الأذى في سبيل دينها.

وضربت أيضًا وأدخلت المستشفى وأجريت لها عملية بسبب الضرب، ولكنها لم تحد عن دينها مثقال ذرة، بل على العكس زاد إيمانها وتمسكها بحبله المتين. وهم ما زالوا يريدون أن يثنوها عن الطريق حتى تكون مثلهم وعلى طريقتهم في اللهو واللعب والخروج إلى الأماكن المختلطة والتبرج والسفور، وهي في صراع معهم ولا ملجأ لديها تلجأ إليه إلا الله سبحانه وتعالى.

هذه هي المحنة العظيمة التي تعيشها هذه المرأة.

إخوتي: ما أردت بكتابة قصتها شهرة أبدًا ولكن لشحذ هممكم ودفعكم إلى الصبر إذا كان من بينكم من هو مبتلى في دينه؛ لأن هذه سنة الله في خلقه ولا بد من الابتلاء كما قال الله عز وجل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾

هذه هي قصة هذه المرأة نقلتها لكم كما روتها لي:

هذه امرأة تفعل كل ذلك ونحن !!.

أترك لكم الفرصة حتى يراجع كل واحد منا نفسه ويحاسبها ماذا قدمت لهذا الدين العظيم.

وفي الختام أتمنى من كل واحد منكم أن يتوجه إلى الله بالدعاء لهذه المرأة بظهر الغيب حتى يفرج الله ما بها وأن يجعل لها مخرجًا من هذا البلاء الذي هي فيه .



أكره أمي

الأم هي نبع الحب والحنان، هي الأمان والسعادة والاطمئنان هي بلسم الجراح ربما تكون هي سبب اشتياقنا للدار.. لذلك من الطبيعي أن يحب الجميع أمهاتهم ولا نتعجب أبدًا إذا سمعنا شخصًا يقول: إني أحب أمي.. ولكن ما موقفك أخي وأختي إذا سمعت شخصًا يقول: أكره أمي، أتمنى لها الموت.. أتعتقدون أن هناك سببًا يدفع أي إنسان لأن يقول: أكره أمي؟

للأسف لقد سمعتها من زميلة لي في المرحلة الثانوية من الدراسة قالت: لي إني أكره أمي. تفاجئت منها وكدت أضربها ولكني صرخت في وجهها لماذا؟ لا يجوز، لا تقولي هذا، ولست أنا فقط من استنكر قولها وأنبها، بل كل الفتيات اللاتي سمعنها صرخن في وجهها.. أتصدقون أنها كانت ترفض كتابة أي تعبير يكون

مقررًا علينا في المنهج كتابته إذا كان متعلقًا بالأم، وإذا كتبته تحت ضغط المدرسة لا تكتب فيه سوى عن قسوتهن.

وفي أحد الأيام تقربت منها وكنا أنا وهي فقط في الفصل الدراسي وسألتها عن سبب كرهها لأمها صعقتني أجابتها وندمت لما صرخت في وجهها. هي لم تتردد في إخباري عن حكايتها ومأساتها مع أمها أحسست بأنها كانت تتمنى من زمن طويل أن يسألها أحد عن معاناتها ليتسنى لها إخراج بعض من جراحها وآلامها التي كانت تعكر عليها حياتها لقد أحسست في حينها بوحدتها. قالت لي: لسبب ما طلق أبي أمي، وكنت أنا في سن الرضاعة ولدي أخوات وإخوان أكبر مني في العمر فخرجت أمي من بيت والدي ولم ترض أن تأخذ أي ابن من أبنائها معها حتى أنا التي كنت أرضع من ثديها رفضت أخذي، وبعد مرور فترة من خروجها

من المنزل مرضت مرضًا شديدًا فأخذني والدي إليها ولكنها أبت أن تحملني أو أن تستقبلني في منزلها، وقالت لأبي: إنها ابنتك ولا أريدها، اذهب وارعها بنفسك، فرجع أبي بي إلى المنزل وعشنا مع والدي وهو كان يهتم بجميع أمورنا حتى كبرنا، لم تفكر في زيارتنا ولا مرة واحدة.

وتقول زميلتي أيضًا: بعد زواج أختي الكبرى حملت وعند ولادتها كانت تعبة جدًا تقول: كانت بين الحياة والموت أرادت أن ترى أمي فاتصلنا بأمي لتأتي لرؤيتها ولكن أمي رفضت نهائيًا أن تأتي، ولم تتصل حتى للسؤال عن حال أختي.

ذلك كان مختصرًا لمأساة زميلتي؛ لقد قدرت ظروفها أن أمي لا ترغب في وجودي ولا تحبني ماذا عساي أن أفعل لربما فعلت وقلت أكثر مما فعلته زميلتي. لو أن شخصًا غريبًا لا يمت لنا بصلة قرابة أبدى انزعاجه أو كرهه لنا، فسوف نحس بالمهانة والحزن، فما بالكم بأقرب الناس صلة بكم وهي الأم؟!

أقولها بصراحة: لم أبين لزميلتي أني أعذرها على كرهها لأمها، بل قلت لها: مهما فعلت بك فهي أمك ويجب عليك احترامها ويجب أن تحبيها وتزوريها حتى لو كانت هي قد نسيتك.. كنت دائمًا أحاول أن أجعلها تعذر والدتها على تصرفاتها لسنة كاملة وأنا أحاول معها، ولكن بدون جدوى فجرحها كبيرًا جدًا.



لذة نهايتها مرة[1]

وجدوا نفسيهما وجهًا لوجه مع الرغبة الشرسة التي أطاحت بمقاومة الحرمان، وصرعت على الجانبين الصمود الذي يجب أن يكون، وانتصر الضعف البشري سمة تلك المرحلة من العمر. .

تحت ضغوط لها قسوة، ولا قوة تبطن بالصبر الذي لايرى على مد البصر بصيص أمل. . التعاسة بكل أنواعها. . مجتمعة ومنفردة والآلام في نخاع العظام تطبق عليها، ويجري القلق مع الدماء في أوردتها يوشك أن يفجرها، والذنب يتعاظم يدق أنحاءها. يقطع أحشاءها يتصاعد في همجية إلى عظام رأسها لا تملك الشكوى، وليس من حقها أن تستجير. . وتشكو لمن؟ وتستجير بمن؟ وهى الجانية، والمجني عليها.

حقيقة إن لها شريكًا، ولكن أين الآن الشريك؟ وحتى لو جاء أيستطيع أن يضع عنها شيئًا من آلامها؟ أو يحمل معها هذا العذاب الذي يبثه الشعور بالإثم المضاعف، ثم يسد الأفق أمامها على مدى البصر، ويغلق في خاطرها أبواب الأمل في الغفران؟ فهى من شدة وطأته تستحي أن تسأل الله أن يغفره.

إنها اللحظة التي تتمزق فيها شظايا بلا بقايا. فهى تستقبل في كل ذرة من جسدها آلام المخاض. . أعظم الآلام تختلط بالفرحة لاجتياز تجربة المعجزة الإنسانية، حيث تقذف المرأة من أحشائها ذلك الجنين الذي عاش الشهور في بطنها وأقرب ما يكون إلى قلبها ناشرًا وجوده في كافة أنحائها. . . !

لكنها دون الأمهات اللائي يعبرن أعظم لحظة في حياة الأمهات. .

---

(١) منتديات المسافر.

تقتلع من كيانها مرارة الإحباط لذة الشعور بالوقفة المهيبة على أبواب الأمومة. .

فهذا القادم لا يجب أن يبقى فوجوده يتعارض مع بقائها على قيد الحياة فلا بد من محوه، والقضاء على آثاره وعليها وحدها فعل ذلك وبيديها أن تزيل فلذة كبدها من الوجود!.

ورفعت في محنتها وقمة آلامها وجهها إلى السماء تستنجد بها. . فلم تر صفاء السماء، ولا نجومها، وإنما شهدت الإثم يسد عليها الأفق. . فصرخت صرخة مكتومة تزحزح بها اليأس الذي ران عليها، ورفضت أن تقنط من رحمة الله، وأمعنت النظر بتحسس بصيص أمل فرأت مساحة ضيقة من السماء، وسالت دموعها تطلب المغفرة لإنسان غلبته المعاصي فخاطب ربه بقلبه بعد أن أمسك الاستحياء بلسانه!

كان من الممكن أن تكون هذه اللحظات موجات من السعادة والأفراح الموزعة على أفراد العائلة التي تتكتم عنهم الآن آلامها وعذابها ولكن دائمًا عديمة الجدوى حينما نأتي بعد الأوان !

كل الأمور كانت تمضي كما تتمنى. .

حينما ربطت بينهما جيرة المنطقة، والحي، ولأنه يرابط كل يوم أمام مدرستها الثانوية التجارية. . ثم يسير خلفها من بعيد لا يحاول أن يقترب منها أو يكلمها، ولكنه استلفت نظرها حتى تعودت أن تبحث عن مصيرها في المكان الذي يقف فيه. . كلما خرجت من المدرسة، وهى في طريقها إلى منزلها دون أن تجعل زميلاتها يفطن عما تبحث فإذا رأته اطمأنت وذات يوم لم تجده، فأحست بأنها فقدت شيئًا كان يريحها وفي اليوم التالي لم تجده وتكرر ذلك حتى نهاية الأسبوع، وكادت تنسى لولا أنها في أول يوم في الأسبوع التالي رأته. . وابتسمت وحركت رأسها وعنقها والتفتت إليه كثيرًا، ورأت آثار ذلك سرورًا على ملامحه، وتخلصت من زميلاتها وسلكت طريقًا آخر فتبعها حتى صار بجوارها وقال لها دون أن تسأله: إنه كان مريضًا، وكان في شوق إلى رؤياها وبادلته الحوار كأنهما يعرفان

بعضهما منذ سنوات. . ! وتوالت اللقاءات وعرفت أنه مثلها حصل على دبلوم الثانوية التجارية، وأمسك به والده فألحقه بوظيفة متواضعة في الحكم المحلي، وصار موظفًا عموميًا. . ويشعر أنه مختنق بالمرتب الشهري، فقد كان يأمل في أن يبقى مع والده في تجارة الموبيليا الشعبية لكن الأب يقول له: إن فاتك الميري. . ! وكان المفروض ألا يحب وألا يتزوج إلا بعد سنوات خمس حتى يكون قد ادخر من مرتبه المتواضع ما يصلح مهرًا أو شبكة أو ما يستعين به على الزواج؛ لأن الوالد هو صاحب عدة أولاد وبنات ولا يمكنه أن يساعد إلا في أضيق الحدود، لكن لا يدري كيف تجرأ على الخروج عن البرنامج الذي أعده مع والده. . أكبر الظن وبعض الظن إثم أن في ملامحها جاذبية أنثوية تدير العقول، وفي عينيها شيء من الصعب أن يوصف، فلا هو السحر، ولا هو الهوى، ولكنه خليط من هذا وذاك. . تحف به عزة جريحة، وشموخ تحاول المذلة أن تخضعه. . قليلة الشحم واللحم، غير أن جسمها متناسق. . منسجم التضاريس. كأنها قنينة عطر، وكل ذلك كان مسئولًا عن خروجه على خطة حياته التي يمسك بطرفها ويمسك والده بطرفها الآخر.

ولما سألها عما إذا كان يمكن أن يذهب إلى بيتهم يخطبها أم لا؟ ومتى؟.

فجأة امتلأت بالشجن وأحنت رأسها، وركب صوتها حزن بارز الملامح قالت كلامًا جعله يتألم، والعطف يتفجر منه، ومسح دموعها أكثر من مرة، ولولا أنهما في مكان عام لاحتواها بين ذراعيه ليغطيها من الحزن الذي كان يأتيها من كل جانب. . !

قالت: إنها تعيش في بيتين، تقضي النهار في بيت أمها المتزوجة غير والدها، وتقضى الليل في بيت والدها. . . تنفيذًا لاتفاق بينهما. فهو لا يريد أن يرى ابنته في بيت رجل آخر، ولم تعد أمها ترغب فيها بعد أن أنجبت من زوجها الآخر الأولاد، والبنات. . هي أكبر إخوتها من هنا وهناك، وكانت «دلوعة» الجميع إلى أن وقعت الواقعة، وطلقت والدتها. .

كانت وقتها دون العاشرة. . ثم توالت المحن، وتزوج والدها امرأة مطلقة ولها ولد غير صالح للحياة رسب في الثانوية العامة، وهجر التعليم إلى الشارع، واستهواه الشارع والجلوس على المقاهي، واخترع عملًا له، ولأصدقاء له مثله هو جمع إتاوات من الحوانيت والمقاهي، والذين يقيمون الأفراح أو سرادقات العزاء، ومن لا يدفع يغيرون عليه. . الغريب في الأمر أن والدته فخورة به، وقد سيطرت على الحارة هي الأخرى، وعلى والدي. وهي تنوي أن تزوجني له. لكن والدي يقف في صفي. إلا أنني أعيش في رعب، وعندما أنام في غرفتي كل ليلة لا بد أن أغلقها من الداخل بالمفتاح. وسوف أدبر لك لقاء مع والدي في الخارج لأنها لو عرفت فسوف تعرقل الزيجة بأي شكل، وتحيل حياة والدي إلى لون الهباب. . !

ولم يدر إذا كانت صراحتها تلك جعلته يتمسك بها أكثر أم جعلته يفكر في التراجع، وقبل أن يتخذ موقفًا. دفعه عطفه على معاناتها التي لا يد لها فيها أن يذهب معها إلى الأب، ويخطبها منه، وعلى أن يذهب معها أيضًا إلى والدتها التي رحبت وأصرت على أن يكون إعلان الخطبة عندها، ومن حق الأب أن يشهد الحفل أو لا يشهد وذهبا معًا فاشتريا «الدبلتين» وأعلنت الخطبة.

وانطلقا سويًا إذا تأخرت ليلًا تقول لوالدها: إنها كانت عند أمها، وإذا لم تظهر نهارًا تقول لأمها: إنها كانت عند والدها. . وأتاح لهما ذلك أن يوغلا في التواصل والتنقل في بيوت الأصدقاء والصديقات. . !! وانطلق الجميع يبحثون عن مسكن للخطيبين وقبل والده أن يختصر البرنامج وأن يساعده بالقدر الذي يستطيعه.

وتحت مظلة الخطبة أتيحت لهما اللقاءات المتعددة، والمختلفة، والتي جعلتهما وجهًا لوجه مع الرغبة التي أطاحت بمقاومة الحرمان، وصرعت على الجانبين الصمود الذي يجب أن يكون. . لكنه الضعف الذي يعتري بعض أصحاب هذه المرحلة العمرية تحت ضغوط من ظروف حرمان لها قسوة وقوة

تطيح بالصبر الذي لا يرى على مد البصر بصيص أمل قادم فينتظرونه. أو على بعد فيسيرون نحوه !.

أسابيع وأعلن الخطأ أنه قادم غير عابئ بما حوله من محاذير، وفي كل يوم يؤكد نفسه وثقلت الهموم عليها فاعترفت لأمها، ولطمت على خديها، وذهبا سويًا إلى الخطيب الذي قال: إنه على استعداد لكل ما يجعل الزواج واقعًا.

لكن أين السكن؟ والأثاث ممكن أن يأخذه من والده..

وأخفت الأم، وأخفت هي عن الأب أسير زوجته حتى لا تصله الكارثة.. وانطلقوا جميعًا يبحثون عن مأوى ولكن هيهات..!

وانهمكوا جميعًا في البحث.. يبحث هو عن سكن.. وأمها تبحث عن وسيلة تخلصها من هذا العار القادم، وهي فزعة ملهوفة تسافر مع خواطرها، وتعود مع أحزانها قلقة من الموت مرة، ومن العار ألف مرة.. والأيام تتساقط ولا أمل في العثور على سكن، ولا في إجهاض الجنين. الذي أصبح عصيًا على الإجهاض ورفض كل طبيب أن يقدم فالخطر يهدد الأم، والجنين معًا.

واستسلمت، وهي تهوى إلى قاع اليأس.. تنتظر البلوى والخلاص..! خرج الأمر من أيديهم..

وقبل أن ينتهي الشهر التاسع.. فوجئت وهي وحدها في غرفتها بآلام المخاض.. وربطت على أعصابها بصبر لم تعرف من أين جاءها، وحمدت ربها أنه لا أحد في البيت غيرها، لا تريد أن يشهد فضيحتها أي مخلوق، والألم يدق عظامها بين الحين، وتشعر أن روحها تخرج من أسفلها، وتخرج منها صرخة ألم متأججة، فتدفن وجهها في وسادة، وهي على يقين أنها تموت رويدًا رويدًا، وشق الجنين طريقه، وتمزق شيء أسفلها دق عظام فخذيها، وغالبت الإغماء حتى تقوى على قذف الجنين من بطنها، وانتصرت للطفل الذي صار حياة تتحرك تحتها.. يحاول في إصرار أن يصرخ، ومدت يدها في جنون تكتم صرخاته، وصرخاتها هي

والآلام قد ذهبت مع الصراع بكل عقلها إلى حيث لا تدري. . . !!

وخيل لها أنها غابت عن الوعي لحظة أو لحظات. . !!

وحينما عادت من الإغماء. . وجدت نفسها خرجت من ورطة أصغر إلى ورطة أكبر فقد كان الطفل لا يصرخ ولا يتنفس، وقد خرج من الحياة التي كان على أبوابها، وقامت للتخلص من الكارثة في سذاجة. .

فقد لفت المولود، وكان «أنثى» فرغم ما هي فيه إلا أنها حرصت على أن ترى النوع، وحملتها في ملابس قديمة واتجهت إلى «المنور» وألقت بها، وعادت إلى الفراش لتزيل كل الآثار. لتوهم الجميع أنها مريضة فقط!!.

قصة حقيقية
حدثت لفتاة مسلمة بمدينة الضباب[1]

هذه قصة حقيقية حدثت فعلًا في لندن أحداثها تقشعر لها الأبدان (لم أفهم قصد كاتب القصة من هذه الجملة لكنني تركتها حفاظًا على أمانة نقل القصة) إليكم التفاصيل وبدون مقدمات :

خرجت فتاة عربية (مسلمة) إلى عزيمة لإحدى صديقاتها، وأمضت معظم الليل عندهم، ولم تدرك ذلك إلا عندما دقت الساعة مشيرة إلى أن الوقت قد تعدى منتصف الليل، الآن هي متأخرة عن المنزل والذي هو بعيد عن المكان الذي هي فيه.

نصحت بأن تذهب إلى بيتها بالحافلة مع أن القطار (subway) قد يكون أسرع، وتعلمون أن لندن (مدينة الضباب) مليئة بالمجرمين والقتلة وخاصة في مثل ذلك الوقت!! وبالأخص محطات القطارات، فحاولت أن

---

(١) منتديات المسافر.

تهدئ نفسها وأن تقتنع بأن ليس هناك أي خطر، وقررت الفتاة أن تسلك طريق القطار لكي تصل إلى البيت بسرعة، وعندما نزلت إلى المحطة والتي عادة ما تكون تحت الأرض استعرضت مع نفسها الحوادث التي سمعتها وقرأتها عن جرائم القتل التي تحدث في تلك المحطات في فترات ما بعد منتصف الليل، فما أن دخلت صالة الانتظار حتى وجدتها خالية من الناس إلا ذلك الرجل، خافت الفتاة في البداية لأنها مع هذا الرجل وحديهما، ولكن استجمعت قواها وحاولت أن تتذكر كل ما تحفظه من القرآن الكريم، وظلت تمشي وتقرأ حتى مشت من خلفه وركبت القطار وذهبت إلى البيت.

وفي اليوم التالي كان الخبر الذي صدمها، قرأت في الجريدة عن جريمة قتل لفتاة حدثت في نفس المحطة وبعد خمسة دقائق من مغادرتها إياها، وقد قبض على القاتل.

ذهبت الفتاة إلى مركز الشرطة وقالت بأنها كانت هناك قبل خمس دقائق من وقوع الجريمة، تعرفت على القاتل. هنا طلبت الفتاة أن تسأل القاتل سؤالًا، وبعد الإقناع قبلت الشرطة الطلب.

سألت الفتاة الرجل: هل تذكرني؟

رد الرجل عليها: هل أعرفك؟

قالت: أنا التي كنت في المحطة قبل وقوع الحادث!!

قال: نعم تذكرتك.

قالت: لِمَ لمْ تقتلني بدلًا عن تلك الفتاة ؟!.

قال: كيف لي أن أقتلك، وإن قتلتك فماذا سيفعل بي الرجلان الضخمان اللذان كانا خلفك.

فما زال على تلك الفتاة من الله حافظ حتى وصلت إلى بيتها.

❁ ❁ ❁

زينب الغزالي.. من القبعة إلى الحجاب[1]

زينب الغزالي امرأة ينطبق عليها قول رسول الله ﷺ : **«خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»** .

فقد كانت قبل التزامها بالدين الإسلامي شعلة متوقدة، ولسانًا طليقًا ينطق بغير الحق ويدافع عنه، اعتقادًا منها أنه الحق، ثمّ ما لبثت أن أبصرت النور، فأعطت في الالتزام أضعاف ما أعطت في غيره، وهي إلى اليوم من أركان العمل الإسلامي النسائي في الوطن الإسلامي الكبير، فقد أسست لهذا العمل وعملت له بكلّ إخلاص وتفان، وما زالت.

نسيبة بنت كعب:

وُلدت زينب محمد الغزالي الجبيلي في ٢ يناير١٩١٧م بإحدى قرى محافظة البحيرة بمصر، وقد كان والدها من علماء الأزهر الشريف، فأنشأها على حبِّ الخير والفضيلة، ونمّى فيها استعدادها الفطري للقيادة والجرأة في الحق، والصدق في الحديث، والوقوف ضدّ الظلم، وكان يسمّيها «نسيبة» تيمنًا بالصحابية الجليلة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية، التي اشتهرت بالشجاعة، وتُعدُّ من أبطال المعارك، وقد أبلت بلاءً حسنًا يوم أُحد، وجُرحت اثني عشر جرحًا بين طعنة وضربة سيف، وكانت ممّن ثبتوا مع رسول الله ﷺ حين تراجع الناس.

عندما أراد والدها أن يُشبّهها بهذه الصحابية الجليلة، إنّما كان يرمي إلى تعويد ابنته الصغيرة على حبِّ الجهاد، والذود عن الدين الإسلامي، وعن سيرة رسول الله ﷺ، وعن صحابته الكرام، فصنع لها سيفًا من الخشب وخطَّ لها دائرة على الأرض بالطباشير، وقال: قفي واضربي

(١) لها أون لاين، محمد علي الغريب.

أعداء رسول الله، فكانت تقف في وسط الدائرة، تضرب يمينًا وشمالًا، من الأمام ومن الخلف، وعندما يسألها والدها: كم قتلتِ من أعداء رسول الله وأعداء الإسلام؟ فتقول: واحدًا، فيقول لها: اضربي ثانية، فتطعن الهواء وهي تقول: اثنان، ثلاثة، أربعة، وهكذا.

وفاة والدها:

لم تدم طفولتها السعيدة بعد وفاة والدها وراعيها ومحفِّزها على الدفاع عن الدين وصيانته وهي في سنّ العاشرة، فأحسَّت بضياع أحلامها وآمالها، ثمّ انتقلت ووالدتها إلى القاهرة للعيش مع إخوتها الذين يدرسون ويعملون هناك. وعندما رغبت في إتمام دراستها اعترضها أخوها الأكبر محمَّد الذي قال لوالدته عندما حدثته في هذا الشأن: إنَّ زينب قد علَّمها والدها الجرأة، وعلَّمها ألَّا تستمع إلَّا لصوتها ولعقلها، ولذلك لا أوافق على إتمام تعليمها ما دمت وليّها، ويكفي ما تعلّمته في مدارس القرية.

كان موقف محمّد أوّل تغيير في حياتها بعد وفاة والدها، ولم تكن راضية عن هذا الموقف، وكانت والدتها تقول لها: عليك بإطاعة أوامره لأنّه في مكان والدك.

في وسط هذه الحيرة المبكِّرة ساعدها أخوها علي، وهو الأخ الثاني، على الاستمرار على موقفها، وكانت قناعاته تتمثَّل في أنَّ تعليمها يقوِّم أفكارها، ويصوِّب رؤيتها للأشياء والناس، واقتنى لها العديد من الكُتب التي ملأت حياتها وآنستها في وحدتها، أهمها كتاب لعائشة التيمورية عن المرأة حفظت أكثر مقاطعه.

لم تكتف بالكتب والقراءة الحرّة، فخرجت ذات يوم من منزلها بحي شبرا وعمرها آنذاك اثنا عشر عامًا، وراحت تتجوّل في الشوارع، فوقعت عيناها على مدرسة خاصة بالبنات، فطرقت بابها، وعندما سألها البوّاب عن غرضها، قالت له: جئت لمقابلة مدير المدرسة. فسألها: لماذا؟ فقالت وهي واثقة من نفسها: أنا السيدة زينب الغزالي الشهيرة بنسيبة بنت

كعب المازنية، ولديّ موعد معه. فأدخلها البوّاب وهو يتعجّب من طريقة هذه الفتاة الصغيرة.

دخلت مكتب المدير وبادرته قائلة في طريقة آلية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أنا السيدة زينب الغزالي ولقبي نسيبة بنت كعب المازنية؛ فنظر إليها الرجل وتصوَّر أنَّ بها مسًّا من الجن من طريقة إلقائها، ثمّ قال لها: ماذا تريدين يا سيدة زينب أو يا سيدة نسيبة؟ فقصّت عليه قصّتها وموقف شقيقها الأكبر من تعليمها، وطلبت منه أن يقبلها طالبة في مدرسته، وعندما سأل عن والدها وأخيها عرفها وعرف أسرتها، وعرف جدّها تاجر الأقطان المشهور، ووالدها الأزهري المعروف. أُعجب مدير المدرسة بذكاء الفتاة وجرأتها وأجرى لها اختبارًا في بعض الأسئلة، فأجابته بكلّ ثقة، فطلب منها إحضار أخيها علي الذي يؤيّد تعليمها ليسجّلها في المدرسة. وبعد شهرين من انتظامها في الدراسة أجرى لها اختبارًا ألحقها على إثره بالفصل التالي، ثمّ انتقلت بعده إلى الصف الأول الثانوي.

الاتحاد النسائي:

بعد حصولها على الثانوية طالعت في إحدى الصحف أنَّ الاتحاد النسائي الذي ترأسه هدى شعراوي ينظّم بعثة إلى فرنسا، تتكوَّن من ثلاث طالبات، الأولى في زينة المرأة، والثانية في تربية الأطفال، والثالثة في الحقوق للدفاع عن حقوق المرأة. ذهبت من فورها إلى مقر الاتحاد النسائي والتقت بهدى شعراوي، وقصّت عليها قصّتها مع أبيها وأخيها المتعنّت، فأظهرت هدى شعراوي الألم والرثاء لحالها، ثمّ سجلتها ضمن الطالبات الثلاث على الفور وراحت تقدّمها لروّاد الجمعية وتتحدّث عنها أمامهن، وتدعوها للترحيب بهن، وكانت تطلب منها أن تخطب فيهن، فكانت تفعل، فهي خطيبة مفوّهة، تلقّت فنون الإلقاء والخطابة عن والدها رحمه الله.

بعد ما تحدَّد موعد سفر أعضاء البعثة في غضون شهر من إعلانها رأت زينب والدها في منامها وهو يطلب منها عدم السفر إلى فرنسا ويقول لها: إنَّ الله سيعوِّضك في مصر خيرًا ممَّا ستجنيه من البعثة، فقالت له: كيف؟ قال: سترين، ولكن لا تسافري لأنني لست راضيًا عن سفرك. فوجئت هدى شعراوي بهذا القرار فقامت واحتضنت زينب وهي تبكي وتضغط على يديها وتقول: لماذا يا زينب؟ لماذا يا زينب؟ . . أنت أمل من آمالي، وحلم من أحلامي، فقصَّت عليها قصَّة الرؤية فقالت: من الأحلام ما يتحقق ومنها ما لا يتحقق، لا تضيِّعي الفرصة من يديك. فقالت لها زينب الغزالي: ما دام والدي قد أمرني فلن أخالف أمره. ثمَّ راحت تعمل من خلال الاتحاد النسائي الذي كانت إحدى عضوات مجلس إدارته البارزات، برغم اعتراض بعض العضوات على أسلوبها الذي لا يخلو من النبرة الإسلامية، لكن هدى شعراوي تمسَّكت بها وكانت تعدُّها لتكون خليفتها، وترى فيها ما يمثِّل شيئًا ما بالنسبة لأحلامها وآمالها!.

معركة مع الأزهريين:

خاضت زينب الغزالي حروبًا كثيرة ضد الأزهر الذي كان يكافح الاتحاد النسائي ويخشى من قناعات زينب بهدى شعراوي ومشروعها من منطلق إسلامي، وهو ما يمثِّل فخًّا لكثير من الفتيات، فكان الأزهر الشريف أوَّل مؤسسة تنبَّهت لهذا الأمر ووقعت في تصادم حاد وعنيف مع الاتحاد النسائي، وأقام نتيجة لذلك العديد من اللقاءات والمنتديات الثقافية في بعض الكليات والمعاهد الأزهرية، ودعا فيها الاتحاد النسائي للمناظرة، فكان أن انتدبت هدى شعراوي ثلاث فتيات لتمثيل الاتحاد في هذه المنتديات هنَّ: زينب الغزالي، سيزا نبراوي، حواء إدريس ابنة خال هدى شعراوي.

وفي أحد هذه اللقاءات تحدَّث بعض شيوخ الأزهر عن دعوة هدى شعراوي، وراحوا يؤكدون أنَّها تريد الخروج بالمرأة المسلمة من محيط

التعاليم الشرعية، فوقفت لهم زينب بالمرصاد مدافعة ومؤكدة أنَّ هدى شعراوي تريد الارتقاء بالمرأة المسلمة، وتنمية عقلها وفهمها، ورؤاها، والسعي من أجل الحصول على حقوقها.. إلى آخر هذه الشعارات الرنَّانة الزائفة، التي كانت تؤديها بكلّ صدق وإخلاص وانبهار حقيقي من وجهة نظرها آنذاك!

وقد حدث ذات يوم أنّها تصدّت لعشرة من مشايخ الأزهر، فهاجمتهم وانتصرت لأفكار هدى شعراوي، فما كان منهم إلا أن طلبوا من الشيخ عبد ربه مفتاح رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر منعها عن الوعظ، لكنّ الرجل كان ذا عقل راجح وعلم غزير، فقال لهم: لقد واجَهَتْ عشرة من علماء الأزهر ولم يستطيعوا إقناعها، ونحن إذا أوقفناها عن الوعظ أنبأ هذا عن فساد رأينا وصدق ما تدّعيه، لذلك أرى مواجهتها. فقال أحد العلماء واسمه الشيخ محمّد النجّار: أنا لها!

وحينما ذهبت في اليوم التالي بصحبة رفيقتيها سيزا وحواء وجلسن، جاء الشيخ وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والسلام عليكم أيتها الفتاة التي تناقش علماء الأزهر وتدافع عن السيدة الفاضلة هدى شعراوي وجمعيتها وأغراضها.

فوقفت زينب الغزالي وقالت له: بداية أنا زينب الغزالي الجبيلي، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثمّ بدأت تحاضر في الفتيات، فشدّت انتباه الشيخ، فقال لها بعد فراغها من المحاضرة حين همّت النساء بالخروج: هل تسمحين يا ابنتي أن أحدّثك دقائق في مجال الدعوة الإسلامية؟

فقالت له: سمعًا وطاعة.. تفضّل. جلس الشيخ ثمّ رفع يديه إلى السماء، ودعا الله عزّ وجل قائلًا: اللهم إنّي أسألك بأسمائك الحسنى، وبكتابك الذي أنزلت وبسنّة نبيّك الذي أرسلت، أن تجعلها للإسلام، إنّك على كلّ شيء قدير، أسألك بالقرآن أن تجعلها للإسلام، وصلّ اللهم على سيدنا محمّد. ثمّ دمعت عيناه فتأثرت زينب بهذا الموقف ودمعت هي

الأخرى وحاولت إخفاء دموعها عن الشيخ ثمّ سألته: لماذا تعتقد أنّني لست مع الله، وأنا أصلّي وأصوم وأقرأ القرآن وسأحجّ بيت الله حين تيسّر أموري بمشيئته، كما أتمنى أن أستشهد في سبيل الله. فقال الشيخ النجّار: أحسبك كذلك، واستمرّ في دعائه ثمّ قال لها: هل تعودين إلى هدى شعراوي بعد خروجك من هنا أم ستبقين مع الله ورسوله؟ فقالت: وأنا مع هدى شعراوي أعتبر نفسي مع الله ورسوله. فقال لها: هل تعاهديني على نصرة الحق؟ فعاهدته، واستمرّت علاقتها بالشيخ النجّار الذي أوضح لها أمورًا كثيرة في الدين كانت تجهلها، وكان لها رأي مخالف فيها قبل معرفتها بالشيخ، وتفتّحت عيونها على قضايا كثيرة لم تكن تعلمها من قبل.

الحجاب الحجاب:

وفي أحد الأيام دخلت مطبخ أسرتها لمتابعة الطبّاخ أثناء إعداد الغداء، فانفجر موقد الغاز فيها، وقد طالت النار وجهها وكلّ جسدها، وحينما حضر الطبيب وقام بالإسعافات اللازمة، طلب منها عدم الحركة، والنوم في السرير، وأخبر إخوتها بضرورة سفرها إلى الخارج للعلاج، لكنّها اعترضت على السفر وتعرية جسدها أمام الأغراب، فكان الطبيب يأتي كلّ يوم لعلاج الجروح والحروق، لكنّ حالتها كانت تسوء كلّ يوم، وفقد الطبيب والأسرة الأمل في شفائها، وقال لأخيها: إنّها ستموت ولن تخرج من محنتها هذه. فاتصل أخوها بأهلهم في القرية وأخبرهم بقول الطبيب، وعمّ الحزن المنزل دون إخبارها بما قاله الطبيب، لكنّها سمعت صوت أخيها وهو يتحدّث في الهاتف، برغم حرصه الشديد على عدم سماعها المحادثة، فكانت تتيمّم وتجتهد في العبادة استعدادًا للموت، وقد دعت الله سبحانه وتعالى قائلة:

«ياربّ! إذا كان ما وقع لي عقابًا لانضمامي لجماعة هدى شعراوي، فإنّني قررت الاستقامة لوجهك الكريم، وإن كان غضبك عليّ لأنني

ارتديت القبعة، فسأنزعها وسأرتدي حجابي، وإنّي أعاهدك وأبايعك يا ربي إذا عاد جسمي كما كان عليه سأقدّم استقالتي من الاتحاد النسائي وأؤسس جماعة للسيدات المسلمات لنشر الدعوة الإسلامية ونعمل على عودة المرأة المسلمة إلى ما كانت عليه صحابيات رسول الله ﷺ، وأدعو لعودة الخلافة الإسلامية، وأعمل من أجلها وأجاهد في سبيل الله ما استطعت».

سبحان الله.. ما أروع الإخلاص في الدعاء، وصدق التوبة والأوبة إلى الله تعالى، والتيقُّن من قدرته سبحانه على ما يشاء. لم تكن زينب تتوقع استجابة دعائها بمثل هذه السرعة التي وصفتها بأنّها كانت نتيجة مذهلة لا يمكن معها لقدرتنا العقلية المحدودة أن تعي المقدرة الإلهية التي تحوّل الأشياء إلى نقائضها، فبمجرّد أن جاء الطبيب في موعده المعتاد، ورفع اللفائف حتي ذُهل وذُهلت وذُهل جميع الحاضرين.

وقد سألها الطبيب من فرط دهشته: من أنت؟؟!

فرح جميع من بالبيت بشفائها وتوجّهوا إلى الله يلهجون بالشكر والحمد.

وقد رفض الطبيب تقاضي أية أتعاب بعد ما رأي بأمّ عينيه هذا التحوُّل المفاجئ، وراح يردد: سبحان الله.. سبحان الله، إنَّ الله على كلّ شيء قدير.

استقالة:

عندما تعافت زينب وعاد جسدها كما كان قبل الحرق، أوّل شيء فعلته كتبت خطابًا لهدى شعراوي، أعلنت فيه استقالتها من الاتحاد النسائي، ثمّ تخلّت عن جميع ملابسها الموجودة، وطلبت من أخيها جلبابًا فضفاضًا، وخمارًا وضعته على رأسها بدلًا من القبعة.

ورُبَّ ضارة نافعة، فقد كان في احتراقها كلّ الخير، وقد تحوّلت هذا

التحوُّل الكبير وغيَّرت أفكارها واتجهت بها إلى نصرة الدين الإسلامي والالتزام بالحجاب الإسلامي.

تلقَّى علماء الأزهر -خصوصًا الشيخ النجَّار- نبأ تحوُّلها بالبشر والفرح، ثمَّ توالت أنشطة زينب الغزالي من يومها، وقد بدأتها عام ١٩٣٦م حين أسَّست «جمعية السيدات المسلمات» تدعو إلى الله على بصيرة، وكانت محضنًا خصبًا ترعرعت فيه الكثيرات من الكوادر النسائية الإسلامية اللائي عملن للدعوة منذ نعومة أظفارهن دون مرورهن بالدهاليز التي سلكتها المربية الفاضلة زينب الغزالي بحثًا عن كوّة النور، التي هديت إليها بعد معاناة وإخلاص وجدّ في البحث، ثمَّ أهدت عصارة تجاربها للقادمات من بعدها، تحذِّرهن من الانخداع بمعسول الكلام وبريق الشعارات التي خاضت فيها يومًا وقد أنجاها الله بعد ما كادت تهلك!

كانت زينب الغزالي علامة بارزة من علامات فضح هذه الدعاوى الباطلة، وكانت بذرة صالحة وُلدت مع دعوة خبيثة رضعت لبنها فلم تستسغه وانقلبت عليه سالكة طريق الحقّ تكافح هذه الدعوة وتلاحقها، حتى شحب عودها واصفرّ لونها.

تحوَّلت زينب حينما ذاقت حلاوة الإيمان، بعد ما جرَّبت علقم الشعارات الرنَّانة، وبعد ما تأكدت من سعة الإسلام الصالح لكلّ زمان ومكان، وتأكَّدت من ضيق هذه الأباطيل وعجزها عن استيعاب الذين ما زالوا يروِّجون لها، ويدافعون عنها، وينفخون فيها لإحيائها، بعد ما انكشفت حقيقتها، وخبت نارها، ووهنت وشاخت أمام شرعة الإسلام المتدفقة بالحيوية والصلاحية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

كانت هذه هي رحلة زينب الغزالي الشاقة والمضنية من القبعة إلى الحجاب، استدبرتها لتستقبل مرحلة أخرى أكثر معاناة، ويا لها من معاناة يزيل لفح هجيرها نسمة من نسمات المسلمات بقيادة زينب الغزالي، انهالت عليها الابتلاءات بالتضييق في الرزق تارة، وبالمعتقلات والملاحقة تارة أخرى، فكانت تستقبل هذه المحن بروح عالية مدركة أنَّ ذلك من

سنن الدعوات الصالحة، من أجل تنقيتها من خبثها، فثبتت -يغفر الله لها- في وجه المحن جميعها، ثمّ عادت بعد سنوات طويلة من الظلم والهوان حاملة دينها بين يديها، وقد أودعته قلبها حتى تسلّل إلى جميع خلاياها، ينهل منه ومن سيرتها العطرة محبُوها من كلّ مكان إلى يومنا هذا. فاللهمّ اجزها خير الجزاء وتقبّل عملها خالصًا لوجهك الكريم .



(مريم جميلة)
من ضيق اليهودية إلى سعة الإسلام[(١)]

يالله.. ما أروع الهداية وإبصار النور والحق بعد الضلال.. ما أروع أن يجد المرء نفسه محاطًا بهالات ودفقات إيمانية تنعش نفسه وروحه، وتنتشر في جنباتهما بعد طول ظمأ وإقفار وإعياء ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

تلكُم «مريم جميلة» ذاك النموذج الفريد للمرأة التي بحثت عن الحقيقة وصبرت وثابرت حتى عرفت الطريق إلى الله، وعلمت أنّ حياة المرء إمّا له وإمّا عليه، فاضطلعت بدورها في الحياة، امرأة مسلمة تدعو إلى الله، وتقاوم شريعة المبطلين ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا.

مارجريت ماركوس:

وُلدت (مارجريت ماركوس) - مريم جميلة - في نيويورك عام ١٩٣٤م لأبوين يهوديين، وتلقّت تعليمها الأولي في ضاحية (ويستشير) الأكثر ازدحامًا، كان سلوكها ونمط تفكيرها ينبئ منذ البداية بزلزال سيغيّر حياتها ليخرجها من الظلمات إلى النور، ويجذبها بعيدًا عن مستنقع اليهودية، لتنعم هناك على مرفأ الإسلام، فقد انكبت على الكتب، وهي ما زالت صبية طريّة العود، وكانت تكره السينما والرقص وموسيقا البوب، ولم تضرب قط موعدًا لمقابلة صديق، ولم تعرف طريقها إلى الحفلات المختلطة واللقاءات الغرامية!

تقول مريم: «نمت لديّ الرغبة منذ العاشرة في قراءة كلّ الكتب التي تتحدّث

(١) لها أون لاين.

عن العرب، فأدركت أنَّ العرب لم يجعلوا الإسلام عظيمًا، لكن الإسلام هو الذي حوَّلهم من قبائل في صحراء قاحلة إلى سادة العالم».

بعد نجاحها في الثانوية في صيف ١٩٥٢م التحقت بقسم الدراسات الأدبية بجامعة نيويورك، ولكنها مرضت في العام التالي واضطرت لوقف دراستها لمدة عامين عكفت خلالها على دراسة الإسلام، وبعد ما عادت للدراسة وهي محمَّلة بتساؤلات كثيرة وحنين إلى العرب، التقت شابة يهودية كانت عقدت عزمها على الدخول في الإسلام، وكانت مثلها تحبّ العرب حبًا عاطفيًا، فعرَّفتها على كثير من أصدقائها العرب المسلمين في نيويورك، وكانتا تحضران الدروس التي يلقيها الحاخام اليهودي، والتي كان موضوعها «اليهودية في الإسلام» وكان الحاخام يحاول أن يثبت لطلبته تحت شعار «مقارنة الأديان» أنَّ كلّ صالح في الإسلام مأخوذ مباشرة من العهد القديم (التلمود) وهو التفسير اليهودي للتوراة. وكان الكتاب المقرَّر الذي ألَّفه الحاخام به بعض الآيات من القرآن الكريم، ليتبع أصول كلّ آية من مصادرها اليهودية المزعومة.

زيف وتناقض:

بالإضافة إلى هذا كانت الصهيونية تبثُّ أفكارها بكلّ حرية عن طريق الدعايات في الأفلام والمطويات الملوّنة التي كانت تدعو إلى الدولة الصهيونية وترحِّب بها. لكن الأمر كان بالنسبة لها مختلفًا، فقد رسخت هذه الأفعال في ذهنها تفوُّق الإسلام على اليهودية، إذ إنَّ الصهيونية حافظت دائمًا على طبيعتها القبلية الضيقة، وفي كتبهم التي تدوِّن تاريخ اليهود أنّ إلاههم قبلي خاص بهم!!

ومن المفارقات العجيبة أنَّ رئيس وزراء إسرائيل السابق «بن جوريون» كان لا يؤمن بإله معلوم له من الصفات الذاتية ما يجعله فوق الطبيعة، ولا يدخل معابد اليهود ولا يعمل بالشريعة اليهودية، ولا يراعي العادات والتقاليد، ومع هذا فإنَّه معتبر لدى الثقات عند اليهود التقليديين الذين

يعتبرونه أحد كبار اليهود في العصر الحاضر، كما أنَّ معظم زعماء اليهود يعتقدون أنَّ الله وكيل للعقارات، يهبهم الأرض ويخصهم بها دون غيرهم!!

كلّ هذه المتناقضات جعلتها تكتشف زيف اليهود سريعًا، واكتشفت أيضًا حقد العلماء اليهود على المسلمين وعلى الرسول ﷺ؛ لذا كانت الهوة تتسع مع مرور الوقت، ويزداد النفور كلما اقتربت وتعمّقت في أفكارهم.

قرأت مريم ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإنجليزية للأستاذ «محمد بيكتول»، فوقع في قلبها أنَّ هذا كتاب سماوي من لدن حكيم خبير لم يفرِّط في الكتاب من شيء، وأصبحت تتردد بشكل يومي على مكتبة نيويورك العامة، تنهل العلم من أربعة مجلدات مترجمة لـ «مشكاة المصابيح» وجدت فيها الإجابات الشافية المقنعة لكلّ الأمور المهمة في الحياة، فزاد شعورها بضحالة التفكير السائد في مجتمعها، الذي يعتبر الحياة الآخرة وما يتعلّق بها من حساب وثواب وعقاب ضربًا من الموروثات البالية، وازداد اقتناعها بخطر الاستسلام لشهوات النفس، والانغماس في الملذات الذي لا يؤدي إلّا إلى البؤس وسوء السبيل.

الله أكبر.. ولدت مريم!

وفي يومٍ من أيام عام ١٩٦١م حسمت «مارجريت» أمرها واتخذت قرارها، فتوجهت إلى مقر البعثة الإسلامية في «بروكلين» بنيويورك، وأعلنت إسلامها على يد الداعية «داود فيصل»، وأصبح اسمها «مريم جميلة». في العام التالي هاجرت مريم إلى باكستان بدعوة من الشيخ أبي الأعلى المودودي، ثمّ تزوجت الداعية الإسلامي «محمد يوسف خان» وأنجبت منه أربعة أطفال.

قالت مريم بعد أن سكنت نفسها واطمأنت روحها ببرد الحقيقة العذبة:

«رغم أنَّ باكستان شأنها شأن أيّ بلد مسلم آخر، تزداد باستمرار تلوثًا بقاذورات أوربا وأمريكا الكريهة، إلا أنّها تجعل من الممكن للمرء أن يعيش حياة

متفقة مع تعاليم الإسلام. أعترف أنني أحيانًا أفشل في جعل حياتي اليومية تتفق تمامًا مع تعاليم الإسلام، ولكني أعترف بالخطأ بمجرّد ارتكابي له، وأحاول قدر استطاعتي تصحيحه».

تفاعلت جميلة مع أحداث العالم الإسلامي وتياراته الفكرية، فقالت في رسالة موجهة إلى عموم المسلمين: «اتبعوا هدي القرآن والسنة، ليس كمجموعة من الشعائر فقط، بل كمرشد عملي للسلوك في حياتنا اليومية الخاصة والعامة، اتركوا جانبًا الخلافات.. لا تضيّعوا وقتكم الثمين في الأشياء غير المجدية، وبمشيئة الله سيتوّج المولى حياتكم بالفلاح العظيم في الحياة الدنيا، وبالفوز الأعظم في الآخرة».

ولم تنسَ مريم موطنها الأصلي، فقد بعثت برسالة إلى والديها في مارس ١٩٨٣م تقول فيها: «لا بدّ أن تعرفا أنّ المجتمع الذي نشأنا وعشنا فيه كلّ حياتنا يشهد حالة من التفسخ السريع، وهو الآن على شفا الانهيار. إنّ أمريكا الآن تكرار لروما القديمة في المراحل الأخيرة من انهيارها، والأمر نفسه يصدق على أوربا وأيّ مكان تغلب عليه الثقافة الغربية. لقد فشلت العلمانية والمادية أن تكونا أساسًا لنظام اجتماعي ناجح».



نهاية الغش

هذه قصة طالبة غشت في الاختبار ترويها للعبرة فتقول:

«درست الجامعة وأنا أبلغ من العمر تسعة عشر عامًا، وتعرفت على إحدى الطالبات الموسرات ماديًا بينما الرجل الذي تزوجته كان طالبًا في الجامعة وليس لنا مورد رزق سوى المكافأة الشهرية، فبهرت بمستوى هذه الزميلة الاجتماعي وهي تروي لي أنها تتبسوق بعشرات الآلاف من الريالات، وفي نهاية الأسبوع الدراسي تسافر إلى الدول العربية الشقيقة أو إلى دول أوروبا لتروح عن نفسها لذلك هي لا تجد الوقت الكافي للاستذكار وكنت مبهورة بها وبملابسها ولم أفكر يومًا في أخلاقها أو دينها، ودخلنا امتحان أحد المواد العملية ورجتني أن أساعدها في الامتحان مصورة لي أن الغش هو مساعدة، وبغفله مني عن تعاليم ديني الحنيف مع جهلي بنقطة هامة هي أن التغشيش في الامتحان ليس محرمًا بل شيء محمود؛ لأنه مساعدة وإنني أيضًا أؤجر على ذلك من الله، وفعلًا ما كتبت كلمة استذكرتها مع أني في شهري الأخير من الحمل إلا وأعطيته لهذه الطفيلية تكتبه في ورقة إجابتها، ولأني كنت أقوم بهذا علي جهل مني أكثر من أنه غفله فأراد الله العلي العظيم أن أتعلم درسًا أعلم به أولادي وأحذرهم فيما وقعت فيه.. في اليوم الثاني قدمت امتحان المادة الثانية وكان هناك سؤال أجبت عليه، ولكن كنت أريد التأكد من صحة الإجابة فسألت من كنت أعتقد بأنها صديقتي المخلصة عن طريق الإشارة إن كانت الإجابه صحيحة أم لا، فردت علي ردًا نزل كالصاعقة إذ قالت: اذهبي وتأكدي من المحاضرة من الملازم بعد أن تخرجي، فمن شدة القهر منها بكيت بصوت عالي حتى أن المراقبة ظنت بأني أبكي من شعوري بألم المخاض وكانت شديدة الفزع وهي تسألني عن رقم هاتف زوجي ليتم

استدعاؤه لينقلني إلى أقرب مستشفى فرددت عليها لا ليس ألم الولادة ولكنه ألم الشعور بالقهر، فسألتني من ماذا؟ فلم أجبها لأني كنت خجلة من الجهر بالذنب الذي ارتكبته، ومن بعد هذه التجربة تبت إلى الله من الغش أو التغشيش. وعند كل امتحان يدخله أولادي أذكرهم بقصتي.



تجربتي مع ابنتي

تعرضت لموقف صعب ولله الحمد بتفكيري الواعي تجاوزت هذا الموقف بسهولة..

ابنتي كانت في المرحلة الابتدائية وبالتحديد في السنة الرابعة..

وكانت أيام الاختبارات مريضة جدًا بالإنفلونزا الحادة.. مصاحبة لارتفاع الحرارة وكتمة في الصدر.. والأدوية تساعد على النوم وعدم القدرة على التركيز.. أيام الاختبارات كانت عصبية جدًا لأنها دائمًا خائرة القوى ونائمة على السرير.. وأنا أذاكر لها وهي شبه واعية وكنت أدعو الله أن يعينني على تدريسها والاستمرار بدون كلل أو تعب.. والباقي على الله.

وقبل الانتهاء من الاختبارات بثلاثة أيام.. أفاجأ بأن ابنتي راسبة في المواد السابقة.. قريبة لي في المدرسة نبهتني بأن المدرسات أخبروها بهذا الخبر..

شعرت بأنني لا أقدر على تحريك رجلي من هول المفاجأة.

التصرف الذي اتبعته بعد ذلك والحمد لله ساعدني كثيرًا في تغير الإحساس والألم إلى الإصرار والحماس إذ قلت لنفسي: لماذا أنا متفاجئة إلى هذا الحد.. أليس الدعاء يصارع القدر في السماء ويغيره أو يخفف من وقعته علينا؟

لماذا لا أحمد ربي بأنني لم أسمع بموتها مثلًا أو أنني لم أسمع بشيء يمكن أن يكون إعاقة مستديمة لها فلله الحمد والمنة فسنة تضيع ولا كل السنوات.

المهم كنت أقوم ليلًا وأدعو الله على أنه هو القادر على أن يغير ما هو واقع بالدعاء والرجاء.. وكنت أحمد الله كثيرًا بأنه قادر على أن ينزل ما

هو أكبر من ذلك ولكن هذا أخف من مصائب كثيرة كبيرة.

المفاجأة.. بعد إتمام الاختبارات وكنت في حماسي ذاته ولم أتهاون أو أقلل من إصراري لأن الله مغير الأحوال..

ففوجئت من كلام قريبتي لي بأن ابنتي لم ترسب ولا في مادة.. وإنها متفاجئة من المستوى الذي حصلت عليه الطالبة..

والله على ما أقول شهيد..



الزوج الغضبان[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ».

ضاقت ليلى بزوجها عادل وما عادت تصبر على كثرة غضبه، فهو يثور عليها إذا بدر منها أي خطأ، حتى وإن كان غير مقصود، ويثور غاضبًا إذا تأخرت ولو لحظات في إحضار ما يطلبه منها، وينفجر في الصراخ إذا حاولت تأديب أحد أولادها.

إزاء هذه الحال لم تجد ليلى بدًا من التوجه إلى بيت أهلها، تعبيرًا عن احتجاجها على غضب زوجها المستمر، وقررت ألا تعود إلى زوجها إلا بعد تعهده لها بعدم الهياج عليها.

زار عادل بيت عمه، والتقى بزوجته، وعبر لها عن اعتذاره الشديد على ما كان يصدر منه من غضب.

قالت زوجته: أقبل اعتذارك، ولكني لن أعود إلى بيتنا إلا بعد تعهدك لي بأن تملك نفسك عند الغضب.

قال لها: أعاهدك على ذلك.

قالت: وإن غضبت؟

قال: أعدك أن أعطيك مائة دينار عن كل ثورة غضب أثورها عليك.

قالت: رضيت.

عادت ليلى مع زوجها وهي فرحة راضية بما حققت من نصر، فهي رابحة في كل حال، إن غضب عادل أعطاها المال، وإن كتم غضبه ارتاحت واطمأنت.

---

(١) مجلة الأسرة عدد (١٠٥) ذو الحجة ١٤٢٢ هـ.

مضت الأيام والسلام يسود بيتهما، فعادل توقف عن ثورات الغضب، وما عاد يصرخ في وجه زوجته لأي سبب، وحين كان يثيره أمر لا يرضيه فإنه يستحضر وعده لزوجته بدفع مئة دينار لها فيملك نفسه. وقد كان يصحح ما يراه من أخطاء، وينصح زوجته وأبناءه، ويوجههم إلى أداء الفرائض الدينية والواجبات، ولكنه كان يقوم بهذا كله في روية وهدوء وصوت خفيض.

وفي مرة من المرات التي هاج فيها الزوج وثار استقبلت غضبه المفاجئ بفرح أدهشه في البداية ثم انتبه إلى أن غضبه هذا كلفه مئة دينار صار عليه أن يدفعها إلى زوجته.

غرقت ليلى في الضحك وهي تمد يدها إلى زوجها قائلة: هيا.. أدخل يدك وأخرج محفظتك وناولني مئة دينار.

ابتسم عادل وهو يخرج محفظته ويناولها زوجته قائلًا: خذي مئة دينار فهي من حقك.

صارت ليلى تعد ما في المحفظة وهي تقول لزوجها وسط ضحكها: طال انتظاري لهذا الغضب. قال عادل: لقد فرحت بغضبي لأنك كسبت بسببه مالًا. وصدقيني إنك تكسبين أكثر بصبرك على غضبي قبل أن أعدك بإعطائك هذا المال.

واصل عادل كلامه: لقد كنت بصبرك تحسنين التبعل لزوجك، وحسن تبعلك لي يعدل كل ما يحصل عليه الرجل من أجور كما بشر ﷺ كل زوجة مسلمة : «حسن تبعلك لزوجك يعدل هذا كله».

ولقد كنت أقدر حلمك علي وصبرك على غضبي، كنت أقدرهما في نفسي كثيرًا وأحس بالرضا الكبير عنك والنبي ﷺ يبشر من رضي عنها زوجها بالجنة: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»**

موت صاحبة العباءة[1]

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**»[2].

حدثتني إحدى قريباتي نقلًا عن زميلة لها ممن تبرعن بتغسيل الأموات بهذه القصة المحزنة. . لهذه المرأة الميتة. .

فتقول: إننا استقبلنا ذات مرة جثة امرأة، وعندما هممنا بتغسيلها

وجدنا أن كف يدها اليسار ملاصق لكتفها الأيسر، فحاولنا أن نقوم بفرد يدها لكي نتمكن من تغسيلها ولكن وجدنا في ذلك صعوبة، فحاولنا مرة أخرى ولكن باءت محاولتنا بالفشل، وبعد عدة محاولات تمكنا من فردها - ولكن سبحان الله- بعد الانتهاء من تغسيلها رجعت اليد إلى مكانها السابق (فوق الكتف) فتقول: أصبنا بالذهول والخوف، من ذلك المشهد الفظيع، وعلى عجل قمنا بإكمال ما تبقى من عملنا، ثم بعد ذلك أتى دور وضعها في القبر، شاهد أقاربها أن شكل الجثة غريب، فتم الاستفسار منا فأخبرناهم بما حدث، فاضطروا إلى توسيع القبر لكي يتم وضع الميتة به، وبعد دفنها استفسرنا من أهلها عن السبب فقالوا لم ننكر عليها شيئًا سوى أنها كانت تلبس العباءة على الكتف، نعم تلبس العباءة على الكتف.



(١) الساحة العربية.

(٢) مسند أحمد (١٤٠١٦).

أمينة[١]

كانت تسير مسرعة الخطا بل تكاد تقفز قفزًا وهي تتفقد ما أنتجته جميع الأقسام، وكانت تبدي ملاحظاتها الدقيقة حول ماتراه ولم يطمئن لها بال إلا بعد أن تابعت دقيق الأمور قبل كبيرها وبعدها ذهبت السيدة «أمينة» إلى غرفة الإدارة، وأخذت ورقة وقلمًا وبدأت تدون ملاحظاتها الإعلانات ممتازة، المطويات واضحة الهدف بليغة العبارات جميلة الوريقات.

الكتيبات أنيقة الأغلفة مسلسلة الأفكار. الملفات الصحفية دقيقة مدققة.

أما الشريط المسموع فهو شريط فني الإخراج رائع الإعداد.

بقي شيء واحد تنتظره بفارغ الصبر. إنه شريط الفيديو الذي سيعرض أثناء الحفل المعد اليوم.

قامت من مقعدها وقد رسمت ابتسامة عريضة على شفتيها.. خرجت من غرفتها وتأملت اللوحات بينابيع من الفخر والاعتزاز والزهو، تنبعث من بين ضلوعها لتصارع ذكرياتها الأليمة والتي هجمت عليها بغتة.

إنها مهما حققت من نجاح حاضر لم تنجح يومًا في الهروب من الماضي الأليم

«سامي» ذلك الجرح النازف مدى الحياة، كان أنانيًا متعجرفًا يريدها له وحده، كان يرفض أن تخرج من بيتها لتعانق نجاح الحياة وتقدم رسالة لأمتها ومجتمعها. لقد أصم أذنيها بمحاضراته حول دور الأم في تربية أبنائها وكانت تطرب أذنيه حول دور المرأة الفعال الإيجابي في المجتمع، إنها لا يمكن أن تنسى لسعات حواره الأخير معها !!

---

(١) أم حسان الحلو، موقع الإسلام اليوم.

أرجو أن تفهميني جيدًا أنا لا أعارض عمل المرأة إلا إذا تعارض مع مسؤوليتها الأولى. مسؤولية الكنس والطبخ والغسيل والكي ولا، إن دورها أسمى وأنبل من ذلك، وإن كانت هذه الأمور تشكل جزءًا من مسؤوليتها، فقالت ساخرة :

بدأنا بالفلسفة تفضل أفهمني دوري يا عزيزي.. فأجابها بجدية بالغة:

إنني أتساءل: كيف يمكن لإنسان أن ينشأ قوي الشخصية قويم الأخلاق ثابت المبادئ وهو لا يعرف أمًا واحدة بل طابورًا من الأمهات؟

أجابته بانفعال: ماذا تقصد ؟؟!

خذي مثلًا ولدنا سامر.. بالأمس كان ينادي ماما «زيزي»، ومن قبل كان يرتمي في أحضان ماما «إيوه»، واليوم ينام بجوار ماما «آن» وغدًا لا أدري!! فأين ماما «أمينة» ؟! فعلقت ببرود وشرود:

أنت تعرف جيدًا أن ماما «أمينة» رئيسة جمعية نسائية خيرية وهذا يتطلب منها الكثير.. فأجابها :

وماذا ستكسبين وستكسب الإنسانية جمعاء من هذه الجمعية إذا خرج أطفال جميع المنتسبات مثل ولدنا سامر؟ فقاطعته:

سامر.. طفل وسيم، سليم البنية، متين الجسد، ما شاء الله.. لا ينقصه شيء.

رفع حاجبيه وقال بأسى: هذه هي حقيقة المأساة، التي تغمضين عينيك عنها!! فقالت بانفعال: عن أية مأساة تتحدث، إنك واهم بلا أدنى شك.

ألم تلاحظي بعد وتتابعي مقولاته، سامر ضعيف التعبير لا يعرف لغته، فقاطعته ساخرة : لا أنتظر منه أن يصبح «سيبويه» زمانه!!

فرد بسخرية ظاهرة وحزن مكتوم : إن لم يصبح «سيبويه»، فليكن «جاهليه» إنه لا يعرف لغته، لغة القرآن، فكيف سينهل العلم أيتها المثقفة؟! فأجابت ببرود : لا عليك.. عندما يكبر سيفهم. فأكمل قائلا :

أضيفي إلى ذلك تردده في اتخاذ القرارات وشخصيته المهزوزة المهترئة

وفقاطعته قائلة :

وهل أصدرت أحكامك النهائية على طفل لم يبلغ الخامسة إلا حديثًا. . أين منطقك العلمي يا سامي؟

بل هو عين المنطق، فقد أجمع المربون على أن خمس السنوات الأولى هي أخطر فترة تربوية، وخلالها تتشكل أسس الشخصية المستقبلية.

هذا الكلام هراء وهو قمة الفلسفة. . يبدو أن آراءنا لم تلتق بعد.

فعلق سامي : أكاد أجزم أنها لم ولن تلتقي يومًا.

وخرج من غرفته آسفًا متألمًا، بينما اتكأت هي على أريكتها، وبدأت تداعب خصلات شعر سامر المنسدلة، وأبحر كل منهما في قارب أحلامه الخاص.

الهوة بينهما كانت تتسع مع الأيام، والفجوات أصبحت دهاليز مظلمة، كل منهما ينظر إلى الحياة بطريقة مختلفة إن لم تكن متناقضة تمامًا مع نظرة الآخر.

قضت ليلتها تلك مكتئبة، شعرت أنها لا تستطيع متابعة كلام سامر واهتماماته، فطلبت من الخادمة أن تأخذه عندها. .

وكان القدر بانتظار سامر، فقد انقلب شاي الصباح الساخن على صفحة وجهه الوسيم، وترك آثارًا لن تمحوها السنون.

استشاط سامي غضبًا وأسفًا وألمًا واغتنم تلك المناسبة ليعلن المفاصلة.

فقال بانفعال -بعد أن عاد من زيارة الطبيب- رضينا بالتشوهات التربوية فهل نرضى بالتشوهات الجسمية؟ فقالت أمينة بهدوء مصطنع:

إنه قدر الله. فرد عليها بانفعال : أو تعلقين كل إهمال يصدر منك على مشكاة الأقدار، هذه سذاجة وبلاهة أيضًا. فردت عليه: لا، لقد تجاوَزت حدك، أنا لا أرضى بهذا ! فأجابها: وأنا لا يمكن أن تستمر حياتي على هذه الصورة المقيته، فقالت : إذن فلد ولم تكمل كلمتها، فأكمل هو بعد أن تنفس الصعداء.

نعم إذن فلننفصل !!

سمعت تلك الكلمة فوقعت كالصاعقة الحارقة على قلبها أحست بصراع مرير، إنها منذ زمن وهي تبحث عن حريتها ولحظة حصلت عليها شعرت أنها قشة هائمة في فضاء واسع. اضطربت خطواتها وجفت دموعها ماتت كلماتها على شفتيها، بل لقد رأت كل ما حولها ميتًا لا حياة فيه، كادت ترجو سامي أن يتراجع، خطر ببالها أن تقبل يديه، لكن هل تفرش بساط تذللها له؟ إن كبرياءها يأبى ذلك.

وخرجت من غرفة سامي لتلملم أشياءها وتعيش أيامها القادمة لنفسها.

وهاهي الآن سعيدة بحياتها ونجاحها ومشاركاتها الاجتماعية الفعالة، كان سامي يريدها نسيًا منسيًا، والآن يشار إليها بالبنان، إنما الذي يزعجها هو ثورة الأشواق العارمة تجاه ولدها الحبيب سامر.

قاومت مشاعرها وخرجت لتشاهد مع الجمهور الشريط المرئي حول مدمني المخدرات.

ابتدأ الشريط بالتحدث عن أهم المشاكل الاجتماعية التي تسبب انهيار الشباب والفتيات فقد تبين من الدراسة أن تشرد الأطفال بسبب التفكك الأسري، هو من أهم الأسباب.

واستطرد المتحدث قائلًا: ومما يؤسف له أن المخدرات بدأت تنتشر بين البراعم اليافعة وإني لأكذب نفسي وأنا أخاطب واحدًا من الضحايا وإذ بصورة إحدى الضحايا تظهر.

امتقع وجه السيدة «أمينة» ودارت الدنيا بها، أحست أنها ارتدت أثواب الذل والمهانة، وأنها سيشار لها بالبنان.. ليس اليوم فقط بل طوال أيام العمر لم تستطع أن تنظر إلى وجوه الحاضرين، ربما اعتقدت جازمة أن كل عين رأت الصغير المدمن قد تعرفت عليه بالضبط كما عرفته هي نهضت وهي ترتجف، أحست أن رأسها الشامخ لا يكاد يرتفع عن الأرض كثيرًا يبدو أنه يجب أن يلتصق بها فقد قدمت بفكرها وجهدها وعرقها الكثير لوطنها وللإنسانية، أجل لقد قدمت ما هو أهم من جميع أوسمة

الشرف التي حصلت عليها في عدة مناسبات لقد دارت بها الدُّنْيا ولم تنتبه إلى وسام الشرف الأخير الذي حصلت عليه من المسئولين فقد تقدمت نحوها إحداهن لتسلمها الوسام، فقالت وهي في شبه ذهول : أنا لا أستحق هذا قاطعتها المشرفة قائلة :

هذا تواضع منك تشكرين عليه، لكنك حققت إنجازات مذهلة أيتها السيدة الأمينة !!.

فردت بصوت خفيض ذليل: أجل أجل ياعزيزتي، فأنا في الحقيقة «أم سامر» ذلك الصغير المدمن .



التمست لها عذرًا[1]

(يا لها من مغرورة متعجرفة) كان هذا هو انطباعي عن جارتي في مسكني الجديد في ذلك الحي الراقي، كنت أتوقع أن تحاول التعرف عليّ والترحيب بي كجارة جديدة ولكنها لم تفعل، حين تقابلني في المصعد أو أمام البيت تكتفي بأن تبتسم لي ابتسامة شاحبة ثم تنصرف بسرعة، بل إنها أحيانًا تتجاهلني كأنها لم ترني أبدًا، لا بأس، ومن تظن نفسها سأبادلها نفس المعاملة وأشد!

فجأة وجدتها تدق بابي وهي ترجوني بعين دامعة أن تستعمل هاتفي في مكالمة هامة، فهمت كل شيء من المكالمة ومما شرحته لي بنفسها.

أخبرتني أن زوجها مريض، وأن إصابته بالمرض فاجأتها، وأنها تتحمل وحدها مسؤولية البيت والأولاد ورعاية الزوج ومتابعة حالته الحرجة، وأن هذا الحادث أحدث انقلابًا شديدًا في حياتها.

شعرت بالخجل وهي تعتذر لي برقة وانكسار عن عدم تمكنها من زيارتي والترحيب بي. قلت لها: بل اعتبريني أختًا لك ولا فرق بيننا.

لو لم يحدث هذا الموقف ويكشف لي عن ظروفها الدقيقة ومشاعرها الدقيقة لظللت على تقديري الظالم لها، وأخذت ألوم نفسي فلماذا لم أبدأها بالتعارف والتحية؟، ولماذا لم ألتمس لها عذرًا؟ ولماذا سبق إلى ذهني الظن السيئ ؟ مع ما في ذلك كله من مخالفة لأوامر الإسلام وهدي الحديث النبوي.

أين وصية الرسول ﷺ بالجار في أكثر من حديث **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**. **«ومن كان يؤمن بالله واليوم**

---

(١) ريهام إبراهيم، موقع الإسلام اليوم.

الآخر فليكرم ضيفه»

لقد باعدت الحياة المدنية الحديثة بيننا وجعلت كل منا يحيا وكأنه جزيرة منعزلة وسط محيط الحياة الصاخب، كل منها منكفئ على ذاته، لا تتعدى اهتماماته حدود دائرة ضيقة جدًا ممن حوله، وينظر للآخرين برؤية خاطفة مبتسرة مشوهة ناقصة، في حين لو سعى كل منا للتواصل الإنساني بمن حوله لصارت الحياة أجمل وأكثر ثراءًا، فوقتها سنشعر بالفرح مضاعفًا، وسنشعر بالحزن مخففًا، فالمشاركة في الفرح تضاعفه واقتسام الحزن يخففه وقد قال ﷺ: **«مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**

فإذا تواصلنا وتعاونا على البر والتقوى وتكاتفنا في مواجهة الشدائد واشتركنا في الأفراح واقتسمنا الأحزان لصارت الحياة أكثر بهجة وجمالًا وأصبحنا فعلًا كالبنيان المرصوص كما قال ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**



عاهدت نفسي[1]

أنا فتاة خليجية أبلغ من العمر ٢٢ عامًا. . . . . كنت فتاه لاهية بأمور الدنيا وزينتها، ولم أكن أبالي لما أفعل فيما مضى من عمري الذي بدا لي وكأنه مر سريعًا. . حتى قدر الله أن وصلتني رسائل دليل المهتدين على بريدي الإلكتروني. ويالله كيف أحيت هذه المواعظ مشاعري وأيقظتني من غفلتي حتى أخذ ضميري يؤنبني كلما تذكرت ما كنت أفعله مما لايرضي الله. . فسألت نفسي: هل حقق ذلك لي شيئًا من السعادة ؟. . . لا والله ! ولم أر في هذه المتع المادية الزائفة أي راحة أو منفعة في الدنيا. . فضلًا عن الآخرة. . . ولو سألتم كيف كانت حياتي قبل أن يمن الله علي بالهداية: كنت أستيقظ صباحًا. . وأستعجل في الذهاب إلى الجامعة حتى لا تفوتني المحاضرات لأكون من المتفوقات دائمًا، وفي بعض الأحيان أصلي الفجر. . أما في غالب الأيام ويا للأسف فلا أصلي حتى لا تفوت عليَّ المحاضرت.

ثم ماذا بعد ذلك؟ أرجع إلى البيت وقد أخذ مني التعب كل مأخذ، فأنام أو أدخل عالم الإنترنت فأضيِّع أوقاتي فيما لا يرضي الله من الأحاديث مع الشباب والفتيات في أمور الدنيا وعن آخر أغنية وما إلى ذلك. . . وهكذا يطول الحديث حتى يأذن لصلاة العصر وأنا لاهية غافلة عن ذكر الله وعن الصلاة. . . وفي بعض الأحيان أذهب الى الأسواق، ولا تسل عن ضياع الأوقات. . . وكنت عند خروجي ألبس أفضل الملابس وأتعطر وألبس أحدث الإكسسوارات والذهب، ثم أرجع الى البيت ومن ثم أنام وهكذا كانت تفوتني الصلوات كثيرًا غفر الله لي ما سلف من تقصير.

---

(١) واحة الإسلام.

ولم يكن ذلك عن سوء نية من جانبي ولكنها الغفلة الشديدة التي تعاني منها كثير من الفتيات. . . وكل هذا بسبب قلة النصح والتوجيه. . وهنا أوجه لفتة إلى أخواتنا الملتزمات: أين دوركن المرجو لإنقاذ أخوات لم يحظين بمن يأخذ بأيديهن إلى طريق الهداية. . . وأذكر ذلك اليوم الذي جاءتني فيه من دليل المهتدين رسالة «أخاطب فيك إيمانك» وكذلك «رسالة إلى عابرة سبيل» وفيهما خطاب موجه إلى المرأة المسلمة وأن الإيمان والحياء شيئان متلازمان وفيهما أيضًا توجيهات قيمة حول الحجاب وشروطه، والتحذير مما يسمى عباءة الزينة والتي لا تمت إلى الحجاب الشرعي بصلة، والتي تحتاج إلى عباءة أخرى لتسترها. . وفعلًا اندمجت في قراءتها وفعلًا أحسست بشيء من الضيق في قلبي لا أعرف ما هو بالضبط.

المهم أخذت أقرأ جميع الذي يصلني من رسائل وتأثرت كثيرًا فأخذت أفكر وأسترجع في ذاكرتي ماذا كنت أفعل. . . أنبني ضميري كثيرًا فقلت لنفسي: هل هذه المحاضرات وهل هذا التفوق سينفعني في الآخرة ؟ كيف أترك الصلاة حتى لا تفوتني المحاضرات؟ كيف أقضي العمر في اللهو وفي ما لا ينفع؟ ماذا سأستفيد؟ ماذا سيكون مصيري في الدنيا والآخره؟ عذاب. . !! فقررت في نفسي أن أترك ما كنت أفعله في الماضي. . فعلًا بدأت بترك الأمور الخاطئة وصرت أتجنبها وبدأت أحافظ على جميع الصلوات في وقتها ولا أتأخر عن أي صلاة حتى ولو فاتتني المحاضرات أو أي شيء آخر يلهيني عن الصلاه. . .، ثم عاهدت نفسي بأن أسير في الطريق الصحيح وأن أترك متاع الدنيا وأن أنتبه إلى عمري والسنوات التي ضاعت بلا فائده.

والآن ولله الحمد أصلي جميع الصلوات وأحافظ على قراءة القرآن. . . وابتعدت عن كل ما يلهيني، وتركت سماع الأغاني والذهاب الى الأسواق وتخليت عن عباءة الزينة إلى الحجاب الساتر كما أراده الله. . لا كما يريده أصحاب الأزياء والموضة.

هل للزانية من توبة[1]

المستشار محمد شندي الراوي

السؤال: صديقتي... عرفتها دائمة الحزن بل يكاد الحزن أن يقتلها، بقيت وراءها ومعها حتى اكتشفت سر حزنها... فقد ارتاحت لي واعترفت بمكنون نفسها فقالت: أنا زانية، بل اقترفت الزنا أكثر من مرة، ولكني أريد بشدة أن أتوب وكلما أردت التوبه يقال لي: أن ليس للزانية توبة، وأن الله لا يقبل توبتها مهما فعلت ومهما ندمت وبكت وتوسلت.

لذا أقدمت على محاولة الانتحار وإنهاء حياتها أكثر من مرة، ولكني دومًا اخفف عنها فأنا أشعر بمدى صدقها وأشعر أن بداخلها إيمانًا.

أشعر بنقاء قلبها وأريد مساعدتها، هل حقًّا لا توبة للزاني؟ وهل إذا تاب الله عليها سيحاسبها يوم الدين على ما فعلت قبل توبتها؟

وهل عند دفنها سيفتضح أمرها؟ هل عليها أن تعلم أحدًا ليقام عليها الحد

وهل ستر الله عليها يعني محبتة لها أم كرهه لها؟

ماذا عليها أن تفعل؟ هي دائمة التفكير في الموت فهي تقول: إن مثلها ليس لها حياة؟

ما حكم الدين في كل محاولات الزنى السابقة بعد توبتها هل تحول سيئتها إلى حسنات؟

هل رحمة الله كبيرة لتصغر أمامها فعلة الزنى التي تعد من الكبائر؟

أرجو الإسراع في الرد فهي دومًا تحاول الموت قد يكون في إجابتكم أمل لها لتبدأ من جديد حياه كريمة نظيفة عفيفة.

---

(١) المصدر: موقع طريق الجنة.

أرجو الرد السريع فحياتها متوقفه على سرعة ردكم جزاكم الله كل خير.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيا أختي السائلة نشكرك لثقتك بنا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون سببًا في هداية صديقتك واستقرار حياتها.

إن ما يتردد في نفس صديقتك أن لا أمل في التوبة وأن الله لن يغفر لها، وأن الله سيفضحها، كل هذا من مداخل الشيطان لأجل أن يقنطها من رحمة الله فتهلك، فحذار حذار من التفكير في ذلك، والاسترسال مع الشيطان فيه.

اعلمي أختاه أن رحمة الله عز وجل وسعت كل شيء، وإحسانه على خلقه كبير، ومن ذلك أنه سبحانه فتح الباب للتائبين، وقبل ندم النادمين، ولم يقنطهم من رحمته.

واسمعي لهذا الحديث فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**الله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها - قد أيس من راحلته - فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح-**» سبحان الله! متفق عليه.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رجلًا قتل مائة رجل، ولم يعمل خيرًا قط لكنه ندم وتاب فقبل الله توبته، فالمؤمن لا يقطع الأمل من الله

واسمعي لربك وهو يخاطبك يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾.

التوبة الصادقة المشتملة على شروطها، من الإقلاع عن هذه الجريمة إقلاعًا تامًا، والندم على ما فات، والعزم على عدم العودة إليها مطلقًا.

ومن فعل ذلك فقد تاب إلى الله تعالى، ومن تاب تاب الله عليه، وقبله، وبدل سيئاته حسنات.

كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً، فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ متفق عليه.

فمن وقع في الزنا فليبادر بالتوبة إلى تعالى، وليستتر بستره، فلا يفضح نفسه؛ لقول النبي ﷺ: **«اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عز وجل عنها، فمن ألمّ فليستتر بستر الله عز وجل»** رواه البيهقي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»** صحيح مسلم.

افرحي أختي أن لك ربًا غفورًا رحيمًا حليمًا، يقبل توبة العبد بعد الإسراف في المعاصي، فيتوب عليه ولا يبالي، بل ويبدل سيئاته حسنات...

أليس هو الذي نادى عباده قائلًا: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال العفو الغفور في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم».

وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال أيضًا:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: « يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » فلا يخيب من أمل في الله، ولا يطرد من لزم باب الله فالزمي بابه.

واسمعي لهذه القصة الحقيقية:

عن بعض العلماء العارفين أنه رأى في بعض السكك باب قد فتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف متفكرًا، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينًا.

فوجد الباب مرتجًا فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، وخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي...

وتقول: يا ولدي، أين تذهب عني؟ ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك: لا تخالفني، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك. وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت.

فتأمل قول الأم: لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة.

وتأمل قوله ﷺ : **«الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»** وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به.

فهذه تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح الواجد لراحلته في الأرض المهلكة بعد اليأس منها.

حين تقع في المعصية وتلم بها فبادر بالتوبة وسارع إليها، وإياك والتسويف والتأجيل فالأعمار بيد الله عز وجل، وما يدريك لو دعيت للرحيل وودعت الدنيا وقدمتِ على مولاكِ مذنبة عاصية، فإذا تكرر الذنب من العبد فليكرر التوبة، وقد ثبت أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أحدنا يذنب، قال: **«يكتب عليه»**، قال: ثم يستغفر منه ويتوب، قال: **«يغفر له ويتاب عليه»**، قال: يكتب عليه، قال : ثم يستغفر ويتوب منه، قال: **«يغفر له ويتاب عليه»**. قال فيعود فيذنب. قال : **«يكتب عليه ولا يمل الله حتى تملوا»**.

وقيل للحسن: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود، فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار.

ويعد العلماء تأخير التوبة ذنبًا آخر ينبغي أن يتوب منه، فبادري أختي بالتوبة قبل أن يوافيك الأجل.

كيف تتخلصين من الزنا والتفكير فيه: وعليك أختي ترك هذه المعصية وترك محاولة الانتحار فالانتحار أعظم من الزنا، فعليك بالابتعاد عن الأسباب التي تدفعك لهذا الفعل القبيح.

فإن كان من أسبابها الرفقة فقاطعيهم، وإن كانت مجالس أو وحدة وفراغ فحاولي القضاء على أسبابها أيًا كانت واملئي فراغك بالنوافل من تلاوة قرآن أو صلاة أو غيرها، وداومي عليها ولو كانت يسيرة، فإن الحسنة تطرد السيئة، والطاعة تبعد المعصية.

صاحبي الصالحات من أخواتك وأقاربك، واجتمعي معهم في الخير والذكر، فقد قال النبيُّ ﷺ: **«مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً..»** فأنت الرابحة على كل حال.

- اجعلي المنزل خاليًا مما يغضب الله عز وجل، فطهريه من المعاصي حتى لا تذكرك بما تقارفين.

- اقتني الأشرطة الإسلامية وخاصة الرقائق منها، فهي ترقق القلوب وتزيد الإيمان وتكسب الخوف والخشية.

- إذا كنت تستخدمين الإنترنت فشاركي معنا في طريق الجنة بتعليقاتك ومشاركاتك.

- ضعي لنفسك برنامجًا لقراءة الكتب النافعة.

ألزمي نفسك بقدر من قراءة القرآن وأعمال البر والخير، فمتى ما امتلأ برنامجك اليومي بالصالح من الأعمال لم تجد نفسك وقتًا لأن تحدثك بالمعاصي.

أوصي نفسي وإياك بالتوبة النصوح وكثرة الاستغفار والدعاء، ونسأل الله أن يثبتك على طريق الجنة وأن يغفر لنا ولك وللمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قبضة الفقر

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧].

هذه الآية تبين أن الله تعالى حكيم في أفعاله وتصرفاته في تدبير شئون خلقه فهو سبحانه أعلم بهم وبما يصلح شأنهم وبما خير لهم في دينهم ودنياهم.

سبحان الله!! أمر غريب عجيب!! حين يرى الإنسان حال غيره وفقره وحاجته يشعر بأنه غني غني جدًا، ويحمد الله على كل ما أعطاه .

ولو فكرت إحدانا في المبلغ الذي تشتري به فستانًا لوجدت أنه قد يكفي لتوفير الطعام لأسرة لشهر كامل!!

وما تدفعه إحدانا لشراء جهاز جوال (محمول) قد يكفي لتسديد إيجار منزل عن عائلة فقيرة تكاد تتطرد بسبب عدم القدرة على تسديد الإيجار أما ما تدفعه بعضهن لشراء مجموعة من المكياج أو الكريمات فقد تكفي لإدخال البهجة في نفوس أيتام لم يتمتعوا بلعب أو حلوى في عيد أو غيره.

نقدم لك عزيزي القارئ هذا الباب لتعرف معاناة بعض المسلمين، فإن كنت غنيًا رق قلبك، وإن كنت في ضائقة هانت عليك، فإن من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.



بكيت أسبوعًا
عندما لم أجد ثمن ما أذهب به للكلية!

إحدى الفتيات تحدثت عن وصفهم قائلة:

تتكون عائلتنا من ٩ أبناء، وأب مريض يعاني من الصمم والبكم، وأم كبيرة في السن وأمية ولا تستطيع العمل.

ونظرًا لكوني الأخت الكبرى فقد وضعت على عاتقي مهامًا كثيرة لأساعد أمي المسكينة، فنحن لا عائل لنا سوى الله، ومنذ صغري وأنا أعلم أن أسرتي تعاني من الفقر لكن في الفترة الأخيرة بعد مرض أبي وخروجه من عمله، وبعد تخلي أعمامي عنا ازدادت حالتنا سوءًا.

وأصبحنا بالكاد نجد لقمة يومنا، ولولا فضل الله ثم مساعدة جمعية الوفاء الخيرية لما وجدنا ما نأكله، ولو سألتم عن سبب عدم وجود عائل لنا، فهو لكون والدي مريضًا وأصم وكذلك أبكم، ولتخلي أعمامي تمامًا عن مساعدتنا بحجة انشغالهم بأسرهم. أما أخي فبعد تخرجه من الثانوية وحصوله على شهادة دورات كمبيوتر (تبرعت الجمعية بتكاليفها) لم يستطع للأسف الحصول على عمل، رغم أنه يخرج يوميًا للبحث عن أي عمل دون جدوى.

أعترف نحن نحتاج الكثير من كماليات الحياة، فأبسط ما أحتاجه أنا مثلًا هو ثمن مواصلات إلى الكلية، خاصة مع تأخر وصول المكافأة، وذات مرة لم نجد ما ندفعه لشركة المواصلات وحاولت أمي محادثتهم وشرح الوضع لهم دون فائدة، فانقطع الباص عن المرور على منزلنا لمدة أسبوع كامل تغيبت فيها عن الكلية، وكنت أبكي طوال تلك المدة خوفًا من أن يتم فصلي، إلى أن استطاعت أمي حفظها الله أن تستدين لي مبلغًا سددت به قسط المواصلات. تسألوني عن مشاعري.. حسنًا سأخبركم..

أنا لا أشعر بحزن أو كآبة شديدة بسبب فقرنا، بل أحمد الله على كل ما يمن به علينا، كما لا أتذمر أبدًا من أسرتي وأشعر أني فخورة بأمي وأبي كما هما؛ لأنهما استطاعا تربيتنا وتنشئتنا التنشئة الصحيحة، فكلنا ولله الحمد نحافظ على الصلاة وناجحون في دراستنا، أما الفقر فليس عيبًا ولا دخل لهما فيه، لكننا نحاول ألا يعرف أحد عنا شيئًا وصديقاتي لا يتخيلن أبدًا أني محتاجة، رغم أن معظم ملابسي هي من ملابس المحسنين المستعملة. أنا راضية ولله الحمد ولا أطالب أمي أو أبي بما لا يستطيعانه لأني أعرف حدود قدرتهما. وإن كنت أدعو الله أن يوسع علينا وأن يسهل على أخي الحصول على عمل جيد إن شاء الله.



لا أستطيع حتى شراء آيس كريم!

منيرة (١٦ سنة) تقول:

منذ طفولتي وأنا أواجه بكلمة «لا نستطيع» عندما أتمنى أي شيء ولو كانت «حبة أيس كريم» أو بعض الحلوى، كنت أتساءل لماذا كل الأطفال يشترون وأنا لا؟ لماذا أهلي دائمًا لا يستطيعون شراء أي شيء؟ لكن شيئًا فشيئًا بدأت أعرف السبب جيدًا.

والدي الكبير في السن معاق بسبب حادث منذ سنوات، ولا يستطيع الحركة، وراتبه التقاعدي ضعيف جدًا ولا يكفي حتى نصف متطلبات أسرتنا المتكونه من خمسة أبناء وبنتين وأم، وجدة كبيرة في السن، وعمة كبيرة لم تتزوج، بالإضافة إلى أخت لنا من الأم يتيمة ومريضة نفسيًا.

لقد تعودت على وضعنا مع مرور السنوات، وتعودت على تقبل الصدقات من الآخرين، رغم أني كنت أرفض هذا وأنهى أمي عن قبولها، لكن الآن لم أعد أمانع في قبولها ولم أعد أمانع في قبول أي ملابس مستعملة. لقد تعودت على جو الفقر ولم أعد أتبرم منه فهو شيء كتبه الله لنا ولا يد لنا فيه.

ولا أطالب أمي بأي شيء فوق طاقتها حتى لا أزيد همومها لذا فأنا - وكذلك أخوتي - نقدر وضعنا ولا نصارحها بما نشعر به ونحتاجه.

أما بالنسبة للمدرسة فلا أشعر أن الفقر أثّر عليَّ من أي ناحية ولله الحمد، فأنا عادية في دراستي وعلاقتي بزميلاتي طيبة ولا أخجل من وضعنا المادي أمامهن، وإن كنت لا أبدي لهم أي حاجة أو طلب، لكنهن يعرفن مثلًا أنني لم أذهب يومًا في حياتي لمطعم فاخر أو ملاهي!.

وإن كان مما يضايقني في المدرسة طلبات المدرسات التي كثيرًا لا أستطيع تلبيتها، وحين يسألنني عن السبب لا أستطيع مصارحتهن بحقيقة وضعنا فتكون النتيجة نقصان الدرجات.

أعمامي مشهورون.. ونحن غارقون!

الجوهرة (١٧ سنة):

لا أعرف ماذا أقول.. رغم أن أعمامي معروفون على مستوى المجتمع، وأحدهم طبيب معروف وله سلسلة من العيادات المشهورة، وعائلتنا عائلة راقية ومعروفة لدى الكثيرين، إلا أن الفقر يعشعش في بيتنا منذ سنوات دون أن يمد أحدهم يده بمساعدة ولو بسيطة لنا.

توفي أبي منذ سنوات عديدة، كنا صغارًا وأمي وحيدة ولا تعرف كيف تصرف علينا، لكن أحد أصدقاء أبي - رحمه الله - وهو تاجر كبير - أخذ يساعدنا مساعدات كبيرة وبشكل منتظم جزاه الله خيرًا. وبقينا مكتفين بهذه المساعدة الشهرية التي فرضها علينا دون أن يعلم أحد بها حتى توفي هو الآخر قبل فترة غفر الله له وأسكنه الفردوس من الجنان.

وعندها صدمنا بالحقيقة المرة.. إذ بقينا ولا عائل لنا.. فليس لي أخوال، وأعمامي لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال عنا ولا معرفة أخبارنا.

وكلما اقترحت على أمي أن تطلب منهم مساعدتنا تغضب غضبًا شديدًا وترفض ثم تبكي.. فأشك من تصرفها بأنها سبق وطلبت منهم فأهانوها أو رفضوا..

الآن ولأول مرة في حياتنا.. نطلب المساعدة من جمعية خيرية.. ونزورها كل شهر طلبًا لمساعدة بسيطة لا تتجاوز المائة ريال لكل فرد منا شهريًا.

أنا ولله الحمد راضية وصابرة على قضاء الله، لكن ما يحرجني أن الجميع يعتقد أني بنت العائلة «الفلانية» الكبيرة المشهورة، ولا يعلم أننا محتاجون لأبسط مقومات الحياة ولا نجدها. حتى الملابس لا نشتري إلا ما يكفينا ويسترنا فقط ولا نبحث إلا عن الستر ورضا الله.

والدي شارب خمر

عهود (١٤ سنة، ثالث متوسط) :

والدي هداه الله مبتلى بشرب المسكرات منذ أن تزوج أمي. وقد طرد من أكثر من عمل وهو عاطل الآن، وفي كل مرة يتم القبض عليه ويسجن أو يعاقب ثم يعود إلينا. وكانت أمي تأخذ مساعدات بسيطة من خالي نعيش عليها. أما الآن بعد تقاعد خالي من عمله لكثرة أطفاله فقد أصبح من الصعب عليه جدًا مساعدتنا، لذا لجأنا للجمعيات الخيرية.

طوال حياتنا ونحن نعيش في فقر وضيق، ومحرومون من الكثير من الأشياء لكننا تعودنا على ذلك ولم نعد نهتم أبدًا، فمثلًا لو شاهدت زميلة لي في المدرسة تلبس حذاء جميلًا أو حقيبة فاخرة لا أتخيل أنها لي ولا أفكر حتى أن أتمنى مثلها لأني أعرف أن حالتنا لا تسمح بهذا.

أنا مقدرة لوضعنا وإن كنت أتمنى وأدعو الله كثيرًا أن يتحسن وضعنا لأني أرحم أمي كثيرًا وأقدر تعبها من أجلنا، خاصة حين يضطرها البحث عن أي مصدر رزق لنا لطلب المساعدات من بعض الأقارب أو المعارف رغم خجلها منهم.



أشعر بالحسرة على بناتي

كما التقينا رقية (١٧) التي كانت بصحبة والدتها (أم يحيى) حيث بدأت الابنة كلامها بـ:

يشغل أهلي وحالتهم المادية البسيطة تفكيري في كل وقت حتى وأنا أطبخ، وعلى الرغم أني أتمنى أن أكون مثل بقية البنات إلا أني أنسى ذلك لمجرد رؤية وضع أهلي.

لم أحصل إلا على شهادة الصف السادس الابتدائي التي توقفت عندها نظرًا لسوء أحوالنا، كما عانيت من آلام في ركبتي لمدة ٤ سنوات، وأجريت لها عملية منذ أسبوعين تقريبًا.

أما راتب والدي فهو لا يتجاوز الـ ٢٢٠٠ ريال بالكاد يكفي لسد رمق ٩ بنات و٣ أولاد منهم، ولا يشغلني الآن سوى أمنية واحدة أدعو الله أن يحققها لي وهي أن أعمل كاتبة في أحد الوظائف المتوفرة.

كما اطلعنا على وجه آخر من حياة هذه الفتاة بعيون والدتها التي قالت وهي تتحدث عن ابنتها رقية: صحيح أنها ثاني بناتي، لكنني أشعر بقربها أكثر من الأولى فهي تهتم بالبيت، وبأخواتها حين أكون غائبة. وأنا أشعر بالحسرة على حال بناتي حين أنظر إلى حالهن، لكن ليس بيدي شيء سوى أن أدعو الله أن يوسع علينا.



حين طردنا صاحب المنزل إلى الشارع

أمل (١٧ سنة، ثاني ثانوي)

تطلقت أمي من أبي قبل عدة سنوات إثر مشاكل متواصلة بينهما، ومن أهم أسبابها أن أبي كان دائمًا عاطلًا عن العمل ويعتمد على ما تحصل عليه أمي المسكينة من بيع بعض الأشياء في سوق «الحريم» سابقًا.

وقد حاولت أمي عدة مرات إقناعه بالعمل، لكنه كان يطرد بسبب عدم اجتهاده في العمل، وبعد ذلك تم الطلاق وانتقلنا مع أمي لمنزل شعبي صغير يفتقد حتى للمكيفات والسخانات، وكانت أمي المسكينة تجتهد وتتعب وكل ما تحصله يذهب لإيجار المنزل، وذات مرة تأخرت في تسديد الإيجار فغضب صاحب المنزل، ودخل المنزل وبدأ في إخراج أغراض المطبخ، والأثاث ورميه في الشارع، ونحن نبكي وأمي تتوسل إليه وهو موقف لن أنساه، حتى رآنا أحد الجيران جزاه الله خيرًا، وتدخل وسدد عنا الإيجار.

ثم أصبحنا نأخذ مساعدات بسيطة من إحدى الجمعيات مع بعض الصدقات التي تأتينا أحيانًا من أهل الخير. أفكر كثيرًا في الخروج من المدرسة والعمل في أي مكان ولو كان كـ«فراشة» لكن أمي ترفض هذا، أنا أقول: إني راضية بوضعنا لكني غير معترضة ولله الحمد، بل صابرة وأعلم أن كل شيء بيد الله كما أننا جميعًا - أنا وأخواتي - محافظون على الفرائض ومنتظمون في دراستنا، ما عدا أخي الذي يصغرني بعام والذي يتذمر دائمًا من وضعنا، وقد ترك المدرسة هذه السنة؛ لأنه لم ينجح وجلس في البيت، وأمي خائفة عليه جدًا وتدعو الله أن يصلحه ويوفقه.

أما عن شعوري بين زميلاتي فرغم ما أعانيه إلا أن أحدًا منهن لا تعلم بحالنا، وأنا لا أشعر بأي نقص عنهن في الجوانب الأخرى بل على

العكس شخصيتي قوية في المدرسة، ولا أتضايق إلا حين تطلب مني المدرسات أدوات أو أغراض فأضطر لجعل أمي تحدثهم في الهاتف وتشرح لهم وضعنا.



زوج مدمن.. وابن معاق.. وأب بخيل..

أما (أ.م) فلها قصة مأساوية، وجدناها بين ملفات الجمعية، فقد تزوجت هذه الفتاة من ضابط كان يعاملها بإحسان، لكن أسلوبه تغير بعد سنوات، ثم ساءت حاله بعد إدمانه للمخدرات ثم تحوله لمروج، فحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات مع فصله التام من وظيفته، فأسكنها والدها الغني - والبخيل- في قبو منزله وكان يعاملها وأبناءها بقسوة ولا يصرف عليهم، خاصة وأن المبلغ المقدم من الإمارة لأهالي السجناء لا يكفيهم.

كل هذا جعلها تتجه محرجة إلى جمعية الوفاء وهي تبكي قسوة أبيها ووضعها العاجز مع أبنائها خصوصًا أكبرهم المعاق والذي يبلغ من العمر ١٠ سنوات، فثابرت وأخذت دورات في الكمبيوتر - بمساعدة الجمعية - وحاولت الحصول على وظيفة.

لكن الجمعية لم تعد تعرف عنها شيئًا لأنها لم تعد تزورهم منذ أشهر.



أتمنى زوجًا غنيًا..

سمر (١٥ سنة، ثالث متوسط):

في الحقيقة لم نكن نعاني من الفقر في طفولتنا، كانت معيشتنا متوسطة الحال، ولكن منذ أن أصيب والدي بمرض نفسي غريب وبدأ يرفض الذهاب للعمل حتى طرد، ونحن نعاني من حالة الله بها عليم.

فقد ازداد المرض النفسي على والدي رغم محاولات علاجه، كما أصيب اثنان من إخوتي بمرض وراثي في الدم يجعلهما في حالة إجهاد دائم مما جعلهما يتركان المدرسة، وهذا المرض يحتاج لتغذية وعناية مما لا نستطيع توفيره لهم، وفي الفترة الأخيرة أصيبت أختي الصغيرة أيضًا بهذا المرض.

وضعنا هذا أثر على مستواي الدراسي كثيرًا حتى أنني أعدت هذه السنة، وأفكر جديًا في ترك الدراسة لأساعد أمي في المنزل على رعاية والدي وإخوتي..

والحقيقة أني غير راضية بهذا الوضع فلا أحد يحب الفقر والحاجة، وأنا أتمنى أن أصبح مثل زميلاتي.. أما أهم أحلامي فهي أن يرزقني الله في المستقبل زوجًا غنيًا حتى أستطيع مساعدة أهلي وحتى أخرج من هذا الحرمان والشقاء..



أبحث عن عمل..

أما آمنة (١٨ سنة) فتقول:

ترتيبي الخامسة ضمن ٦ أولاد و٤ بنات، والمشكلة لدينا هي في ظروف والدي النفسية السيئة كما أنه عاطل عن العمل. وحين ساءت ظروف معيشتنا اضطررت للتخلي عن دراستي المنتظمة في الصف الأول المتوسط كارهة، وصرت أدرس منازل لعجز أهلي عن التكفل بمصاريف الدراسة، لكن المدرسة قررت إيقافي عن الدراسة حتى أجدد الإقامة وهذا ما لا نستطيعه الآن نظرًا لحاجة الإقامة لمال كثير حتى تجدد.

وعلى الرغم من عملي في إحدى المشاغل كمساعدة كوافيرة إلا أن بعد المسافة وحاجتي لاستئجار سيارة للوصول لمقر العمل منعاني من استكماله، وما زلت أواصل البحث عن عمل في أي مكان آخر كالحضانات، خاصة وأني أشعر أني مسؤولة عن تحسين وضعنا لأنقل أهلي لحالٍ أفضل في ظل عدم استطاعة أخويَّ الأكبر مني العمل بسبب سجن أحدهما (بسبب شجار مع شباب) وكون الآخر لا يحمل سوى شهادة الصف الرابع الابتدائي.



ونقول:

عزيزتي لا تحزني إذا كان الله قد ابتلى أسرتك بضيق الحال فلا تحزني ولا تجعلي ذلك سببًا لضيق صدرك وكثرة همك، ولا تصرفي جل وقتك في التذمر من وضعك مقارنة بحال غيرك.

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون الفقر فضيلة، وحدث الحسن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين عامًا»** فقال جليس للحسن: أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء؟ فقال له: هل تغديت اليوم؟ قال: نعم، قال: فهل عندك ما تتعشى به؟ قال: نعم، قال: فإذًا أنت من الأغنياء.

هل رأيت ؟ إذا كنت تجدين قوت يومك ولله الحمد.. فأنت عند الله غنية، لأن هناك من هم أفقر منك.. هناك من لا يجدون لقمة تسد جوعهم ولا تسكت صراخ أطفالهم.. هناك من يرتجفون بردًا في المخيمات والملاجئ ولا يجدون ما يسترهم من الريح والمطر.

وقبلهم جميعًا كان خير الخلق ﷺ يشد الحجر على بطنه من شدة الجوع.

فقد قال ابن عباس: كان النبي ﷺ يبيت طاويًا (جائعًا بلا طعام) ليالي.. ما له ولا لأهله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، وكان يقول: **«اللهم توفني فقيرًا ولا تتوفني غنيًا، واحشرني من زمرة المساكين»**.

وقد دخل ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي تطحن بالرحى، وعليها كساء من وبر الإبل فبكى وقال: **«تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة»**.

وتذكري أن من محاسن الفقر صفاء النفس وتواضعها وبعدها عن مظاهر البطر والفساد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ أي: يزيد طغيانه عند غناه، وتذكري قلة هموم الفقراء وعدم الانشغال بالهم كما هو حاصل لدى الأغنياء.

وفي هذا ما قال عون بن عبد الله: «صحبت الأغنياء فعظم همي لأني كنت أرى ثيابًا أحسن من ثيابي ودابة أحسن من دابتي، ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت».

لذا كوني دائمًا متفائلة واحمدي الله على كل نعمه، وتذكري فضل الفقر وعظم أجره وأجر من رضي به، وصبر عليه ولا تتشاءمي وتنظري للحياة بحزن وضيق، كما أن الغني أولًا وأخيرًا هو غني النفس، فكم من غني يشعر بالضيق والنقص والهم بسبب عدم قناعته، وكم من فقير يعيش السعادة والراحة بسبب قناعته وإيمانه ورضاه بحاله.



حين تزوج أبي وتركنا..

أما ع. ص. (٢٥سنة) فهي تتذكر سنوات طفولتها ومراهقتها التي عاشت فيها الحرمان إلى أن منَّ الله عليها وتزوجت فتقول:

في البداية كنا أسرة سعيدة مترابطة، نعيش عيشة هانئة جدًا ونحمد الله. إلى أن انقلبت حياتنا رأسًا على عقب حين تزوج والدي عندما كنت في المرحلة المتوسطة ولم يعد يهتم بنا. لقد تركنا تمامًا ولم يعد يعطينا نقودًا ولا مصروفًا وكانت أمي تبكي طوال الوقت لأنها لا تعرف كيف تعولنا وتصرف علينا..

لقد كان انقلاب أبي مفاجئًا وغامضًا وكانت المشكلة الحقيقية في أنه تركنا ولم يعد يصرف علينا تمامًا فعشنا فقرًا شديدًا الله به عليم، حتى أننا والله - رغم أننا من عائلة محترمة ومعروفة - أصبحنا نأخذ الصدقات من المحسنين من أقاربنا بل حتى الملابس المستعملة لم أكن متعودة أبدًا على هذا الأسلوب في الحياة لكني تحملت وصبرت وساندت أمي، بل كنت أخفف عنها بمرحي المعهود. وكنت أبدو أمام الجميع مرحة وطريفة حتى في المدرسة ولا أحد كان يعلم عن الحزن الذي يعشعش في قلبي، فقد كنت أبكي كل ليلة دون أن يعلم أحد بي.

نعم كانت مشاعري عادية أمام أمي والآخرين لكني كنت أموت كمدًا وحزنًا في داخلي واستمرت حالتنا حتى دخلنا الجامعة أنا وأخواتي، ثم منَّ الله علينا وتزوجنا وأصبحنا نصرف على أمي وإخوتي الصغار ولله الحمد.

على الجانب الآخر هناك بعض الفتيات اللاتي دفعهن هذا الفقر لصفات ذميمة، كالكذب أو التسول أو السرقة أو الانحراف، وهناك بعضهن جعلن الفقر شماعة يعلقن عليها سبب فشلهن الدراسي أو الاجتماعي أو غيره.

أمي ومعطف الشتاء!

سعاد (٢٤سنة) تقول:

كان والدي يمتلك محلًا صغيرًا في أحد الأسواق، وكانت حياتنا جيدة نسبيًا، لكن بدأ الطلب على ذلك السوق يقل حتى باع أبي محله بخسارة كبيرة ومن هنا بدأت معاناتنا، حيث أصبحنا نعيش بلا مصدر دخل تقريبًا. خاصة وأننا غير سعوديين وليس لنا أهل أو أقارب هنا.

بقي أبي سنوات عديدة يبحث عن عمل، كنا نعيش خلالها على الدروس الخصوصية التي تعطيها أمي لبنات الحي، أما أنا فعشت الأمرين حيث لم أكن أود أن يعرف أي شخص هذه الحقيقة عني خاصة في المدرسة، فقد كنت أحاول الظهور بأفضل مظهر حتى أنني كنت أكذب كثيرًا على البنات بشأن وضعنا المادي. وكنت متعودة على ارتداء أفضل الملابس حين كان وضع والدي جيدًا لذا أصبحت أعاني جدًا خاصة حين يقبل الشتاء وتبدأ البنات في ارتداء المعاطف. والحقيقة أني بصراحة لم أكن أقدر مشاعر أمي، ففي إحدى المرات بكيت لدى أمي بشدة لكي تحضر لي معطفًا جديدًا، فما كان من أمي المسكينة إلا أن ذهبت للجيران واستلفت منهم مبلغًا وذهبت معي للسوق لشراء معطف حتى أرضي غروري أمام البنات.

والآن بعد أن كبرتُ وتزوجت، أدركت كم كنت مخطئة في حق أمي المسكينة، وكم جرحت مشاعرها بغروري وعدم اقتناعي بوضعنا وعدم اعترافي به أمام الآخرين، حيث كنت أذكر دائمًا للبنات أننا مقتدرون وأن أبي يملك سلسلة محلات كبرى مشهورة للأواني! رغم أن محل والدي كان صغيرًا.. وفي سوق (الكباري) سابقًا!!

❁ ❁ ❁

بسبب الفقر تسولن.. ثم شربن السجائر!!

(م.ص ١٨سنة) و (د.ص ١٧سنة) :

شقيقتان سرقن بطاقة الائتمان الخاصة بوالدهن والتي تحوي راتبه التقاعدي البسيط بمجرد سماعهن كلام أخصائية جمعية الوفاء التي طلبت منهن خلال زيارتها أن يهتممن بتنظيف البيت وترتيبه فاعتقدن أنها تطلب منهن تغيير أثاثه!! وأسرعن لسرقة بطاقة والدهن لشراء أثاث جديد بدلًا من تنظيف البيت، ولم يمانعن في المرور على بعض الأسواق لإشباع أمنيتهن القديمة في الشراء من الأسواق الكبرى كباقي النساء. وكانت النتيجة.. أنهما لم يستطيعا تسديد الـ٥٠٠٠ ريال التي صرفنها على ضمانة البطاقة، فقادهن تفكيرهن لفكرة عظيمة لجمع المبلغ قبل أن يعلم الأب.. وهي التسول!!

كانت الطامة أن أمسكت بهن مكافحة التسول وحولتهن إلى الجمعية التي استقبلتهن رغم سوء أخلاقهن وحين طلبت منهن تبرير ما فعلنه كانت حجتهن كلمتين هما: «نحن محرومين!»..

ومما لاحظته الجمعية عليهن معاناة هؤلاء الفتيات من الضغط النفسي إضافة إلى ما لاحظته المشرفات من ملامح وجوه الفتيات التي توحي بشربهن للسجائر!



حين رأيتها في.. سوق الحريم!!

(جواهر ٢٣ سنة) قالت:

في المرحلة الابتدائية كانت لدي زميلة تذكر دائمًا أن أهلها أغنياء ومقتدرون، وأنهم يسافرون سنويًا لمختلف البلدان ولديهم خدم وغير ذلك رغم أن مظهرها عادي.. لكني كنت دائمًا أغبطها على ذلك رغم أن حالتنا كانت جيدة، وكنت أتمنى كثيرًا أن نصبح مثلهم، وذات مرة كنت ذاهبة مع والدتي لسوق الحريم (في النسيم)، فرأيت تلك الفتاة تحمل بعض الأغراض وتصفها على أحد المفارش حيث تجلس امرأة كبيرة السن (يبدو أنها والدتها) تبيع وعليها عباءة قديمة مهترئة، كانت الفتاة تحمل الأغراض والكراتين وتضعها لأمها رغم ثقل تلك الكراتين، ولم يكن هناك أي خادمة لمساعدتها!

وحين انتبهت لي من بعيد امتقع لون وجهها ووقفت مشدوهة ثم أسرعت تهرب بين النساء والبياعات، وبعدها لم تعد تجرؤ على مواجهتي في المدرسة.. ومع أني لم أخبر أحدًا بما حصل كما نبهتني أمي إلا أنها توقفت بعد ذلك عن سرد أكاذيبها علينا.



ابنتي لا ترحمني!

تقول أم سالم (مقيمة في المملكة):

حالتنا المادية سيئة وضعيفة جدًا نظرًا لمرض زوجي.. ورغم هذا إلا أن ابنتي الصغرى (١٦سنة) للأسف لا تقدر هذا الوضع فهي تطالبني دائمًا بالمال لتشتري الملابس والحلي مثل زميلاتها في المدرسة، حتى أني هددتها بإخراجها من المدرسة، فنحن أسرة فقيرة بالكاد نستطيع جمع إيجار المنزل، فكيف نوفر لها ما تطلب؟! على العكس منها أختها الكبرى التي تساعدني دائمًا وتتفهم وضعنا.

وهي كثيرًا ما تردد أنها ناقمة على هذا الوضع وأنها تتمنى ولو لم نكن أهلها، حتى أني أحيانًا كنت أبكي بسبب ما أسمعه منها، وذات مرة ذهبت للمدرسة لأشرح للمديرة وضعنا الصعب حتى لا ترهق ابنتي بالطلبات، ولكن حين علمت ابنتي في البيت بذلك أقامت الدنيا ولم تقعدها وأخذت تصرخ في وجهي لأني أحرجها وأسبب لها العار في المدرسة!

لقد تعبت كثيرًا من هذه البنت خاصة وأن تصرفاتها لا تعجبني، فقد ضبطتها مرة وهي تكلم شابًا في الهاتف وكدت أقتلها من الضرب لكني لم أخبر والدها. وهي تقول: إنها تابت لكنني لا زلت أشك في تصرفاتها وأراقبها كثيرًا.



انظري للمستقبل بتفاؤل..

كلنا نعلم أن الأرزاق كلها بيد الله وبمشيئته، ولا أحد يعلم كيف يصبح حاله في الغد يقول الشاعر:

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غدٍ لكل غدٍ رزق من الله وارد

لكن هذا لا يمنعك من محاولة البحث عن الأفضل دائمًا.. ومحاولة تحسين أوضاعنا وعدم التوقف في نفس المكان..

إن أهم خطوة تتخذينها لتحسين وضعك هي التوكل على الله، ثم التفاؤل والأمل، والنظر نحو المستقبل بحماس وهمة.

لا تنتظري أن يأتي أحد لمساعدتك.. ولا تبقي في مكانك في انتظار المساعدات من أهل الخير.. بل حاولي تطوير وضعكم دائمًا نحو الأفضل.

فمثلًا.. من ناحية المصروفات المنزلية حاولي مساعدة والدتك على الاقتصاد بها وتوفير الفائض مهما كان قليلًا.. إن شراء متطلبات المنزل من أماكن الصنع أو من محلات الجملة يمكن أن يوفر مبالغ جيدة، ومع الوقت يمكن أن تجمع لتبدؤوا بها مشروعًا بسيطًا يساعد أسرتكم على الوقوف على أقدامها مع التخلي عن المساعدات.

ثم ابحثي في نفسك عن مهارة أو موهبة يمكنك تطويرها سواء فيك أو في والدتك، ولا تخجلي من العمل في أي عمل شريف ليس فيه محاذير، ولا تنتظري أن يطرق العمل بابك، لكن ابحثي عنه بنفسك: اتصلي على المشاغل النسائية مثلًا أو المدارس الأهلية أو المعاهد أو اذهبي لها بنفسك واعرضي عليهم العمل ولو براتب بسيط، واحرصي على أن تشرحي لمديرة العمل وضعك الاجتماعي والاقتصادي بلباقة وأدب حتى تتفهم وضعك وتساعدك على الحصول على العمل.

كما أن من المفيد أن تحاولي البدء في مشروع صناعة شيء ما وبيعه على من يستطيع توزيعه، وفي تحقيق «فتيات أعمال» الذي طرحته حياة من قبل العديد من الأفكار التي ذكرتها فتيات خضن تلك التجربة.

وفي النهاية نسأل الله لك التوفيق ونذكرك بدعاء: «اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبك عمن سواك»، كما نذكرك بقراءة سورة الواقعة كل ليلة لأنها تمنع الفقر بإذن الله كما أوصى بها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بناته قبل وفاته.



تحت خط الفقر

في البداية بدا عليها الإحراج.. نظراتها كانت تتجه نحو الأرض في حزن..

وكن بعد قليل.. حين تحدثنا قليلًا وتأكدت أن معلوماتنا عنها سرية للغاية.. بدأت في الحديث عن معاناتها بحرية أكبر..: عمري ١٤سنة.. أدرس في الصف الثاني المتوسط.. إخوتي خمسة أكبرهم في الصف الثالث المتوسط..

منذ أن خرجنا للدنيا ونحن نعاني من ضائقة مادية..

فأمي لا تعمل.. ولا أقارب لدينا سوى جدي - والد أبي -.

أما أبي.. فهو مدمن مخدرات.. في كل مرة يسجن ويعاقب ثم يخرج.. وهكذا.. منذ أن عرفت الدنيا وأنا لا أراه سوى أشهر معدودة ثم نفقده لعدة سنوات يغيبها في السجن ثم يخرج ويعود لإدمانه.. فيسجن مرة أخرى.. وهكذا.. لذا فلا معيل لنا في هذه الدنيا سوى الله..

جدي منحنا المنزل الشعبي القديم الذي نقيم فيه... وهو منزل يفتقد لأبسط المقومات..

عمومًا نحن تعودنا على نمط الحياة هذا.. وأمي حرصت ولله الحمد على تربيتنا التربية الصحيحة..

كما أن ذلك لم يؤثر يومًا على دراستي فأنا وإخوتي لم نرسب ولا مرة في حياتنا.. كما أن أخي بدأ الآن يقوم بدوره تجاهنا.. ففي آخر مرة خرج فيها أبي من السجن وعاد لإدمانه كان أخي هو من أخذ بنفسه وسلمه لمستشفى علاج الإدمان..

أمي جزاها الله خيرًا تحاول بقدر استطاعتها أن تشعرنا بأننا مثل غيرنا..

ونحن نقدر هذا فلا نطلب منها أكثر من طاقتها لأننا نعلم أن مصروفنا هو من الجمعيات الخيرية. . ونظرًا لكوننا من عائلة معروفة ومحترمة فإن أمي تحاول قدر الإمكان أن لا يعلم أحد عن حالتنا أو يشعر بها. . ونحن نساعدها في ذلك فلا نخبر أحدًا عن سوء حالتنا ومدى الضيق الذي نعيش فيه. . والحمد لله على كل حال. .

وحين سألناها. .ألم تشعري يومًا بفارق بينك وبين زميلاتك في المدرسة؟ أو شعرت بأن الفقر يمكن أن يجعلك أقل من غيرك؟. .

صمتت قليلًا ثم قالت:

لا. . لا أظن لقد تعودنا على وضعنا. . وأنا لا أقارن نفسي بغيري أبدًا. . الحمد لله نحن نجد ما نأكله على الأقل. . صحيح أحيانًا أتمنى لو أستطيع أن أشتري مثل غيري الفساتين والحلويات والكماليات. . . لكني لا أهتم بذلك كثيرًا. . عمومًا نحن لا نخرج للأسواق ولا للمناسبات الاجتماعية إلا نادرًا. . وأنا أحاول أن لا أظهر لأمي أني بأي حاجة أو نقص حتى لا أحزنها أكثر. . أما الفتيات في المدرسة فأنا لا أغار منهن ولا أقارن نفسي بهن كما قلت، وأتذكر دائمًا بأني حالة خاصة ومختلفة عنهن لذا لا أشعر بنقص عنهن. . إلا في ناحية فقدي لأبي هداه الله. .

كانت سارة ذات الأربعة عشر ربيعًا تتحدث بعفوية رائعة، وهي الطالبة المتفوقة التي تثني عليها المعلمات. . رغم أن واحدة منهن لا تعرف شيئًا عن المعاناة التي تعيشها سارة، والتي تعاني أسرتها من الضيق المادي، ورغم ذلك حرصوا أشد الحرص أن لا يعرف أحد شيئًا عن حالتهم. .

سارة استطاعت أن تشق طريقها في الحياة. . وأن لا تكترث بهذا الفقر الذي يجثم على حياة أسرتها. . ولم تجعله سببًا لتعاستها وحزنها. وفي الوقت الذي نجد فيه بعض الفتيات يتذمرن من أبسط الأشياء التي قد يحرمن منها لسببٍ أو لآخر. . ويقمن الدنيا ولا يقعدنها؛ لأن والدها لم يمنحها ثمن فستان سهرة جديد!!

حياة خاضت أعماق بحر الفقر. . . وغاصت تحت خط الفقر، لتقابل

فتيات وأسر يعشن تحت هذا المستوى المعيشي وتسألهن عن مشاعرهن وهمومهن وكيف يعانين بصمت يعشن حياتهن بصمود حين تخلى عنهن الآخرون. .



ماذا تقول الإخصائيات؟[1]

ما المعاناة التي تواجهها الأخصائية المشرفة على هذه الحالات في الجمعيات الخيرية؟

تقول الأخصائية فوزية الجلبان في جمعية الوفاء:

نواجه بعض حالات الكذب والاحتيال لتتمكن الواحدة منهن من الحصول على المساعدة المالية، حيث نحتاج للتأكد من أحقيتهم للإعانة.

كما تتبعنا بعض الفتيات اللاتي لا يردن التأقلم مع الوضع المحيط بهن، فهناك من تتقبل وضعها وتقتنع به وترضى بالعمل في أية وظيفة حتى لو كانت جامعية أو معها شهادة ثانوية، والبعض لا تتقبل الوظائف البسيطة نهائيًا مع أنها لا تحمل سوى شهادة ابتدائية؛ لأنها تخجل من ذلك.

وتتابع الأخصائية مها الفايز سرد نوع المعاناة التي تواجهها المشرفات على هذه الحالات:

من الطبيعي أن تتأثر نفسية الأخصائية من مواجهة هذه الحالات والتعايش معها، فنحن نتعاطف كثيرًا مع الحالات التي نزورها ونعايش مأساتها، ونحمل همومها ولكن ما باليد حيلة، فالحالات كثيرة وإمكانات الجمعية محدودة.

وتؤيدها الأخصائية هند الدوس في ذلك، فتذكر أن نظرتها للحياة تغيرت تمامًا بسبب اطلاعها على نمط حياة أولئك الناس المحتاجين، وأنها تتعاطف معهم وتحاول مساعدتهم في حدود الإمكانات المتاحة.

كما تذكر أنهم يعانون من مشاكل الكذب والتلاعب من قبل طالبات المساعدة، وكمثال على ذلك ذكرت أن إحداهن كانت مطلقة، ومحتاجة وتستلم إعانة، ثم تزوجت دون أن تخبر الجمعية واستمرت تستلم الإعانة، وعندما علمت الجمعية بأمر زواجها قطعتها عنها.

---

(١) المصدر: مجلة حياة العدد ٣٤ صفر ١٤٢٤هـ .

مواقف مؤثرة من حياة الصالحات(١)

الحمد لله الذي فَلَقَ النواة والحَبْ، وخلق الفاكهة والأب، وأبغَضَ وكرِه وأحب، وأَمرضَ وداوى وطَبْ، أنشأ الإنسان والحيوان بقدرته فَدَبْ، فالعجب كل العجب لمربوب يجحد الرب، أشهد أن لا إله إلا الله ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، سبحانه وسِعت آثار رحمته أهل الأراضي وسكان السماوات.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أشرفُ الخلائقِ خُلُقًا وخَلْقًا، ورضي الله عن أصحابه حازوا كل الفضائل سبقى، فما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوق ظهرها أبر وأوفى ذمةً من محمدٍ -عليه السلام.

أما بعد :

فأحمدُ الله تعالى على أَنْ وفَّقَنِي لِجَمْعِ سِيرِ الصالحات، فلقد ظَنَنْتُ أَنَّ الصالحات في زَمَانِنَا أَقَلُّ مِنَ الأَزْمَانِ الغابرة السابقة، لكن لما رأيتُ وبحثتُ وجمعتُ بعض الأخبار وجدتُ العجب. فإليكم هذه الأخبار:

(١) ما جاء في هذا الباب من القصص مقتبس من موقع صيد الفوائد.

كثرة السجود

عَمَّةُ أحد طلاب العلم دائمًا تصلي ولا تُرى إلا على مُصلاها، ولما ماتت رأتها قريبةٌ لها على صورةٍ حسنة، فسألتها عن حالها، فقالت: أنا في الفردوس الأعلى، قالت قريبتها بماذا ؟ قالت: عليك بكثرة السجود.

حسنات الأبرار سيئات المقربين

أخبرني أحد طلاب العلم أنه اتصلت به امرأة وهي تبكي وظنَّ أنها قد أذنبت بل قالت له: يا شيخ إني قد عصيت الله عز وجل، معصيةً عظيمة، فلما استفسر منها وسألها، فإذا هي قد تركت صلاة الوتر البارحة، فقالت: هل من كفارة أُكَفِّرُ بها عن ذنوبي.

همة عجوز

تقول إحدى مديرات دُور تحفيظ القرآن: لمّا افتتحنا الدار كان عندنا دَرَجٌ في الشارع ولم نجعل ممرّا للعربات، لا لكبيرات السِّن ولا للمعوقات، قالت: وفي اليوم الأول للتسجيل فوجئنا بامرأة تجاوزت الستين من عمرها وهي تحبوا على الدَرَج، تريد الدخول للدار فالتحقت بهم لكن صَعُبَ عليها الاستمرار بعد مُدة، ولم تستطع أن تواصل الحفظ، لِكِبَرِ سنها وقعدت في بيتها.

امرأة عجيبة

وهذه أخرى من الصالحات، حَفِظت القرآن وهي فوق الستين، وأخبارها عجيبة، لكن مُلخص الخبر وهذا الموقف أو المواقف لها، أنها تجاوزت الستين ولمّا ختمت القرآن في رمضان الماضي، استأجرت امرأة لا تعرفها ولا تعرفها النساء اللاتي حولها، حتى تُسمِّع لها القرآن كاملًا، ولا يعلم بخبرها إلا قلة من النساء، وأَخَذَت العهد على بعض النساء ألّا يُخبرن أحدًا.

امرأة عجيبة[1]

فتاةٌ لها همةٌ عالية عظيمة، شابةٌ مُعاقة، أُصيبت في حادث بشللٍ رباعي جعلها طريحة الفراش أكثر من خمس عشرةَ سنة، امتلأ جسمها قروحًا وتآكل اللحم بسبب ملازمتها للفراش، ولا تُخرج الأذى من جسدها إلا بمساعدة أمها، لكن عقلها متدفق وقلبها حي مؤمن، فَفَكرت أن تخدم الإسلام ببعض الأمور، فوجدت بعض الأساليب والطرق التي تنفع بها دين الله عز وجل، أو تنفع بها نفسها وتنشر دين الله عز وجل، فجَعلت ما يلي :

١- فتحت بيتها لمن شاء، من النساء أن يزورها، أو حتى من الناس من محارمها أن يزوروها ليعتبروا بحالها، فتأتيها النساء ودارِسات التحفيظ، ثم تُلقي عليهن محاضرةً بصوتها المؤثر.

٢- جعلت بيتها مستودعًا للمعونات العينية والمادية للأسر المحتاجة، وتقول زوجة أخيها : إنَّ ساحة البيت الكبيرة لا أستطيع أن أسير فيها من كثرة المعونات للأسر الضعيفة .

---

(١) موقع صيد الفوائد.

٣- تُجهز المسابقات على الكتب والأشرطة وتوزعها على الأسر المحتاجة مع المواد الغذائية، ويقول أحد محارمها : إني لا أستطيع أن أُحَضِّر المسابقات إلا من طريقها.

٤- لا تدع مُنكرًا من المنكرات، من منكرات النساء إلا وتتصل على صاحبة المُنكر وتُنكر عليها .

٥- تُشارك في تزويج الشباب والشابات عن طريق الهاتف .

٦- تُسهِم في إصلاح ذاتِ البين وفي حلول المشاكل الزوجية .

إنها والله امرأةٌ عجيبة .

لم تستطع فعل المعروف فدلت عليه

وهذه أُخرى لا يُطيعها زوجها أن تذهب للمحاضرات، فبدأت تتصل على النساء اللاتي تعرفهن من الجيران ومن الأقارب ومن الزميلات، فتحُثُّهُن على حضور المحاضرات وهي قليلة الحضور للمحاضرات بسبب زوجها.

امرأة بألف رجل

امرأة في مدينة الرياض، لها في كل باب من أبواب الخير سهم، فهي تساعد الراغبين في الزواج، وتعطي أُسرة السجين، وتقوم على الأرامل والمساكين، ومن أعمالها أنها تسببت في بناء سبع مساجد في المملكة، وكَفَلَتْ (٥٠٠) أسرة من الأسر المحتاجة، وقد كَفِلَتْ (٣٠) يتيمًا أيضًا، وأَسَلم بسببها في دولة تشاد بأفريقيا قريبًا من مائتي ألف رجل وامرأة، لله دَرُّها.

داعية إلى الله

وهذه أم عبد الرحمن، تأتي مع زوجها من أقصى جنوب الرياض إلى أقصى شرقه، يتركها زوجها في المستشفى للعلاج ويذهب هو لدوامه، وتمر عليها فترات تحتاج إلى المستشفى كل يوم تقريبًا، فاستغلَّت هذه المرأة الداعية المريضة جلوسها الطويل في المستشفى وانتظارها لدورها في العلاج، استغلَّت الوقت بالدعوة إلى الله عز وجل، والتذكير به سبحانه وتعالى، وزيارة المريضات، وتقوم بتعليمهن الصفة الصحيحة للطهارة والصلاة وأحكام طهارة المريض، ولا تترك فرصةً لدعوة ممرضة أو طبيبة إلا وتقوم بالدعوة، وهكذا تتنقل بين الأقسام وقد نفع الله عز وجل بها نفعًا عظيمًا.

فاللهم اشفها وعافها، فما أعظم الأجر، تحمل في جسدها المرض، وفي قلبها النور والإيمان والدعوة إلى الله عز وجل، وتقوم بتنفيس الكُربات عن المحزونين والمرضى، والله عز وجل الموعد.

عاقبة الاستغفار(١)

امرأة أخرى مات زوجها وهي في الثلاثين من عمرها، وعندها خمسة من الأبناء والبنات، أظلمت الدنيا في عينها وبكت حتى خافت على بصرها، وطوّقها الهم وعلاها الغم، فأبناءها صغار وليس عندها أحد، كانت لا تصرف مما ورثته من زوجها إلا القليل، حتى لا تحتاج إلى أحد، وذات مرة كانت في غرفتها في شدةِ يأس وانتظار لفرج الله عز وجل، ففتحت إذاعة القرآن الكريم وسمعت شيخًا يقول : قال رسول الله ﷺ: **«من لزِم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا،**

---

(١) موقع صيد الفوائد.

ورزقه من حيث لا يحتسب» .

تقول هذه المرأة : فبدأتُ أُكثر من الاستغفار وآمر به أبنائي، وما مرَّ بهم ستة أشهر حتى جاء تخطيط لمشروع على أملاكٍ لهم قديمة، فعُوِّضت هذه المرأة

عن أملاكهم بملايين، ووفَّق الله أحد أبنائها فصار الأول على أبناء منطقته، وحفظ القرآن الكريم كاملًا، وصار الولد محل عناية الناس واهتمامهم ورعايتهم لما حفظ القرآن .

وتقول هذه الأم : وملأ الله عز وجل بيتنا خيرًا، وصرنا في عيشةٍ هنيئة، وأصلح الله كل ذريتها، وأذهبَ الله عنها الهم والغم، وصدق الله عز وجل إذ يقول : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ .

امرأة تشفى من السرطان

وهذا رجلٌ صالح عابد أُصيبت زوجته بمرض السرطان ولها منه ثلاثة من الأبناء، فضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، وأظلمت عليهما الأرض، فأرشدهما أحد العلماء إلى : قيام الليل، والدعاء في الأسحار مع كثرة الاستغفار، والقراءة في ماء زمزم، واستخدام العسل، فاستمرا على هذه الحالة وقتًا طويلًا، وفتح الله عز وجل على هذا الرجل و زوجته بالدعاء والتضرع والابتهال إليه جل وعلا، وكانا يجلسان من بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، ومِنْ صلاة المغرب إلى صلاة العشاء على الذكر والدعاء والاستغفار، فكشف الله عز وجل ما بها وعافاها، وأبدلها جِلدًا حسنًا وشعرًا جميلًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ .

بكماء تتكلم عند موتها

وهذه امرأة صالحة ومتصدقة كريمة، شَهِدَ لها بهذا الأمر المُقرَّبُون، خمسون عامًا مرَّت عليها وهي بَكْمَاء لا تتكلم، اعتاد زوجها هذا الوضع، مؤمنًا بقضاء الله وقدره، وفي ليلة من الليالي استيقظت المرأة وبدأت تُصلي بصوتٍ مسموع، فقام زوجها مُستغربًا فَرِحًا، ثم سمعها تنطق بالشهادتين نُطقًا صحيحًا، ثم تضرعت إلى الله عز وجل بالدعاء، وكان زوجها ينتظرها تنتهي من صلاتها فَرِحًا بها لكنها تُوفيت بعد قيامها الليل، هنيئًا لها، فمن مات على شيء بُعِثَ عليه.

داعية روسية

ذكر أحد الدعاة عن امرأة في روسيا، امرأةٌ غريبة في الدعوة إلى الله عز وجل، والصبر على التعليم، قد صنعت هذه المرأة ما لم يصنعه الرجال، ظلَّت هذه المرأة خمس عشرة سنة تدعو إلى الله عز وجل سِرًّا، أيام الحكم الشيوعي، وتنتقل من بيت إلى بيت وتُعلِّم النساء القرآن وتُخرِّج الداعيات، ولم تغفل أيضًا عن أسرتها ولا عن أولادها، فأولادها من كبار الدعاة في روسيا، وأزواج بناتها الأربع كلهم من الدعاة أيضًا، وأحد أزواج بناتها هو مُفتي البلدة التي تُقيم فيها هذه المرأة.

امرأة متمسكة بدينها[1]

طالبة أمريكية متمسكة بالحجاب مُعتزة بدينها، أسلم بسببها ثلاثة من الأساتذة في الجامعة، وأربعة من الطلبة. وإليكم قصتها.

لمّا أسلم أحد الأساتذة بدأ يذكر قصته ويقول : قبل أربع سنوات

---

(١) موقع صيد الفوائد.

ثارت عندنا زَوبَعَة كبيرة في الجامعة حيث التحقت بالجامعة طالبة مسلمة أمريكية، وكانت متحجبة وكان أحد الأساتذة من معلميها متعصبًا لدينه، يُبغض الإسلام، كان يكره كل من لا يُهاجم الإسلام، فكيف بمن يعتنق الإسلام؟ وكان يبحث عن أي فرصة لاستثارة هذه الطالبة الضعيفة، لكنها قوية بإيمانها، فكان ينال من الإسلام أمام الطلاب والطالبات، وكانت تُقابل شدته بالهدوء والصبر والاحتساب .

فازداد غيظه وحَنَقُه، فبحث عن طريقة أخرى مَاكِرة، فبدأ يترصد لها في الدرجات في مادته ويُلقي عليها المهام الصعبة في البحوث، ويُشدد عليها بالنتائج، ولمّا لم تستطع التحمل وانتظرت كثيرًا وتحملت تحمُّلًا عظيمًا، قَدَّمت شكوى لمدير الجامعة للنظر في وضعها، فأجابت الجامعة طلبها وقررت أن يُعقد لقاء بين الطرفين، مع حضور جمع من الأساتذة لسماع وجهة نظر الطالبة مع معلمها، بحضور بعض الأساتذة والدكاترة والطلاب .

يقول هذا الكاتب الذي أسلم وهو أحد الأساتذة، حضر أكثر أعضاء هيئة التدريس، يقول هذا الدكتور : وكنا مُتحمسين لحضور هذه الجولة والمناظرة والحوار، التي تُعتبر الأولى من نوعها في الجامعة، فبدأت الطالبة تذكر أن الأستاذ يُبغض الإسلام، ولأجل هذا فهو يظلمها ولا يعطيها حقوقها ثم ذكرت بعض الأمثلة، فكان بعض الطلبة قد حضروا وشَهِدوا لها بالصدق ولِمُعلمها بالكذب، وهم غير مسلمين، فلم يجد الأستاذ الحاقد على الإسلام جوابًا، فبدأ يَسُبُّ الإسلام ويتهجم عليه، فقامت هذه الطالبة تُدافع عن دينها وتُظهر محاسن الإسلام .

يقول هذا الدكتور : وكان لها أسلوبٌ عجيب لجذبنا، حتى أننا كنا نُقاطعها ونسألها عن أمور تفصيلية في الإسلام فتُجيب بسرعة بلا تردد، فلمّا رأى الأستاذ الحاقد ذلك منهم خرج من القاعة، واستمرت هذه الطالبة مع بعض الأساتذه والطلاب، وأعطتهم ورقتين كتبت عليهما عنوانًا: ماذا يعني لي الإسلام ؟

فذكرت هذه الطالبة الدوافع التي دعتها للإسلام، ثم بيَّنت أهمية الحجاب وعَظَمَة الحياء والحِشْمَة للمرأة، وأنه سبب الزَّوبَعَة من هذا الأستاذ، ولم تكتفي بهذا، بل قالت : أنا مُستعدة أن أُطالب بحقي كله حتى لو تأخرتُ عن الدراسة .

يقول هذا الكاتب : لقد أُعجبنا بموقفها وثباتها ولم نتوقع أنَّ الطالبة بهذا الثبات والتحمل، وتأثرنا بصمودها أمام الطلاب والمعلمين، فصارت المُحجبة هي قضية الجامعة أيامها.

يقول: فبدأ الحوار يدور في عقلي وفي قلبي، حتى دخلتُ في الإسلام بعد عِدةِ أشهر، ثم تبعني دكتورٌ ثانٍ وثالث في نفس العام، ثم أصبحنا جميعًا دُعاةً إلى الإسلام . إنَّها امراةٌ قليلة المثيل في هذا الزمان .

امرأة تصبر على المرض(١)

حدثني أحد إخوانها بخبرها لقد ماتت رحمةُ الله عليها، قبل مُدة ليست بالطويلة، فهي مَدْرَسَةٌ في الأخلاق العالية، يُحبها الصغير والكبير، كما قال عنها أهلها وزوجها، في المناسبات يجتمع عليها الصغار والكبار، تتَّصل على القريب والبعيد وتسأل عن الأحوال ولا تترك الهدايا للأقارب، هي امرأةٌ زاهدة، ثيابها قليلة وَرَثَّة، أُصيبت هذه المرأة بمرض السرطان، نسأل الله عز وجل أن يجعلها في الفردوس الأعلى، مِن صبرها وثباتها بقيت سنةً ونصف لم تُخبر أحدًا إلا زوجها، وأخذت عليه العهد والميثاق والأيمان المُغلظة ألَّا يُخبر أحدًا .

ومِن صبرها وثباتها - رحمةُ الله عليها- أنها لا تُظهر لأحدٍ شيئًا من

---

(١) موقع صيد الفوائد.

التعب والمرض، فلم يعلم بها حتى أولادها وابنتها الكبيرة التي تخرج معها إذا خَرَجَتْ، إذا جاءها أحدُ محارمها أو أحدُ إخوانها أو ضيوفها مِن النساء، فإنها تستعد وتلبس الملابس وتُظهر بأنها طبيعية .

وكان أحدُ إخوانها أَحَسَّ بأنها مريضة وفيها شيء، فقد انتفخ بطنُها وظَهَرت عليها علامات المرض ولمّا أَلَحُّوا عليها إلحاحًا عظيمًا، أخبرتهم بشرط أن لا تذهب إلى المستشفى، تُريد الاكتفاء بالقرآن والعسل وماء زمزم، ولمّا أَلَحُّوا عليها وأخبروها بأن هذا الأمر والعلاج والدواء لا يُنافي التوكل، وافَقَتْ وشَرَطَتْ أن تذهب إلى مكة المكرمة للعمرة قبل أن تذهب للمستشفى، ثم ذَهبت في الصيف الماضي مع أهلها وبَقِيتْ قُرابة الأسبوعين، ولمّا رجعتْ من العمرة وذهبت إلى الطبيب، شَرَطَتْ ألَّا يدخل عليها أحدٌ سِوى الطبيب وزوجها، وكانت مُتحجبة ومُغطيةً لوجهها ولابِسةً القُفَازَيْنِ، ولم تكشف إلا موضع الألم المحدد في جزءٍ من البطن حتى لا يُرى شيئًا آخر منها، فرأى هذا الطبيب وتَعَجب واستغرب من وضعها ومن صبرها، فرأى أن الماء السام بسبب الورم في بطنها وصل إلى ثلاثةَ عشر لِترًا .

وكان من بُغضها للمستشفى تقول لأحد إخوانها وفَّقَهُ الله، وهو الذي اهتم بها ويُراعيها في آخر وقتها تقول له : إنِّي أُبغضُ الشارع الذي فيه المستشفى؛ لأنها لا تُريد الذهاب إلى الرجال ولا الخروج من البيت، تَحَسَّنَتْ أحوالها في رمضان الماضي، ثم عرض عليها أخوها الحج فلم تُوافق وحصل لها شيءٌ من التردد، لأنها إذا قامت يحصل لها تعبٌ أو إعياء أو دوار، ولا تستطيع أن تنهض واقِفَة واستبعدت الحج، ولمّا أَصَرَّ عليها وافقت، حجَّ بها أخوها، فيقول : قد حججتُ كثيرًا مع الشباب وجرَّبتُ عدة رحلات وسفرات مع الشباب لكن يقول : والله ما رأيت أسهل من هذه الحجة مع هذه المرأة المريضة، والنبي ﷺ يقول : **«إنَّما تُنصرون وتُرزقون بضعفائكم»** .

يقول هذا الأخ : وقد يَسَّرَ الله عز وجل لنا أشخاصًا لخدمتنا بدون

سبب، سواءً في الرَّمِي أو في الممرات أو في النزول من درج الجمرات، ويقول أخوها : كان بعض عُمَّال النظافة حول الجمرات قد وضعوا حِبالاً لتنظيف ما حول الجمرات، يقول لمّا قَدِمْنَا لرمي الجمرة لم نستطع أن نَقْرُب فنادانا أحد العَسَاكِر فقال : أُدْخُلُوا من تحت هذا الحبل، بدون أي سبب، وحصل لهم هذا الأمر في الدور الثاني في اليوم الثاني .

ولمّا أرادوا النزول ناداهم أحد العَسَاكِر، بدون أي سبب، ولا يظهر على المرأة أي علامة من علامات التعب أو المرض، يقول أخوها وكل المناسك قد يُسِّرَتْ لنا، وكانت هذه المرأة تهتم بالدعوة.

فَقَلَّمَا تذهبُ إلى مجلسٍ إلَّا وتُذكرُ بالله عز وجل، أو تدعوا إلى الله تعالى، أو تُعَلِّم أو تُخرِجُ كتابًا من شنطتها وتقرأ أو تأمر إحدى النساء بالقراءة وهي التي تشرح، قد كَفِلَتْ يتيمًا على حسابها، ولا تذهب إلى قصور الأفراح، وهي قليلة الاختلاط بالنساء، إن اجتمعت مع النساء لا تحضر إلَّا للعلم أو الدعوة إلى الله عز وجل، وليس عندها ذهبٌ فقد باعته كله قبل مرضها، كانت تُرَكِّزُ على البرامج الدعوية، وما زال الكلام لأخيها، وهي تُرَكِز على الخادمات بالأخصّ، وتُعلِّمُهُن وتُعطيهن بعض السور للحفظ .

كانت مُنذُ فترةٍ طويلة تتواصل مع أخيها على قيام الليل، فالذي يقوم الأول هو الذي يتصل على الآخر قبل الفجر بنصف ساعة، ثم بدأت أُمُّهُم -حفظها الله وصبَّرها وثبَّتها معهم - مع هذه المرأة المريضة وأخيها البار.

ثم بدأت هذه المرأة تتواصى مع نساء الجيران، وفي شِدَّةِ مرضها في سَكَراتِ الموت، لمّا كانت في المستشفى قبل وفاتها وفي أثناءِ المرض ما تَذَمَّرتْ ولا تَأَفَّفتْ ولا جَزِعتْ، بل كانت صابرةً مُحْتَسِبَةً، يقول أخوها: أشدُّ ما سَمِعْتُ منها من الكلمات قالت : يا ربِّ فرِّج عنّي، وكانت في أثناء السَّكَرات يقرأ عليها أحدُ الدُّعاة، فماتت وهو يقرأ عليها رَحِمها الله.

أمَّا بالنسبةِ للتغسيل : لمّا أُحضرتْ لمغسلَةِ الأموات يقول أخوها: قد

أَصَرَّ الصغار والكبار حتى الأطفال من العائلة يُلاحظون التغسيل، فحضروا جميعًا في مغسلة الأموات وصَلُّوا عليها، أمَّا أخوها الذي كان يُلازمها فقال: لقد رأيتُها لمَّا أُخرِجَتْ من الثلاجة قد تغير الشُّحُوب الذي كان فيها والتعب انقلبَ إلى نورٍ وبَياضٍ .

وكانت هذه المرأة الصابرة المُحتسبة -رَحِمَهَا الله- رَأَتْ رُؤيا قبل وفاتها بشهرٍ ونصف، كأنها جاءت لِدارٍ تُريدُ أن تدخُلها، فَسَمِعَتْ رجالًا يقولون عند الدار: ليسَ هذا بيتُك اذهبي إلى بيتٍ آخر، ثم رَأَتْ قصرًا أعلى من الأول وله دَرَجٌ رفيع أو سلالم رفيعة، فلمّا أرادت أن تصعد ناداها رجُلان من أعلى القصر -وهذا كله في الرؤيا، وهي التي قَصَّتْ الرؤيا على من حولها- وكان في أعلى القصر رجُلان عرضا عليها المُساعدة لِتصعد الدرج، فَتَحَمَّلَتْ وتَصَبَّرتْ ثم صعدت بِنَفْسِها بعدَ تعب، تقول : لمّا صَعَدتُ إلى القصر أحْسَسْتُ براحةٍ وسعادة وسُرور حتى وهي في المنام، ثم قالت لِمَنْ حولها : لا تُفَسِّروا هذه الرؤيا، فأنا إن شاء الله عز وجل أَسْتَبْشِرُ بِخير . فَرَحْمَةُ الله عليها، وجَمَعَها وأهلها في الفردوسِ الأعلى .

أنوار التوبة

كَتَبَتْ إحدى مُديرات مدارس التحفيظ تقول: تَقَدَمَتْ امرأةٌ للتسجيل في مدرسةٍ من مدارس التحفيظ، فلم تُقبل هذه المرأة لاكتفاء العدد، ولأنها تَقَدَمَتْ هذه المرأة مُتأخرة إلى مكتب المديرة، تقول تَقَدَمَتْ هذه المرأة وهي تبكي بِحُرقة وتقول: أرجوكم لا تَرُدوني، فإنّي والله مُسْرِفة على نَفْسِي في المعاصي، وكُلَما عَزَمْتُ على التوبة والرجوع إلى الله عز وجل أَضعَفُ وأعود إلى ما كُنتُ عليه، تقول هذه المديرة: فلمّا سَمِعْتُ ما قالت، ولَمَسْتُ صِدْقَ حدِيثِهَا ورأيتُ بُكاءها قَبِلْتُها، ودخَلَتْ في ذلك العام في دورةِ الحِفْظ والتجويد، أو في دورة الحفظ في سنة، والتجويد

في السنة التي بعدها، تقول وبفضل الله عز وجل، قد خَتَمَتْ كتابَ الله تبارك وتعالى، وهي من المعلمات القديرات الداعيات إلى الله عز وجل، بل مِن خِيرةِ الأخوات الصالحات، ولا أُزكيها على الله عز وجل.

تحفظ القرآن في سن السبعين

امرأةٌ أخرى قاربت السبعين من عمرها، تحفظ القرآن في نفسِ هذه المدرسة، تحضرُ لِحِفْظِ القرآن في الصباح والمساء، تقول هذه الكاتبة: هذه امرأةٌ عجيبة، وصَلَتْ إلى السبعين، امرأةٌ نَذَرت نفسها لله عز وجل وللأعمال الخيرية التي تُقرّبها إلى الله جل وعلا، فهي لا تَفْتُرُ ولا تَكْسَل ولا تستكين، طوال العام تعمل في الصيف والشتاء، ولا تُرى إلّا في طاعةِ الله، تعيش هذه المرأة في منزِلٍ كبير لوحدها مع عاملةٍ لها، وربتْ هذه العاملة على العمل الخيري والاحتساب، ولها عدة أعمال منها: أنها تُشارك في كثير من البرامج، بل تقول هذه الكاتبة: في كل برنامج أو مشروع أو جمع تبرعات، ما يُقام شيء إلّا ويكون لها سهمٌ كبير، وقد رزقها الله عز وجل، أبناءَ بارّين بها، ويُعينُونها بالمال وبما تريد، تقول: فوالله إنَّ هذه المرأة مصدرٌ مهم بعد الله عز وجل، بإمدادنا بالهمةِ العالية والعزيمةِ الصادقة، وهي نموذجٌ حي يَنْدُرُ وجوده في هذا الزمان.

كلمات قليلة تسببت في هدايته[1]

جاء رجلٌ كان مُسرفًا على نفسه بالمعاصي، وكان يشرب الخمر، ويسهر مع رُفقاء السوء على الخمرِ و الغناء، وكان يترك الصلاة أو يُصلي أحيانًا حياءً أو خَجَلًا أو مُجاملةً، وذات مرة زار هذا العاصي إحدى

(١) موقع صيد الفوائد.

قريباته، فَحَمَلَ طفلًا من أولادها، فَبَالَ هذا الطفل على هذا الرجل العاصي المُسرف على نفسه.

يقول هذا الرجل بعد ما تاب: فَقُلْتُ لأمه خُذي هذا الطفل فقد بَالَ على ملابسي، فقالت: الحمد لله أنه لم يَبُل على ملابس فُلان، وكان قد حضر معه أحد أقاربها من محارمها فاستغرب هذا الرجل العاصي، وكُلُّنا ذلك الرجل، وقال ما السبب؟ قالت: أنت لا تصلي، مثل هذا الرجل، والبَول على الثياب لا يضرك.

بهذه الكلمات القليلة، أنتَ لا تُصلي، لست مثل هذا الرجل، البول على الثياب لا يضرك، يقول هذا العاصي: فَرَجَعْتُ إلى المنزل وتُبْتُ إلى الله عز وجل، واغْتَسَلْتُ وتركتُ الخمر وهجرتُ رُفقاء السوء، ولَزِمتُ الصلاة، وفَرِحَتْ بي زوجتي المُتدينة التي تُحثُّني دائمًا على تركِ الخمر.

يقول الكاتب: لمَّا أَخَذَ منه بعض هذه القصة، يقول الكاتب: لقد رأيتُ الرجل قبل موته يترك أي عمل إذا سَمِعَ المُؤذن، وإذا كان في السيارة يقف عند أَقْرَبِ مسجد إذا سَمِعَ الأذان، فرحمةُ الله عليه وعفا عنَّا وعنه.

امرأة متحجبة بعد الخمسين

امرأةٌ أُخرى مُتحجبة بعد الخمسين، لقد تَقَدمت بها السِّن وهي لا تهتم باللباس الشرعي وليس عندها من ينصحها، يقول أحد أقاربها: أنشأت جماعة أنصار السُّنة المُحمدية في قريتنا مكانًا لتحفيظ القرآن الكريم، وخَصَّصُوا مكانًا للنساء، فبدأتْ هذه المرأة تحضر وتأثرت بالدروس والحجاب والصلاة، وتركت مُصافحة الرجال، وحَفِظَتْ بعض قِصار السور، وتَحَجَّبَتْ حِجابًا كاملًا، وغَطَّتْ وجهها، ولمَّا زاد عمرها وتَقَدمتْ بها السِّن، قيل لها: إنَّ وضع الحجاب في حقك جائز لا بأس فيه، ثم يذكُرون قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا

فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾، ثـم يسكتون، وتقول لهم: أكملوا هذه الآية ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، كانت تقول: أُريد العفاف ولطالما كَشَفْتُ وجهي وأنا صغيرة وأنا جاهلة، فكيف أكشفه وأنا كبيرة مُتعلمة حافظة، وبالتزامها بالحجاب تأثَّرَتْ بها أصغرُ بناتها في البيت فتَحَجَّبَتْ كَأُمِّها.



نصرانية تسلم
وزوجها المسلم غير راض[١]

امرأةٌ أمريكية يضربها زوجها، أمريكية نصرانية تزوجها رجل سَيِئ الخُلُقِ، يدَّعِي أنه مُسلم، وطوال الثمان سنوات كما تقول لم يحدِّثها عن دينه، وبعد مُدّة تقول : رأيتُ رؤيا في المنام سَمِعْتُ فيها الأذان، وبعد مُدَّة وهي تُشاهد التلفاز رَأَتْ المسلمين في شهر رمضان في إحدى الدول وسَمِعَتْ الأذان مَرَّةً أخرى، رَأَتْ المسلمين فقط في شهر رمضان، قد يكونون ذاهبين إلى المسجد أو يُفْطِرون في الحرم، وسَمِعَتِ الأذان مَرَّةً أخرى فارتاحتْ كثيرًا، وبدأتْ تقرأ وتبحث عن الإسلام، فَأَسْلَمَتْ.

ومن أسباب إسلامها، سَأَلَتْ عن أمرِ زوجها فقيل لها: إنه مسلم كَمِثْلِ هؤلاء الذين يصومون رمضان، وكان عندها اضطراب بين زوجها وبين المسلمين في عقلها، لكن تقول : عندما أسْلمتُ تَحَجَّبْتُ، فتلقاها زوجها سيئ الخُلُقِ بالضرب والسَّبِّ، ومَزَّقَ حجابها؛ لأنه رجلٌ دبلوماسي كما يقول، وهي تُحرِجُهُ كثيرًا بين المسئولين بهذا الحجاب، وازدادت مُعاملته سوءًا يومًا بعد يوم، وكان يضربها بِشراسة وحقد حتى بَقِيتْ في المستشفى عدة أشهر تتعالج بسبب ضربه لها، وعَمِلَتْ ثلاث عمليات في العَمُودِ الفقَرِيِّ، واستعملت كرسي العجلات سنة ونصفًا، وصَلَ بهم الأمر إلى الطلاق.

وقد رَفَعَتْ هذه المرأة على زوجها دعوى عند القاضي، لكن كانت تقول: هل أُسْقِطُ الدعوى عن هذا الرجل وأُفوض أمري إلى الله عز وجل أو أُطالبه به، مع أنّي سأضطرُ وأقِف أمام القاضي، وهي لا تُريد ذلك، لأنها احتمال أن تخضع إلى فَحصٍ طبي لأجل أن تُكمل الدعوى، فتضطر

---

(١) موقع صيد الفوائد.

معها إلى عرضٍ جسدها على الأطباء، فهذا الذي دعاها لإسقاط الدعوى.
واستمرت هذه المرأة على دينها مُتَمَسِّكَة بحجابها، ولم يُغير دينها هذا الرجل سيئ الخُلُقِ .

نصحت زوجها فأقلع عن التدخين

وأخرى كانت تنصح زوجها حتى يترك هذه العادة السيئة «التدخين»، ولا يقبل ولا يهتم ولا كأنها تُكلمه، ففي ذات مرة تقول: دخل علينا ابننا البالغ من العمر ثلاث سنوات وفي فمه سيجارة، وبدون شعور من والده قام وصَفَعَ ابنه، وهي أول مرة يضرب فيها زوجي أحد أبناءه، لأنه رحيمٌ بهم يحبهم ويعطف عليهم، فقالت الزوجة: بهذه الكلمات القليلة اليسيرة، استغلتْ هذه الفرصة ودعت زوجها إلى الله عز وجل، فقالت له: إنه يعتبرك القدوة لذلك يعمل مثل هذا العمل، فخرجتْ هذه الكلمات من قلبٍ صادقٍ ناصح فَوقَعَتْ في قلبه، فأقلع من ذلك اليوم عن التدخين.

تخرج بغير إذن زوجها

كلمة مؤثرة، كانت هناك امرأة متهاونة في الصلاة، زوجها كثير السفر، ولِذَا فإنها اعتادت على الخروج دائمًا من المنزل بلا استئذان، حتى مع وجود زوجها تخرج بدون استئذان، وكان إذا قَدِمَ من السفر يغضب إذا رأى خروجها وينصحها بعدم الخروج، ويحُثُّها كثيرًا على تربية الأولاد، تقول هذه المرأة: لم أهتم كثيرًا بما كان يقول، وكُنْتُ أخرجُ بدون استئذان، وكُنْتُ أَلْبَس الملابس الفاخرة، وأتعطر بأحسنِ العطور، وسَمِعتُ ذات مرة أنه سيُقام في منزل أحد الأقارب مُحاضرةً لإحدى الداعيات، فذهبتُ إلى حضورها حُبًا للاستطلاع، فَتَحَدَّثَتْ هذه المرأة

الداعية الحكيمة عن بعض مُخالفات النساء، حتى أبْكَتِ الحاضرات، قالت هذه المرأة المُتهاونة: فتأثرتُ بها وسَألْتُها عن حُكْمِ الخروج من البيت من غير إذنِ الزوج، فَبيَّنتْ لي أنَّ هذا حرام إلا بإذنِ الزوج، وأَرشَدَتها أن لا تتبرج، وأن تُحافظ على نفسها، قالت: لمَّا قَدِمَ زوجي من السفر اعتذرتُ منه وطلبتُ منه السماح والعفو، واستأذنته للخروج مرَّةً من المرات فقال: مُنذُ متى وأنتِ تستأذنين مني، فقالت: له هذا الخبر وهذه القصة، فَحَمِدَ الله عز وجل على نعمة الهداية.

لا تُنكِروا أَثَرَ الكلامِ فإنَّهُ   أثَرٌ عَجِيبٌ في النُفُوسِ مُجَرَّبُ

امرأةٌ حفظها حجابها[1]

سافر زوجها وتركها مع أولادها وأوصى أخاه الكبير بأن يأتي إلى زوجته، وأن يقوم بأعمال البيت، ويُتابع الأولاد، تقول هذه المرأة : كان يأتي هذا الأخ الكبير كل يوم تقريبًا، وكان لطيفًا في أوَّلِ أيامه، لكن لمّا أكْثَرَ التردد علينا وليس عندي محرم، ولم أتحجب بدأت تظهر منه تصرفاتٍ غريبة حتى قَدِمَ زوجي، وكنتُ أريد أن أُفاتح زوجي في الموضوع، لكن خِفْتُ من المشاكل .

ثم سافر زوجي مَرَّةً أخرى ورجع أخوه إلى حالته الأولى، من الحركات الغريبة، والكلام العاطفي، وبدأ يُعاكس زوجةَ أخيه، وبدأ يحضر في كل وقت، لِسببٍ أو بدون سبب.

تقول هذه المرأة : لقد تَعِبْتُ من تصرُفاته، فَكَّرتُ في الكتابة إلى زوجي لكن تَراجَعْتُ حتى لا أُضايقه لأنه في بلدٍ آخر، يبحث عن المَعِيشَة، وحتى لا تحصل المشاكل، وقُلتُ لا بد من نَصِيحَةِ هذا الخائِن الغادر، ونَصَحْتُ هذا الرجل الذي هو ليس برجل، لكن لم ينفع فيه

---

(١) موقع صيد الفوائد.

النُّصح، وتقول : كنتُ أدعو الله -عز وجل- كثيرًا أن يحفظني منه .

تقول: فَطَرَأَتْ عليَّ فكرة، ففكرتُ في لبسِ الحجاب، وتغطية وجهي، وكتبتُ لزوجي بأنّي سأتركُ مُصافحةَ الرجال الأجانب، فشجعني زوجي، وأرسَلَ لي كُتُبًا وأشرطة، وتقول هذه المرأة بعدما لبِسَتِ الحجاب : وعندما جاء شقيقُ زوجي كعادته ذلك الخائن ورآني وَقَفَ بعيدًا، وقال : ماذا حصل؟ قُلْتُ: لن أُصافح الرجال، إلّا محارمي، فوقف قليلاً، ثم نَكَّس رأسه، فَقُلْتُ له : إذا أردتَ شيئًا فَكَلِّمني من وراء حجاب، فانصرفْ، فَكَفَّ الله عز وجل شرَّهُ عنها.

امرأة عالية الهمة حفظت القرآن[1]

أمّا ما جاء عن أُمّ صالح، امرأةٌ بلغت الثمانين من عمرها تتفرغُ لحفظ الأحاديث، إنّها نموذجٌ فريد من أعاجيب النساء، أَجرتْ مجلة الدعوة حوارًا معها فقالتْ هذه المرأة: إنّها بَدَأَتْ بحفظ القرآن في السبعين من عمرها، امرأةٌ صابرة، عاليةُ الهمّة .

قالت هذه الحافظة الصابرة : كانت أُمنيتي أن أحفظ القرآن الكريم من صِغَري، وكان أبي يدعو لي دائمًا بأن أحفظ القرآن كإخوتي الكبار، فحَفِظتُ ثلاثة أجزاء، ثم تزوجتُ وأنا في الثالثة عشر من عمري، وانشغلتُ بالزوج والأولاد، ثم توفي زوجي ولي سبعةٌ من الأولاد كانوا صِغَارًا، تقول: فانشغلتُ بهم، بتربيتهم وتعليمهم والقيام بشئونهم، وحين رَبّتهم وتَقَدمتْ بهم الأعمار، وتزوج أكثرُهُم، تَفَرّغَتْ هذه المرأة لِنَفْسِها، وأول ما سَعَتْ إليه أنّها بدأتْ بحفظ القرآن، وكانت تُعينها ابنتها في الثانوية، وكانت المُعلمات يُشجعنَ البنت على حِفْظِ القرآن، فَبَدَأَتْ مع أُمّها كُلَّ يوم تحفظ عشرة آيات .

---

(١) موقع صيد الفوائد.

طريقة سهلة للحفظ:

أمَّا طريقة الحفظ : فكانت ابنتها تقرأ لها كل يوم بعد العصر عشر آيات، ثم تُرددها الأم ثلاث مرات، ثم تشرح لها البنت بعض المعاني، ثم تردد هذه الأم الآيات العشر ثلاث مرات أخرى، ثلاث ثم تشرح ثم ثلاث، وفي صباح اليوم الثاني تُعيدها البنت لأُمها قبل أن تذهب إلى المدرسة، وكانت هذه المرأة الكبيرة في السِّنّ تستمع لقراءة الحُصَري كثيرًا وتُكرر الآيات أَغْلَبَ الوقتِ حتَّى تحفظ، فإن حَفِظَتْ أَكْمَلَتْ، وإن لم تحفظ فإنها تُعاقب نفسها وتُعيد حفظ الأمس، تُعيده في اليوم مع ابنتها .

وبعد أربع سنوات ونصف حَفِظَتْ هذه الأم اثنى عشر جزءًا، ثم تزوجتِ البنت، ولمّا عَلِمَ الزوج بشأن زوجته مع أمها وطريقة الحفظ، استأجرَ بيتًا بالقُربِ من منزل الأم، وكان يُشَجِّعُ البنت وأمها، وكان يَحضُرُ معهن أحيانًا ويُفَسّرُ لَهُنَّ الآيات، ويستمع لحفظهن، واستمرتْ هذه البنت مع أمها ثلاثة أعوام أيضًا، ثم انشغلت بأولادها هذه البنت، ثم بَحَثَتْ البنت عن مُدرَّسَةٍ تُكْمِلُ المشوار مع أمها، فأتت لها بِمُدَرِّسَة، فَأَتَمَّتْ حفظ القرآن الكريم، هذه المرأة الكبيرة أَتَمَّتْ حفظ القرآن.

وما زالت ابنتها إلى إجراء الحوار مع أُمها تواصل الحفظ حتى تلحق بالأم الكبيرة في السِّنّ، وقد حَفِظتْ القرآن بعد أكثرِ من عشر سنوات، أمَّا النِّساء حولها فَتَأَثرنَ بها، فبناتها وزوجات أبنائها تَحَمَّسْنَ كثيرًا وكُنَّ دائمًا يضربنَ المثل بهذه الأم العجيبة، وبَدَأْنَ بحلقة أسبوعية في منزل الأم للحفظ، فصارت هي العالِمة بينهُنَّ، أو الحافظة بينهُنَّ.

وقد أَثّرتْ هذه المرأة بحفيداتها، فكانت تُشجعُهُنَّ بالالتحاق بحلقات التحفيظ، وتُقدم لهُنَّ الهدايا المُتنوعة، أمَّا جاراتها فأول الأمر كُنَّ يُخبِطْنَ عزيمتها ويُرددنَ إصرارها على الحفظ لِضَعْفِ حِفْظِها، ولمَّا رأَينَ استمرارها وصبرها، بَدَأنَ يُشَجِّعنها .

تقول هذه الأم المُربية العجيبة التي حَفِظَتِ القرآن بعد الثمانين :

حينما عَلِمَتْ هؤلاء النِّسوة أنِّي حَفِظْتُ القرآن رَأَيْتُ دُمُوعَ الفَرَحِ منهُن، وهذه المرأة تَسْتَمِعُ كثيرًا إلى إذاعة القرآن الكريم، وتَقْرَأُ في صلاتها السور الطويلة، بَدَأَتْ بالحفظ وعُمْرَهَا تجاوز السبعين .

ثمَّ لم تكتف هذه المرأة بحفظ القرآن فقط، بل انْتَقَلَتْ إلى حفظِ الأحاديث النبوية، فهي تحفظ إلى إجراءِ الحوار تسعين حديثًا، وتحفظ مع إحدى بناتها، وتعتمد على الأشرطة، وتُسَمِّعُ لها ابنتها كل أسبوع ثلاثة أحاديث، اسْتَمَرَّتْ هذه المرأة أكثر من عشر سنوات في الحفظ، تقول : أَحْسَسْتُ بارْتِياحٍ عجيب بعد حفظِ القرآن، وغَابَتْ عَنِّي الهموم والأفكار، ومَلأْتُ وقْتَ فراغي بطاعة ربي، اقْتَرَحَتْ عليها بعض النسوة أَنْ تَدخُلَ في دُورِ تحفيظ القرآن، فَأَجَابتْ هذه المرأة وَرَدَّتْ فقالت : إنِّي امرأةٌ تَعَودتُ على الجُلُوس في البيت ولا أَتَحَمَّلُ الخروج، وتدعُو كثيرًا لابنتها وتَشْكُرها بأنَّها بَذَلَتْ معها الكثير الكثير .

تقول: وهذا من أَعْظَمِ البِرِّ والإحْسَان، خَاصَّةً أَنَّ البنت كانت في مرحلة المُراهقة، التي يشكو منها الكثير، فكانت البنت تضغط على نَفْسِهَا وعلى دراستها لِتُفَرِّغَ نَفْسَهَا لِتَعْلِيمِ أُمِّها بِصَبْرٍ وحِكْمَةٍ، ثُمَّ خَتَمَتْ هذه المرأة الصالحة وقالتْ : لا يأْسَ مع العَزِيمَةِ الصَادِقَة، ولا يَأْسَ مع قُوةِ الإرادة والعَزم والدعاء، ثُمَّ البداية في حفظِ القرآن، ثُمَّ قالتْ: والله ما رُزِقَتْ الأُمُّ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ إِلَيها من ولدٍ صالحٍ يُعِينُها على التَّقَرُّب إلى الله عز وجل.

صَدَقَ الشاعِرُ حينَ قال:

بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الكُبْرى فَلَمْ أَرَها ... تُنَالُ إلَّا على جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

ماتت المُعلّمة

تُوفيت إحدى المُعَلِّمَات الدَّاعِيات مَعَ زَوجِهَا في حَادِث، وكَتَبَتْ عَنْها بعض الطَّالِبَات، بعض المَقَالات في إِحْدَى الصُّحُف، فَمِنْ ذَلِكَ قالتْ

إحْدَاهُن: رَحِمَكِ الله أُسْتَاذَتِي، جَعَلْتِ جُلَّ اهتِمَامكِ الدعوة، وجَعَلتِ نَصْبَ عينيكِ إيقاظُ القُلُوبِ الغافِلَة، فَأَنْتِ المَنَارُ الذي أَضَاءَ لنا الطريق، لَنْ يَنْسَاكِ مُصَلَّى المدرسة، لكن سَيَفْقِدُ صَوتَكِ العَذْب، وكَلامَكِ الرَّصِين، والقِصَصَ الهادِفَة التي تَأْتِينَ بها، والمَواعِظَ الحَسَنَة، ولَنْ أَنْسى جُموعَ الكَلِمات التي تَصْدُرُ منها، ولن أنسى المُعلمات ولا الطالبات اللاتي يُسْرِعْنَ لِحُضُورِ درسَكِ في وقْتِ الاسْتِراحة، فَسَتَبْقَى كَلِمَاتُكِ ونَصَائِحُكِ مَحْفُوظَةً في جُعْبَتِي لن أَنْساها ما حييت.

ومَهما كَتَبْتُ أو دَوّنْتُ فَلَنْ أَصِلَ إلى نِصْفِ ما بذلتيه لنا.

وقالت طالبةٌ أخرى عن هذه المعلمة: ما زَالَتْ كَلِمَاتُها في قلبي إلى الآن، لمّا قالت لي ناصحةً لي: إنَّ للإيمانِ طَعْمًا حُلْوًا لَنْ يَتَذَوقهُ إلَّا مَنْ أَطَاعَ الله عز وجل. ما زالتِ القِصَص التي قُلْتِيها في قلبي ووجداني، لقد رأيتُها في المنام قبل وفاتها، سَمِعْتُ صوتًا حول هذه المُعَلِّمَة يقول: هذه المرأة على طريقِ العُلَمَاء، تقول هذه الطالبة: فلمّا أَخْبَرتُها تَبَسَّمَتْ. رَحِمها الله على ما بذلته من أعمال الخير.

سهير رمزي

تقول الفنانة التائبة سُهير رمزي: لأول مرة أذوقُ طعم النوم، قريرةَ العين، مُطْمَئِنَّةَ البَال، مُرتَاحةَ الضمير.

وأمّا سبب هدايتها فعجيب: كانت قبل أن تتحجب، ولمّا كانت تُزاولُ الفَن، حَضَرتْ على مركزٍ لِتَعْلِيم القرآن، ولاجتماع الدُعاة والداعيات في مصر، وكان هذا المركز بِمَالِ إحدى التائبات من الفنانات، وهي ابنة الشيخ الحُصَرِي -رحمه الله- تقول: إنَّ هذه الفنانة التائبة أو المُمَثلة التائبة، لمّا تابت أقامت هذا المركز وجعلت شيئًا من الوقف لأبيها المُتَوفَّى القارئ الحُصَرِي -رحمه الله- وثَبَّتَ ابنته على الحق والخير، تقول: كانت هذه الشّابَة البَارّة بأَبيها -رحمه الله- تحضِر

بعض الدُّعاة، فَحَضر أحدُ الدُعاة، لبعضِ النِّسْوة وكانت هذه (سُهير رمزي) حاضِرة بين النساء، وهي غير مُتحجّبة، تقول: أوّل ما بدأ المُلقي يتكلم، تَكَلَّمَ وقال: إنَّ تسعةً وتسعين من أشراطِ الساعة الصُغرى قد ظَهَرتْ، وإنَّ هذه الزلازل التي نَراها في العالم إنّها تُؤذِنُ بِقُربِ القيامة الكُبرى.

ثُمّ تلا قول الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [سورة الزلزلة].

تقول: فلم أتمالك نفسي وبكيتُ كثيرًا كثيرًا، وعَرفْتُ أنّي ضائعةٌ تائهة، ثُمّ أسندتُ رأسي على كَتِفِ أمي وقلت: إنّي أُعْلِنُ الرجوع إلى الله عز وجل، ثُمّ لمّا تَابَتْ تقول: لأول مرة أذوقُ طعم النوم، قريرةَ العين، مُطْمَئِنَّةَ البَال، مُرتَاحةَ الضمير.

توبة الفنانة منى عبدالغني[1]

منى عبد الغني، فنانةٌ سابقة، أَعْلَنَتْ توبتها إلى الله عز وجل، لَبِسَتْ الحجاب، وطالَبَتْ وسائل الإعلام ألّا تُخرِجُ شيئًا من أغانيها ولا صورها، تقول: أمّا بداية هدايتي فقالت : كنتُ أُفَكِرُ دائمًا لو جاء الموت إليَّ وأنا على هذه الحال، وأنا غير مُستعدة للقاء ربي، فماذا أفعل؟ وكُنتُ أصحو فَزِعَةً من النوم أحيانًا، لأُحاسبَ نفسي بشدة، أُريدُ جوابًا لهذا السؤال؟ أُريدُ تطبيقًا لهذا السؤال؟

قالت : كانت أخواتي يرتدين الحجاب، وعائلتي مُتَدَينَة، وأخي ممدوح -رحمه الله- يُلِحُ عليَّ دائمًا بأن ألبس الحجاب، لا تُنكرُ أثر الكلام .

---

(١) موقع صيد الفوائد.

تقول : قبل وفاته بأربعين يومًا كان يُحضِرُ لها الأشرطة الدينية، والمواعظ عن الموت وعن الآخرة، وبعد الحج رجع إلى مقرّ عمله في باريس، ومات وهو ساجد، نسألُ الله من فضله، فلمّا مات تقول : أفَقْتُ من هذا السُّباتِ العظيم، وأَفَقْتُ على هذا النور الذي بَزَغَ لي وسَطَ الظلام، وقبل أن يُوارى جُثْمَانُ أخي قررتُ ارتداء الحجاب واعتزال الفن، بعد ذلك تَحسَّنَتْ أَحوالُهَا مع الله عز وجل، وأَقْبَلَتْ عليه بالعبادات، وتَرَكَتْ العمل في معهد المُوسِيقى، وتَفَرَّغَتْ لابنتها، لِتَربيتها تربيةً صالِحة، وتقول : لَنْ أَعُودَ لِلْفَنِّ مهما كانت المُغْريات .

وأقول أخيرًا -والكلام لها- : ربنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا .

وأمّا أخوها ممدوح -رحمةُ الله عليه- فَيَحْسُنُ أَنْ يُقالَ عنه ما قال الشاعر :

يا رُبَّ حيٍّ رُخَامُ القبرِ مَسْكَنَهُ ورُبَّ مَيتٍ على أَقْدامِهِ انْتَصَبَا



امرأة تحب الصلاة

امرأةٌ أخرى تتمنى أنَّها إذا دَخلَتِ الجَنَّة، أَنْ تجْلِسَ تحتَ شَجَرَةٍ، وتُصَلِّي وتَعْبُدُ الله عز وجل، لِحُبِّها للصلاة وتَعَلُّقِها بها.

أَشرِقِي يا مَعْدنَ الطُّهرِ الثَّمِين دُرَّةً بالحَقِّ غَرَّاءَ الجَبِين
شُعْلَةً تُوقِظُ في أَرْواحِنَا خَامِدَ العَزْمِ وأَنْوارَ اليَقِين
يا ابْنَةَ الإِسْلامِ يا نَسْلَ الأُلى سَطَّروا الأَمْجَاد بِالفَتْحِ المُبين
فَتَحُوا الأَقْفَالَ في وجْهِ الضُحى أَسْعَدُوا الإِنْسَانَ في دُنْيا و دِين
فَجَّروا تِلْكَ اليَنَابِيعِ التي تَسْتَقِي مِنْهَا قُلُوبُ المُؤمِنِين
أَبْشِري يا أُختُ بالفَجْرِ الذي سَوفَ يأْتِي في عُيونِ القَادِمين
مُحْصَناتٍ في خدُورٍ زُودَتْ بِالتُّقَى والخُلُقِ البَرِّ الثَّمِين
امْلئِي الأَرْضَ سَلامًا وإِسلام وازْرَعِي الدُّنْيا ورُودَ اليَاسَمِين
أَنْتِي يا أُخْتَاه إِشْراقَ المُنَى فَاصْعَدِي العَلْياءَ بِالدِّينِ الحَصِين
كُلُّ مَا نَرجُوهُ يا ذَاتَ الضِّياء أَنْ تَكُونِي شَرَفًا في العَالَمِين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا..

❁ ❁ ❁

حجابي أنقذني من الموت

حدثت هذه القصة معي قبل ثلاث سنوات كنت أستعد للسفر إلى الأراضي المقدسة برفقة والدي الحبيب، فلقد قضينا الإجازة الصيفية في العام الماضي في تلك الرحاب وما أروعها من إجازة، يكاد قلبي يطير طربًا ونفسي تذوب توقًا ومشاعري ترفف حبًّا إلى اللقاء عشق أبدي تجسد وحب أزلي توطد ربط جسور المحبة وأوتار الوداد وأكاليل الوفاء بين قلبي الصغير وبيت الله الذي سكن أعماق روحي من أول نظرة وأول لقاء فشهد توقيع عهد على الحب ووعد للوفاء سُطرت حروفه بدموعي وكلماته بأنفاسي وأسطره بتضرعي إلى الكريم بالعودة واللقاء فهاهي لحظة اللقاء تقترب ولم يبقَ إلا أيام معدودة

بعد أن حجزنا التذاكر وأعددنا متطلبات السفر اقترح والدي أن نقوم بزيارة بيتنا في الجبل في بلدة صغيرة اسمها ككلة تبعد عن محل إقامتنا في العاصمة نحو ساعتين بالسيارة للسلام على جدي وجدتي وأعمامي قبل السفر وطلب السماح منهم، وهي عادة جرت في بلادنا لكل من يقصد الحج أو العمرة وبالفعل غادرنا العاصمة طرابلس وصلنا وباقي أفراد الأسرة إلى ذلك البيت حيث قامت عمتي بترتيبه وتجهيزه قبل لنا لنبقى فيه الأيام التي تسبق السفر، فكانت نقاوة الهواء أول من قابلنا والبعد عن صخب المدينة وضجيجها ثاني من حضننا، بالإضافة إلى جمال المناظر الطبيعية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على عظمة خالقها من أودية رائعة وجبال راسية وبساتين مسبحة بحمد العظيم

مرت تلك الأيام القليلة في سعادة كلمح البصر بين الأهل والأحباب إلى أن جاء اليوم الذي سنغادر فيه إلى العاصمة ومنها إلى مكة، دعتنا زوجة عمي لتناول طعام الغداء في بيتها فقبلنا الدعوة وسبقتني أمي وأخواتي على أن ألحق بهم بعد أن أكمل تجهيز بعض الأغراض أنهيت ما

كان بيدي وتناولت الطرحة ووضعتها على شعري وعندما هممت بالخروج من باب البيت أردت أن أتأكد من أن الطرحة تغطي مقدمة رأسي جيدًا ولا يظهر شيء من شعري عندما وضعت يدي شعرت بشيء لم أعرفه وبسرعة كبير وبحركة تلقائية تمسك يدي بذلك الشيء وتقوم برميه وإلقائه بعيدًا وكأن قوة غريبة تحركها عندما رأيت ذلك الشيء كاد أن يغمى علي عقرب نعم إنها عقرب سوداء ضخمة ضخامة لا يمكن وصفها صرت أردد بصوت لا يكاد يسمع عقرب عقرب عقرب نعم إنها عقرب بقيت تحت هول الصدمة غير مصدقة لا بد أنها كانت على الطرحة عندما أخذتها وارتديتها دون أن أشعر بوجودها فلابد أنها دخلت من النافذة ولكن كيف لم تلدغني في ناصيتي وكيف عندما لمستها بيدي ورميتها لم تلدغني في يدي تذكرت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ وما قصتي كلها إلا تصديق لقوله عز في علاه وتبين كيف أن حرصي على حجابي هو الذي أنقذني من الموت المحقق فسبحان الله والحمد لله

هرع الجميع إليَّ يهنئونني ويباركون على سلامتي غير مصدقين ما حدث ومستغربين نجاتي من موت محتوم

وبعد أيام قليلة كنت جالسة في المسجد الحرام أنظر إلى الكعبة تذكرت تلك الحادثة حمدت الله وشكرته أن مدَّ في عمري ووهبني عمرًا جديدًا وأيقنت أن هذا العمر الجديد ما هو إلا مكافأة من العزيز الحكيم لخوفي على حجابي وخشيتي أن يظهر مني ما حرم الله ظهوره

فأقول من خلال قصتي هذه لمن ما زال عندها تردد في لبس الحجاب: والله إن الحجاب الذي أنقذنا في الدنيا سينقذنا بعون الله في الآخرة، وأقول لأختي المتحجبة: ازدادي حرصًا على حجابك وتشبثي به تشبث الغريق بقشة النجاة وعضي عليه بالنواجذ، ولا تجعلي شيئًا يظهر من جسدك أو شعرك فحجابك رمز لعفتك وطهرك وصفائك ونقائك ودليل محبتك وتذللك لخالقك.

قصة امرأة تائبة

تقول: سلام على إخواني وأخواتي في الله.. الذين أسأل الله تعالى الحي القيوم أن يرزقني وإياهم جنة الفردوس وأن يحشرنا مع حبيبنا سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي.. الذي أدى الرسالة وبلغ الأمانة..

سلام عليكم إخواني وأخواتي بعد غياب طويل.. نعم غياب طويل.. غياب طال في عزبة الشيطان اللعين.. أخذني في رحلة طويلة ومن فضل ربي ورحمته أنقذني عز وجل من مثل هذه الرحلات.. التي ما هي إلا لعب ولهو ومضيعة للوقت وفي النهاية ما استفدنا منها شيئًا بل أغضبنا رب العرش العظيم..

صدق رب العرش العظيم عندما قال عز من قائل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

ومن هنا أبدأ لكم قصتي التي أتمنى من إخواني وأخواتي في الله أن يتعظوا منها.. فهل يضمن أحدنا أن يعيش يومًا آخر أو ساعة أخرى؟؟

تذكروا أحبتي في الله أن الله تعالى قال لنا في كتابه العظيم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

إخواني / أخواتي في الله من أين أبدأ لكم قصتي.. أبدأها من حيث بدأت أعرف للشيطان سبيلًا. من حيث بدأت أتعلم من صديقات السوء سماع الأغاني. والخروج ليلًا لأماكن اللهو والخروج لغير حاجة فقط لنضيع وقتًا نراه نحن فارغًا.

كل ما أطلبه مجاب.. أريد سيارة.. حاضر.. أريد أموال.. حاضر.. أريد وأريد وأريد.. كله مجاب..

للأسف استخدمت ثقة أهلي بي بالطريقة الخطأ...

دائمًا كنت أقول: إن أهلي لا يريدون لي الخير.. ويريدون أن يزيدوا علي الخناق في البيت.. فقط اجلسي في البيت ولا داعي لهذه اليومية..

ولكن الشيطان اللعين لن تغفل عنه هذه الأمور.. فمن تسمع الأغاني. وتخرج ليل نهار مع صديقاتها.. وتضع المكياج.. لا صلاة.. ولا عبادة ولا تقرب لله تعالى أبدًا.. هل سيصعب عليها الكذب.

إي والله كذبت.. نعم كذبت على أحن أم علي في هذه الدنيا.. كذبت على أبي الذي لا يأكل حتى يتأكد أننا جميعًا شبعنا.. ودعكم من كل هذا..

فلقد كذبت على الحي القيوم.؟! رأيتم مصيبتي.. نعم فعلتها.. كنت أرتكب الأخطاء التي تغضب ربي مني.. مكالمات حتى وجه الصباح ويؤذن الفجر.. وهل من مجيب؟!

ساعات طويلة على النت أمام الماسينجر ومواقع الدردشة التي لا تأتي إلا بالخراب والدمار علينا.. أضع المكياج وألبس أحسن الملابس وأتعطر بأفخم أنواع العطور وأخرج في سيارتي وفي بالي سؤال واحد من سيعجب بي اليوم ؟؟ ماذا سيقول الناس عني عندما يرون جمالي؟؟ أي جمال هذا.. وأي نفس تلك؟؟

وفي ليلة من الليالي..سبحانك ربي ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦] صدقت رب العرش العظيم..

رأيت أخواتي كلما ارتكبت إحداهن خطأ علمت أمي بأمره وأبي.. جلست أفكر.. لي ٥ سنوات أرتكب أخطأ كثيييييييييييييرة ولم يكتشفها أحد؟؟ لماذا؟؟ لماذا لا يحصل لي هذا؟؟ أمر حيرني كثيرًا وجعلني أفكر أكثر.. وبعد التفكير سبحانك ربي بدأت أحب العزلة.. ماذا حصل.. أصحابي لا يريدون على سؤالي؟؟ وسبحانه يجعل لكل شيء سببًا.

نعم أيضًا عن طريق النت تعرفت على شاب ولكن هذه المرة كان غير هذا الشاب رأيته يكلمني بأسلوب غريب بالطبع سيكون غريب لإنسانة بعيدة كل البعد عن ربها. أحسست أني سأجد عنده جوابًا لسؤالي. سألته

حصل معي كذا وكذا ولكن أموري لم تفتضح؟؟ لماذا. أتدرون لماذا؛ لأن الله تعالى يعلم ما في أنفسنا ولا نعلم ما في نفسه. بدأت أفكر بما أنني لم يحصل لي ما حصل لأخواتي معناه أن هناك انتظار؟؟ نعم انتظار للتوبة عَلَّي أحس في يوم من الأيام بالخطأ الذي أفعل وأتوب؛ فإن الله يمهل ولا يهمل.

سبحانك يا رب.. التوبة نعم التوبة.. قررت أن أتوب.. جلست في حجرتي أسيرة دمعتي وسجادتي التي فارقتها منذ زمن.. ماذا أفعل؟ كيف أقف بين يدي الحي القيوم وأنا كلي ذنوب؟ كيف أطلب من ربي أن يتوب علي وأنا كذبت عليه وعلى أمي وأبي؟ كيف وكيف وكيف ١٠٠٠ كيف باتت تجول في خاطري.. ودمع غزير فوق الخد ينهمر.. أتراني يقبل مني توبة نصوح أم أني سأهلك لا محالة مع الذين هلكوا..

وأخبرني الأخ الفاضل وذكرني برحمة الله تعالى وقال لي: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] وأنا أبكي.. وهو يكمل ويقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] وأنا أبكي وهو يقول: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]، ويقول: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] وأنا أدعي يا رب، يا رب، أنا تعبت من الحرام وتعبت من حياة الضياع. تعبت من العبث.. تعبت من الحياة التي ليس لها معنى.. يا رب.. اهدني يا رب.. تب علي يا رب.. سامحني يا رب.. لا تقبض روحي إلا وأنت راض عني يا رب..

توضأت وصليت ركعتين، وتبت إلى الله عز وجل.. نعم تبت وتخلصت من كل أوكار الشيطان.. نعم كسرت كل الأشرطة والأغاني..

نعم ارتديت الحجاب.. نعم بدأت أرى وجهي من دون الألوان عدما قررت أن أنسى الوجه الذي رزقني إياه رب العالمين.

أتعلمون كان كل هذا صعبًا عليَّ جدًا جدًا. لا أنكر ولكن الحمد لله أعانني الله تعالى على الهداية.. استبدلت شرائط الأغاني بالأناشيد الإسلامية.. وبدأت أسمع المحاضرات.. قسمًا بربي إني بدأت أتعلم أمورًا ما خطر على بالي أني في يوم سأتعلمها.. ولكن صدقوني أنني لم أجد أروع ولا أحلى من حلاوة الإيمان.. وكأنني كنت في جهنم وخرجت منها وأدخلت الجنة.. جنة الإيمان بالله.. جنة طاعة الوالدين.. جنة الحق.. نعم هذا هو الحق عز وجل

يا جماعة الخير؛ لقد سخر الله تعالى لنا كل الطرق التي تساعدنا على التمسك بديننا الحنيف؛ سخر لنا العلماء الذي بإمكاننا مكالمتهم والاستفادة من معلوماتهم.. سخر لنا هذا القرآن العظيم الذي هو الآن ملك كل البشرية والذي فيه شفاء وهدى وراحة للقلوب الخائفة.

أحببت إخواني أن أروي عليكم قصة توبي التي أتمنى من الله تعالى أن يتقبلها مني ومنكم جميعًا، وأن لا نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] صدق رب العرش العظيم

اقرءوا الآية التي قلبت مجرى حياتي هذه وفكروا.. وسارعوا إلى توبة إلى الله تعالى قبل أن يغلق باب التوبة وتشرق الشمس من مغربها.. وتخرج نار من قعر اليمن تأخذنا إلى محشرنا..

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] أدعو الله الحي القيوم أن يهدينا إلى الصراط المستقيم ويقبل توبتنا ويحشرنا مع زمر الصديقين والشهداء

قولوا جميعًا: آمين.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أستغفره وأتوب إليه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

زوجة لا كالزوجات!!

قصة واقعية.

الإخوة الكرام.. أخواتي الكريمات..

حدثتني إحدى الداعيات إلى الله تعالى.. عن قصة واقعية مؤثرة.. حدثت في مدينتها في أعز وأطهر مكان.. وأكتب لكن هذه القصة - بتصرف - والتي يجب أن نأخذها لتكون أمام ناظرينا.. وننقلها لتكون أمام أنظار زوجاتنا.. وبناتنا.. وأخواتنا.. بل وأمهاتنا.. ليكون في ذلك نشر للخير والفضيلة؛ ولتعرف الفتيات.. أن الجمال والسعادة ليست والله بالنقوش والزينة.. ولا بحسن الملبس والمظهر، أو بكثرة المال والبنيان، أو بآخر موضة من الأزياء، أو بمتابعة آخر صرخة في عالم العطور وآخر قصة في عالم الشعر.. كما أن القصة تؤكد ذلك المعنى العظيم للرجال الذي بينه الرسول ﷺ حيث قال: **«الدنيا متاع وخيرها المرأة الصالحة»** رواه الإمام مسلم، أترككم الآن مع القصة - مستعينة بالله تعالى :

إنها امرأة صالحة تقية نحسبها كذلك ولا نزكي على الله أحدًا.. حبيبها الليل قلبها تعلق بمنازل الآخرة. تقوم إذا جنَّ الظلام. لا تدع ذلك لا شتاء ولا صيفًا. طال الليل أم قصر. لطالما سُمع خرير الماء في هدأة السحر على أثر وضوئها.. لم تفقد ذلك ليلة واحدة.... أنسها.. سعادتها.. في قيام الليل وقراءة كتاب الله.. في مناجاتها لربها.. تهجدها.. دعائها..

لم تدع صيام التطوع سواء كان حضرًا أم سفرًا.. أشرق وجهها بنور الطاعة.. ولذة الهداية.. ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾.

جاء ذلك اليوم.. نزل قضاء الله تعالى من فوق سبع سماوات..

تقدم إليها من يطلب يدها.. قالوا: محافظ.. مصلي.. وافقت على ذلك بعد الاستخارة والالتجاء إلى ربها.. وكان مما اعتاد عليه أهل مدينتها أن ليلة الفرح تبدأ في الساعة الثانية عشر ليلًا وتنتهي مع أذان الفجر!.. لكن تلك الفتاة اشترطت في إقامة حفل زواجها: «بأن لا تدق الساعة الثانية عشر إلا وهي في منزل زوجها».. ولا يعرف سر ذلك إلا والدتها.. الكل يتساءل.. تدور حولهم علامات الاستفهام والتعجب من تلك الفتاة!!.. حاول أهلها تغيير رأيها فهذه ليلة فرحها التي لا تتكرر وقبل هذا يجب مجاراة عادات وتقاليد أهل بلدتها.. لكنها أصرت على ذلك كثيرًا هاتفة: إذا لم تلبوا الطلب، فلن أقيم حفل زفاف!.. فوافق الأهل على مضض.. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾..

مرت الشهور والأيام.. تم تحديد موعد الزواج.. وتلك الفتاة ما زادت إلا إيمانًا وتقوى، تناجي ربها في ظلمات الليل البهيم.. أنسها وسعادتها كله في الوقوف بين يدي الله.. لذة الأوقات وبهجتها في ذلك الوقت، الذي تهبّ فيه نسمات الثلث الأخير، لتصافح كفيها المخضبتين بالدموع.. لتنطلق دعوات صادقة بالغة عنان السماء.. طالبة التوفيق من الله تعالى..

توالت الأيام.. وذات مساء جميل.. كان القمر بدرًا.. دقت ساعة المنبه معلنة عن تمام الساعة التاسعة مساء.. انتشر العبير ليعطِّر الأجواء.. بدأت أصوات الزغاريد وضاربات الدفوف ترتفع.. زفت العروس إلى عريسها مع أهازيج الأنس وزغاريد الفرح.. الكل يردد: بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما على خير.. فنعم العروس ونعم ذلك الوجه المشرق الذي يفيض بنور الطاعة وحلاوة المحبة.. دخل الزوج.. فإذا به يُبهر.. نور يشع.. وضوء يتلألأ.. فتاة أجمل من القمر كساها الله جمال الطاعة ونضارة المحبة وبهاء الصدق والإخلاص..

هنيئًا لك أيها الزوج امرأة عفيفة مؤمنة صالحة.. هنيئًا لكِ أيتها الزوجة ذلك القلب الذي أسلم لله عز وجل وتعبد له طاعة وقربة..

قاربت الساعة من الثانية عشر. . مسك الزوج بيد زوجه. . ركبا جميعًا في السيارة. . وتقوده كل المشاعر والأحاسيس المختلطة. . إحساس بالبهجة والفرح، مع ما تغمره من موجة قوية تنقض على أسوار قلبه بشدة. . يشعر بإحساس قوي يخبره بأن هناك أمرًا عظيمًا سيقع !. . كأن نورًا شاركهم في الركوب. . فلم يرَ بهاء ولا نضارة كمثل هذه الزوجة. . هناك شيء ما أسر قلبه وحبه. . يُشعره بأنه حاز الدنيا وما فيها. .

اتجها العروسان إلى منزلهما. . أي منزل يضم قلبًا كقلب تلك الفتاة!. . أي بيت يضم جسدًا كجسد تلك الفتاة !. . جسم يمشي على الأرض وروح تطوف حول العرش. . فهنيئًا لذلك البيت. . وهنيئًا لذلك الزوج. .

دخلا المنزل. . الخجل يلفّها والحياء يذيبها. . لم يطل الوقت. . دخلت غرفتها التي لطالما رسمت لها كل أحلامها. . كل سعادتها. . كل أمنياتها. . فمنها وبها ستكون الانطلاقة فهي مأوى لها ولحبيبها يصليان ويتهجدان معًا. . هنا سيكون مصلاها. . مصحفها. . فكم ستيلل سجادتها ساكبة دموع الخشية والتقى. . كم ستهتز أرجاؤها من دعواتها وقراءتها. . كم سيجملها عطر مسواكها الذي لا يفتر من ثغرها. . هكذا أمنيتها وأي أمنية كهذه !. .

التفتت. . انتقلت نظراتها السريعة بين أرجاء غرفتها التي تجمّلها ابتسامتها العذبة متحاشية نظرات زوجها المصوبة إليها. . رفعت بصرها. . فجأة شد انتباهها شي ما. . تسمّرت في مكانها. . كأن سهمًا اخترق حناياها حين رأت ما في أحد زوايا غرفتها. . هل حقًا ما أرى. . ما هذا؟. . أين أنا ؟. . كيف ؟. . لم ؟. .أين قولهم عنه؟ زاغت نظراتها. . تاهت أفكارها. . قلبت نظرتها المكذبة والمصدقة لما يحدث. . يا إلهي. . قدماها لم تعودا قادرتين على حملها. . أهو حق أم سراب !. . ها هو (العود) يتربّع في غرفتها. . يا إلهي. . إنه الغناء. . بل إنها آلة موسيقية. . قطع ذلك كل حبل أمنياتها التي رسمت لها في مخيلتها. .

اغتمّت لذلك غمًّا.. لا.. أستغفر الله العظيم.. اختلست نظراتها إلى زوجها.. هيئته هي الإجابة الشافية!.. كان السكون مخيمًا على المكان.. يا إلهي لم أعد أحتمل.. أمسكت دمعة كادت أن تفلت من عقالها ثم هتفت بحسرة: الحمد لله على كل حال لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.. أحنت رأسها وقد اضطرم وجهها خجلًا وحزنًا.. استدارت إلى زوجها متحاشية النظر إلى ذلك.. مشت بخطى قد أثقلتها المخاوف وكبّلتها الشكوك.. فلازمت الصمت وكتمت غيظها..

كان الصبر حليفها.. والحكمة مسلكها.. وحسن التبعل منهجها..

﴿وَبَشِّرِ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

وبعيدًا عن العاطفة أخذ يحدثها عقلها قائلًا: مهلًا.. ورويدكِ أيتها العروس.. عليك بالصبر والحكمة وحسن التبعل لهذا الزوج مهما فعل ومهما كان.. فما يدريكِ لعل هدايته تكون بين يديك!! إذا صبرتي وكنتِ له أحسن زوجة ؟!..

تبادلا أطراف الحديث وهي تبادله بنظرات كسيرة منخفضة.. بادية عليها علامات الارتباك بين قسمات وجهها ما بين خجلها وحيائها وهول صدمتها وتأثرها.. مضى الوقت يتلكأ حتى أوشك الليل على الانتهاء.. سلب عقل زوجها بهاء منظرها ونور وضياء وجهها الذي هتف قائلًا: ما إن استبدلت ملابسها حتى ازداد جمالها جمالًا.. والنور نورًا.. ولم أتصوّر أن أجد ذلك من نساء الدنيا..

دقت ساعة الثلث الأخير من الليل، حن الحبيب لحبيبه، فأرسل الله نعاسًا على الزوج، لم يستطع أمامه المقاومة، فغط في سبات عميق... لزمت الهدوء.. سمعت أنفاسه تنتظم.. إنه دليل مؤكد على نومه.. قامت بتغطيته بلحافها وهي تدعو له بعد أن ودعته بقبلات على جبينه.. انزوت الزوجة عنه جانبًا واشتد بها الشوق إلى حبيبها.. هرعت لمصلاها.. و كأن روحها ترفرف إلى السماء..

يقول الزوج واصفًا لحالته: في تلك الليلة أحسست برغبة شديدة للنوم على الرغم من الرغبة في إكمال السهرة، إلا أن الله تعالى شاء وغلبني النوم رغمًا عني.. وسبحان الله تعالى ما سبق أن استغرقت في النوم وشعرت براحة إلا في تلك الليلة.. استغرقت في نومي.. تنبهت فجأة.. فتحت عيني.. لم أجد زوجتي بجانبي.. تلفت في أرجاء الغرفة.. لم أجدها.. نهضت أجر خطواتي.. وتشاركني العديد من الاستفهامات: ربما غلبها الحياء وفضلت النوم في مكان آخر.. هكذا خُيِّل لي.. فتحت الباب.. سكون مطلق.. ظلام دامس يكسو المكان.. مشيت على أطراف أصابعي خشية استيقاظها.. فجأة.. ها هو وجهها يتلألأ في الظلام.. أوقفني روعة جمالها الذي ليس بجمال الجسد والمظهر.. إنها في مصلاها.. عجبًا منها.. لا تترك القيام حتى في ليلة زواجها !.. بقيت أرمق كل شيء من بعيد.. اقتربت منها.. ها هي راكعة ساجدة.. تطيل القراءة وتتبعها بركوع ثم سجود طويل.. واقفة أمام ربها.. رافعة يديها.... يا إلهي.. إنه أجمل منظر رأته عيناي.. إنها أجمل من صورتها بثياب زفافها.. إنها أجمل من صورتها بثياب منامها.. جمال أسر عيناي وقلبي.. أحببتها حبًا كاملًا ملك عليَّ كل كياني.. لحظات.. رفعت من سجودها ثم أتبعته سلام يمنة ويسرة.. عرفت زوجتي ما يدور في خلدي.. احتضنت يدي بقوة شعرت بدفء يجتاحني بعد أن بادلتني بنظرات محبة وهي متلفعة بجلبابها.. أتبعتها بمسحات على رأسي بيدها الناعمتين وهي مبتسمة ومجتهدة ألا تظهر شيئًا ما يختلج في صدرها.. وهتفت في أذني وهي تعبث بالسجادة بأطراف أصابعها بيدها الأخرى: أحببت أن لا يشغلني حبيبي «زوجها» عن حبيبي الأول «تقصد ربها ونعم الحبيب والله»..

فاجأني وعجبت والله من هذا الكلام الذي لامس قلبي.. فلما سمعت ذلك منها لم أستطع والله أن أرفع بصري خجلًا وذلة مما أنا فيه..

يواصل زوجها قائلًا: على الرغم أنها ما زالت عروسًا.. إنها لم تبلغ الثلاثة أشهر من زواجها بعد.. ولكن كعادتها، أنسها بين ثنايا الليل وفي غسق الدجى.. كنت في حينها في غاية البعد عن الله أقضي الليالي السهرات والطرب والغناء.. وكانت لي كأحسن زوجة، تعامل لطيف ونفس رقيقة ومشاعر دافئة.. تتفانى في خدمتي ورسم البسمة على شفتي وكأنها تقول لي بلسان حالها: ها أنا أقدم لك ما أستطيعه.. فما قدمت أنت لي ؟!..

لم تتفوّه ملاكي بكلمة واحدة على الرغم من معرفتها ذلك.. تستقبلني مرحبة بأجمل عبارات الشوق.. وكأن الحبيب عائد من سفر سنوات وليس فراق ساعات.. أسرتني بحلاوة وطيب كلماتها وهدوء وحسن أخلاقها وتعاملها الطيب وحسن عشرتها.. أحببتها حبًا ملك عليَّ كل كياني وقلبي..

أحد الأيام عدت في ساعة متأخرة من الليل من إحدى سهراتي العابثة.. تلك الساعات التي ينزل فيها ربنا عز وجل فيقول: «هل من داع فأستجيب له؟».. وصلت إلى غرفتي.. لم أجد زوجتي.. خرجت.. أغلقت الباب بهدوء.. تحسست طريقي المظلم متحاشيًا التعثر.. آه.. كأني أسمع همسًا.. صوت يطرق مسامعي ويتردد صداه في عقلي.. أضأت المصباح الخافت.. تابعت بخطواتٍ خافتة.. فجأة.. صوت جميل لتلاوة القرآن الكريم لم أسمع مثله في حياتي !.. هزته تلاوتها للقرآن وترنمها بآياته.. يبدو أن هذا الصوت جاء من الغرفة المجاورة.. استدرتُ بوجل.. توجه نظري إلى مكان خال مظلم وكأن نورًا ينبعث منه ليرتفع إلى السماء.. تسمَّرت نظراتي.. إنها يديها المرفوعتين للسماء.. تسلَّلتُ ببطء.. اقتربت كثيرًا.. ها هو نسيم الليل المنعش يصافح وجهها.. حدَّقتُ بها.. تلمّست دعاءها.. يا إلهي.. خصتني فيه قبل نفسها.. رفعت حاجتي قبل حاجتها.. تبسمت.. بكيت.. اختلطت مشاعري.. لمحت في عينيها بريقًا.. دققت النظر إليها.. فإذا هي

الدموع تتدحرج على وجنتيها كحبات لؤلؤٍ انفلتت من عقدها.. بشهقات متقطعة تطلب من الله تعالى وتدعو لي بصوت عالٍ وقد أخذها الحزن كل مأخذ.. كانت تكرر نداءها لربها.. ثم تعود لبكائها من جديد.. نشيجها وبكاؤها قطّع نياط قلبي.. خفقات قلبي تنبض بشدة.. ارتعشت يداي.. تسمَّرت قدماي.. خنقتني العبرة.. رحماك يا الله.. رحماك.. رحماك..

أين أنا طوال هذه الأيام.. بل الشهور عن هذه الزوجة «الحنون».. المعطاء.. الصابرة.. تعطيني كل ما أريد في النهار وإذا جن الليل غادرتُ البيت وتركتها وحيدة يعتصر الألم قلبها.. ثم إذا عدت من سهري وفسقي فإذا بها واقفة تدعو الله لي ؟!..

فشتان والله بين نفس تغالب النوم وتجاهدها لإرضاء الواحد القهار.. وبين نفس تغالب النوم وتجاهدها لمعصية الخالق العلام

شتان بين قلوب تخفق بحب الرحمن وتتلذذ بلقائه والوقوف بين يديه.. وبين قلوب تخفق بحب المنكرات وتتلذذ بسماع الملهيات..

شتان بين وجوه مشرقة تجللهم الهيبة والوقار.. وبين وجوه كالحة ونفوس يائسة وصدور ضيقة..

شتان بين قلوب حية تمتلئ بحب الله وتنبض بالإيمان بالله.. وبين قلوب ميتة تمتلئ بعدم الخوف من الرحمن وعدم استشعار عظمته جل جلاله..

يقول الزوج: في تلك اللحظة العصيبة.. لم أملك إلا دمعة سقطت من عيني.. أحنيت رأسي بين ركبتيّ.. أجمع دمعاتي الملتهبة وكأنها غسلت جميع خطاياي.. كأنها أخرجت كل ما في قلبي من الفساد والنفاق.. ترقرقت عيناي بالدموع بعد أن كانت تشكو الجفاف والإعراض.. لا أدري هل هي حزنًا وتأثرًا على حالي المشين وحالها أن ابتلاها الله بأمثالي.. أو فرحًا بحالي في هذا الموقف الذي إذا دلّ على شيء فإنما يدل على صلاحها والخير المؤصل في أعماقها.. ربّاه لقد

ضاقت علي الأرض بما رحبت !.. عجبًا لتلك المرأة.. ما دخلت المنزل إلا واستبشرَتْ وفرِحَت تقوم بخدمتي وتعمل على سعادتي ما زلت تحت تأثير سحر كلماتها وعلو أخلاقها.. ولا خرجت من المنزل إلا بكت وحزنت تدعو لي ضارعة إلى ربها.. ووالله وفي تلك اللحظة وكأنها أهدتني كنوز الدنيا أحببتها حبًا كاملًا ملك عليّ كل كياني وقلبي.. كل ضميري.. كل أحاسيسي ومشاعري..

وصدق من قال: جعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه - بعد الإيمان بالله وتقواه - وعدها أحد أسباب السعادة..

لحظات يسيرة.. ودقائق معدودة.. نادى المنادي من جنبات بيوت الله.. حي على الصلاة حي على الفلاح..

انسللتُ - بعد ترددٍ - وصورتها الجميلة لا تزال تضيء لي الطريق..

صليت خلالها الفجر كما لم أصلّ مثل تلك الصلاة في حياتي..

أخذت ظلمات الليل في الانحسار.. ظهرت تباشير الصباح.. أشرقت الشمس شيئًا فشيئًا.. وأشرقت معها روحًا ونفسًا جديدة

فكان هذا الموقف.. بداية الانطلاقة.. وعاد الزوج إلى رشده وصوابه.. واستغفر الله ورجع إليه تائبًا منيبًا بفضل الله ثم بفضل هذه الزوجة الصالحة التي دعته إلى التوبة والصلاح بفعلها لا بقولها.. وحسن تبعلها له.. حتى امتلكت قلبه وأخذت بلبّه بجميل خلقها ولطف تعاملها.. عندها ندم وشعر بالتقصير تجاه خالقه أولًا ثم تجاه زوجته التي لم تحرمه من عطفها وحنانها لحظة واحدة.. بينما هو حرمها الكثير!!..

رجع الزوج رجوعًا صادقًا إلى الله تعالى وأقبل على طلب العلم وحضر الدروس والمحاضرات.. وقراءة القرآن..

وبعد سنوات بسيطة.. وبتشجيع من تلك الزوجة المباركة.. حيث رؤي النور قد بدأ ينشر أجنحته في صفحة الأفق.. من محاضراته ودعواته ودروسه.. فأصبح من أكبر دعاة المدينة المنورة..

وكان يقول ويردد في محاضراته عندما سُئل عن سبب هدايته: لي كل الفخر أني اهتديت على يد زوجتي ولي كل العز في ذلك..

فصدق رب العزة والجلالة: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾



رسالة من فتاة تقول:
اقرأوا قصتي قبل فوات الأوان!

بناء على طلب الأخت المرسلة أنشر الرسالة كما جاءتني دون أي تحرير في الرسالة:

إلى كل أب وإلى كل أم، وإلى كل أخ وإلى كل أخت، وإلى كل مرب وإلى كل مربية، وإلى كل صديق صادق لصديقه وإلى كل صديقة تحب صديقاتها:

أكتب لكم قصتي بقدر ما أستطيع من جهد عسى الله أن ينبه كل غافل وغافلة، أن يزرع الوعي في قلب كل من يريد الستر على بناته وأخواته، قبل أن أبدأ بذكر ما أستطيع من قصتي، أنصحكم نصيحة لوجه الله احذروا من وضع الانترنت في يد كل فتاة أو شاب لم يتزوجوا، انترنت في غرفة فتاة مصيبة والله العظيم مصيبة.

أنا فتاة أنعم الله علي بنعم شتى وكثيرة، نشأت ولله الحمد في أسرة محافظة للغاية، بل أنني كنت في أمور عديدة لا أقبل بها، مثل سماع الأغاني علنًا والحديث المطول بالهاتف، من نعم الله أنني كنت حريصة على دراستي وحريصة على الوصول إلى قدر مرض فيها، كذلك من نعم الله علي أنني أحب القراءة بكافة أشكالها، وكثرة القراءة جعلت العديد من الجوانب تنضج في فكري، من نعم الله أنني كنت اجتماعية ومحبوبة، وكثير يطلق علي (شخصية ناضجة، مثقفة، أكبر من سنها، مرنة، فاهمة، قادرة على تحمل المسئولية. .إلخ). . . .المهم أنني تخرجت وفرحت بالتخرج ويسر الله لي الحصول على وظيفة طيبة، وبقيت أنتظر وظيفتي الأخرى، كنت أريد الارتباط بإنسان طيب وكانت شروطي متواضعة للغاية، وجاء هذا الإنسان الطيب، أقل مني اجتماعيًا ودراسيًا، لكن لم

أكن أنظر إلى هذه الأمور، يكفي شهادة من حوله بطيبته والتزامه، لكنني صدمت -أقولها ليس تعبيرًا أنا فعلًا صدمت- برفض عائلتي، نعم كانوا ينظرون لي نظرة أنه ليس أي إنسان يليق بها، يريدون مركزًا اجتماعيًا مرموقًا، وجاء آخر وآخر وعائلتي لا يرجعون لي بل يناقشون الأمر بينهم ثم ينهونه بطريقة ما في نصيب، . . .هذا لونه وآخر عمله وثالث أهله. . . . . .إلخ .

الأمر أثر فيَّ كثيرًا، تبخرت أحلامي وأدخلت الانترنت غرفتي، بدأت بالشات وانسقت فيه ثم أدمنت المسنجر -أستغفر الله- وأصبحت أتلقى الأفلام الإباحية والصور الإباحية وأمارس الجنس الإلكتروني، حتى من الله علي بصديقة طيبة نبهتني وأنبتني واستحلفتني أن أمتنع عنه، وفعلًا توجهت نحو المنتديات، وهناك وجدت عالمًا ثقافيًا راقيًا، ووسعت مداركي لفترة طويلة، إضافة إلى أنني أصبحت أحب الأغاني وأشتري الأشرطة وأدندن بها، ثم انشغلت بالمنتدى حتى أعجبت بأحد الكتاب في المنتدى نفسه، وبدأت العلاقة بيننا، رسائل بريدية، بطاقات، ردود، ثم جوال، طبعًا لم أكن من الغباء بأن أنساق له، بل على الفور قلت بصراحة: إنني أستلطفه، قرر التقدم لخطبتي، وبدأنا نستخير لكن كان موقف الأسرة سلبيًا رغم أنه لا يعيبه شيء، طبعًا كرد فعل من أسرته قاموا بتزويجه، حاولت الإبتعاد عنه، أبتعد وأعود، وهو كذلك.

لكنني في هذه الليلة قررت توبة أكيدة بأن أترك طريق النت والعلاقات وأتوجه إلى الله لينقذني ويرزقني من حيث لا أحتسب زوجًا صالحًا يعينني في الدين والدنيا آآآآآآمين.

أعود لقصتي وأخبركم أنني واجهت عائلتي، أخبرتهم بشجاعة مفتعلة أنني أرغب في الارتباط، صدقًا كنت أخاف على نفسي وما كان الحياء لينفعني وعمري يذبل والمغريات توهنني. . .

أهلي أنكروا أن الأمر بيدهم، بل عزوا ذلك إلى النصيب، والمصيبة أنهم يوسعونني نصحًا أنا، وأخواتي، اتركوا المسلسلات، غطوا أيديكم،

اتركوا الأغاني، . . .إلخ كيف لا يأمروا أنفسهم بالتخلي عن العادات العقيمة والمساهمة في سترنا في بيوتنا؟؟!!

المهم أنني لجأت كذلك للخاطبات للبحث عن الإنسان المناسب، وحدث وتقدم إنسان طيب لكن تم رفضه لأنه ليس من العائلة. . .

يشهد الله أنني في صراع، أريد ستر نفسي، وتركت أمورًا كثيرة، تركت سماع الأغاني كي لا تؤجج عواطفي، تركت علاقتي مع ذلك الإنسان طلبًا لرضا الله رغم عظم مكانته في نفسي، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وأنني أطلبكم أن لا تنسوني من صادق دعائكم وأن يخاف كل مسلم ربه في بناته، فها أنا مثال لديكم، كنت مثالًا للأخلاق ولم يخطر في بالي قط بأن أنجرف في الحديث مع أي إنسان. . . .أسأل الله أن يغفر لي ويرزقني توبة نصوحة ويقبلها مني إنه قريب مجيب.

لتعلموا أنكم محاسبون يا من تتذرعون بالفهم والثبات، الفتاة بمجرد دخولها الكلية قادرة على تحمل المسئولية، وإنني أنوي وأعزم إن رزقني الله زوجًا طيبًا وذرية صالحة أن لا أرد إنسان يخاف الله إن طلب إحدى بناتي، فاتقوا الله ولا تحملونا أكثر مما نجد ولا تظنوا الفتاة سعيدة مهما عاشت في وضع رغيد، الزواج هو القرار لأي فتاة. أستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

رؤيا فيها رؤى حسنة[1]

تقول هذه الأخت في رسالتها التي سطرتها بيدها وقد قمت باختصارها لطولها مع المحافظة على بنية القصة الأساسية. .

حيث تقول: لقد كنت أسمع بها وأراها رمزًا رائعًا. . بل إنني وضعتها

(١) من شريط (المرأة والوجه الآخر) للشيخ الصقعبي.

لهدف أتمنى أن أصل إليه..

أتدرون ما هي.. إنها (الشهادة)..

القتل في ساحة المعركة.. عندما كنت أرى صور القتلى الذين نحسبهم بإذن الله شهداء..

كان داخلي يضج بالأفكار والخيالات والدعوات والابتهالات.. أتذكر ذات مرة عندما كنت في المرحلة الثانوية كنت مع إحدى الزميلات نتحدث ولعلكم تعرفون ما يؤرق بنات هذه المرحلة فكنا نتحدث عن فتى الأحلام.. فلما جاء دوري قلت لزميلتي: سأتكلم بشرط ألا تخبري أحدًا بذلك.. وألا تضحكي علي ساخرة.. قالت: أحاول.. قلت: أتمنى أن أتزوج شهيدًا..

صرخت ضاحكة ثم قالت: أتريدين الخلاص منه قبل مجيئه.. كانت نفسي والله الذي لا إله إلا هو تتوق دائمًا إلى الجهاد والمعارك والشهادة على الرغم من كوني من أسرة صارمة نوعًا ما.. في وسط لا يشبع هذه التوجهات ولعله يراها من إضاعة الوقت أو التزمّت إلا أن هاجس هذه الأمور كان يعيش بداخلي..

قلبت نظري في كثير من أشرطة الجهاد.. لا أخفيكم سرًا أن الأمر شاسع بين الحقيقة والصورة.. في الحقيقة خوف وظلام جوع وعطش برد وصقيع رصاص وقنابل وألغام أسر وتعذيب وتشويه.. هذا طريح وهذا جريح.. أما في الصورة فالأمر على خلاف ذلك.. مشاهد ومقاطع وحصيلة القتلى كذا والجرحى كذا، ثم ينتهي كل شيء..

ومع ذلك كانت النفس وما زالت تتمنى الجهاد.. يحركها القارئ بصوته الرنان وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ والآخر أتأمل قوله وهو يترنّم:

هذي بساتين الجنان تزينت للخاطبين فأين من يرتاد

والآخر حين ينشد أمام صديقه المقتول :

فإن لم نلتقي في الأرض يومًا وفرق بيننا كأس المنونِ

فموعدنا غدًا في دار خلدٍ بها يحيى الحنون مع الحنونِ

هل أحسستم الآن بمعنى ما أتكلم عنه.. وهل أدركتم نوع الشعور الذي اجتاح نفسي.. تعالوا الآن لأحدثكم عن شيء في نظري، قد يساوي حجم ما ذكرت.. وتعب ما أسلفت.. ومشقة ما وصفت.. ولذة ما تخيلت.. وعاقبة ما تعلمون وقد علمتم..

إن الحياة كلها ساحة للجهاد.. إن حياتنا كلها هي ميدان القتال.. أليس كذلك.. أو ليس أعدائنا كثر..

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ما حيلتي وكلهم أعدائي

تعالوا معي لنعيش بروح المجاهد ونفسه، بل لنكن هو بشحمه ولحمه.. مع إطلالة كل فجرٍ نعمل كما يعمل المجاهد.. نغتسل.. نتحنط.. نخرج ونضع في أذهاننا أننا قد لا نعود..

دعونا ننقل كل أمور حياتنا إلى ساحات الجهاد حتى مصطلحاتنا وكلماتنا..

أردت أن أقوم بعمل دعوي قوبلت بالرفض !.. هذا جبل اعترض طريقي كيف سأتجاوزه؟!.. أقفز فوقه باستخدام طائرة أو أحاول صعوده وإن شق.. عدتي فوق ظهري.. حمل ثقيل.. لكن سوف أصعد.. نعم بإذن الله سوف أصعد..

أردت أن أقوم بعمل.. قوبلت بردة فعل معاكسة !.. هذه رصاصة موجهة.. كيف أتقيها؟!

إن كان بإمكاني لأضرب يدها قبل أن ترميني فعلت.. وإن لم لأخفض رأسي قليلًا.. كيف.. أتجاوز.. أصفح.. أبلعها..

أردنا أن نشن حملة في الطائرات لتوزيع بعض المعونات الروحية

الضرورية.. قوبلنا بالدبابات المضادة للطائرات.. رُفضت الفكرة.. جلسنا.. لا يأس.. لنحاول أن نتصدى للقنابل ونتجاوز ذلك.. إن لم نفعل ذلك لنخفف قليلًا من سرعة الطيران حتى نعرف من أين نقذف.. إن لم يحصل ذلك لنغير اتجاه الطائرات بدل أن يكون باتجاه العاصمة فليكن إلى أهم المدن أو إحداها.. الغرض أن تتحقق الطائرات هدفها وتوصل حمولتها إلى من ينتظرها بل وفي أشد التعطش لها..

منذ دخلنا هذه الجبهة والقذائف تنهال علينا والرصاصات موجهة إلينا.. والذي نفوس الخلائق بيده أن هذا لن يضعف هممنا، بل على العكس من ذلك.. كلما زادت زدنا.. ثم إن مما يدفع هممنا اليقين بتلك المعاملة التي نحن نطبق بنودها.. معاملة مع رب كريم.. يُدخل في السهم الواحد الثلاثة إلى الجنة.. إن هذا يدفعنا أن نكون جميعًا جنود جبهة واحدة.. كلنا نهبُّ يدًا واحدة.. ومن يتخلف عنا لن نقول له إلا : ما علمنا عليه إلا خيرًا، ولكننا سنذكره بأن الله فضل المجاهدين على القاعدين درجة..

لن نغتر يومًا بكثرتهم بإذن الله.. حين يُنادى: يا خيل الله اركبي.. حي على الجهاد.. هيا إلى العمل.. هيا إلى طلب العلم.. هيا إلى التناصح.. هيا إلى العمل الدعوي.. سنهب كلنا سنهب حتى لو كانت بيد إحدانا ما تتزود به.. ستأكل ثم تأكل أخرى ثم تنظر إليها وتقول: إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكلها.. وترمي بها ثم تمضي..

أأظل أكتب أم فهمتم ما أعني.. إنها لذة العيش باحتساب.. لذة الجهاد والمجاهدة.. اللذة التي تقود إلى لذة أروع.. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾..

إلى أن تقول في نهاية قصتها: ما زال قلمي يريد التدفق ليتحدث عن الجهاد.. ولكن حان الآن وقت العمل فلعلّي أعود إليكم يا من عشتم معي حقيقة.. أعود مرة أخرى قريبًا لأنقل لكم بعض ما يجري في الساحات أي في ساحات الوغى..

انتهت قصتها.. وفقها الله تعالى

قلت: (الكلام للمحاضر الشيخ خالد الصقعبي) بقي أن تعلموا أيها الإخوة والأخوات.. أن هذه الفتاة ليست بطالبة في كلية شرعية، بل هي طالبة في كلية علمية بل تعيش مع ذلك في بيت يعج بالملاهي والمنكرات.. ولكن رؤيا فيها رؤى حسنة فقد رُؤيت كأنها على فرس وعليها ثياب بيض، فعبّرها أحد الذين يجيدون تعبير الرؤى فقال: هذه يُكتب لها الشهادة بإذن الله، وإن لم تطأ رجلها أرض الجهاد..

لا أقول ذلك فتنة لصاحبة القصة.. بل أقول لها: الأعمال بالخواتيم.. وصدق النبي ﷺ حيث قال: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»**.

ألا تعجبون من فهم هذه الفتاة للجهاد.. في وقت غابت عن كثير من الناس معاني الجهاد وحقيقة الجهاد..



وفي الليل لهن شأن(١)

يحدثني أحد الإخوة من طلاب العلم يقول: كان لدي مجموعة من الأخوات الكريمات.. أقوم بتدريسهن بعض المتون العلمية في مركز من المراكز النسائية..

يقول: أقدم أحد الشباب الأخيار لخطبة واحدة منهن.. وفي ليلة زواجها.. بل وبعد صلاة العشاء.. وبينما أنا في مكتبتي.. وإذا بها تتصل علي.. فقلت في نفسي: خيرًا إن شاء الله تعالى..

وإذا بها تسأل عن حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«رحم الله رجلًا قام من الليل فصلّى فأيقظ امرأته، فإن أبى نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت فأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**..

أتدرون لماذا تسأل؟.. هي تسأل: هل من المستحسن أن أقوم بأمر زوجي بصلاة الليل ولو كانت أول ليلة معه؟

يقول هذا الأخ: فأجبتها بما فتح الله علي..

فقلت في نفسي: سبحان الله! تسأل عن قيام الليل في هذه الليلة وعن إيقاظ زوجها.. ومن رجالنا من لا يشهد صلاة الفجر في ليلة الزفاف!.. ولا أملك والله دمعة سقطت من عيني فرحًا بهذا الموقف الذي إذا دلّ على شيء فإنما يدل على الخير المؤصل في أعماق نسائنا..

حتى يقول: كنت أضن أن النساء جميعًا همهن في تلك الليلة زينتهن ولا غير.. وأحمد الله تعالى أن الله خيّب ظني في ذلك وأراني في أمتي من نسائنا من همتها في الخير عالية..

---

(١) من شريط (المرأة والوجه الآخر) للشيخ الصقعبي.

عمرها سبعة عشر سنة وتقوم الليل

وهذه والدة إحدى الفتيات تقول: ابنتي عمرها سبعة عشر فقط، ليست في مرحلة الشباب فقط لكنها مع ذلك في مرحلة المراهقة.. حبيبها الليل كما تقول والدتها.. تقوم إذا جنّ الليل.. لا تدع ذلك لا شتاء ولا صيفًا.. طال الليل أم قصر.. تبكي لطالما سمعت خرير الماء على أثر وضوئها.. لم أفقد ذلك ليلة واحدة.. وهي مع ذلك تقوم في كل ليلة بجزأين من القرآن.. بل قد عاهدت نفسها على ذلك إن لم تزد فهي لا تنقص.. إنها تختم القرآن في الشهر مرتين في صلاة الليل فقط.. كنت أرأف لحالها كما تقول والدتها لكنني وجدت أن أنسها وسعادتها إنما هو بقيام الليل.. فدعوت الله لها أن يثبتها على قولها الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأن يحسن لنا ولها الخاتمة..

انتهت رسالة والدتها..

يا أيتها الفتاة.. يا أيتها الفتاة.. دونكِ هذه الفتاة عمرها سبعة عشر عامًا وتقوم الليل.. لماذا.. لقراءة كتاب الله.. للصلاة.. لسؤال الله سبحانه وتعالى.. للتهجد.. للدعاء..

أفلا تكون لكِ قدوة أيتها الفتاة التي لا طالما قمتِ الليل.. لكن لأي شيء.. إنكِ تقومين مع بالغ الأسف لمحادثة الشباب ومعاكستهم.. فهلا أيتها المباركة.. لحقتِ بركب الصالحات.. واقتديتِ بهذه الفتاة..

أسأل الله تعالى لكِ ذلك..



أسيرة طلب العلم[1]

تقول هذه الأخت بعد أن عنونت رسالتها بقولها: «هكذا وجدت العلم»

تقول: به عرفت أن للحياة هدفًا أسمى، يسعى الإنسان من أجله، أيام وليالي تمر علي هي والله غنائم بالعلم، إذا انقضى يوم منها لم أستفد فيه من فنونه هو ليس من أيامي.. ليس من عمري.. نعم لقد علمني تدراسه كيف هي الحياة وأنسها.. أنسها بالله تعالى.. وتدارس قال الله.. قال رسوله ﷺ..

أنس الحياة.. قال أحمد.. رجح ابن تيمية رحمه الله.. صوّب الشيخ ابن باز.. رجح الشيخ محمد رحمهم الله تعالى..

أنس الحياة.. في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم..

لذة الحياة وبهجتها.. حدثنا فلان عن فلان.. كان رسول الله ﷺ يفعل كذا.. رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يفعل مثله..

لذة الأوقات وبهجتها.. بعد صلاة الفجر وأنا أترنّم مراجعة لبعض المتون التي حفظتها.. فتارة مع منظومة السعدي في القواعد الفقهية:

الحمد لله العلي الأرفقِ وجامع الأشياء والمفرّقِ

ثم أنتقل إلى رحيق المصطلح.. عبر منظومة البيقوني:

أبدأ بالحمد مصليًا على محمد خير نبي أرسلا

فأقفز في ذهني إلى المنظومة الرحبية في الفرائض المرددة..

أول ما تستفتح المقال بذكر حمد ربنا تعالى

---

(١) من شريط (المرأة والوجه الآخر) للشيخ الصقعبي.

ثم أعرج على أصول الفقه.. فهمتي عالية.. حينها أراجع ما حفظت من متن وورقات.. يطير قلبي فرحًا مع قول المصنف: وهذه ورقات تشتمل على أصول من أصول الفقه.. وهكذا دواليك.. حتى طلوع الشمس.. لا إله إلا الله.. كيف يجد رجل أو شاب ممن هم من أهل الصلاح أنس الحياة بغيرها.. وقد هُيأت لهم الأسباب.. ولولا أن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ لتمنيت أني أكون شابًا لأجالس أهل العلم وآنس بصحبتهم..

لا أكتمكم سرًا إذا قلت لكم: إنه ينتابني في كثير من الأحيان أثناء مُدارستي لبعض الفنون كأن روحي ترفرف إلى السماء.. أي والله وبلا مبالغة.. ولا أدري لماذا.. حتى ربطت ذلك يومًا بقوله ﷺ: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**».

فقلت في نفسي: هل أكون كأهل العلم.. هل أكون كأهل العلم وطلبته في ذلك.. لعل ذلك يكون ولو بمحبة العلم والرغبة في تحصيله وإن لم أبلغ مدهم ولا نصيبهم..

حتى تقول هذه الأخت: والله إن لي ما يقارب خمسة أشهر أو تزيد وأنا أشتهي الخروج مع أهلي للنزهة الأسبوعية للمزرعة أو البر فأنا أحب تأمل الأشجار والثمار ومياه السواقي.. ولكن كأن ذلك اليوم يتوافق مع وقف درسي علمي أحضره لم أستطع ذلك بل لم أوثر على هذا الدرس شيئًا.. ومع أن أهلي قد يخرجون مرة أخرى في اليوم الذي يليه لكن لا أستطيع الخروج لإنهاء بعض الأعمال حتى لا يؤثر تركها علي مراجعة العلم وكتابته في بقية الأسبوع..

لقد كنت أقرأ قصة ذلك الرجل الذي يقول: بقيت سنين أشتري الهريسة ولا أقدر عليها لأن وقت بيعها في وقت سماع الدرس.. لقد كنت أقرأ هذه العبارة مجردة حتى تحقق لي ذلك على أرض الواقع بمنة منه وفضل..

بل والله لقد فقدت يومًا مجلدًا من المجلدات وقد نفدت هذه النسخة

من المكتبات.. فاغتممت لذلك غمًّا كثيرًا.. حتى أشفقت علي أخواتي.. لما أصابني فأخذن يبحثن معي عنه فلم أستفد في ذلك اليوم.. فلما وجدته بحمد الله سجدت لله تعالى مباشرة..

بل تقول: إنني لا أستطيع مفارقة الكتب المجلدة.. لا في حضر ولا في سفر.. فكنا إذا أردنا سفرًا سألني الأهل عن حقيبتي.. لأنها تحتاج إلى مكان أوسع.. فكل المتاع بعدها أهون كما يقول أهلي ذلك..

وكنت بحمد الله تعالى لا أحمل فيها شيئًا من حطام الدنيا إلا ما ندر ولكنها لكتبي التي لا أستطيع أن أفارقها..

حتى تقول: أراد الأهل يومًا الخروج.. فدخل علي أخي بعد أن أحس أن في البيت أحدًا من أفراد العائلة.. فمر على مكتبتي كالعادة.. فوجدني جالسة قد آنست الكتب وحشتي.. فقال: فلانة ألن تخرجي معنا كالعادة.. فقلت: لا..

فقال وهو يقلب نظره في مكتبتي يمنة ويسرة فقال لي: فلانة.. قلت: نعم.. قال: أنتِ تعيشين في عالم آخر.. فقلت: أجل.. أجل.. أخي إن العلم أنيس في وحشة.. وصديق في الغربة.. وفوق ذلك فيه رضا الرحمن وهو طريق دخول الجنان..

أجل.. سعادتي في مكتبتي ومع كتبي.. والله إن هذه السعادة تضيق إذا فارقتهما حتى أرجع إليها..

لست والله مبالغة لكنها الحقيقة.. أكتب لكم ذلك لعل في قصتي تكون العظة والعبرة لمن ضيعوا أوقاتهم وأقبلوا على قراءة كل شيء إلا قراءة كتب أهل العلم.. أسأل الله أن يحسن لي ولكم الخاتمة..

انتهت قصتها وفقها الله..

قلت: (وهذا الكلام للشيخ الصقعبي): هل سمعتم بأسيرة للعلم كهذه.. لقد ذكرتني والله هذه الفتاة بإقبالها على العلم بأسماء بنت أسد ابن الفرات.. ورابعة بنت محمود الأصفهانية.. وزليخة بنت إسماعيل الكافعي.. وغيرهن ممن يضيق المقام عن حصرهن..

إنها رسالة لتلك الفتاة التي عكفت على قراءة القصص الهابطة.. والمجلات الفاسدة.. فشتان بين من تعكف على قال الله وقال رسوله ﷺ، ومن تعكف على قال الشيطان وأعوانه وجنوده.. نسأل الله السلامة والعافية..



كيف اهتدت أمي نجمة الإغراء إلى الإسلام

تفتحت عيناي على خالة رائعة كانت بالنسبة لي بمثابة الأم الحنون، وزوج خالة فاضل، وأولاد وبنات خالة كانوا يكنون لي الحب الصادق.

وحينما كبرت شيئًا فشيئًا أحببت أسرتي أكثر وأكثر.

كانت خالتي وزوجها يداومان على صلاة الفجر وعلى إيقاظ أبنائهما ليؤدوا الصلاة جماعة.

ولقد حرصت على الوقوف معهم وتقليدهم منذ أن كان عمري خمس سنوات.

كان زوج خالتي حافظًا للقرآن الكريم، وكان صوته شجيًا عذبًا. وكان رجلًا متدفقًا بالحنان والعطاء وخاصة بالنسبة لي. وكان يعتبرني آخر أبنائه، وكان يداعبني دائمًا ويقول: آخر العنقود سكر معقود!

وفي الأعياد كانت تزورنا سيدة جميلة أنيقة وهي تحمل الكثير من الهدايا لي. وكانت تحتضنني وتقبلني فأقول لها: شكرًا يا طنط ! فتضحك قائلة: لا تقولي طنط. قولي دودو!

وعندما بلغت السابعة علمت أن (دودو) هي أمي وأن عملها يستغرق كل وقتها ولذلك اضطرت أن تتركني عند خالتي.

وفي يوم عيد ميلادي الثاني عشر حزمت أمي حقائبي واصطحبتني إلى بيتها.

كان بيت أمي أنيقًا فسيحًا في منطقة المهندسين. وكان لديها جيش من الخدم والحرس والمعاونين.

وكان جميع من يحيطون بها يتسابقون لتلبية أوامرها وكأنها ملكة متوجة!

ورغم كل مظاهر الثراء المحيطة بي إلا أنني شعرت بالغربة، وأحسست وكأني جزيرة منعزلة في قلب المحيط!

ورغم أن أمي كانت تلاطفني وتداعبني في فترات وجودها القليلة بالمنزل، إلا أنني كنت أشعر وأنا بين أحضانها أنني بين أحضان امرأة غريبة عنى. حتى رائحتها لم تكن تلك الرائحة التي كنت أعشقها وأنا بين أحضان خالتي.

كانت رائحتها مزيج من رائحة العطور والسجائر ورائحة أخرى غريبة علمت فيما بعد أنها رائحة الخمر!

وبعد فترة قصيرة من إقامتي معها سألتها عن نوعية ذلك العمل الذي تمارسه ويشغلها عنى معظم الوقت، فنظرت لي في تعجب كأني مخلوق قادم من المريخ وقالت: ألا تعلمين أنى أعمل ممثلة؟ ألم تخبرك خالتك؟

فأجبتها بالنفي. فقالت: بالطبع لم تخبرك فهي لا ترضى عن عملي. إنها تعتبره حرامًا. كم هي ساذجة! إن الفن الذي أمارسه يخدم رسالة نبيلة. إنه يهذب الوجدان ويسمو بالشعور.

ثم جذبتني من يدي للصالون وقالت: سوف أجعلك تشاهدين كل أفلامي.

ووضعت شريطًا في الفيديو. وجلست لأشاهد ولأول مرة في حياتي فيلمًا لها.

كان الفيلم يتضمن مشاهد كثيرة لها بالمايوهات الساخنة وبأقمصة النوم الشفافة، ومشاهد عديدة تحتضن فيها رجلًا وتقبله قبلات مثيرة.

لم أكن قد شاهدت شيئًا كهذا من قبل، حيث كان زوج خالتي يمارس رقابة شديدة على ما نشاهده في التلفاز. وكان يأمرنا أحيانًا بغلقه حينما تأتى بعض المشاهد، ويغلقه تمامًا حينما تأتى بعض الأفلام والتي علمت فيما بعد أنها كانت من بطولة أمي.

لم أعرف ماذا أفعل وأنا أشاهد أمي في تلك الأوضاع. كل ما استطعت القيام به هو الانحناء برأسي والنظر إلى الأرض.

أما هي فقد ضحكت علي من أعماقها حتى طفرت الدموع من عينيها!

وكبرت وأصبحت في الثامنة عشرة من العمر، وحرجي من مشاهد

أمي يزداد، ومشاهدها تزداد سخونة وعريًا، ونظرات زملائي لي في مدرستي المشتركة تقتلني في اليوم ألف مرة.

كانوا ينظرون لي كفتاة رخيصة سهلة المنال، رغم أنني لست كذلك ولم أكن أبدًا كذلك.

على العكس. كنت حريصة منذ صغرى على أداء فروض ديني وعلى اجتناب ما نهى الله عنه.

وكنت أشعر بالحزن العميق وأنا أرى أمي وهى تشرب الخمر في نهار رمضان. وأشعر بالأسى وأنا أراها لا تكاد تعرف عدد ركعات كل صلاة.

لقد كان كل ما تعرفه عن الإسلام الشهادتين فقط!

لعل هناك من يريد أن يسألني الآن: لماذا لم تعترضي عليها حينما كنت في ذلك العمر؟

من قال: إنني لم أعترض؟!

لقد صارحتها مرارًا وتكرارًا بأن أسلوبها في الحياة لا يرضيني، وتوسلت إليها أن تعتزل التمثيل وأن تبحث عن عمل آخر. فكانت تسخر منى أحيانًا. وأحيانًا تتظاهر بالموافقة على طلبي.

وأحيانًا تثور علي وتتهمني بالجحود وتقول: ماذا تريدين بالضبط؟!

إنني أعاملك كأميرة. لقد اشتريت لك المرسيدس رغم أنك ما زلت في الثانوية. كل فساتينك من أوروبا. كل عام أصطحبك إلى عواصم العالم.

باختصار كل أحلامك أوامر!

وحينما أرد قائلة: حلمي الأكبر أن أراك محتشمة كما أرى كل الأمهات.

تصيح قائلة: المشاهد التي لا تروق لك هي التي تكفل لك هذه الحياة الرغدة التي تنعمين بها والتي تحسدك عليها كل البنات. لكنك عمياء لا تستطيعين الرؤية!

وأمام رغبتها الجامحة للأضواء والشهرة والمال أضطر إلى أن أبتلع اعتراضي في مرارة.

وحينما اقترب عيد ميلادي العشرون سألتني عن الهدية التي أريدها. فقلت: رحلة إلى المكان الذي لم نزره من قبل.

فاندهشت وقالت: وهل هناك مكان في العالم لم نزره؟!

قلت: نعم يا ماما. نحن لم نزر مكة.

فتجمدت للحظات وقالت: مكة!

فنظرت إليها في توسل وقلت: أرجوك يا ماما لب لي هذا الطلب.

فابتسمت وقالت: وهل أستطيع أن أرفض لك طلبًا يا حبيبتي!

وكانت رحلتنا إلى الأراضي المقدسة!

إنني لا أستطيع أن أصف شعوري حينما وطأت قدماي الأرض الطاهرة. كان إحساسي وكأني أمشي على السحاب!

كانت الفرحة تغمرني وشعورًا بالهيبة يكتنفني. وحينما رأيت الكعبة لأول مرة انهمرت الدموع من عيني ووجدت لساني يردد: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) آلاف المرات.

وجاءني هاتف يؤكد لي أن الله تعالى قد استجاب لدعائي وأنه سيصلح من أحوال أمي.

وتعجبت كيف جاءني ذلك الهاتف على الرغم من أن أمي كان يسيطر عليها الشعور بالملل طيلة الفترة التي قضيناها بمكة.

وأدينا العمرة وعدنا إلى القاهرة وارتديت الحجاب.

واندهشت هي من تلك الخطوة ولم تعلق عليها في البداية، وانشغلت في تصوير بعض الأفلام والمسلسلات.

وحينما انتهت منها وتفرغت لي قليلًا بدأ الصدام بيننا.

كانت ترمقني بنظرات ساخرة وتقول: ما هذه العمامة التي ترتدينها؟ ما هذا التخلف؟

هل صار لديك ستون عامًا حتى ترتدي هذا الحجاب؟!

ماذا سيقول عنى الناس وأنا أسير بجانبك؟

طبعًا سيقولون: إنني أصبحت أم الحاجة!

أنا التي أمثل دور الحبيبة حتى الآن أصبح أم الحاجة؟!

ما الذي سأفعله بفساتينك التي أحضرتها لك من أوروبا؟

هل أسكب عليها بنزين وأحرقها؟!

ذات مرة واتتني الشجاعة وقلت لها: أنا على استعداد أن أعيش مع خالتي حتى لا أسبب لك حرجًا.

وكأني نطقت كفرًا، ثارت وهاجت وصرخت قائلة: زوج خالتك رجل فقير لن يستطيع الإنفاق عليك. وأقسم لك لو غادرتى بيتي فلن أنفق عليك مليمًا واحدًا، أنا لم أربك حتى تتركيني.

فقلت: حسنًا. دعينى أعيش حياتي بالأسلوب الذي يرضيني.

فنظرت إلي في حدة ثم قالت في سخط: أنت حرة!

ومر عام على تلك المناقشات الساخنة والعلاقة بيننا في فتور حتى حدث تغير مفاجئ عليها بعد عودتها من تصوير أحد أفلامها في أمستردام.

لقد أصبح الحزن يكسو ملامحها والقلق يفترسها. أمرتني ألا أقود السيارة بنفسي خوفًا على حياتي واستأجرت لي سائقًا خاصًا.

صارت لا تنام الليل إلا وأنا بين أحضانها! وحينما كنت أسألها عن سر هذا الحزن والقلق كانت تصطنع ابتسامة وتقول: ليس هناك حزن أو قلق.

وحاولت أن أعرف سر هذا التغير من مديرة أعمالها، والتي كانت تلازمها كظلها. وبعد ضغط وإلحاح مني قالت: حدث موقف غير ظريف في أمستردام. لقد قابلت والدتك ابن عمها المهندس أحمد هناك بالصدفة. كان يعقد إحدى الصفقات لشركته.

وعندما اقتحمت عليه المكان لتصافحه قال لها في جفاء: إنه سيئ الحظ أمام هذه المصادفة، وأنها صديقة للشيطان. وأنها بأفلامها تثير غرائز الشباب، وأنها تدمن الخمر ولا تستر عوراتها.

ثم قال: أنا أعلم أن روحك في ابنتك الوحيدة. احذري أن ينصب غضب السماء على ابنتك لتكتوي أنت بنارها!

حينما أنهت مديرة الأعمال حديثها معي كنت أشعر وكأن أحدًا ضربني بمطرقة فوق رأسي.

كان قريبنا محقًّا في نهيه لها عما تفعله من منكر. لكنه كان قاسيًا وغير عادل حين هددها بأن يحل انتقام الله فيَّ، لأن الله تعالى لا يأخذ أحدًا بجريرة آخر. ألم يقل في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟

وانهمرت من البكاء ورثيت لحالها ولحالي.

بعد عدة شهور حدث ما لم يدر بخلدي في يوم من الأيام!

ظهر لديها ورم في الصدر، وهاجمتنا الهواجس وتشككنا في كونه مرضًا خبيثًا، وسافرت معها إلى لندن لإجراء العملية وحالتنا النفسية في الحضيض.

وقبل لحظات من دخولها غرفة العمليات أمسكت بيدي وقالت: أنا أعلم مدى عمق صلتك بالله، وأعلم أنني لا أستحق ابنة طاهرة مثلك، وأنني أسأت إليك كثيرًا بأفعالي.

لكن أرجوك ادع الله لي بالرحمة لو خرجت من الغرفة وقد غادرتنى الحياة.

وهنا وجدت نفسي أبكي بعنف وأرتمي برأسي فوق صدرها وأقول: ستعيشين يا ماما.

ستعيشين لأني أحتاجك ولأن الله لن يحرم ابنة من أمها!

فابتسمت وقالت: لو عشت فسوف أعلن لك عن مفاجأة!

ونجحت العملية، وسألتها عن تلك المفاجأة. فنظرت إليّ نظرة طويلة في حنان ثم قالت: المفاجأة هي إقلاعي عن الخمر والسجائر كمرحلة أولى تتبعها مراحل أخرى!

قفزت من السعادة واحتضنتها وطبعت قبلاتي حيثما طالت شفتاي فوق وجهها وعنقها وذراعها!

كم كنت أتمنى أن تبدأ أمي هذه الخطوة!

وبدأت أمي تؤدي فريضة الصلاة وتسألني عن مقدار الزكاة وعما خفي عليها من أمور دينها، وأنا أجيبها في سعادة.

لكن دوام الحال من المحال! فلم يمض شهر على تحسن أحوالها حتى عادت إلى سيرتها القديمة مرة أخرى، ووجدتها ذات يوم عائدة إلى البيت في الرابعة صباحًا وهي تترنح من الخمر ومديرة أعمالها تسندها وتمنعها من الوقوع على الأرض.

فصرخت فيها والمرارة تعتصرني: خمر مرة أخرى!

وأشارت لي مديرة الأعمال بأن أساعدها لإيصالها إلى غرفتها فاتجهت إلى غرفتي وصحت بأعلى صوتي: إذا كانت هي لا تساعد نفسها فلن يستطيع أحد مساعدتها.

وصفقت باب الغرفة بعنف. وبعد قليل دخلت غرفتي مديرة الأعمال وقالت: أنا أعرف أن حالتك النفسية الآن سيئة. لكن صدقيني هذه أول مرة تعود فيها إلى الخمر منذ الوعد الذي قطعته على نفسها.

لقد كنا في حفل عيد ميلاد زوجة نجم من كبار نجوم الصف الأول، وظل ذلك النجم يسخر من إقلاعها عن الخمر، ويقسم بالطلاق أن يحتسي معها ولو كأسًا واحدة.

في البداية رفضت. لكن كبار المدعوين صفقوا لها بحرارة حتى تشجعت وشربت كأس الويسكى والكأس جر كؤوسًا أخرى وراءه.

صدقيني أمك تتمنى أن تتغير، ولذلك أرجوك أن تقفي بجانبها.

حاولت أن أتشبث بكلمات مديرة الأعمال. وأن أقنع نفسي بأنها تجاهد نزواتها حتى كانت سلسلة أفلامها الأخيرة بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير!

سلسلة أفلامها الأخيرة كانت تتضمن قدرًا كبيرًا ومبالغًا فيه من الإثارة.

ولقد دفعتني الضجة التي أحدثها آخر أفلامها، والحملة الصحفية التي

شنتها الصحف المحترمة ضده إلى الذهاب إلى إحدى دور العرض لمشاهدته.

ويا ليتني ما شاهدته. كان الفيلم أقذر ما رأيت في حياتي.

كانت أمي تمثل فيه دور راقصة تتورط في جريمة قتل وتدخل السجن. وهنا يتحول الفيلم إلى وصف تفصيلي لما يحدث داخل سجن النساء من انحرافات وشذوذ جنسي.

وكانت مشاهد الانحرافات والشذوذ صريحة جدًا ويشكل مقزز أثار عندي الغثيان والاكتئاب.

وخرجت من السينما وأنا لا أدرى ماذا أفعل؟ هل أطلق صرخاتي المكتومة في الشارع؟!

هل أهاجر إلى أبعد دولة في الكرة الأرضية؟!

وعدت إلى المنزل بعد أن همت بسيارتي في كل شوارع القاهرة. وهناك وجدتها تتناول كأسًا من الخمر.

وحينما رأتني بادرتني بالقول: أين كنت يا حبيبتي؟ لقد قلقت عليك.

فنظرت إليها وأنا أكاد أن أخنقها بعيني وصحت قائلة: كنت أشاهد آخر فضائحك!

هبت واقفة وقالت: كيف تحدثيني بهذه اللهجة وأنا أمك؟

فقلت والشرر يتطاير من عيني: ليتك لم تكوني أمي ولم أكن ابنتك. ألم يكفك استهتارك وسكرك فتقومي الآن بتمثيل فيلم رخيص يخاطب غرائز المنحرفين والشواذ؟!

لقد وضعت أنفي في التراب. أنت أسوأ أم رأيتها في حياتي.

رفعت أمي يدها ثم هوت بها على وجهي في صفعة قاسية.

تجمدت من الذهول للحظات. وبعد أن زال الذهول شعرت أنني سأموت كمدًا لو مكثت في البيت لحظة واحدة. فغادرته وتوجهت إلى مسجد قريب منه.

وفي المسجد تناولت مصحفًا وجلست أقرأ وأقرأ والدموع تتساقط من عيني بغزارة، حتى بللت دموعي صفحات المصحف.

كان الشعور باليأس قد استولى عليّ. ولم أفق إلا على صوت أذان المغرب. ونهضت لأقف بين الصفوف وأصلي.

ووجدت الإمام يتلو في الصلاة هذه الآيات: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ . . . . إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وسرت في جسدي قشعريرة غريبة وأحسست وكأن الله عز وجل يخاطبني بهذه الآيات ليزيل ما بي من هم ويأس.

نعم إنه يخاطبني ويقول: اعلمي أنه كما أحيا الأرض الميتة بالغيث، فكذلك أنا قادر على إحياء القلوب القاسية كقلب أمك، وتطهيره بنور الإيمان.

وبدأت السكينة تدب في قلبي. وعدت إلى البيت واستلقيت على الفراش ونمت كما لم أنم من قبل!

وفي الصباح وجدتها تجلس في غرفة المعيشة. كان وجهها حزينًا ونظراتها شاردة.

توجهت إليها وانحنيت على يدها أقبلها.

نظرت لي والدموع تملأ مقلتيها، وقالت لي بصوت مخنوق: تقبلين يدي بعد أن ضربتك بالأمس؟

فقلت: أنت أمي ومن حقك أن تؤدبيني.

فقالت: لا والله. لست أنت من يستحق التأديب. ولست أنا من يستحق ابنة طاهرة مثلك.

ثم قامت وغادرت المنزل.

وأدركت أن أمي ومنذ هذه اللحظة قد تغيرت. وأن قلبها بدأ يلين، وأن نور الإيمان بدأ يتسرب إليها، فبدأت أكثف كل جهدي في دعوتها. وأخذت أحكى لها كثيرًا عما يدور في دروس العلم التي أواظب عليها في

المسجد، وأدير جهاز التسجيل الموجود في غرفتي ليرتل آيات من الذكر الحكيم على مسامعها.

وبدأت ألح عليها لتصطحبني إلى مجالس العلم لحضور الدروس الدينية ولو على سبيل مرافقتي فقط.

حتى كانت اللحظة التي ارتدت فيها الحجاب، حين دعوتها لحضور مجلس علم بمنزل إحدى الفنانات المعتزلات. ولم تمانع أمي ودخلت غرفتها لارتداء ملابسها، ولم أتمالك نفسي من الفرحة عندما رأيتها وقد وضعت على رأسها طرحة بيضاء.

لقد كانت الطرحة كأنها تاج من السماء توجت به نفسها.

وطلبت منى في فجر ذلك اليوم أن أصلي بها. وبعد أن قرأت فاتحة الكتاب فكرت هنيهة فيما سأتلوه من آيات. ووجدت الله تعالى يهديني إلى أن أقرأ هذه الآيات: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾، وبمجرد أن تلوت هاتين الآيتين حتى وجدتها تجهش في البكاء وتنتحب. ويهتز جسدها كله من شدة الانفعال.

وخشيت عليها فأتممت الصلاة واحتضنتها لأهدئ من روعها. وكالطفل المتعلق بأحضان أمه تشبثت بي.

فقلت لها: سأحضر لك كوبًا من عصير الليمون.

فتشبثت بي أكثر وقالت: لا. أريد أن أتحدث معك وألقي بالهم الذي يرزخ فوق صدري.

فقلت: حسنًا يا أمي تحدثي.

بعد تنهيدة حارقة تحدثت أمي فقالت: عند ما بدأت رحلتي مع الفن كنت أبعد ما أكون عن الله.

لم يكن يشدني إلى الحياة سوى المال والشهرة وقصص الحب.

ومع الأيام زادت نجوميتي. لكن إحساسًا غريبًا بدأ ينتابني.

كنت أشعر وأنا في قمة المجد بأني أيضًا في قمة الوحل.

كثيرًا ما أحسست برغبة عارمة في أن أحمل سوطًا وأجلد نفسي. وكم وقفت أمام المرآة وأنا في أبهي زينة ثم تمنيت أن أبصق على وجهي.

كانت أمي تستطرد في حديثها والدموع تتهادى فوق وجنتيها. فقلت لها: إن كل دمعة تغسل ذنبًا وتطهرها من خطيئة. ثم دعوتها أن تكمل حديثها فاستطردت قائلة: عندما أصابني المرض وذهبت إلى لندن لإجراء العملية، تخيلت نفسي ألفظ آخر أنفاسي وأعود إلى القاهرة داخل صندوق جثة بلا حياة.

وسألت نفسي: ماذا سأقول للملائكة في القبر وهم يسألوني عن حياتي العابثة التي لا تحكمها المقاييس المنطقية أو المعايير العقلية؟

لكن كان عشقي لنفسي وللأضواء المبهرة أكبر من وخزات الضمير. فبمجرد أن منَّ الله عليَّ بالشفاء حتى عدت إلى الوحل مرة أخرى.

وذات مرة استوقفني أحد الأشخاص وقال لي: أي عورة سترتها يا نجمة يا ساطعة؟! احذري أن ينصب غضب السماء على ابنتك لتكتوي أنت بنارها!

وكأنه رماني بجمرات من جهنم. طار النوم من عيني بعد كلماته المسمومة، وظل شبح الانتقام الإلهي يطاردني.

كنت أنظر إليك وأسأل نفسي: ماذا لو أصابك لا قدر الله مكروه وأنت نور عيني؟ بالطبع كنت سأنتحر.

هكذا صنع ذلك الشخص عقدة لم تنفك عني أبدًا. كنت كلما أذهب إلى البلاتوه تقفز صورتك أمامي وأسمع كلمات ذلك الرجل كأنه ينطق بها في التو فأبكى وتقتلني الهواجس.

لقد كنت أتعذب عذابًا أليمًا يفوق احتمال البشر.

حتى جاءت اللحظة التي صارحتيني فيها بسكري واستهتاري.

لقد كانت لحظة رهيبة نزعت فيها القناع الذي أخدع به نفسي من على وجهي ووضعتيني أمام حقيقتي المرة.

لحظتها لم أستطع أن أتحمل رؤية نفسي على حقيقتها فضربتك.

وبعد أن ضربتك صرخت في نفسي: ألهذه الدرجة وصل بي الغرق في الوحل؟!

ألهذه الدرجة توحشت حتى أتطاول بيدي وأؤذب قلبي وروحي وأغلى الناس عندي؟!

ماذا تبقى لي من سوء لم أفعله؟!

وقلت: يا إلهي بدلًا من أن أشكرك على أنك قد وهبتني ابنة صالحة لم تشب طهارتها شائبة رغم كل ما يحيط بها، أبيع حياتي بهذا الثمن الرخيص؟!

ملعونة الأضواء. ملعونة الشاشة. ملعونة الأموال. أنا أبحث عن الطريق إلى الله

كانت كل كلمة من كلمات أمي تنبض بالصدق والإيمان، فقلت لها بعد أن أنهت حديثها: أنا أعلم أنك راغبة حقًا في الرجوع إلى الله. لكن أصارحك القول: أنا أخشى أن تخذليني مرة أخرى.

فقامت وتشبثت بيدي كالغريق الذي يتعلق بحبل نجاة وقالت: لا تخافي. أنا مصممة هذه المرة على مواصلة الطريق إلى الله حتى آخر لحظة في حياتي. كل ما أرجوه منك أن تستمر مؤازرتك لي.

ولقد صدقت وعدها. ولم تخذلني بعد ذلك أبدًا. وأصبح شغلها الشاغل العبادة والاستغفار والعطف على الفقراء والدعاء ليلًا ونهارًا بأن يقبض الله روحها في شهر رمضان.

وبعد عدة سنوات من اعتزالها التمثيل وفي يوم من أيام شهر رمضان المبارك انتقلت روحها الطاهرة إلى بارئها وكانت صائمة قائمة متبتلة.

اللهم أرني الحق حقًا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه.

عمرو خالد وسارة الفنزويلية

قال كاتب جريدة الرأي العام الأستاذ محمد العوضي:

توجهت بالسؤال إلى عمرو خالد فقلت: حدثنا عن أكثر ما أثر فيك من نتائج بثك الفضائي؟

فأحنى رأسه وسكت قليلًا، ثم تدفق قائلًا: بعد أن تكلمت عن معنى «العفة» في قناة «L،B،C» جاءتني رسالة عبر البريد الإلكتروني، من فتاة تقول:

أنا فتاة اسمي «سارة» والدي لبناني مسلم، وأمي لبنانية مسيحية، انتقلا إلى فنزويلا، وبعد فترة انفصلا عن بعضهما ليتزوج كل منهما بمن يناسبه، وبقيت أنا حائرة شاردة، وقد رزقني الله جمالًا أخاذًا فانزلقت قدمي لأنضم إلى مسابقات ملكات الجمال هناك، حتى انتهى بي المطاف إلى العمل في «بار»!!

وصار لي «بوي فرند» ونسيت ديني بل نسيت أني مسلمة، ولم أعد أعرف عن الإسلام إلا اسمه ولا عن المصحف إلا رسمه، وفجأة كنت أتابع «L،B،C» من فنزويلا لأنها قناة لبنانية، رأيتك يا عمرو خالد تتكلم عن العفة، فلأول مرة أشعر بالخجل من نفسي، وأنني أصبحت سلعة رخيصة في أيدي الأوغاد،،، انشرح صدري، وأنا لا أعرف مسلمًا سواك.

ثم قالت سؤالي لك: هل يقبلني الله وأنا الغارقة في الموبقات والآثام؟!

أجبتها عن سعة رحمة الله وفضله وحبه للتائبين، فأرسلت تقول: أريد أن أصلي ولقد نسيت سورة الفاتحة،،، أريد أن أحفظ شيئًا من القرآن.

قال عمرو: فأرسلت لها بالبريد المستعجل ختمة مسجلة كاملة بصوت

إمام الحرم الشيخ سعود الشريم وبعد ثلاثة أيام أرسلت سارة تقول: إنني حفظت سورة «الرحمن» و«النبأ» وبدأت أصلي، ثم أرسلت تقول: لقد هجرت البوي فرند وطردته، كما أنني انفصلت عن مسابقات الجمال، والبار،،،، وبدأت تقبل الفتاة على الله سبحانه بصدق، لقد وجدت ذاتها لأنها عرفت ربها.

بعد أسبوعين من المراسلات، أرسلت تقول: إنني متعبة لهذا انقطعت عن مراسلتكم وأصابها صداع وآلام شديدة، وبعد الفحوص والكشف الطبي، قالت لنا: يا عمرو، إنني مصابة بسرطان في الدماغ، والعجيب أنها قالت: أنا لست زعلانة بل فرحانة، لأنني عرفت ربي وأحببته وأقبلت عليه قبل المرض والبلاء، وأنا داخلة على العملية المستعجلة بعد يومين، وأنا خايفة ألا يغفر الله لي إذا مت، فقلت لها: كيف لا يغفر الله للتائبين لقد أكرمك الله بهذه العودة إليه وبحفظ سورة «الرحمن» وأنت الآن بين يدي أرحم الراحمين،،،، وفتحنا لها أبواب الرجاء وطردنا من نفسها اليأس، فقالت: لقد وضعت أشرطتي لترتيل القرآن بصوت إمام الحرم الشريم في المسجد مع أشرطتك، لأنني قد أودع الحياة، لتكون لي صدقة جارية، وبعد يوم أرسلت لنا صديقتها المسيحية تقول: لقد ماتت سارة،،،

عندما خرجنا من العشاء كان الأخ... يقود السيارة وبجواره.... وفي الخلف أنا وعمرو، قلت له: ماذا نستطيع أن نقدم لسارة، فهمس في أذني قائلًا: إلى الآن اعتمر لها اثنان وأهديا ثواب العمرة لها، قلت من هما: قال الأول أنا والثاني زوجتي، كان للخبر أثر كبير على نفسي بعد أن وصلنا إلى باب الفندق سلمت عليه قَبّلْتُه على قصة سارة، ثم عانقني وعدنا إلى البلاد، ولن تنتهي خواطر الكعبة.

اللهم اغفر لها وارحمها وتقبلها في أصحاب اليمين. آآآآآمييين. واجز ربي خيرًا من تسبب في هدايتها وتوبتها.

نماذج مضيئة للفتاة المسلمة[1]
قصة عجيبة. . . لثبات امرأة!

قصة عجيبة. . عجيبة. . عجيبة يقول صاحب القصة: سافرت إلى مدينة جدة في مهمة رسمية. . وفي الطريق فوجئت بحادث سيارة. . ويبدو أنه حدث لتوه. . كنت أول من وصل إليه. . أوقفت سيارتي واندفعت مسرعًا إلى السيارة المصطدمة. .

تحسستها في حذر. . نظرت إلى داخلها. . أحدقتُ النظر. . خفقات قلبي تنبض بشدة. . ارتعشت يداي. . تسمَّرت قدماي. . خنقتني العبرة. .

ترقرقت عيناي بالدموع. . ثم أجهشت بالبكاء. . منظر عجيب. . وصورة تبعث الشجن. .

كان قائد السيارة ملقًا على مقودها. . جثة هامدة. . وقد شخص بصره إلى السماء. . رافعًا سبابته. . وقد أفتر ثغره عن ابتسامة جميلة. . ووجهه محيط به لحية كثيفة. . كأنه الشمس في ضحاها. . والبدر في سناه

العجيب -والكلام ما يزال لصاحب القصة- أن طفلته الصغيرة كانت ملقاة على ظهره. . محيطة بيديها على عنقه. . ولقد لفظت أنفاسها وودعت الحياة. .

لا إله إلا الله. . لم أر ميتة كمثل هذه الميتة. . طهر وسكينة ووقار. . صورته وقد أشرقت شمس الاستقامة على محياه. . منظر سبابته التي ماتت توحّد الله. . جمال ابتسامته التي فارق بها الحياة. . حلّقت بي بعيدًا بعيدًا. .

تفكرت في هذه الخاتمة الحسنة. . ازدحمت الأفكار في رأسي. .

---

(١) من شريط (مشاهد رأيتها من غسل الأموات لسوء الخاتمة وحسن الخاتمة).

سؤال يتردد صداه في أعماقي.. يطرق بشدة.. كيف سيكون رحيلي!!.. على أي حال ستكون خاتمتي!

يطرق بشدة.. يمزّق حجب الغفلة.. تنهمر دموع الخشية.. ويعلو صوت النحيب.. من رآني هناك ظن أني أعرف الرجل.. أو أن لي به قرابة.. كنت أبكي بكاء الثكلى.. لم أكن أشعر بمن حولي!!..

ازداد عجبي.. حين انساب صوتها يحمل برودة اليقين.. لامس سمعي وردّني إلى شعوري.. يا أخي لا تبكي عليه إنه رجل صالح.. هيا هيا.. أخرجنا من هناك وجزاك الله خيرًا.

التفتُ إليها فإذا امرأة تجلس في المقعدة الخلفية من السيارة.. تضم إلى صدرها طفلين صغيرين لم يُمسا بسوء.. ولم يصابا بأذى..

كانت شامخة في حجابها شموخ الجبال.. هادئة في مصابها منذ أن حدث لهم الحدث !!.

لا بكاء ولا صياح ولا عويل.. أخرجناهم جميعًا من السيارة.. من رآني ورآها ظن أني صاحب المصيبة دونها..

قالت لنا وهي تتفقد حجابها وتستكمل حشمتها.. في ثباتٍ راضٍ بقضاء الله وقدره: لو سمحتم أحضروا زوجي وطفلتي إلى أقرب مستشفى.. وسارعوا في إجراءات الغسل والدفن.. واحملوني وطفليّ إلى منزلنا جزاكم الله خير الجزاء.

بادر بعض المحسنين إلى حمل الرجل وطفلته إلى أقرب مستشفى.. ومن ثم إلى أقرب مقبرة بعد إخبار ذويهم..

وأما هي فلقد عرضنا عليها أن تركب مع أحدنا إلى منزلها.. فردّت في حياء وثبات: لا والله.. لا أركب إلا في سيارة فيها نساء... ثم انزوت عنا جانبًا.. وقد مسكت بطفليها الصغيرين.. ريثما نجلب بغيتها.. وتتحقق أمنيتها.. إستجبنا لرغبتها.. وأكبرنا موقفها..

مرّ الوقت طويلًا.. ونحن ننتظر على تلك الحال العصيبة.. في تلك الأرض الخلاء.. وهي ثابتة ثبات الجبال.. ساعتان كاملتان.. حتى

مرّت بنا سيارة فيها الرجل وأسرته.. أوقفناهم.. أخبرناه خبر هذه المرأة.. وسألناه أن يحملها إلى منزلها.. فلم يمانع..

عدت إلى سيارتي.. وأنا أعجبُ من هذا الثبات العظيم..

ثبات الرجل على دينه واستقامته في آخر لحظات الحياة.. وأول طريق الآخرة..

وثبات المرأة على حجابها وعفافها في أصعب المواقف.. وأحلك الظروف.. ثم صبرها صبر الجبال.. إنه الإيمان.. إنه الإيمان.. ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. انتهى كلامه وفقه الله تعالى .

الله أكبر.. هل نفروا في هذه المرأة صبرها وثباتها.. أم نفروا فيها حشمتها وعفافها.. والله لقد جمعت هذه المرأة المجد من أطرافه..

إنه موقف يعجز عنه أشداء الرجال.. ولكنه نور الإيمان واليقين..

أي ثباتٍ.. وأي صبرٍ.. وأي يقين أعظم من هذا !!

وإني لأرجو أن يتحقق فيها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾



(قصة واقعية مبكية)
هداية زوج قاس بعد وفاة زوجته الصابرة

يقول فضيلة الشيخ/ محمد بقنة الشهراني:

امرأة أعرفها كانت صابرة على زوجها.. كان يقسو عليها أشد القسوة.. ولكنها لم تخرج عن طاعته.. ما تبرمت على قدر ربها.. صبرت واحتسبت.. وكانت تنظر لأولادها وكأن في نظراتها احتسابهم على الله جل علاه.. وفوق ذلك ابتلاها الله بمرض خبيث في بطنها.. تتألم من شدة الألم تارة وتتألم من شدة ظلم زوجها لها تارات.. وهكذا. حتى أتتها سكرات الموت.. فعندما أتتها السكرات وفي ذلك الوقت قرأت أحد بناتها عليها آيات من كتاب الله الحكيم.. فإذا بها توصي الأولاد بأبيهم.. يا آ الله. أساء لها فأحسنت إليه.. ظلمها فصبرت ودعت له..

توصي الأولاد بأبيهم خيرًا.. ثم تأمرهم بأن يخرجوا من عندها ثم توجه بصرها إلى السماء وهي على فراشها.. ثم تشير بالسبابة توحيدًا لربها.. وما هي إلا لحظات وإذ بالعرق البارد يتصبب على جبينها وتسلم الروح لبارئها رحمها الله..

ولقد عايشتُ هذه القصة بنفسي.. ماتت وهي توصي بالذي أساء لها.. فهداه الله بعد موتها.. وما زال يذكرها ويدعو لها..

ماتت والعرق ينحدر على جبينها فظفرت بدعوة نبيها.. ماتت بداء بطنها لينطبق عليها حديث رسولها الذي رواه مسلم وأحمد: **«من مات بالبطن فهو شهيد»** وقوله عليه الصلاة والسلام كما عند النسائي وأحمد وصححه الألباني **«من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»**

هنيئًا لها بخاتمتها.. هنيئًا لها بصبرها واحتسابها.. هنيئًا لها بعفوها الذي أوصلها إلى ذلك بإذن الله جل وعلا..

الخاتمة الحسنة

أصحاب الخاتمة الحسنة وجوههم تلألأ نورًا في حياتهم.. وعند موتهم.. وعند لقاء ربهم.. وذلك من أثر الطاعة عليهم وصدق الله إذ قال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾..

مما فسرت به هذه الآية قول منصور -رحمه الله- إذ قال: سألت مجاهدًا عن قول الله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ أهو أثر يكون بين عيني الرجل؟

قال مجاهد: لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو أقسى قلبًا من الحجارة، ولكنه نورٌ في وجوههم من الخشوع.

قال سفيان الثوري رحمه الله: يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤي ذلك في وجوههم.. بيانه قوله عليه الصلاة والسلام: **«من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»** رواه مسلم وغيره.

قلت: وقال الحسن رحمه الله عن ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ قال: هو بياض يكون في الوجه يوم القيامة.



خاتمة سوء

يقول الشيخ حفظه الله:

أراني أحدهم صورة فلما نظرت إليها فإذا بها صورة لامرأة متبرجة.. بيضاء جميلة.. كاسية عارية.. فقلت له: اتق الله ولماذا تريني هذه؟! أما خفت من الله يا عبد الله؟!

فقال لي: أريكها لأخبرك أن هذه التي ترى هي هذه!!

فنظرت إلى الصورة الأخرى فإذا بامرأة قد اسود وجهها.. والظلمة قد ظهرت على ملامحها.. وهي ميتة مقتولة بيد زوجها.. وكان آخر عملها من الدنيا كأس الخمر بيد والسيجارة بيد.. وعلمت بعد ذلك أنها إحدى المغنيات المشهورات أعاذنا الله وإياكم أجمعين..



صورة مضيئة

شتان بينها وبين تلك الفتاة (جارتي). . نعم إنها جارتي. . في حيي الذي أعيش فيه. . أبوها نحسبه من الصالحين. . لا يترك صلاة في المسجد البتة. . ابنته في الرابعة والعشرين من عمرها. . فرحت بوظيفتها معلمة وإن كان المكان بعيدًا عن بيتها. . كانت تذهب هي ومن معها إلى عملهم في عربة يستقلونها بالأجرة. . يذهبون سويًا ويرجعون سويًا. . وقبل شهر رمضان لعام ١٤٢٤هـ فاجأت أهلها بكلام كانت تقوله. . قالت لهم قبل شهر رمضان: «إذا أنا مت فلا تحزنوا عليّ فإني أحتسب خرجتي هذه للعمل على الله فأنا أعلم العلم». .

وكانت تخرج متحجبة متسترة من رأسها إلى أخمص قدميها. .

الشيخ: أنا أعرفها. . أنا أرى حجابها رحمها الله. .

وقبل موتها طلبت من أبيها أن يأخذها لصلاة الجمعة معه، فأخذها وكان ذلك في منتصف شهر رمضان. .

وبعد الجمعة بيومين في يوم الإثنين الخامس عشر من شهر رمضان لعام ١٤٢٤هـ تخرج من بيتها صائمة، وكان من آخر أعمالها أنها أيقظت إحدى صديقاتها لصلاة الفجر، وكانت تتلو القرآن في العربة التي كانت تستقلها وهي ذاهبة إلى عملها بصوت منخفض وماتت والقرآن بيدها!. . حصل الحادث المروع وماتت وخرجت من الدنيا على هذه الحال الطيبة. .

ماتت في يوم الإثنين من رمضان. . وقد ولدت في يوم الإثنين من رمضان!. .

ماتت وقد صلت الفجر. . ولم تنم بعد صلاة الفجر بل تتلو القرآن إلى وقت الدوام. .

ماتت وقد دعت إلى الله في ذلك اليوم بأن أيقظت صديقتها إلى الصلاة..

ماتت والقرآن في يدها.. ماتت وهم يخرجونها من العربة ويقولوا الذين أخرجوها: والله إننا أخرجناها من العربة ووضعناها في الإسعاف ولم يظهر من جسدها قدر أنملة!!.. فقد كانت مع تحجبها تلبس السراويل الطويلة تحت لبسها تقول: «لو قدر الله لي الموت لا يراني أحد، لو قدر الله لي الموت لا يراني أحد».

بكى الشيخ حفظه الله وهو يقول:

ماتت كما تتمنى.. كاد أبوها أن يجنّ عليها..لما رآني وقد دخلت أعزيه احتضنني وأمام الناس بكى وأجهش بالبكاء ورفع صوته وقال: (أبر أولادي بي هذه يا محمد).. هنيئًا لها على القرآن والبر والدعوة والصيام ورمضان.. تموت رحمها الله..

تزود قريبًا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعلُ

وإن كنت مشغولًا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغلُ

فلن يصحب الإنسان من بعد موته ... إلى قبره إلا الذي كان يعملُ

ألا إنما الإنسان ضيفٌ لأهله ... يقيم قليلًا عندهم ثم يرحلُ

اللهم اجعلنا مما يقال له: «اخرجي أيتها النفس الطيبة إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان».

اللهم آمين.. يا رب العالمين..

❁ ❁ ❁

موعظة

أيها العباد:

الناس صنفان: سعداء وأشقياء ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ أعاذنا الله من النار.. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ اللهم اجعلنا منهم يا رب..

السعداء هم الذين يُختم لهم بأعمال السعداء.. يموتون وعلامات الخير تتنزل بهم.. يودّعون الدنيا وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله.. يبشرون بالنعيم المقيم في دار الكرامة والرضوان.. جزاءً لهم بما كانوا يعملون.. جزاءً لهم بما كانوا يصبرون.. جزاءً لهم بما كانوا لأنفسهم يجاهدون.. نعم.. لأنفسهم يجاهدون.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾

فأما أهل الشقاوة فهم أولئك الذين يظهر البؤس والألم على وجوههم وأجسادهم قبل أن يظهر لهم في قبورهم. .اللهم احفظنا وارحمنا وثبتنا يا رب..

أهل الاستقامة والصلاح.. هم أهل الخاتمة الحسنة.. هم الذين يوفقهم الله تعالى للتوبة والرجوع والأوبة إليه قبل موتهم.. هم الذين يموتون على الصالحات ويهجرون المعاصي والسيئات..

ألم تسمعوا قول رسول رب البريات كما عند الإمام أحمد وابن حبان والحاكم واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي عن عمر بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أحب الله عبدًا عسّله»**

فقيل له: وما عسله؟! قال: **«يوفق له عملًا صالحًا بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه أو قال: من حوله»**

وفي رواية لأحمد قال عليه الصلاة والسلام: **«إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله»** قيل: كيف يستعمله؟!

قال: **«يفتح له عملًا صالحًا بين يدي موته حتى يرضى عليه من حوله»**

وعند الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أراد الله بعبد خيرًا طهره قبل موته»** قالوا: وما طهور العبد؟!

قال: **«عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه».**

أسمعت.. «عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه» اللهم إنا نسألك من فضلك.. فهذا من أعظم علامات حسن الختام.. أن ييسر الله تعالى للعبد أو للأمة عملًا صالحًا يموت عليه.. ييسر له في آخر حياته توبة صادقة.. صدقة طيبة.. صلاة خاشعة.. دعوة إلى الله تعالى بتضحية..



الزائرة الفاتنة
(قصة رحيل سلوى)[1]

لم أدرك حين كنت أدرس في مدارس التعليم العام أن الواقع الذي نعيشه غير المنهج الذي ندرسه، فقد درست وتعلمت، بل كنتُ متفوقة في دراستي، تعلمت وأدركت عظمة الخالق عز وجل وكيفية إخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالقضاء والقدر، بل والرضا بما قدَّره الله تعالى.

مرَّت السنون وتزوجتُ رجلاً عشتُ معه سنين جميلة، أنجبت فيها ابنتي الأولى ثم الثانية والثالثة تباعًا، ففي كل عام تستقبل الأسرة مولودة، وكنت خلالها أرقب في عيني زوجي رغبته الملحَّة في إنجاب ذكر يحمل اسمه، وكأن الاسم لابد أن يحمله آخر غيرك!!

تغير زوجي وبدأ يتعامل معي بأسلوب ينقصه الحب والاحترام عندما أنجبتُ ابنتي الرابعة، وكانت آية في الجمال! كبرت فكانت صورتها تحكي كل معاني البراءة والطهر.

في العام الرابع عشر لزواجنا حملت للمرة الثامنة وابنتي السابعة لم تبلغ شهرها الثالث بعد! وعصفت بي أمراضٌ كثيرة كان الضغط والسكر أبرزها عدا هشاشة العظام التي زارتني باكرًا وعمري لم يتجاوز أربعًا وثلاثين سنة، وعدا عن كون رحلة الحمل هذه وهنًا على وهن فقد تحولت لرحله عذاب نفسي وتهديد دائم من زوجي الذي ازداد جبروتًا وغلظة في التعامل معي ومع بناتي السبع على الرغم من أن الله قد أنعم عليه بنعمة الصحة والمال، إلا أنه يضيّق الخناق علينا! وبرغم كوني امرأة عاملة وأصرف مرتبي كاملاً على بناتي وبيتي إلا أننا نوشك أن نُعَدّ من الفقراء!!.

ثقُل الحمل في الأشهر الأخيرة وصاحبته الأمراض؛ فسقطت بعض أسناني وأصابها التسوس من جراء نقص الكالسيوم الذي استهلكته خلال

---

(١) مجلة الأسرة العدد ١٥٢ - ذو الحجة ١٤٢٦هـ .

الحمل المتواصل لعدة سنوات، كما ضعف نظري كثيرًا، وتحول لون شعري إلى اللون الرمادي كحياتي! بل هو أفتح منها قليلاً!! لم أعترض قط على ما وهبني الله من البنات، فقد كنت أمارس حياتي كأم وصديقة لبناتي! بل إنني كثيرًا ما أحمد الله على ما وهبني من نعمة الإنجاب أولاً ثم ممارسة الأمومة ثانيًا، وتبقى ثالثًا ورابعًا المتعة التي أجدها في الحديث معهن حين ينقلن لي أخبار المدرسة وأحاديث صديقاتهن ومداعباتهن لمعلماتهن، فقد وهبهن الله خفة في الدم وجمالاً في الروح!

وما كنت لدينا حين نتحلق ونضع القهوة والحلا مساءً ونجتمع سويًا لا يقطع حديثنا إلا صراخ إحدى الصغيرات، وقد أغلقت أختها دونها بابًا أو تشاجرت معها بسبب لعبة!! وان كان الناس يؤلفون ويروون الطرف والنكت فنحن نعايشها يوميًا! تستطيع حينما ترى حياتنا أن تنعتها بالانبساط، ولكنك أبدًا لن تصفنا بالسعداء! فنحن وإن كنا (أنا والبنات) في حالة سرور إلا أنه ما أن يحضر (السيد) إلا وتجد البنات يتقافزن متفرقات هلعات فهو على الدوام عابس مكفهر متبرم ناقم، عجبًا، كيف ينقم على نعمة؟!

اقترب موعد الولادة، وبدأ التوتر يظهر في أجواء الأسرة، شعرت البنات بناقوس الخطر يدق في أركان بيتنا من جراء تهديد والِدِهِنّ لي بالطلاق تارة وبالزواج من ثانية تارة أخرى، بل وتعدى الأمر إلى التهديد بالطرد من المنزل إن أنجبت بنتًا!! وعاشت البنات في قلقٍ ونقلن معاناتهن لصديقاتهن في المدرسة، وامتد ذلك القلق لأسرهن إشفاقًا على وضعنا!!

وحين حلّت الامتحانات، كنت في الأيام الأخيرة من الحمل، وأخيرًا وضعت، وضعتها أنثى، الثامنة، جميلة، بل فاتنة، سليمة من العاهات، وحين علم زوجي بذلك لم يتمالك نفسه، فخرج من المستشفى غاضبًا ساخطًا وترك بناته في مدارسهن ينتظرنه للعودة للمنزل بعد انتهاء الامتحان، وتركني أعانى آلام الوضع والحيرة، وأخيرًا عادت البنات بصحبة إحدى المعلمات، بينما أنا في المستشفى أرقب عودته لتسجيل

الصغيرة وإثبات ولادتها حيث لا توجد معي أوراق رسمية! ورجع زوجي بعد يومين وأعادني إلى منزلي بعد إنهاء الإجراءات، وكان يشتم ويسب، وكنت أصبر وأحتسب! عدت إلى منزلي فأورقت أغصان البنات واستأنفن المذاكرة فكلهن متفوقات دراسيًا، ولكن القلق أخذ يساورني على مستقبلهن، إلا أنني عدت إلى المنهج الرباني مؤمنة بالقضاء والقدر، والرضا به.

تستكمل السيدة الصابرة حديثها وتقول: لم يكن وجود طفل صغير في المنزل شيئًا مستغربًا، فنحن ما نكاد نودع السنة الأولى من حياته إلا ونستقبل طفلاً آخر! لم نصل بالطبع إلى تكوين فريق كفريق كرة القدم، فلا زلنا بحاجة لمدافع أو أكثر، أما المهاجم فمتواجد طوال الوقت يسجل أهدافًا موجعة على فريقه!!

ومرت السنون وكبرت (سلوى) المسخوط عليها!! فصارت تستقبل والدها، ترفع شماغه عن رأسه، تداعبه، تقبّل يده، ولكنه يقابل ذلك اللطف بجفاء وغلظة، وكثيرًا ما يعنفها، ويتمتم بكلماتٍ ساخطة ومكررة: «الله لا يكثركن عند الصديق»!! وإن كان من المعتاد أن يكون الأب الذي لديه بنات أكثر لطفًا وحنانًا ممن لديه ذكور، إلا أن هذا الأب لم يستشعر الأجر لمن يعيل ابنتين فكيف بثمان؟! ولم يستمتع قط بهذا الجو الأسري الآسر وبلطف بناته وحنانهن! ولم يُقدِّر كونه أبًا ومسئولاً عن أسرته حين أحال حياة الأسرة إلى قلقٍ وتوتر، عدا اضطهاد زوجته بالتهكم بلفظ (أم البنات) وكأنها وصمة عار!! ومع ذلك كنا نقنع أنفسنا بأن حياتنا ممتعة، جميلة!!

وجود (سلوى) في منزلنا أضفى على حياتنا الهدوء النسبي والدعة، فقد كبرت البنات واستكملن دراستهن في تخصصات مختلفة، أما (سلوى) ففي الصف الثالث الثانوي، وهي الصغرى حيث لم أنجب بعدها؛ لأن زوجي كف عن المطالبة! بعد أن اعترته أمراض مختلفة فلم يعد يفكر بإنجاب المزيد! فضلاً عن أن صحتي لا تسعفني لمواصلة الإنجاب.

ولم ينفذ زوجي تهديداته وانغمس في العمل التجاري وجمع الأموال!! وقلّت حدته وأصبح هادئًا بعد أن تكالبت عليه الأسقام، وأصيب بمرض يستدعي نقل مادة من النخاع الشوكي حيث توقف عن الحركة تمامًا، وكثرت مراجعاته للمستشفى فتقاعدتُ عن العمل لأصحبه عند كل مراجعة. واستدعى الأمر التبرع له من أحد أقاربه فذهبنا جميعًا للمستشفى لعمل اختبار لمعرفة مدى ملائمة السائل لجسمه، وكانت، (سلوى) هي التي أثبتت الاختبارات والتحاليل مطابقتها تمامًا للمطلوب!! وخضعت لعملية نقل جزء من النخاع لإنقاذ والدها.

باقٍ من الحزن أضعاف الذي ذهبا لا الجوع دهرٌ ولا كلّ الفصول صبا

وحيث لم تكن (سلوى) من أهل الدنيا، فقد فارقت الحياة بعد إجراء العملية!! غادرت الدنيا، بصراعاتها، وآلامها، وقلقها، تركتها لنا ورحلت، بعد أن أودعت في كبدي وسمًا من الألم لا ينمحي، وفي قلبي جرحًا لا يندمل، وفي عيني دمعة متجمدة!! حين كنت أراها بين أخواتها تتفجر نشاطًا وحركة، وتضج حيوية وإقبالاً على الدنيا بجمالها الأخّاذ وذكائها الوقّاد عدا عن تفوقها الدراسي وقدرتها على التعامل الرائع مع والدها ومعي ومع الناس، حين كنت أرقبها وهي كذلك ينقبض قلبي، ويراودني إحساس قديم لا يكذب!! بل يتجدد!!، كنت أدرك أنها ليست الثامنة بل، الزائرة!!

جاءت لتوقف تيار الألم، وتزرع الأمل، وتلون حياتي بالتفاؤل، جاءت، وكأن قدومها هبة من الله لوالدها لتستمر به الحياة، وهو (الساخط) على مجيئها.

جاءت لتمسح شقاء السنين، ورحلت، لتجعلني أعاني لوحدي الشقاء والبؤس بدونها!!

جاءت (سلوى) لحكمة، ورحلت لعبرة!!



اتصلت علي تعاكسني!! وتركتني وهي داعية موفقة!![1]
« قصة مؤثرة »

أستأذن في بعض فصولها الحساسة، عن ذكرها ولكنها، مصداقية النقل، وأرجو أن تنتفعوا بها، فلننطلق لأن الوقت لن يسمح لأن نبقى أمام هذه القصة، واقفين، وقبل أن نقلع (اعلموا أن هذه القصة وقعت مع أخوكم المؤمن كالغيث فهي لسيت منقولة) في ليلة عدت إلى سريري، في الساعة الثانية، ليلًا، الكل نائم، وأنا سقطت بجسمي المتعب من يوم شاق، حتى وضعت رأسي، وجسدي، ثم غفوت، وتركت الجوال (الهاتف المحمول) على غير العادة، مفتوحًا، غفت عيني، ولم أهنأ بهذه الفترة الساحرة، حتى صرخ الجوال، بنغمة (الرنق رنق) مؤذنًا باتصال من مجهول!! خيرًا إن شاء الله، ضغطت زر الرد : ألو، نعم، وإذا بالآخر المتصل (امرأة)، (عفوا فتاة) !!

تغنج ظاهر، وأنا متأكد أنها ليست قريبة البتة!! لأنها ١٠٠% لن تفعلها، ولكن ابتليت برقم مميز إهداء من رجل أمن جزاه الله كل خير.

ردت : أهليييين آسفة شكلي أزعجتك خلاص أكلمك بعدين !! أغلقت الاتصال.

يا لله ما الذي جاء بها في هذا الوقت المتأخر !! أسئلة كثيرة، دارت في ذهني، قطعها اتصالها مرة أخرى، رددت : ألو، نعم، فتكلمت : بما يفيد أنها تريد السمر، وكانت ترى المؤمن كالغيث هو مصيدة اليوم،

---
(١) موقع صيد الفوائد.

وظنت أني من هؤلاء الذين يبيعون دينهم بكلمات وعلاقات، وكلمات هوى وحب وغرام.

قطعت الباب مباشرة : انظري يا أختاه، أنا أتوقع من باب خبرة أنك لم تصلين إلى هذا الوضع، إلا بعد مشاكل، قطعت حبل الوداد بينك وبين من هم بقربك، فأردت أن تبحثي عن محبة ولو بالحرام، فلا بأس إن كان عندك مشكلة نحلها لك ونخبرك بعلاجها، أختاه، أنا لست ممن تريدينهم للعبث، أنا شخص آخر، داعية إلى الله وكفا، وحالتك هذه ليست أول حالة، فهاتي ما عندك، ومباشرة، لم تتأخر، وفتحت قلبها: وقالت يا أخي اسمع، وذكرت لي ما يشيب له الرأس!!

أنا يا شيخ ماني فتاة أنا أم!! وعندي أربعة أطفال، ساعة وخمس وأربعين دقيقة، وأنا أسمع فقط، لأبشع المشاكل، الاجتماعية التي فرضتها تقاليد عمياء، قالت: اسمي حنان (اسم مستعار) وذكرت لي أنها تزوجت بابن عمها، وعاشوا بضع سنين، حتى أنار بيتهم أربع أبناء أكبرهم ثالث متوسط، وإذا بالزوج يتغير فجأة، خالط رفقاء سوء (وسأختصر حوادث أليمة) : ومما فعل بعد التغير :

القصة الأولى :

تخيل يا شيخ يدخل في وقت متأخر ويصيح في وجهي ويقول سويلي فنجالين شاي، عندي ضيف، أبشر يبو فلان، وضعت الشاي عند باب الضيوف، وإذا بالمفاجأة، (أشم رائحة عطر نسائي!!! فوااااح) يالله، أنا مجنونة، وإذا بالغرفة أشبه بالسكون، كأن لا أحد فيها، ساعة ساعتين، والشاي لم يتحرك، وبعدها خرج هو وضيفه (أقصد ضيفته !!) دخل وقلت له : أنت كاذب، كان عندك مرأة !!! ما كان عندك رجل، فصرخ في وجهي من باب (خذوهم بالصوت) وارتفع صوته، حتى تسكت، قالت : خلاص أنا غلطانه (خافت على الأبناء أن يخافوا) وهو يزيد حتى تنسى مفردة (الصراحة) والاعتراض على أفعاله الهوجاء.

القصة الثانية:

تخيل جاؤه زملاء السوء (وتأكد هذه المرة أنهم رجال)

وأعددت له الشاي، ووضعته عند باب الضيوف، وطرقت الباب، وإذا بي أفاجأ بزوجي يقول: ادخلي!!! يالله

دارت علي الدنيا ودخلت مذهولة، ثم دخل علي مزمجرًا، لماذا لم تدخلي؟

كيف يبو فلان؟؟ رجال أجانب؟!!

إش المشكلة تغطي وتعالي؟

وضربني ضربة على وجهي وإذا بي ساقطة على الأرض.

المهم، انهال علي بكل جوارحه ضربًا مبرحًا، وإذا بي أنظر إلى الباب وإذا بي أجد من يفتحه ويريد أن يدخل علينا، ورأيت طرف (شماغ) رجل من أصحابه يريد أن يفك النزاع (بل يريد أن يكشف عورات البيت).

وقفزت متحاملة، من الخوف أن ينظر لي رجل غريب، إلى الحمام وأغلقت علي الباب ودخل فعلًا زميله، وأخذه وهو يريد أن يكسر الباب!!

القصة الثالثة:

دخل علي مرة لأفاجأ بأول مرة أنه (سكران وثمل) ما هذا يبو فلان؟؟

إش لك دخل!!! ما لك صالح، أنت مجنونة!! سبني ووجدت عنده في غرفته حبوبًا وما يستخدمه الزناة دائمًا، (ويكفي التلميح) على كل، حال تواصلت قصتها الأليمة، وقالت: عدت إلى أهلي، وكان والدي قبلي قبلية جهلاء، فقال لي: مالك إلا ولد عمتك، وإذا فكرت في الطلاق، فإن طلقك، فإن أمك وراك (يعني سأطلق أمك) وتكلمت (وكانت عيني وقتها قد اغرورقت بالدموع).

المهم يا أحبابي، ختمت : ما الحل يا شيخ؟!

قلت: الحل هو هذا، وكلمتها بما فتح الله علي وقتها، وذكرتها بالله، أنذرتها

مما هي مقبلة عليه من المعاكسات، فقاطعتني: تصدق إنك أول من اتصلت عليه، والحمد لله أني لم أقع في الشر، بل أرسلك الله لي، بهذه الصدفة، وجزاك الله خيرًا على ما قدمته لي، سأدعو لك عند كل صلاة، نعم الحل، جزاك الله كل خير يا شيخ (؟؟؟؟).

(ويعلم الله أن لفظة شيخ بعيدة عني بعد المشرق عن المغرب ولكنها أمانة النقل).

ختام الفصل:

كانت هناك اتصالات، حتى استقام حالها تمامًا، وفاجأتني باتصال منها، في أحد الأيام:

وقالت جزاك الله كل خير، أسأل الله أن يجزيك عني خير الجزاء، على كل حال، عندي لك بشارة، خيرًا إن شاء الله، قالت: اليوم فيه محاضرة بأحضرها مع مجموعة نساء، وهي بحول الله عن موضوع (لا تحزن).

قلت : ما شاء الله بتبدئين حضور المحاضرات، الله يثبتك، وكانت المفاجأة، قالت: أنـــا التي سألقيها!! لا إله إلا الله !! ستلقين محاضرة، يا رب تقبلها مني، بين يديك، واجعلها خالصة لوجهك، صحيح، ولم أتمالك نفسي (فانهمرت دموعي) واستأذنتها في أن تكلمني بعد المحاضرة التي ستلقيها الداعية (حنان)!!

المهم، وفعلًا ساعة ونصف محاضرة رائعة، وإقبالها جيد، دعمت أقوالها من الكتاب والسنة، ومن كتاب الشيخ عائض القرني «لا تحزن»، واضطررت ختامًا بأن أصلها بداعيات يقمن بثباتها، وتثبيتها، ويصلنها فأنا لا أستطيع، أن أتواصل دائمًا فلا بد من بني جنسها وانقطعت عنها، وأرسلت لها رسالة بأني أستأذنها، وتستطيع إكمال الدرب مع أخوات لها، وانتهت اتصالاتها، ولم تنته قصتها!! ولكن لا أدري عما حدث معها مؤخرًا أسأل الله لها الثبات، ولي ولكم جميعًا.

هذه قصة حنان (المعاكسة التي أصبحت داعية!!!)

وهذه القصة ليست من نسج الخيال، فأنا من عشت فصولها، وأؤكد أني لا أذكر هذه القصة من باب (الرغبة في المدح) ولكني أعلم أنكم لا تعرفون عني شيئًا، فأنا أقرب للمجهول، أسأل الله الإخلاص، وأن لا يجعل لإنسي فيها حظًا ولا نصيبًا .



(فتيات والذئاب)
مجموعة من القصص الواقعية المؤثرة

إنها اعترافات وشكوى، بثتها قلوب جرحى وعقول حيارى، ودموع سلوى، بعد أن خطفتهن يد الغفلة فألبستهن رداء التائهين، وعزفت على أوتاره شحب المذنبين.. فعدن إلى طريق المهتدين وسلك الهادين وندمن على عمر ولى في دروب الهالكين.

فهذه الرسالة.. أبعثها لكل فتاة ولسان حالي يقول:

يا أختنا توبي لربكِ واذرفي الدمع الغزير
صوني عفافكِ يا عفيفة واتركي أهل السفور
لا تسمعي قول الخلاعة والميوعة والفجور
فستذكرين نصيحتي يوم السماء غدًا تمور
في يوم يصيح الظالم يا ويلتاه ويا ثبور

فاحذري يا أخية واعتبري قبل فوات الأوان.. فأنتِ الأم والأخت وأنتِ الزوجة والابنة.. أنتِ أمة.. فإن صلاحكِ صلاح للأمة وفسادكِ فساد للأمة.

فهلا أدركتِ معنى الخطر؟؟

فيا أختي، احذري من هذا الداء العضال فأنا ناصح لكِ فما جمعنا هذه القصص والمآسي المؤلمة إلا لتكون عظة للمعتبرين ويقظة للغافلين ونورًا يضيء طريق السالكين.. فأسأل الله أن يحفظ لنا أمهاتنا وزوجاتنا وأخواتنا وبناتنا وسائر نساء المسلمين.

فلا تنسونا من خالص الدعاء في ظهر الغيب..

ضيعتني مكالمة[1] !!!

إنه كاذب مخادع، لا يستحق مني إلا الازدراء استغل حبي له وانجذابي نحوه ولطخ سمعتي وشهر بأسرتي وأثار الشبهات في كل جانب من حياتي .

تكفكف «فوزية» وهي فتاة في عمر الزهور، ينسكب دمعها الساخن وتقول بصوت هامس أقرب إلى النحيب: اكتبوا قصتي على لساني حتى تتعظ كل غافلة وتفهم الدرس كل شاردة من تقاليدها ومبادئ أسرتها.

تخرجت فوزية من الثانوية العامة، لم تدخل الجامعة لأسباب كثيرة. إلا أنها عوضت تعثر الدخول إلى ساحات الجامعات الفسيحة، بأمل دغدغ حواسها وعواطفها مثل أية فتاة في سنها، كانت آمال وأحلام فوزية تكبر كل يوم أن تكون زوجة وأمًا لأطفال. ترعى بيتها، وتحضن صغارها.

ربما استعاضت عن الجامعة بأحلامها الكبيرة والصغيرة. لم يكن يشغلها غير اتساع طموحها كل يوم، بل في كل ساعة.

ولحظة وفجأة، دخل شاب في حياتها. تقول فوزية وقد استعادت رباطة جأشها، وكأنها تصرخ ليسمعها جميع من في آذانهم صمم:

تعرفت عليه من خلال الهاتف. أوصلتني به شقيقته. وتربطني بها صداقة عمر وذكريات صبا. فاجأتني ذات مساء ونحن نتجاذب أطراف الحديث عبر الهاتف:

- قالت: ما رأيك في أخي؟
- قلت: ما له، إنه إنسان طيب مثلك تمامًا.
- قالت: لا أقصد ذلك بالتحديد.

---

(١) جريدة عكاظ / العدد : ١٣٣٨٣- الصادرة في يوم : الجمعة ١٦/ صفر/ ١٤٢٤هـ .

- قلت: وماذا تقصدين؟
- قالت بجرأة: ماذا لو تقدم لخطبتك.
- صرخت فوزية: لا، لا، يا صديقتي ليس بعد، أنا في بداية الطريق ولا أود التعجل في هذا.

شعرت بنبرة أسى في صوت صديقتي، يبدو أنها عاتبة عليّ، ياه لقد أغضبت صديقة عمري، أكملنا المحادثة في ذلك المساء، وجلست أفكر لوحدي، تبعثرت الأفكار، وصرت مثل السفينة التي تتلاطمها الأمواج يمنة ويسرة، أصارحكم القول: مشاعري لا توصف، ها قد جاءني عريس.

بعد أيام عاودت صديقة العمر لتجدد الطلب من جديد، وخارت مقاومتي أمام طموحي في أن أكون أمًا وزوجًا وصاحبة قرار ورأي، وعدتها بالتفكير ولم يطل الانتظار، لقد منحتها موافقتي بلا قيد أو شرط.

بدأت أحادثه ويحادثني عبر الهاتف لساعات طوال، صرت مأخوذة به وبحديثه المعسول، لم أسمع كلامًا حلوًا مثل هذا في عمري، يا حياتي! حبيبتي. تطورت العلاقة بيننا، صرنا نرسم مستقبلنا وأيامنا القادمات في خيالاتنا الواسعة، شكل عش الزوجية الذي سيحتوينا، أطفالنا القادمون، رحلاتنا التي لن تنتهي، تقاسم العواطف، الإيثار والتضحية، ثم الصبر.

لم تمض مدة طويلة على هذا الحلم قررت أن أضع حدًا لهذه العلاقة من جانبي لا تسألوني عن الأسباب، فإذا عرف السبب بطل العجب، تقول فوزية: حاول أن يثنيني عن قراري ألح علي ألا أسارع بشيء وأن أنتظر إلا أنني مضيت في سبيلي، «أنا لا أحبك اتركني لشأني».

مثل كل شاب أناني متغطرس جنَّ جنونه، هددني تحول القط الأليف إلى حيوان مفترس خبيث، بدأ في ابتزازي بصورة أهديتها له، قال: إنه سيبدأ في توزيعها لتشويه سمعتي إن لم أتراجع عن قراري، فزادتني نذالته شدة على موقفي، ونفذ الخائن ابتزازه وتهديده، بعث بصورتي إلى والدي، تصوروا!!

كاد أبي أن يقتلني حاولت إقناعه بشتى الصور بكيت أمامه، اسمعني يا أبي، أقسم لك أنني بريئة، هذا الوغد وعدني بالزواج ووافقته ثم رفضته، لم يصدقني أبي الحبيب لقد فقد ثقته فيّ لم إلى الأبد!! .

ما زلت أعاني، أنا بين نارين؛ والد عزيز سحب من تحت قدمي كل عوامل الثقة، وشاب خبيث أحمق ما زال يتوعدني ويلاحقني باتصالاته المتكررة، ليسَ أنا وحدي، بل شقيقاتي بصورة انتزعها مني بواسطة شقيقته، لم يقف عند هذا الحد، بل يمضي في ابتزازه وتهديده لي ولكل من حولي بأنه سيلجأ للسحر لاستلاب موافقتي للزواج منه.

أنا أموت كل يوم ألف مرة!! .



الحجاب الفاضح[1]

لم يكن يدور بخلدها أن الأمر سيؤول بها إلى هذا الحد، فقد كان الأمر مجرد عبث بسيط بعيد عن أعين الأهل، كانت مطمئنة تمامًا إلى أن أمرها لا يعلم به أحد!! حتى حانت ساعة الصفر ووقعت الكارثة!!

زهرة صغيرة ساذجة يبتسم المستقبل أمامها، وهي تقطع الطريق جيئةً وذهابًا من وإلى المدرسة. كانت تترك لحجابها العنان يذهب مع الهواء كيفما اتفق، ولنقابها الحرية في إظهار العينين. وبالطبع لم تكن في منأى عن أعين الذئاب البشرية التي تجوب الشوارع لاصطياد الظباء الساذجة الشاردة.

لم يطل الوقت طويلًا حتى سقط رقم هاتف أحدهم أمامها. فلم تتردد أبدًا في التقاطه! تعرفت عليه فإذا هو شاب أعزب قد نأت به الديار بعيدًا عن أهله، ويسكن وحده في الحي!

رمى حول صيده الثمين شباكه، وأخذ يغريها بالكلام المعسول، وبدأت العلاقة الآثمة تنمو وتكبر بينهما، ولم لا والفتاة لا رقيب عليها فهي من أسرة قد شتت شملها أبغض الحلال عند الله، وهدم أركانها الخلاف الدائم، فأصبحت الخيمة بلا عمود يحملها، وسقطت حبالها، فلا مودة ولا حنان يربطها.

ألح عليها أن يراها، وبعد طول تردد وافقت المسكينة. وليتها لم توافق، فقد سقطت فريسة سهلة في المصيدة بعد أن استدرجها الذئب إلى منزله ولم يتوان لحظة واحدة في ذبح عفتها بسكين الغدر وافتراسها!!

ومضت الأيام وهي حبلى بثمرة المعصية، تنتظر ساعة المخاض لتلد

(١) موقع صيد الفوائد.

جنينًا مشوهًا ملوثًا بدم العار، لا حياة فيه ولا روح!! وتكتشف الأم فتصرخ من هول المفاجأة، فكيف لابنتها العذراء ذات الأربعة عشر ربيعًا أن تحمل وتلد؟!!!

أسرعت إلى الأب لتخبره وليتداركا الأمر ولكن هيهات، فالحمامة قد ذبحت ودمها قد سال!! والنتيجة إيداع الذئب السجن. والفتاة إحدى دور الرعاية الاجتماعية، البداية كانت الحجاب الفاضح والنهاية[1]!!!



(١) أيها المعاكس قف / إعداد : القسم العلمي بدار الوطن .

اعترافات طالبة!!![1]

أستاذتي الكريمة: ها أنا سأودع أيام الدراسة، ولكنني لن ألوح مودعة إياك، بل سأمد يدي إليكِ مستغيثة، راجية ألا تتركيني وحيدة، أتخبط في الظلمات، وتأكل قلبي الحسرات.

سأبوح لكِ بسري، وأشكو مأساتي، أحكي قصة عذابي وضياعي، وقصة صحوتي، سأحكيها صريحة، لأنني صادقة في التماس العون.

فاعذريني إن كنتُ جريئة في شكواي، إلى حد يخرجني عن دائرة الجرأة إلى شيء لا أحب أن أسميه.

ستقرئين صفحات سوداء شوهاء من صفحات عمري ما عدا الأسطر الأخيرة منها، ستجدين كلماتها خُطت بدموع التوبة وحرقة الندم، عدت من دروب التائهين، صحوتُ من نومة الغافلين، ألم الصدمة صحاني وصوتك أعادني.

سأجيبك بصراحة، سأعرفك باسمي ورسمي، كما هو، وكما عرفه كل من حولي.

أنا «رشا» الآثمة، أنا «رشا» المستهترة، هذا ما قاله الناس عني، وعرفته حقيقة موحشة في ذاتي.

أنا الطالبة الكسولة الوقحة، أنا الطالبة الخمولة «رشا» أجلس دائمًا في المقاعد الأخيرة منحنية الظهر مطأطئة الرأس، مختلية من أحزاني، أو سارحة مع أحلامي، أحلق، أسرحُ مع أحلام الوهم، لكنني في حصتك الدراسية، كنتُ أسقط من عالم الأحلام إلى عالم الحقيقة، لأنكِ تداهمين خلوتي دائمًا، وتخترقين عالم أحلامي، تلقين عليه بضع كلمات، فتتهاوى جُدُره اللامعقولة فوق رأسي، وتغدو سرابًا، وأعود إليكِ، أبقى معكِ كل

(١) موقع صيد الفوائد.

الدرس، وأنت تجوبين ببصرك وبصيرتك بيننا، تنبهين كل طالبة شاردة، وتنشطين كل طالبة خمولة، تؤانسين كل طالبة منزوية بمداعبة لطيفة.

أما أنا فكنت كلما حط بصرك عليّ رفعت رأسي، وشددت ظهري، وخرجت من عالمي السحري. كنت معكِ معظم أوقاتي، بينما كنتُ منبوذة من معظم مدرساتي. منهن من تواصل تقريعي، ومنهن من تتحاشى الحديث معي، أو حتى النظر إليّ، خوفًا من كلمة فظة أقولها، أو نظرة وقحة أرسلها، وحدك أنتِ عاملتِ «رشا» الوقحة، ذات العينين الساخطتين الحائرتين على أنها طالبة، فأحببتك رغم حزمك، وأكبرتُ فيك صفاتٍ أنكرتها على نفسي.

أحببتك، رغم أن قلبي القفر ما كان يعرف الحب لأحد، كان قلبًا مقفرًا من كل الأحاسيس، إلا أحاسيس الكراهية والحقد والسخط على كل الناس.

أنا أعرف قلبكِ الذي عودته حب الناس يفر من لقاء القلوب الحاقدة، لكن دعيني ألتقيك لقاء الحاجة، حاجة الأرض العطشى لقطرات ماء.

فاسمحي لي أن أفضفض لكِ، واستمعي لحكايتي:

قبل سنوات كنت إنسانة ككل الناس، فتاة خلوقة، طالبة مهذبة، أنعم بحضن الأب وحنان الأم، وجو الأسرة، أمضي إلى مدرستي، تلاحقني توجيهات أبي، وملاحظات أمي، أهتم بدروسي أحترم مدرساتي، أحب أهلي وصديقاتي إلى أن جاء اليوم المشؤوم، يوم سافر أبي إلى موسكو، ليتاجر، ليجمع المزيد من المال.

كم حسبتُ لهذا اليوم، كم تهيبت مجيئه، ولما أزفت ساعة السفر لجأت إلى فراشي، أغرقتُ وسادتي بالدموع، وأغرقتُ نفسي في بحر من الحزن، تصنعت النوم، وما بي نعسة.

ما أقساها من لحظات ما أقسى لحظات الوداع، ولاسيما عندما لا يقول: المودع إلى اللقاء في غدٍ أو بعد غد، أو في الأسبوع القادم، لم يقل أبي شيئًا من هذا القبيل، بل راح يبرر سفره في نقاش كان بينه وبين أمي:

- قالت أمي بلهجة حزينة: لقد أتعبتني بكثرة أسفارك، في كل سفر

أقول: أسبوع ويمضي، شهر ويمضي، عساه أن يكون آخر سفر، لكن سفرك هذا طويل ستغيب عنا سنة كاملة، كم ستكون أيامها طويلة وصعبة!

- قال أبي: بل ستكون أيامها أقسى وأطول عليّ، أنتِ هنا بين أولادك، أما أنا فسأكون هناك غريبًا وحيدًا.

وهبت أمي متشبثة بكلمات أبي، علها تثنيه عن عزمه، أو تقصر من طول غيبته:

- ما دام السفر شاقًا عليك، ومرهقًا لك، لماذا اخترته؟

- إنها متطلبات الحياة يا زوجتي، الحياة تطلب منا هذا، رغم كل هذا السعي لم ننل ما نريد!!

- إذن سنظل نلهث وراء متطلبات حتى نموت، أنا لا أريد منها كل هذا، أريدك بقربنا، أريدك قرب أولادك.

- لا تنسى أنك زوجة تاجر، وعليكِ أن تدفعي جزءًا من ثمن حياة الترف التي تعيشينها.

قالت أمي بحرقة ورقة:

- هل ينبغي على زوجة التاجر أن تدفع ثمن زواجها منه بُعده وانشغاله عن بيته وأهله؟

ارتفع صوت أبي قال بحدة:

- ماذا تقولين؟ وهل أسعى إلا من أجل بيتي ومن أجلكِ؟

رن الجرس، كانت السيارة بانتظار أبي، وحمل أمتعته وقال كلمات الوداع على عجل:

- اهتمي بالأولاد يا زوجتي، ولا سيما بـ «رشا» صارت صبية، الأولاد أمانة في عنقكِ، حافظي على الأمانة.

- قالت أمي: لك ما تريد، لكن أرجوك ألا تترك أحدًا يتدخل في شئون بيتي، يكفينا منهم أن يوصلوا إلينا مواردنا المالية.

- قال أبي: لكِ ما تريدين، سأفعل، سأتصل بهم من موسكو، وداعا، وداعًا، وأغلقت أمي الباب وراءه.

خرج أبي، وخرجت معه فرحةُ بيتنا، وتداعت أسواره، ذهب أبي وترك الأمانة في عنق أمي، أمانة خمسة أولاد أكبرهم أنا، ولم تكن أمي أهلًا لحمل الأمانة، فقد ناءت بالحمل فأردته من فوق عاتقها، وارتمت متهالكة على فراش المرض، صارت في غيبوبة شبه دائمة عن الدنيا، تصحو بضع ساعات في يومها وليلها.

فقد دمرها أبي، أبي الذي طاب له المقام في موسكو، انتظرناه عامًا وعامين، تقلصت علاقته بنا مع مرور الأيام، ما عاد يتصل بنا، إذا ما اتصلنا به تهرب من الحديث معنا.

سمعنا أنه تزوج من امرأة روسية، سمعنا أنه وهب حياته للهوى، الشائعات كثرت حوله، ما أهمني منها أن أبي صار لغيرنا.

هنا كانت نقطة الانعطاف في مساري، وفكرت أن أنتقم من أبي لكن كيف؟ أبي كان يقول عني: «رشا» الشقية، فلأكن مثلما قال سأسلك سلوكًا لن يرتضيه لي، وإن ارتضاه لنفسه.

من سيمنعني من هذا؟ أبي غائب، أمي مريضة، الأقارب لا علاقة لهم بنا.

انحسر ثوبي، وضاقت ملابسي صرت ألبسها لكشف مفاتني لا لسترها، وصار همي الأكبر أن أرى نظرات الإعجاب تلاحقني، بادلت النظرة بنظرة، والابتسامة بأعرض منها، والكلمة بجملة، التف الشباب حولي، منحتهم كؤوس الغرام بلا مقابل.

في بادئ الأمر راقت لي هذه الحياة، واستعذبتُ المسير في هذا الطريق، وحاولت أن أدل بعض صديقاتي عليه، نجحتُ أحيانًا وفشلتُ كثيرًا.

ثم ماذا بعد؟! لا شيء سوى الخيبة، الشبان الذين منحتهم ودي رفضوني خطيبة، صديقاتي هربن مني على أنني جرثومة يخشين من فتكها، الأقارب جعلوا مني سيرة غواية وضلال.

تجرعتُ ما استعذبته في الأمس ذلًّا وهوانًا، صَغَارًا وحيرة، خرجت

من طريقي إلى اللاشيء، لا، لا ليتني خرجت إلى اللاشيء، خرجت بحمل كبير من الهوان، والضياع، والوحشة، آهِ ما أظلم دروب التائهين! آهِ من مرارة سؤر الكأس التي يعب منها الغافلون، آهِ من ظلم أبي، الظلام يغرقني، المرارة تحرق كبدي.

لكن كلماته كانت شعاع نور اخترق دياجير نفسي، كانت قطرات ماءٍ أشعرتني بشدة ظمئي، كانت يوم ميلادٍ جديد لحياتي.

ففي ليلة ذلك اليوم - يوم مولدي - كنت جالسة إلى الهاتف، أقطع الوقت بحديث مع أحد الشبان، بعد أن نام إخوتي، وراحت أمي في غيبوبة، بعد أن تناولت القرص المهدئ.

كنت ليلتها مسرورة، أتكلم بصوت مرتفع، أضحك أغني، لم يكن في حديثي معه ما يُكتم، فإذا ضحكت قال لي: ضحكتك أشبه بقرع الطبول، وإذا غنيت قال لي: غناؤك أشبه بصوت الطاحون، وإذا تحدثت قال لي: أحب الكلام المعسول، كان ينال من كل شيء فيَّ، يسخر مني، وكنت أتقبل منه كلامه على أنه مزاح، وهكذا بقيت في أخذ ورد معه، حتى لفت نظري دخان يتسرب من غرفة أمي، صرختُ، استنجدت: أمي تحترق أرجوك، أمي تحترق.

قال لي وربما كان مازحًا: إلى الجحيم، لا خير فيكِ ولا في أمك.

رميت السماعة، هرولتُ إلى غرفة أمي، رأيتها نائمة، وبقية سيجارة تحترق بين أصابعها، والنار تلتهم طرف فراشها. فتحت النوافذ والأبواب، صرخت: أنقذونا يا ناس، أمي تحترق، صرختُ حتى جفت لهاتي، لم أسمع سوى صدى صوتي، يتردد في الليل والظلام.

وهرع إلي أخوة صغار، هبوا من فراشهم مذعورين، وقد لاحت الصفرة في وجوهم، ولوى الذل رؤوسهم، نظروا برعب إلى أمي، ثم جرت أقدامهم الصغيرة إلى المطبخ، حملوا أوعية المياه، صبوها فوق فراش أمي.

عند هذا فتحت أمي عينيها، نظرت في وجوه إخوتي، وابتسمت، عاودني شعور لم أشعر به منذ زمن، شعور بالحاجة إلى أم تحميني، وتدفع عني الأقاويل،

والشائعات، إلى أم ترشدني، فانكببت فوقها، وعانقتها، همست في أذنها: أحبك يا أمي أحبك، أحتاج إليكِ يا سرّ حياتي.

في هذه الليلة - ليلة ميلادي الجديد - لم تنم أمي، بقيت معها حتى الصباح حدثتها وحدثتني، حدثتها بأحاديث شتى، معظمها سمعتها مني كان الحديث نسمة ندية في بيت كاد أن يحترق.

وجاء النهار بعد تلك الليلة الداجية العاصفة لملمت جراحاتي وجئت المدرسة، أنشد، أنشد كلمة طيبة تطفئ أُوَارَ نفسي، وتشفي بعض ما فيّ من آلام.

ابتدأ النهار بدرسكِ. في هذا الدرس استقبلت أول شعاع نور، سأذكرك بذلك، وما أظن أنكِ نسيت. لكني سأذكر ما جرى، استعذابًا لهذه الذكرى.

دخلتِ الفصل، وألقيت علينا التحية، ولأول مرة رددتها بأحسن منها، ثم ساد الفصل سكون عميق وسألتكِ إحدى زميلاتي: آنسة ما عنوان موضوعنا اليوم؟

قلتِ لها: ما دمت متعجلة على طرح الموضوع، ابدئي واقترحي علينا أنتِ وطرحت الطالبة عنوان موضوع وهو: «رصد ظاهرة سلبية تفشت في المجتمع».

ظهر لنا أن الموضوع راق لكِ، فألقيت أسئلة متنوعة علينا، وجاءت الإجابات متنوعة، بعضها سطحي، وبعضها وليد معاناة.

وجاءني صوتك ينادي، بلا استخفاف ولا امتهان «رشا» وقفت بسرعة ورفعت إليكِ رأسي المطرق.

- حدثيني يا «رشا» عن بعض الظواهر السلبية التي تؤلمك. قذفت الجواب بسرعة:

- أنا كلي ظاهرة سلبية يا آنسة.

- فسألتني وطيف ابتسامة على وجهك:

- ماذا يؤلمك من نفسك يا رشا؟

- أكره نفسي، أكره كآبتي، أكره انهزامي وانزوائي، أكره ضياعي، أكره سفر أبي، أكره أحلامي الكاذبة.

رأيت في عينك سحابتين توشكان أن تدمعا وأنتِ تقولين لي:

- صه يا رشا، المؤمن لا يقول مثل هذا.

سرني أن أرى من يوشك أن يبكي لأجلي، ونزلت كلماتك ماء على النار الصاعدة، فأسكنتها، ورحت أستمع إلى حديثك بشغف.

الفتاة المؤمنة يا رشا لا تضيع، فالله سبحانه وتعالى، حدد لها طريق الأمان والفوز، فمشت فيه واثقة الخطى، لأنها تعرف نهاية الطريق، الله خلقنا وهو العارف بما يصلح لنا، فلا تغرنك دعوات الجاهلين، المؤمن لا يستوحش ولا ينزوي.

وهنا قالت لكِ إحدى طالبات الفصل:

- كيف لا يستوحش المؤمن، ولا ينزوي، وهو يعيش مع أناس فسدت ذممهم وساء معشرهم؟!

- أردفتِ أنتِ بنفس الهدوء والسكينة:

المؤمن يبدأ بإصلاح نفسه أولًا، فيكون قدوة لغيره في القول والسلوك، فإذا ما عاشر الناس، كان رحيمًا بهم، مهتمًا بشئونهم، متسامحًا معهم، يدفع بالتي هي أحسن، فيغدو وعدوه وليًا حميمًا، ولو فرضنا أنه عاش في وحشة من الخلطاء، فهو لا يستوحش؛ لأنه يعيش بمعية الله.

المؤمن لا يكتئب ولا ييأس، فأمله موصول بالله، اقرعي باب الله، أدمني القرع عليه، باب الله لا يوصد في وجه من قصده.

المؤمن لا يندم على ما فات، ولا يترك آلام الماضي تهدد مستقبله، وتحول دونه ودون سبيل الفالحين أليس كذلك يا رشا؟؟

كانت كلماتك الهادئة الصادقة تنشر السكينة والرضى فوقنا جميعًا، تشيع في أرواحنا الأنس والعطر، تتسرب إلى ظلمات نفسي شعاع نور، ووميض أمل، تنزلق ماء سلسلًا، تروي ظمأ روحي، تبعث الأمل والحياة في هشيم عمري الضائع.

وها أنا أقف على نهاية المرحلة الثانوية، أستعد لامتحان الشهادة الثانوية، بنفسية جديدة وأمل جديد وعزم جديد، بل بميلاد جديد، أمد إليكِ يدي، فمدي يدك إليّ ساعديني، ساعديني يا أستاذتي الكريمة، ولن أنسى لكِ جميل صنعكِ ما حييتُ[1] .



(١) مجلة النور / العدد : ٢٠٠ .

الفاجعة!!![1]

لم يكن انتقالنا مع بداية الإجازة إلى مسكن جديد أمرًا عاديًا، بل كان حدثًا مؤثرًا في عائلة مكونة من أبٍ وأمٍ وثلاث بنات.

لقد اتسع المكان، وأصبح أبي، وأمي يُقيمان في جناح كامل، وانفردتُ عن أُختي بغرفة مستقلة.

قالت والدتي محادثة أبي وهي فرحة مستبشرة: سندعو جميع معارفنا. الآن فقدت يا زوجي العزيز جميع الأعذار السابقة، ها هو مجلس الضيوف كبير، وذاك مجلس النساء مؤثث بأجمل أنواع الأثاث، وستقضي أنت وأصحابُك أسعد الأمسيات في هذه الحديقة الواسعة.

ردد أبي بفرح عبارات الاستقبال وكأن الضيوف قادمون، ثم أردف بسرعة وبدا أنه يتذكر شيئًا ما.

قال: الآن مع بداية تقاعدي عن العمل، سنملأ منزلنا بهجة وسرورًا، وأنسًا وحبورًا. سيكون يا زوجتي مُلتقى الأحبة والأصحاب هنا، ثم التفت إلى الجميع وهو يقول - وابتسامة جميلة تزين محياه -: آن لي الآن أن أستريح بعد مشوار العمل الطويل، أربعون سنة خدمتُ فيها في مجال عملي، قال وهو يحكي جُهده ويحصدُ زرعه: أحمد الله الذي أنعم علي بنعم كثيرة، هذا أخوكم الأكبر مُدرس في الجامعة، والأصغر يواصل دراسته العليا في الخارج، وأنتُنَّ على أبواب التخرج - الحمد لله - قرت عيني بكم جميعًا فقد جمعتم بين العلم والأدب، واسترجع الذكريات، والتي تُحثه على التذكر.

استند إلى كرسي وسط الحديقة ومدَّ قدميه وقال: الحديث طويل، إنه حديث أربعين سنة!! وارتسمت على محياه مُتعة ظاهرة وهو يسترجع الماضي ويُعدد سنوات عمره، سنة، سنة، سنة!! وأين قضاها ومن هم زملاؤه

(١) موقع صيد الفوائد.

في العمل، ثم التفت إلى والدتي - بعينين ضاحكتين - وأعاد قصة زواجهما منذ بداية خطبتهما، ونحن نستمع ونضحك ووالدتي تعلق بكلمة أو سؤال، ثم تتبعها ضحكة حيية! سعادة لا حدود لها ترفرف على منزلنا، يُجملها محبة والدي لحديثنا ولطفه معنا وتلبية حاجاتنا.

قضينا أشهر الصيف في المنزل الجديد وكأننا في عالم آخر، وكانت الأيام تسير حلوة جميلة، خاصة مع الساعات الطوال التي كنا نجلس فيها سويًا نتجاذب أطراف الحديث.

مع بداية العام الدراسي ظهرت حاجتنا إلى خادمة. فالمنزل واسع ووالدتي تحتاج إلى من يعينها على أعمال المنزل الكثيرة والمتتالية، فكان أن لبى والدي طلب الجميع لاستقدام خادمة بعد تردد وخوف، واشترط استقدام زوجها معها وقال: لا تهم زيادة التكاليف، أنتنَّ أهم عندي من أموال الدنيا كلها! بل أنتنَّ زهرة الدنيا وجمالها!

كان المنزل يحوي ملحقًا صغيرًا يقع في زاوية الحديقة الأمامية أجرينا فيه بعض التعديلات وأصبح ملائمًا لاستقبال السائق والخادمة، ونبه والدي على الجميع بعدم الذهاب مع السائق إلا عند الحاجة ومع زوجته حتى تكون محرمًا له، وأعاد وكرر التنبيه ليُسمع الجميع، وحرك أصبعه وكأنه يتهدد ويتوعد من يخالف الأمر أطرقنا الرءوس استجابة وقبولاً.

أزفت بداية العام الدراسي، وانتقلت أختي الكبرى إلى السنة الرابعة الجامعية، وأختي الوسطى إلى السنة الثالثة الجامعية، وانتقلتُ أنا إلى السنة الأولى الجامعية.

كان حُلمًا يراودني، وكانت أمنية طالما هفت إليها نفسي، ولا يعادل فرحتي بمنزلنا وغرفتي إلا اتساع المباني الجامعية وسعة قاعات المحاضرات وبهاء وجمال الحدائق وتنسيقها.

فرحتُ بالجو الجامعي الجديد، وكان أن واجهتني ثلاث عقبات مع بداية المرحلة الجامعية: الأولى: نظام الساعات وترتيب المحاضرات ومعرفة مكانها، والأمر الثاني: التعود على الجو الدراسي الجامعي.

أما الأمر الثالث: فهو تفرق رفيقات الصبا وزميلات المرحلة الثانوية التي أعتبرها من أجمل أيام حياتي وأكثرها سعادة ومرحًا.

بدأتُ الدراسة في القسم الذي اختارته وتحمست له أختي الكبرى، ولكنني مع مرور الأسبوع الأول أحسست بعدم رغبتي في هذا التخصص، بل وكرهي له، عندها قررت الانتقال إلى قسم آخر، وكان هذا القرار نقطة تحول في حياتي أيضًا.

مع هذا التحول فقدت من تعرفت عليهن في القسم الأول وبدا من الصعوبة بقائي وحدي أثناء الفراغ بين المحاضرات، فكنت أهرب لأسلم وأحادث زميلات القسم الأول، ولكن لم تطل غربتي في هذا القسم الجديد سوى أيام قليلة، حتى بدأت ضحكاتنا تتعالى ومعرفتنا ببعضنا تزداد، وعندها بدأت أنسى زميلاتي السابقات، بل وزميلات المرحلة الثانوية حتى باعدت بيننا الأيام وطواهُنَّ النسيان.

كان الجو العام مع الزميلات مرحًا دون ضابط وكنت أسمع النكات والتعليقات لأول مرة، وبسرعة عجيبة تأقلمنا مع بعض، فأصبحنا نوآنس بعضنا بل ونشكو لبعضنا البعض. أما الشوق وحديث الهاتف وكشف خبايا النفس فإنه ديدن تلك الصحبة، بل هو ملحها وجمالها، وفجأة، وقع ما لم يكن في الحسبان.

في هذا الجو الجميل والحلم الأبيض عثرت قدمي، والتهبت عواطفي، صداع لازم فكري منذ أن رأيت ذلك الشاب لأول مرة، شاب يحمل صفات الأدب والخُلق، فها هو منذ شهر وهو بصعوبة وحياء يرفع عينيه نحوي، بدأ قلبي يضطرب عند خروجي من الجامعة وأصبحت عيني تهفو لرؤيته، إنه فارس أحلامي!! حينًا في سكون الليل أتأمل وأستشعر الموقف وأراجع نفسي، وصوت في أعماقي يُردد: لا تفعلي، لا تتقدمي! يا بنية احذري، انتبهي! إياك وهذا الطريق!!

ولكن أسرني بأدبه وملكني بحسن تصرفه! لا زلت أتذكر المرة الأولى التي رأيته فيها وكانت سيارته بجانب سيارتنا، ولكن للطفه وحسن أدبه

انتحى جانبًا وأفسح لنا الطريق، لم يُصوب نحوي عينًا ولم يتفوه بكلمة مثل بعض الشباب، ما أجمل خلقه وما أنبل فعله!!

بدأتُ أسارع بالخروج من نهاية المحاضرة الأخيرة، وأجري في الساحة وأنا أحمل قلبي المضطرب لكي ألقي نظرة عليه، ربما يمرُّ يومان أو ثلاثة لا أراه، فتتغير مشاعري ويسرح فكري.

ولكن أزال ذلك كله ما عطر سمعي من كلمة سمعته يلقيها إليّ وهو بجوار سيارته ويفسح لي الطريق بقوله: تفضلي!!

بقيت نبرة صوته ترن في أذني حتى خالطت شغاف قلبي وسرت في دمي، «تفضلي»، بتلك النبرات الحنونة فتح لي عالم السعادة وأبواب المحبة، لا زلت أتودد وأتقرب إلى عقلي بمحبته لحسن خلقه وأدبه فقط!!

وأخادع نفسي، ماذا تؤثر نظرة؟ وإلى أين تؤدي كلمة؟! وهل أنا ضعيفة إلى هذه الدرجة؟! أين الثقة في النفس؟! ثم تأخذني العزة والكبرياء التي ينفخ فيها الشيطان من روحه، فأقول: وهل أنا قشة في مهب الريح ليعبث بي؟! وهل أنا ساذجة لأكون فريسة جاهزة؟ ويُجيب الشيطان نيابة عني: أنا امرأة ناضجة، أنا فتاة متعلمة، أميز وأعرف مصلحتي، لا خوف علي.

سارت الأيام سريعة حتى رأيتُ بأم عيني تبسمه عندما رآني، فكان أن عاجلت عيني بالهروب من عينه، ولكن قلبي زاد خفقانه وارتعشت مفاصلي وسرى في دمي حديث النفس، ما أجمل الابتسامة!! مع دخول فصل الشتاء. وفي يوم غائم بدأ رزاز المطر يداعب المارة، فهذا يهرب بسرعة وذاك يتقي قطرات المطر بيده.

في ذلك اليوم الذي لن أنساه طول حياتي، ألقى إلي بهمسة حانية وكلمة دافئة، واقترب من نافذة السيارة ثم وضع ورقة صغيرة اخترقت المسافات بيننا لتصل إلى يدي!! سارعت لإخفائها، بل والتلهف إلى ما فيها، فإذا برقم هاتفه، تسللت تلك الورقة مع أطرافي المرتعشة لتلامس مشاعري وأحاسيسي!!

وعندما هويت على سرير غرفتي، تناولت الورقة وقرأت ما بها مرة وثانية وثالثة.

بكيت بحرقة وندم، كيف أفعل هذا؟ وهل يُرضي الله عز وجل ذلك؟ وغدًا كيف إذا حُوسبت على كل خطرة وهفوة، كيف إذا وسدت في القبر، كيف أقود نفسي إلى الهاوية، وأبي، وأمي، وعائلتي، ومستقبلي، عندها ضج الكون في أذني.

وسقطت دمعات إيمانية لتروي ظمئي وحاجتي إلى التوبة والعودة والرجوع والأوبة، وحدثت نفسي وأنا أمسح آخر دمعة: إلى هذا الحد يكفي، وتوبي قبل أن تندمي.

مع تقلب الأيام وقلة المُعين وضعف الإيمان عصفت بي العواصف، وتلا ذلك كله لحظات فرح وسكون، وصراع نفسي قاتل، وتردد في المحادثة.

عندها بقيت أيامًا لا يقر لي قرار ولا يستقيم لي أمر، ولا أهنأ بنوم، بل صاحبت الدمعة، ورافقت الشكوى، ولم يفارقني الأنين والتوجع.

بعد أسبوع من العواطف الجياشة ولحظات الندم المتتالية، بقيتُ ليلة استعصى عليَّ فيها النوم، ساهرة أتقلب من الفراغ القاتل على أحرّ من الجمر، وكانت الخطوة الأولى في ليلتي تلك.

عبثت أصابعي برقم هاتفه، حتى وصلت الرقم الأخير، عندها سارعت إلى التوقف وأعدت سماعة الهاتف مكانها، مرت محاولة أولى وتبعتها ثانية وثالثة وأنا لا أكمل الرقم الأخير، ثم تلي تلك الليلة محاولة جامحة لسماع صوته فحسب، وأقنعت نفسي بهذا الأمر، فقط لسماع صوته، وهل يُجيب بنفسه أم لا، وهل يحب السهر أم لا؟ وكان عذرًا مقنعًا لي، فكان أن عبثت برقم هاتفه بسرعة وبقوة حتى سمعت صوته، أعاد لقلبي نشوة اللحظات الأولى عندما سمعت صوته، (تفضلي).

بدأتُ في أيام أخرى أشتاق إلى صوته فلا أتردد في ذلك، حتى لم أعد أطيق الصبر عن سماع صوته كل يوم، وأصبح من سعادتي اليومية أن

أحتفي بسماع نبراته الحنونة.

بدأ عواء الذئب يتسلل إلى قلبي، وتحول ذلك الصوت القبيح إلى صوت تطرب له أُذني وتهتز لحضوره مشاعري، نعم لقد كان صوت الذئب جميلًا ورخيمًا، ويفيض عاطفة وسحرًا، وما علمت أن أصوات الذئاب كذلك حتى سمعته بأذني وهش له قلبي، عندها أسقطت حاجز الخوف من الله عز وجل ومن محادثة الرجال، الأمر عادي وما وضعته كان هالة من خوف الماضي وقسوة التربية.

وحدثت نفسي، انطلقي خارج القيود، تحرري من الأوهام، إنه فارس أحلامك ونشوة حياتك، تمتعي بالشباب والجمال، أشبعي حاجاتك العاطفية والنفسية، سنوات عمرك تمر ولم تسمعي كلمة حب مثل غيرك من الفتيات، وصرخ الشيطان في أذني: كل الفتيات لهن أصدقاء، لماذا تخافين من خوض التجربة، هل أنتِ ضعيفة إلى هذا الحد؟ ما الذي يؤخرك؟ وأين الحاجز الذي يمنعك؟ حطميه، أسقطيه، وانطلقي كما تُحبين.

تغير نمط حياتي وأصبح نهاري ليلًا، وليلي نهارًا، جرس الهاتف له رنين في قلبي، بل ربما تناولت سماعة الهاتف مرات عديدة لتوهمي أنني سمعت رنينه، حرصت على البقاء في المنزل وعدم الذهاب مع أسرتي للزيارات والأفراح خوفًا من أن يهاتفني فلا أسمع صوته.

نعم قسوت على نفسي، حتى تركت أفراحًا أُحبها وأتمنى حضورها، بل لم أعد أستمتع بحديقتي الصغيرة التي كنت أعتني بها من قبل وأتابع نمو شجرها وتفتح وردها، وأصبحت بسمة أبي الجميلة وفرحة أمي الحنونة سيفًا يؤرق مضجعي، وصوتًا يؤنبني.

بل أهم من ذلك كله صلاتي التي أصبحت أؤديها بدون خشوع ولا خضوع ولا حضور قلب، وأحيانًا يصادف وقت محادثته صلاة المغرب ولا أقوم للصلاة إلا بعد أذان العشاء، وكأن الأمر لا يعني شيئًا.

لقد استبدلت تلك الضحكات الجميلة والنكات العذبة مع أهلي وأختي

الوسطى خصوصًا، بشرود دائم وتفكير مستمر، وتساؤل يهز قلبي هل اتصل؟ وماذا قال؟ وماذا سأقول له؟ ويا ترى هل غضب مني؟ وكيف يفرح؟ وبماذا أتقرب إليه؟

همّ متصل وتفكيرِ دائم، وقلق واضطراب، أصبح هو الوحيد في قلبي وفكري ومشاعري، فلم أعد أرى أحدًا في الدنيا سواه!!

مرت الأيام تثقل كاهلي وفحيح صوته يتسلل إلى قلبي، وسرت معه في طريق مُظلم ودرب متعرج، محادثة ومهاتفة، ورؤية ومشاهدة

حتى وقعت بسرعة عجيبة في أردان الفاحشة، وما كنت أظن أنني سأكون كذلك أبدًا، في يوم أعدت حساباتي وأرقني سوء صنيعي فحاولت أن أبتعد عنه، وقررت أن أنهي الأمر معه، وأهرب من ظلام المعصية إلى نور الطاعة، ومن السعادة الزائفة إلى الفيء الجميل والظل الظليل، حاولت أن أنهي كل شيء.

تعذرت بالدراسة وبمشاغلي داخل المنزل وبقرب أختي مني وخوفي من سماعها مكالمتي له، حاولت واجتهدت في ذلك.

وقلت في نفسي: لا تهم مشاعري وعواطفي في سبيل أن أبتعد عن المزالق، وعندما احتد النقاش وثارت ثائرتي، كان لي بالمرصاد وقال بصوت حزين وهو يسترجع الذكريات معي، ويردد كلمات الحب والإعجاب وقاربت دموعه أن تتحدر على خده.

قال وهو يظهر أنه حريص: لا تتركيني، كيف أصبر عنك؟ لا تكوني قاسية، لا تكوني ظالمة، وأظهر ألم الفراق، وقلة الصبر، والشوق إلي ولكني تجلدت وصبرت وقلت: لا أريد هذه العلاقة ولن أستمر فيها ولا يومًا واحدًا.

ولما رأى عزمي وإصراري تبدلت اللهجة وتغيرت النبرة واختفت الدمعة، وكشر عن أنيابه وقال: ماذا تفعلين بماضيك الجميل معي، وتلك الصور، وشريط التسجيل، إلى أين تهربين، ولمن تذهبين، أنتِ خائنة، لقد تعرفتِ على شاب غيري.

احترت في أمري وتوالت لحظات الضعف على قلبي وانهمرت دموعي، فعدت إلى طريقي مرغمة كارهة بعد أن كنت طائعة موافقة، بدأ يقودني بلا رحمة إلى حيث يريد، واستغل عواطفي ولعب على جراحي.

وأخيرًا، عدت إلى نقطة البداية والوعود الجميلة، وسألته: أين وعدك لي بالزواج والسعادة والبيت الصغير والأحلام الوردية، وأين ابننا الذي سوف نسميه كما اقترحت (مطر) تيمنًا بذلك اليوم الممطر الذي رأيتني فيه.

عندها بدأ الثعلب يراوغ، ويتعذر كإنسان حقير نذل، وقال وهو يبتسم ابتسامة صفراء: تعرفين ظروفي، ألا تزالين صغيرة حتى اليوم، يكفي أنك الأجمل في عيني، ألا يكفي أن روحي هي روحك.

عندها، غرقت في دموع الكرامة المجروحة وأظلتني سحابة حزن قاتلة، أصابتنا غاشية من عذاب الله.

فبنظرة من عيني، وبعبث من أطراف أصابعي رسمت طريقي، وأزلت عفافي، وخلعت حيائي، سقطتُ في الوحل وزللت في الهاوية وأصبحت ألعوبة في يده، حتى كان ذلك اليوم الذي كنت بجواره فأمسك بنا رجال الأمن، فإذا بي أستيقظ من سبات عميق وأزيل غشاوة على عيني وأردد بحرقة:

ندمٌ، وحزن هز كياني فانساب دمعي واستكان لساني، ألقيت كل ما في قلبي وتوالت الصرخات من فمي معلنة قدوم الفاجعة.

وكانت بحق فاجعة! استبدلت فيها أسورة الذهب الجميلة التي أهداها إلي والدي، بسلاسل من حديد واستبدلت صوت أمي الحنون، بصوت السجانة الرهيب، واستبدلت أزهاري المتفتحة، بوحشة المكان وضيقه!! حياة هانئة وسعيدة مع أبي وأمي وأختي غربت عنها السعادة وأصبحت لا أراهم، بل والشمس التي في كبد السماء لا أراها، لقد تغيرت أيامي وتبدلت أحوالي.

في هذا اليوم سقطت الأقنعة وعادت المُسميات إلى مواقعها

الصحيحة، في هذا اليوم أيقنت أنني كنت أسير في وهم وسراب، وأن صديقي وفارس أحلامي وحبيبي كما كنت أقول، لا يجوز أن يرى خصلة من شعري ولا جزءًا من أظفري، وأما ما كنت أُجمله وأُحسنه من علاقة وصداقة، فهو زنا وفاحشة.

في هذا اليوم، ظهرت الحقيقة فإذا به: زان وأنا زانية، وما كان بيننا من حب وعلاقة فهو: زنا وفاحشة، يُجلد لها الظهر ويُغرب لها البكر، ويرجم لها المُحصن، وتقطع لأجلها الرقاب.

تبدت لي معالم جديدة، وكانت بحق فاجعة في المسمى والفعل، وما أصدق الشاعر وهو يحكي واقعًا مريرًا عشته بكل تفاصيله:

إن المعاكس ذئبُ يغري الفتاة بحيلة
يقول هيا تعالي إلى الحياة الجميلة
قالت أخاف العار والإغراق في درب الرذيلة
والأهل والإخوان والجيران بل كل القبيلة
قال الخبيث بمكر لا تقلقي يا كحيلة
إنا إذا ما التقينا أمامنا ألف حيلة
إنما التشديد والتعقيد أغلالٌ ثقيلة
ألا ترين فلانة؟ ألا ترين الزميلة؟
وإن أردت سبيلاً فالعرس خير وسيلة
وانقادت الشاةُ للذئب على نفس ذليلة
فيا لفحش أتته ويا فعال وبيلة
حتى إذا الوغد أروى من الفتاة غليله
قال اللئيم وداعًا ففي البنات بديلة

نعم أيها الشاعر، لقد كان الوداع مؤثرًا وذو فاجعة!

أختي الحبيبة:

مع مرور الأيام، فإن الإنسان بحاجة إلى أن يبسط تجربته في الحياة حلوها ومرها، صفوها وكدرها من مبدأ النصيحة، خاصة في مثل هذا الزمن الذي تتصارع فيه الفتن وتتكدر فيه المشارب، إنه زمن الضعف وخداع المسلمات الغافلات.

هذه ليست قصتي وحدي، بل قصة كل من سمعت عواء الذئب وانتظرت الحمل الوديع وسارت إليه، وقد يكون الله عز وجل أمهلها وأظلها بسترة وقد تؤخر لها العقوبة في الآخرة.

هذه قصتي بين يديك أبسطها، كتبتها ذات مساء للزمن، ولمن يقرأ في هذا الزمن، ولا زلت أرفع صوتي كل صباح، أين أنا، وكيف أتيت إلى هنا، أين غرفتي؟ وأين أختي؟ وأين تدليل أبي؟ وإلى متى سأمكث في هذا السجن المُظلم؟ لقد عصيت الله عز وجل معصية واحدة فتتالت علي السيئات نعم ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فخالفتُ وعصيت وأطلقت بصري حتى سار مع المعصية وأيقظته الفاجعة.

وبعد أن زلت بي القدم وعثرت الرجل وتفرق أهلي وغادرت السعادة حياتي وماتت أزهاري وكرهتني أختي وتبرأ مني أبي الحنون، وحُق لهم جميعًا ذلك، بدأت خطوات التوبة بقلب صادق ونفس مقبلة على الله.

والليل من حولي هدوء قاتل، والذكريات تمور في وجداني
ويهدني ألمي فأنشد راحتي، في بضع آيات من القرآن
والنفس بين جوانحي شفافة، دب الخشوع بها فهزَّ كياني

قد عشت أؤمن بالإله ولم أذق، إلا أخيرًا لذة الإيمان، وصوت النداء الخالد يخالط شغاف قلبي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

لعلكِ أيتها الحبيبة سرت في هذا الطريق، اسمعي صوتي: توقفي،

توقفي، حتى لا تتسلل معالم الفاجعة إلى قلبك، وحتى لا تكوني بجواري غدًا أو بعد غد، نصيحة من كل قلبي لكل فتاة وامرأة، توقفي، توقفي، ها أنا أرى معالم الفاجعة تسير نحوك فلا تسقطي، لا تسقطي.



توبة فتاة عن الأزياء المحرمة[1]

الشابة تتأثر بمن حولها، وخاصة الصديقة، فكم من فتاة ارتقت مرتقًا جميلاً وعاشت عيشة حسنة، وكان للقرينة والصديقة أثر في ذلك، وكم من فتاة تحطمت أحلامها وحياتها، بسبب قرينات السوء، **«والمرء على دين خليله»** (حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي).

وهذه القصة فيها عبر ودروس، قصة فتاة تائبة عن الأزياء المحرمة.

تقول إحدى الأخوات تعرفت في فترة دراستي على إحدى الفتيات وكانت مثالاً يضرب في الأخلاق والجمال والاجتهاد أيضًا، إضافة إلى أن تمسكها بدينها كان شديدًا لدرجة أنني كنت أفخر بها حقًا وأعتبرها المثل الأعلى للفتاة المسلمة، وفي يوم من الأيام، ونحن نجلس في مطعم الجامعة، أتت فتاة لا نعرفها وجلست معنا على نفس الطاولة، وبالرغم من أنها لم تعجبني من حيث كلامها وهيئتها، إلا أنني تقبلت الوضع لأعرف ما هو غرضها الذي جاءت من أجله، ولكنها أخذت تماطل في الحديث أولاً، ولم تأت بالموضوع مباشرة ثم قالت تخاطبنا، لم أنتما هكذا تبدوان وكأنكما نائمتان في هذا العالم؟! فلم أر يومًا واحدة منكما صبغت شعرها مثلاً أو لبست عدسة لتغير لون عينيها، وربما أصبحت أجمل.

وأخذت تسترسل في حديثها هذا وكأنها شيطان ماكر، وما أن سمعتها تتحدث بهذه الطريقة حتى تركت لها الطاولة وشددت صديقتي لتأتي معي، ولكنها لم تعرني اهتمامًا فتوجهت فورًا لقاعة المحاضرات بعد أن كدت أنفجر من الغضب من آرائها المسمومة، وما طرحت من أفكار ولا أعرف ما حل بصديقتي التي كانت تجلس معها، وفي اليوم التالي وكعادتي ذهبت

---

(١) من رسالة بعنوان: ماذا تخفي لنا الموضة؟ لنجمة السويل، وكتاب العائدون إلى الله ج٢ .

لحديقة الجامعة، وجلست على أحد المقاعد هناك ثم فتحت كتابًا لأقرأه حتى تنتهي من المحاضرة.

وما أن مرت ساعة من الزمن إلا ورأيت جميع الفتيات يخرجن من القاعة واحدة تلو الأخرى، عندها سألت نفسي أين صديقتي؟! إنها ليست معهن! ترى هل هي غائبة؟! ولكنها لا تغيب إلا لسبب قاهر؟! ترى هل هي مريضة أم ماذا؟! وما أن خرجت آخر طالبة حتى سألتها: أين صديقتي ولماذا لم تحضر معكن؟ فأجابت: إنني لم أرها اليوم بأكمله، أعتقد أنها غائبة فانزعجت كثيرًا لأنني أعرف أن غيابها لا يكون لأمر سهل، فكرت قليلاً، ثم نظرت إلى الساعة فوجدتها العاشرة تمامًا، سرت متوجهة إلى بوابة الخروج لقد انتهى دوامي هذا اليوم.

وفي اليوم التالي، تكرر نفس الشيء فانزعجت أكثر، وظللت على هذا الحال أسبوعًا كاملاً لا أدري ما الذي حل بها منذ جلوسنا مع تلك الفتاة الشريرة.

وفي يوم السبت وبعد عطلة الأسبوع وأنا متوجهة لقاعة المحاضرة، فوجئت بل اندهشت عندما رأيت صديقتي مع تلك الفتاة، وهي التي كانت لا تفارقني أبدًا وعندما نظرت إليها فإذا شعرها الأسود الجميل قد قص إلى ما فوق رقبتها وصبغ بلون أصفر، فبدت وكأنها واحدة لا أعرفها بتاتًا، عندها سألت نفسي، أهذه صديقتي التي أعرفها! أهي تلك العاقلة التي يضرب بها المثل!! لا لا ربما ليست هي، فلم أتعود أن أرى صديقتي تضع سماعة المسجل في أذنيها، لقد اختلفت تمامًا، إنها تضع جميع أنواع وألوان المساحيق في وجهها وكأنها أتت لتحضر عرسًا أو حفلة، وقد كانت من قبل تأتي لطلب العلم لا تهمها هذه الأشياء التافهة.

وعندما اقتربت مني قليلاً دهشت حقًا، بل كدت أقع على الأرض عندما رأيت تلك الرسمة الخليعة التي وضعت على بلوزتها التي والله يخجل الإنسان من النظر إليها، وحدثتني قائلة وبكل فخر وكل اعتزاز: أتعرفين أين كنت في الأسبوع الماضي؟ فلم أجبها، لأن لساني قد شلّ

تقريبًا عندما رأيت ذلك التغير المفاجئ الذي طرأ عليها، فكررت عليّ السؤال ثانية، ولكنها لم تنتظر إجابتي وقالت: لقد كنت في إحدى دول أوروبا لأنني وجدت أن صديقتي «الفتاة الشريرة» معها الحق كل الحق فيما قالته، فلن أكون متأخرة العقلية جاهلة لا أفهم شيئًا كما كنت سابقًا، لقد أصبحت الآن مواكبة لعصري متقدمة أتعرفين بلوزتي هذه، إنها صيحة هذا العام، وشعري هذا الذي ترينه صبغته وقصصته عند أشهر وأكبر محل «كوافير» في أوروبا.

(تأملي رعاك الله كيف انقلبت عندها المفاهيم عندما اقترنت بأهل الشر).

فسألتها بكل دهشة ما الذي غيرك؟! أعقلك على ما يرام؟! لا أظن ذلك، لأن هذه الأفعال ليست أفعال عقلاء! أين دينك؟ أين أخلاقك؟ أين العلم الذي كنت تأتين من أجله كل هذا تجاهلتيه من أجل (الموضة) من أجل هذا المنظر السيئ الذي أنت عليه الآن، وما هذه العدسات التي تضعينها في عينيك، إن منظرك مضحك جدًا وكأنك مهرج يعبث بنفسه ليضحك الناس، لقد أصبحت نكتة الموسم، فاحمر وجهها، وبدا عليها الغضب لقد أصبح دمها يغلي في عروقها، غدت باهتة الألوان مكتملة بلون وجهها الأحمر، وعندما استدارت لتسير مع الشيطانة التي معها (الفتاة الشريرة) فإذا بي أرى تنورتها تكاد تتمزق من الضيق، والأسوأ من ذلك فتحة التنورة أين كانت لما فوق الركبة.

ألهذه الدرجة تلعب (الموضة) بأفكارنا؟ ألهذه الدرجة نكون ضعفاء؟! أعتقد بل أجزم أن مثل هؤلاء الفتيات لو أن الموضة أمرتهن أن يخرجن من منازلهن بثياب منحرفة لفعلن ذلك، ولو أمرتهن أن يخرجن بدون أن يمشطن شعرهن لفعلن ذلك. هذا حقًا ما دار بذهني عندما رأيت تلك الفتاة التي كانت لي أكثر من أخت، واليوم تبدلت حالها إلى حال تشمئز النفس من رؤيتها، لقد تأملت كثيرًا وحاولت نصحها مرارًا، ولكن الصدود كان ردها عليّ دائمًا.

ولم أيأس من إعادتها إلى ما كانت عليه من دين وخلق وحياء وجمال، وبجميع الوسائل حاولت إقناعها، وحاولت أن ألفت انتباهها أكثر من مرة إلى الغربيين الذين توصلوا إلى القمر، وها هم الآن يريدون غزو كواكب أخرى وسيصلون ما دمنا نحن أطفالاً نلهو بالألعاب التي تقدم إلينا، ولكن كلامي معها دائمًا كان يذهب دون جدوى .

إلى أن جاء يوم من الأيام وأنا في طريقي لقاعة المحاضرات، وجدتها تبكي بحرقة شديدة، وقد وضعت على رأسها منديلاً أبيض على غير العادة، فاستغربت واقتربت منها لأعرف ما سبب حزنها الشديد هذا، فكشفت لي رأسها فبدا لي وكأنه قد حرق فسألتها ما الذي فعل بك هذا؟ وكيف حدث هذا؟! فأجابتني والدمع ينهمر من عينيها قائلة: أتعرفين الفتاة التي تقابلنا معها في المطعم فأجبتها: نعم.

فقالت: لقد أعارتني الكثير من مجلات الأزياء وجعلتني أفصل الكثير من ملابسي كما في (الموضة) حتى شعري غدوت أتبع (الموضة) في تسريحه وفي يوم من الأيام باعتني زجاجة بها سائل أحمر، وقالت لي: هذه هي وصفة آخر التسريحات وأخبرتني أنها أتت بها من أوروبا، وما أن وضعت السائل على رأسي حتى رأيت شعري يتساقط بفظاعة إنه شيء لم أتصوره أبدًا، فندمت يا أختي على كل ما فعلته لقد خسرت كل شيء خسرت ديني وصديقاتي وخلقي وحيائي، وهذه حالي كما ترين.

ولكن لن أقول إلا الحمد لله الذي جعلني أتيقظ لنفسي قبل فوات الأوان، ولكن هل تقبلين صداقتي من جديد؟ فأجبتها: نعم ما دمت رجعت لرشدك من جديد فأنا صديقتك منذ هذه اللحظة.

وعادت تائبة إلى ربها، عادت من رحلة اللهو والضياع، وبدأت حياتها تتغير، لقد أشرق نور الحق في حياتها من جديد.

❁ ❁ ❁

ورطة بسبب التليفون المحمول[1]

لم تكن أختي سمر على عادتها عندما تأتي من دار تحفيظ القران الكريم التي التحقت بها مؤخرًا لقد عودتنا أن تأتي بشوشة ترتسم على محياها علامات السعادة والرضى، أما هذه المرة فقد بدت واجمة ظهرت على وجهها الدائري الصغير سحابة سوداء، وأخذت ترمقني بعينيها الواسعتين، وكأنهما تريدان أن تقولا لي شيئًا، أختي سمر تصغرني بسنتين وهي تدرس الآن في الصف الثاني الثانوي، وهي فتاة عاقلة رزينة تحب الخير للجميع.

وبما أنني أكبر إخوتي فدائمًا ما كانت تسرُّ إلي بأسرارها وآمالها وأفكارها التي قد تكون مضحكة بعض الأيام، أذكر أنها أسرت لي يوما : هل تصدق ياعادل أنني لم أنم ليلة البارحة؟! وسألتها بدوري لماذا ؟؟؟

- قالت لقد قطعت البارحة مشوارًا طويلًا في البحث عن اسم جميل لأول مولود يولد لي .

لم يرد إلى سمعها سوى رجع صدى ضحكاتي التي شدت انتباه والدتي وهي في زاوية المطبخ.

قالت سمر بحنق: عادل لماذا تضحك ؟؟ هل جننتي يا سمر ؟؟ أي مولود وأنت لم تتزوجي بفارس أحلام بعد وأنت ما زلت طالبة في المرحلة الثانويه؟؟

كان كلامي يخرج بتقطع بعد أن تتدافع الأحرف والضحكات في فمي كل يريد أن يخرج أولًا.

نظرت إلي بازدراء وقالت: وهل في ذلك عيب أنا أحاول أن أعوض تلك الفترة التي سنقضيها أنا وزوجي في اختيار اسم لطفلنا الأول.

هكذا أختي سمر دائمًا تحاول أن تنظم نفسها تنظيمًا عجيبًا حتى إنها

---

(١) موقع صيد الفوائد.

تفكر في حل مشكلة قد تقع لها بعد عشر سنوات، أنت غريبة الأطوار يا سمر، كانت هذه الكلمة كالصاعقة على سمر حينما قالتها أمي وهي تستمع بإنصات إلى حوارنا، حتى أنت يا أمي؟؟ ردت أمي: نعم يا سمر، هل هذا يعقل أن تفكر فتاة مثلك باسم أول مولود لها ؟؟ وهل تعلمين الغيب؟؟ ربما لن تتزوجي، وربما إذا تزوجتي لن تنجبي، وحتى إذا أنجبتي لا تعلمين هل سترزقين بصبي أو فتاة؟

وبابتسامة مشرقة من فم أمي قالت: يبدو الأمر مضحكًا يا سمر، ما كان من سمر عندما سمعت هذه الكلمة إلا أن ألقت تلك الوسادة الصغيرة التي تزين بها المجالس وكانت تمسك بواحدة منها واتجهت إلى غرفتها، وكأني أراها تمسح دموعها بطرف ثوبها.

بعد أن تناولت وجبة العشاء مع أمي وسمر وأخي الصغير خالد ذى الاثني عشر ربيعًا وهند، وهي أختي الصغرى التي لم تتجاوز الخامسة حتى الأن أسرعت إلى غرفتي كعادتي لأستذكر شيئًا من كتبي الجامعية وأتأمل ذلك المشوار الطويل الذي ينتظرني خصوصًا أني في السنة الأولى من دراستي في كلية الطب، لم يقطع عليَّ خيالي سوى طرقات الباب التي بدت وكأنها إيقاع متناغم، عرفت طبعًا من الطارق، حيث لم يكن أحد في منزلنا يتحلى بالأخلاق سواها إنها سمر يستحيل أن تدخل غرفة أحد ما دونما أن تطرق الباب، بخلاف خالد وهند فهما يبدعان إيما إبداع في فنون الإزعاج.

ومباشرة قلت: تفضلي يا سمر، دخلت سمر وهي تلتفت إلى الوراء، وكأنها أحد أبطال الأفلام السينمائية حينما يحاول أن يدخل غرفة مظلمة.

جلست سمر مباشرة على الكرسي الوحيد حيث لم يوجد كرسي غيره في غرفتي المتواضعه حيث يوجد بها سرير صغير بدأت قدماي بتجاوز حده، وأنا مستلق عليه وبجانبه رفوف صغيرة أضع عليها كتبي وبعض الأشرطه، وفي الزاوية الأخرى خزانة متواضعة أضع فيها ملابسي نادرًا؛ لأني وضعت مؤخرًا ثلاثة مسامير خلف باب الغرفة أعلق عليها الثياب

ومنشفتي الحمراء اللون، وقد كفتني هذه المسامير عناء فتح الخزانة، ولا يجمل غرفتي سوى لوحة متوسطة الحجم رسم عليها بيت طيني قديم، وبجانبه نخلة عتيقه كثيرًا ما كنت أتأمل هذا البيت الذي في الصورة خصوصًا إذا استلقيت على سريري وأصبح هذا المنظر أمامي مباشرة.

عادل أود أن أخبرك أمرًا، قالت أختي سمر هذه العبارة بنبرة مبحوحة، قلت وأنا أغلق الكتاب الذي في يدي، وأمد رجلي اليمنى بجانب رفيقة دربها رجلي اليسرى وأضع يداي خلف رأسي لأكون بذلك مستعدًا لسماع روايات أختي سمر: تفضلي يا سمر، خيرًا إن شاء الله ما هو هذا الأمر؟! فقالت وعيناها تنظران إلى الأرض، هل تعرف صديقتي عواطف؟؟ صديقة! اها تقصدين تلك الفتاة التي كلمتني عنها قبل أيام نعم نعم عرفتها هاه ما هي أخبارها معكم في دار التحفيظ؟؟ هل مضى أسبوعها الأول في الدار معكم بسلام.

قالت سمر وهي تبعد ظهرها عن ساند الكرسي حماسًا لما ستقول: نعم ياعادل أقصد عواطف زميلتنا الجديدة في دار التحفيظ، ثم أعادت نظرها ألى الأرض مرة أخرى، وكأنها تنتظر مني أن أسألها عن خطب هذه الفتاة، ولكنها لم تدع لي مجالًا للسؤال فبادرت هي قائله: أنت تعرف أن عواطف هي آخر فتاة دخلت دار التحفيظ، فلم يلتحق بعدها أحد من الفتيات، وكالعادة كنت أحاول أن أجلس بجانب الزميلات الجدد في الدار ألاطفهن وأمازحهن لأذهب عنهن هيبة الدار التي رسمنها في أذهانهن.

وبالفعل في اليوم الثاني الذي جاءت به عواطف إلى الدار بادرت بالجلوس بجانبها وهي تمسك بمصحف أزرق صغير وتحرك شفتيها بهدوء. سلمت عليها فردت السلام وهي تحاول صنع ابتسامه على شفتيها الجافتين، حاولت القيام وأنا أقول: عواطف عن إذنك سأجلب لك كوبًا من الماء، أمسكت بيدي وقالت: لا شكرًا، يبدو أنك استغربتِ من جفاف شفتي لا حاجه لي بالماء، فأنا اليوم صائمة، ندمت على تصرفي لأني أحسست أني أحرجت عواطف وقلت : آسفة صحيح اليوم هو الإثنين، لم أصم يوم الإثنين منذ مدة.

حاولت أن أسارقها النظر وأنظر إلى مصحفها، يبدو لي أنها تحفظ في سورة من الطوال، انقطع تفكيري هذا عندما شاهدتها وهي تقرأ في آخر سورة من القرآن وتردد : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، بادرتها وقلت : عواطف يبدو أنك تراجعين المصحف كاملًا أليس كذلك؟؟ أزالت خصلة الشعر المتدليه فوق عينها اليمنى وقالت: لا أنا أحفظ سوره الناس، تحفظين؟؟ ولم أنته من السؤال حتى أجابت: أنا لا أحفظ أي شي من القرآن، قلت لها: وأنا أبتسم: كفي عن هذا التواضع يا عواطف، لا بد أنكِ تحفظين نصف القرآن أو على الأقل خمسة أجزاء منه، قالت: صدقيني يا أخت، أجبتها وبسرعة فائقه: سمر اسمي سمر . نعم يا أخت سمر أنا لا أحفظ أي شي من القرآن .

عجيب وماذا كنتِ تقرأين في الصلاة ياعواطف؟! أغلقت المصحف الصغير وأطاحت برأسها قليلًا وعادت خصلة الشعر تتدلى فوق عينها وقالت بصوت مبحوح: لم أكن أصلي يا سمر، صعقت من هول ما قالته، ولم أدر ماذا أقول لها وفجأة قلت لها لماذا؟؟ فردت علي : لقد كنت قبل أسبوع واحد فتاة طائشة لم أكن أراعي واجبات الله، بل كنت أقترف المعاصي المعصية تلو الأخرى، وانغمست في الشهوات والملذات واستمريت على هذه الحال، وكانت لي صحبة هن من أسواء الفتيات، كن لا يعرفن الله طرفة عين، كنت أنا وإياهن نتعاون على الشر ولم نترك من الشر شيء إلا فعلناه.

وفي ذات يوم تلقيت رسالة من إحداهن عبر هاتفي الجوال تقول فيها: أهلًا عواطف ماذا قلتي هل ستذهبين معي هذا اليوم الى السوق، فتذكرت السوق وجماله والنظر إلى البضائع والقطع التي تستهوي الفتيات مثلي، وبالفعل خرجت مع هند إلى السوق، طبعًا كنا في أجمل صورة وأكمل زينة متعطرات غير محتشمات، وبينما نحن نتجول في أحد المحلات وعندما خرجنا من باب المحل لفت انتباهي ورقة صغيرة، فقالت لي هند ما بك يا عواطف؟ فقلت: انظري إلى هذه الورقة، فتبسمت هند وقالت: خذيها

فتناولتها بأصابعي وفتحتها وإذا بها عشرة أرقام كتبت بعناية، وكتب أسفل منها (ماجد)، عرفت الآن المقصود، وتبسمت هند وما كان مني إلا أن وضعت الورقة في حقيبتي الصغيرة، وقلت: سوف أتخلص من هذه الورقة، ورمقتني هند بطرف عينها، وقالت: آه منك أيتها الساذجة قولي لي بصراحه: كم صديق لديك؟ فأجبتها بسخريه ليس لي أصدقاء، عيب يا هند عيب نحن أسرة محافظة، قالت هند ونحن نركب مع السائق: إنك محرومة ياعواطف محرومة.

وظللنا نناقش هذا الأمر طيلة الطريق حتى وقفت سيارة السائق أمام بيتنا، ودعت هند ونزلت إلى البيت. قضيت ذلك المساء وأنا أفكر بما دار بيني وبين هند، وعندما استعديت للنوم وقفت أمام المرآة لأسرح شعري، وتأملت وجهي في المرآة وقلت في نفسي: أنا فتاة بهذا الحسن والجمال سأظل أسيرة في هذا البيت صحيح؟؟ لماذا لا يكون لدي صديق؟؟ أتسلى معه ما دام أن الأمر لن يتجاوز سماعه الهاتف، وأن الأمر فقط تسلية، وعندما استلقيت على الفراش بدأت أتخيل صورة ماجد هذا يا ترى هل هو فارس أحلامي؟؟

أخرجت الورقة من الحقيبة، وقلت: لأجرب فقط، وبدأت أصابعي ترتجف وأنا أضغط على أرقام الهاتف وما هي إلا ثوان حتى سمعت صوت ماجد حينما قال: نعم؟

أغلقت الهاتف مباشرة وأنا أمسح العرق عن جبيني، تبًا لك يا عواطف!!

ما الذي فعلته؟! وندمت على فعلتي، وتلحفت بغطائي ونمت.

في الليلة التالية رن جرس هاتفي الجوال نظرت وصعقت، إنه رقم ماجد!!

احترت ماذا أفعل ترددت كثيرًا، ثم غلبني الفضول وقربت الهاتف من أذني، وقلت: نعم؟؟

- أهلًا اسمعيني من فضلك، أنا شاب شريف، ولا أريد فقط إلا

التسلية فأنا لم أجد لي صديقًا في هذه الدنيا يستمع إلى شكواي وآلامي، الصداقة وفقط، أغلقت الخط وخاطبت نفسي، هكذا يتلاعب الشاب بالفتاة الرقيقة، أما أنا فلن تخدعني هذه الألاعيب ولم تقطع هواجسي سوى رنين نغمة الرسالة النصية التي سارعت بفتحها وإذا بها الصاعقة التي لم أكن أتوقعها، وأذا هي من ماجد يقول فيها: «لقد سمعت عنك الكثير يا عواطف وأنك صاحبة قلب عطوف»، شهقت شهقة كبيرة، كيف عرف اسمي؟؟ بدأت أطرافي ترتعد وقطع خوفي رنين الجوال، وإذا به ماجد، أجبت الهاتف.

- وكانت بدايه مشواري الغرامي مع ماجد أقنعني أنه سمع بي من قبل من والدته التي عرفتني في أحد الأعراس. وبدأ حب ماجد يسري في وجداني وتعلقت به، وتعلق بي أحسست أننا لم نكن كصديقين، بل كعصفورين يعيشان في قفص واحد ومضت أشهر على هذه الحال حتى بدأت أخرج مع حبيبي ماجد مرات في الشهر، نتبادل أحاديث الحب والهيام ثم نفترق.

كنت أنا وماجد مثالًا للحب الصادق، كنا كأجمل قصة حب عرفها التاريخ ونطقت بها الروايات، كنت لا أملُّ منه، لقد كان كل شي بالنسبة لي .

وفي ذات يوم اتفقنا على الخروج ليلًا وخرجنا بالفعل وإذا بماجد متوتر قليلًا ولم ينطق بكلمة، وقال لي: أنا متأسف يا عواطف يجب أن أذهب إلى مزرعة والدي لأحضر له الدواء الذي نسيه هناك، وما هي إلا لحظات حتى كنا في طريق مظلم، وقال: هذه طريق المزرعة تبادلت أنا وماجد أحاديث الحب في الطريق، وعند وصولنا إلى المزرعة النائية نزل بسرعة وقال: ثوان وسوف آتي بالدواء .

خفت من الوحدة في الظلام فلحقت به، وإذا به يدخل في غرفة صغيرة ووقفت بجانب الباب، وفجأة إذا بيد تمسكني من الخلف، ففزعت وصرخت وإذا بشابين يقفان خلفي، فصعقت وخرج ماجد وأقبل نحو

الشابين وضربهما ضربًا مبرحًا وضمني إليه وركضنا نحو السيارة وانطلقنا بسرعة حتى أوصلني إلى البيت وعندما استلقيت على سريري، قلت: نِعْمَ الرَّجلُ ماجد، لقد أنقذني من هذين المتوحشين.

واستمرت علاقتي بماجد حتى واعدني في إحدى الليالي وخرجت معه، وقال لي: بصراحة يا عواطف إنني أفكر جديًا بالزواج، فهل تقبلين بي زوجًا؟؟ فسررت كثيرًا من مصارحته إياي.

- وهل سأقبل بأحد غيرك!! يا ماجد.

وبعدها بدأت أقلل من حشمتي أمام ماجد، فبدأت أكشف له عن وجهي وأجعله يمتع ناظريه بزوجة المستقبل.

تفاجأت ذات يوم عندما قال لي بأنه سوف يأتي خاطبًا يوم غد، وبالفعل طرق باب بيتنا وجلس وقتًا قليلًا مع والدي ثم ذهب .

تظاهرت أمام والدي ووالدتي بأني لا أعرف شيئًا عن الموضوع وشاهدت أبي وأمي يتهامسان في زاوية من زوايا الصالون وأنا أسارقهما النظر بينما أشاهد التلفاز إذ رفع أحدهما رأسه ثم نهض والدي وخرج .

وأقبلت نحوي والدتي وهي تبتسم وقالت : عواطف هل قلتي للخادمة أن تحضر العشاء ؟

فقلت: نعم ونهضت مسرعة إلى غرفتي وأقفلت الباب على نفسي وهاتفت حبيبي ماجد، وقال لي : هاه ما أخبارك يا عروستي؟؟

قلت له : ماذا حل بك يا ماجد، أنا لم أوافق بعد حتى إن أمي وأبي لم يحادثاني في الموضوع حتى الآن.

قال ماجد: حسنًا ربما سيحدثانك عن موضوعي في الغد، لكن ما رأيك أن نتقابل هذه الليلة في الساعة الواحده ؟ قبلت مباشرة، ففي الساعة الواحدة خرجت مع حبيب القلب، وقال لي بصراحة: هل تخيلتِ في يوم من الأيام أن يكون زوجك بهذه الوسامة؟؟ وتعالت ضحكاتنا في سيارته.

مكمن الخطورة:

وعندما اقترب موعد الرحيل أخرج جهازه الجوال المزود بالكاميرا، وقال: أرجوكِ صورة واحدة فقط لوجهكِ الصبوح حتى أتذكركِ قبل نومي، ابتسمت ابتسامة الرضى بينما التقت ماجد الصورة وهو يتبسم.

كانت الفرحة تغمرني وأنا أتوسد يدي، ما هي إلا أشهر وأحتفل بزواجي من ماجد، وتخيلت نفسي تلك العروس على حصان أبيض تركض به بين السحب وتقابل حبيبها ماجد، ثم تضمه إلى صدرها الذي امتلأ حبًا له، وفي الغد هاتفني ماجد، وقال لي : ما رأيكِ بلقاء يجمعنا الليلة فوافقت مباشرة، وخرجت معه واتجهنا إلى طريق مزرعة والده النائية، وقلت له : ماجد إلى أين ؟؟

تبسم وقال: هل تشكين بزوجك يا حبيبتي؟؟ قلت: لا طبعًا.

وساد الصمت قليلًا حتى وصلنا إلى المزرعة واتجه بسرعة نحو تلك الغرفة الصغيرة ومكث دقائق، لم أتخيل نفسي في هذا الظلام الدامس، فنزلت من السيارة واتجهت مباشرة نحو الغرفة، وعندما انتصفت في الطريق بين السيارة والغرفة سمعت صوتًا غريبًا فالتفت نحو السيارة وإذا بيدٍ تمسكني من الخلف، فتبادر إلى ذهني أن أصرخ، وتذكرت دفاع ماجد عني في المرة السابقة، والتفت ناحية الخلف، فرأيت شبح رجل لطمني على وجهي بشدة، وسقطت ثم هرب وصرخت وأتى ماجد مسرعًا نحوي، وقال: حبيبتي عواطف ما بكِ وضمني إلى صدره، فأحسست بدفء صدره وأنفاسه، ثم انحنى نحوي، وَهَمَّ بتقبيلي، فأبعدت وجهه عني، وقال: سأكون زوجكِ يا حبيبتي، فلماذا هذا الصدود؟؟

لم أتمالك إلا أن قمت بإبعاده عني فابتعد وركبنا السيارة بسرعة، وانطلقنا حتى أنزلني في البيت وعندما استلقيت كعادتي للنوم رن جرس هاتفي برقم لا أعرفه وعندما قلت : نعم ؟؟ قال المتكلم بصوت أجش: اسمعي صورتك الآن لدي ولن يفيدك صديقكِ هذا أبدًا، إما أن تخرجي معي غدًا وإلا فضحت أمرك وأخبرت أهلك بعلاقتك معه، وسأريهم صورتك التي أخذتها من جواله عندما سقط منه في المزرعة قبل قليل.

لم أتمالك نفسي، وبسرعة حاولت الاتصال بماجد، وقام بالرد عليَّ نفس صاحب الصوت الذي قبل قليل وقال : أيتها البلهاء قلت لكِ: إن هاتف ماجد معي الآن وضحك ضحكة غريبة .

خفت ولم أستطع النوم، من هذا الذي يريدني أن أخرج معه وأخون ماجد، وإذا رفضت ذلك سيكون زواجي من ماجد مستحيلًا، وكيف سأقابل أهلي إذا افتضح أمر ماجد معي؟!!

جف حلقي في تلك الليلة، ولم أنم وفي الصباح قابلت والدتي بوجه شاحب لم أدرِ ما أقول لها هل سأخبرها بكل شيء، وماذا ستفعل والدتي؟؟ إنها لم تكن تعيرني أي اهتمام.

ذهبت إلى الكلية ذلك اليوم وأنا لا أشعر بمن حولي فقط كنت أفكر كيف سأنجو من هذه الورطة.

عند المساء جاءتني رسالة من صاحب ذلك الجوال، ويقول فيها: هاه ما رأيك هل ستخرجين الليلة أم أقابل والدك؟؟

لقد صرت أمام الأمر الواقع ووافقت على الخروج معه، ولكن قلت له: أمهلني أسبوعًا واحدًا فوافق.

وها هي الأيام تدور، وقد قضيت هذا الأسبوع وأنا أصلي وأدعو الله أن ينقذني من هذه الورطة وبادرت بالتسجيل في هذه الدار علني أكفِّر عما مضى، ولم يتبقى من الأسبوع سوى ثلاثة أيام وأنا محتارة محتارة يا سمر، لا أدري ماذا أفعل؟؟

انتهت أختي سمر من قصة صديقتها عواطف، وأطرقت قليلًا، ثم رفعت رأسها وقالت: أخي هل يمكنك إنقاذ صديقتي عواطف؟

في الحقيقة لا يمكنني وصف نفسي عندما وضعتني أختي سمر في هذا الموقف، فها هو عِرض ينتهك أمامي، فهل ستأخذني الحمية والغيرة لإنقاذه؟؟

وماذا باستطاعة شاب مثلي أن يفعل لإنقاذ هذه الفتاة المسكينة؟؟!!

أنزلت رأسي وبدأت أفكر ما الذي أستطيع فعله؟!! صليت الفجر في

مسجد حيًنا وجلست حتى شروق الشمس، أفكر وأفكر فيما أفعل، وعند خروجي من المسجد مرت أمامي سيارة ذات دفع رباعي طبع على أحد أبوابها شعار لم أستطع أن ألمحه.

صحيح لقد تذكرت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هناك سيساعدونني بلا شك فهذا طبعًا منكر عظيم، وبعيد صلاة ظهر ذلك اليوم ولجت مع باب الهيئة ودخلت إلى أقرب مكتب، إنه مكتب متواضع في أحد زواياة طاولة متوسطة الحجم وخلفها شاب تملأ وجهه لحية كثة، وسحرني بابتسامة مشرقة تملأ محياه.

بادرته بالسلام فرد بأحسن مما ذكرت، أسررت إليه بكامل تفاصيل قصة عواطف، وعندما انتهيت زم شفتيه ثم أرخاهما، وقال: حسنًا يا أخي دع الأمر لنا، الأمر الوحيد الذي فعله أنه قام بأخذ رقم جوالي ورقم جوال عواطف .

وفي اليوم الذي يلي ذلك اليوم وعند الساعة الثامنة مساء رن جرس جوالي فأمسكت بالجوال وشاهدت في جوف شاشتة الزرقاء اللون رقمًا لا أعرف صاحبة! ضغطت على زرٍّ من الأزرار فسمعت صوتًا غريبًا: عادل؟

- نعم من الذي يتحدث؟؟ - أنا عبد العزيز من الهيئة هل تستطيع الحضور الآن؟؟ وما هي إلا دقائق حتى كنت عنده بالمكتب وما هي إلا نصف ساعة حتى خرجت من عنده، واتجهت مباشرة إلى بيتنا وبالكاد دخلت البيت حتى اتجهت إلى غرفة أختي سمر لأقص عليها الأمر الذي هالني وسمعته من رجل الهيئة عبد العزيز .

استعدت أختي سمر لسماع القصة وثنت ركبتيها : هاه أخبرني هل نجت عواطف من ذلك الذئب؟؟ ابتسمت وقلت: ليس ذئبًا يا سمر، بل قطيع من الذئاب، اسمعي القصة:

قام رجال الهيئة وبالتحديد صاحبي عبد العزيز بالاتصال على عواطف وهدأ من روعها وقال لها بفطنته : حاولي أن تأخذي موعدًا مع ماجد في أقرب فرصة فقالت له أنا وهو الليلة على موعد مسبق.

وبالفعل راقب عبد العزيز منزل عواطف، وشاهد ماجد وهو يقلها بسيارته وتبعه عبد العزيز مباشرة ومضى في طريق زراعي مظلم حتى دخل إلى مزرعة والده في ضواحي المدينة، وأخبر ماجد عواطف أنه سيبحث عن أي أثر يدله على ذلك الوغد الذي هاجمها وقام بسرقة هاتف ماجد الجوال، وما هي إلا دقائق حتى سمع عبد العزيز صرخة قوية من داخل البناية التي في المزرعة فقام هو ومن معه بمداهمة المكان والقبض على العصابة، فوجدوا رجلين يحاولان تقييد عواطف بحبال سميكة وراعهما منظر دخول رجال الهيئة.

وأثناء ذلك دخل ماجد مسرعًا وهو يحاول أن يشكر عبد العزيز، فدفعه الآخر، وقال يبدو أن دورك انتهى الآن يا ماجد، تبسم ماجد وقال: أي دور تقصد؟؟ ورد عبد العزيز دور الحبيب المتيم أيها المخادع؛ لقد كذبت على هذه المسكينة وأوهمتها بالحب طيلة هذا الوقت حتى إذا أحكمت قبضتك عليها انتزعت شرفها، ثم رميتها كما فعلت بسابقتها، حملق ماجد بعينيه وقال: عن أي كلام تتحدث؟؟ قال عبد العزيز: أنت تعرف جيدًا عما أتحدث، وبعدها تم إيصال عواطف إلى منزلها معززة مكرمة وبسرية تامة.

وتم القبض على ماجد وصاحبيه الذين اعترفوا أنهم اتفقوا مع هند صديقة عواطف بأن ترمي أمامها قصاصة ورقة مكتوب عليها رقم ماجد حتى يتم الإيقاع بها.

وتم أيضًا القبض على هند لأنها اشتركت في قضية عواطف، ثم أحيلوا إلى جهات مختصة وقد اعترفوا بأنهم اشتركوا جميعًا في عملية ابتزاز عواطف

واعترف ماجد أنه خدع عواطف بقصة الحب هذه، وانه زار والدها ليس لخطبتها وإنما لموضوع آخر موهمًا عواطف أنه جاء خاطبًا.

تنفست أختي سمر الصعداء وقالت : عادل وكيف، كيف عرف عبد العزيز بهذه القصة؟؟!!

أجبتها وأنا أرفع كتفي إلى أعلى : لا أدري. إنها مشيئة الله.

ذئب يريد أن يفترس أحلامي[1]

الوقت: الساعة الواحدة ليلًا يرن الهاتف، السلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

هل أنت الأخت . . .

نعم، آسفة الوقت متأخر، لكن أرجوك ساعديني. ثم أجهشت بالبكاء.

لا عليك يا أختي، أصلًا أنا مستيقظة، وبإمكانك الاتصال متى شئت، خيرًا إن شاء الله؟

لا أعرف من أين أبدأ، ولا كيف أنتهي، فأنا في مصيبة.

هوني عليك، فما من مشكلة إلا ولها حل، صمتت قليلًا وهي تغالب بكاءها، وضبط أنفاسها للحديث مجددًا، ثم قالت: هذه السنة الأولى لي بالجامعة، وكانت أمنيتي أن ألتحق بالقسم الفلاني، ولكن أغلقت المجموعات فاضطررت للحاق بقسم شرعي، أملًا بالتحويل فيما بعد.

وفقك الله.

لكن المصيبة الآن، أشعر بثقل هذا القسم، فأنا لا أستحق البقاء فيه، وأريد التحول عنه بسرعة.

حولت أم لم تحولي، فأنت في كلا القسمين مسلمة ولك هوية! ثم عاودت البكاء، وصمتت مليًا.

والله أنا ضحية ليس لي ذنب فيما حدث، هنَّ السبب.

هدئي من روعك وتحدثي بكل هدوء وأريحية، وإن كان الوقت لا يناسبك، فأنا موجودة في كل وقت.

هذه الفرصة المناسبة، فالكل نائم، وكنت أتحين نومهم لأبث لأحد

---

(١) موقع صيد الفوائد.

مصيبتي.

لا تهولي الأمر وكل شيء له حل بإذن الله.

لأن أهلك لم يفعلوا ما فعله أهلي تقولين هذا الكلام، لأنه لم يحدث معك ما حدث معي.

واختلط صوتها بالبكاء مجددًا.

أخشى إن أكملت سمع صوتي وشكوا بي أني أكلمه مجددًا، لكن ممكن طلب؟

تفضلي.

أريد أن ألتقي بك غدًا في مكان كذا، عند الساعة كذا، هل توافقين، بكل سرور، لكن في الوقت ذاته لدي محاضرة ! أليس هناك موعد آخر؟؟

سأنتظرك طوال اليوم، المهم أن تساعديني بأقرب وقت.

هل يناسبك الوقت الفلاني؟؟

نعم يناسب.

إذا سيكون فيه لقاؤنا بإذن الله.

شكرًا جزيلًا وآسفة للإزعاج.

أبدًا حياك الله في كل وقت.

ذهبت لمكان اللقاء، فإذا بي أرى لوحة رسم فيها منظر بديع، فتاة بعمر الزهور، كملت خلقتها، حتى يخيل للناظر أنها بدر يتلألأ يمشي على الأرض! نظرت والدمع في أحداقها، ثم قالت: أنا هي.

حياك الله يا أختي، وإن كنت ما زلت أجهل اسمك .

اسم على غير مسمى!!

قبل أن نتحدث رجاء، دع عنك عبارات التذمر!! كيف حالك؟؟

«شر والحمد لله».

سأجلب لك عصا.

يا أختي أنا في مصيبة، لا أعرف كيف حلت بي ولا كيف وقعت

فيها، وأنا أتيت لأستمع إليك.

تحدثي بما شئت، وثقي بي.

لو لم أكن أثق بك لما خصيتك دون صديقاتي.

الحمد لله، إذن تفضلي.

أنا من عائلة محترمة جدًا، وثرية، ومعروفة، لدي إخوة وأخوات يكبرونني بكثير، كل أخواتي متزوجات، وإخواني متزوجون، أنا الوحيدة والصغرى بالبيت، كل ما أريده موجود، لدي سيارة خاصة، وعندنا خادمة، ولأني التحقت بالجامعة، كوفئت بالجوال، أما اليوم، فأنا حرمت من كل هذه النعم؛ إذا أتيت للجامعة، فأمي برفقتي، وإذا نمت نامت معي في غرفتي، لم يعد لي جوال، ولم أعد أخرج لأعز الصديقات، الكل يزدريني وينتقصني، إخوتي الكبار الإناث يشمتن بي، والذكور لا يكلمونني، وبعضهم يتهددني بالفصل من الجامعة، فقدت الحب والحنان، حتى من أقرب الناس لي جفوني وقاطعوني، ولم يفهموني ولم يصدقوني.

حلفت بالله، فلم يصدقوا، بكيت أمامهم فلم يهتموا ماذا أفعل؟؟

فكرت بالانتحار، فشربت دواء الغسيل «كلوركس» لم أفلح، فقد تم إسعافي ونقلي للمستشفى، أعيش في سجن روحي، قبل أن يكون سجن خارجي، انزويت على نفسي، ومنع مني الانترنت، أصبح الجميع لا يثق بي.

ثم أخذت تبكي مليًا وعاودت الحديث.

جربت كل الحلول، ولم يبق سوى حل واحد، سأقدم عليه، وليكن ما يكن، وهو؟

سأهرب من البيت!

جننت؟؟

هذا هو الحل الوحيد، فأنا بعين أهلي مجرمة، ولا أحد يهتم بي ولا يصدقني، والموت لا يأتي، فماذا أفعل؟؟

إلى الآن لم أعرف سبب هذه المشكلة، ما الذي أوصلك لهذه الحال؟؟

صديقاتي، كيف؟

عندما التحقت بالجامعة، كنت كالبلهاء!! لا أعرف أحدًا، ولم أتعرف على أحد، كنت أصدق كل وجه أراه، وأنظر بإكبار لبنات الجامعة، وأتمنى أن أصل لمستواهن بأقرب وقت، وفي ذلك اليوم الأسود تعرفت عليّ فتاة من قسم آخر، فارتحت لها، وقضينا وقتًا ممتعًا، تحدثنا فيه عن آمالنا وطموحاتنا، وأحاديث أخرى.

مرت الأيام وعلاقتي بها تزداد كل يوم، وتعرفت على صديقاتها أيضًا، عرفت عني كل شيء وعرفت عنها كل شيء من منظوري، لكن الحقيقة لم أعرف عنها كل شيء!! حتى أتى هذا اليوم.

كنت أقلب صفحات الانترنت، فإذا بهاتفي يرن، رددت فإذا هو شاب قال لي: أنت فلانة، أغلقت الخط في وجهه، وخفت خوفًا شديدًا، مَنْ هذا؟ وكيف عرف اسمي، وماذا يريد؟

عاود الاتصال، ولكني لم أجبه، وأغلقت هاتفي، ظل يكرر الاتصال في اليوم أكثر من مرة، ومن عدة أرقام ! لمدة أسبوع تزيد أو تنقص، وفي هذا اليوم الذي قررت أن أرد عليه لأعرف ماذا يريد؟ قال لي بأنه يعرف عني كل شيء، وصورتي معه، أغلقت الخط في وجهه وأخذت أبكي.

من هذا؟ وكيف وصلت إليه صورتي؟ وهل صحيح ما يقول أم أنها مكيدة؟!!

أخذ يرسل لي على الجوال الرسائل تلو الرسائل، صارحت صديقتي بما حل لي أظهرت تعاطفها الذي كنت أشك فيه! فقد راودتني الشكوك حولها، لكن لم تكن هناك بينة عليها لأجزم بأنها هي السبب، وظل ذاك المتسلط، يزعجني برسائله، وتهديداته أحيانًا، يريد مني أن أكلمه، ولكن أبيت، وفي نفس الوقت خشيت أن أصارح أهلي، وفكرت بتغيير الشريحة وقطع صلتي بصديقاتي الجدد، ويعلم الله أني كنت صادقة، ولم يخطر

بالي ما فكر فيه أهلي.

وكيف علم أهلك بالأمر؟

خرجت في يوم من الأيام لبيت خالتي، وبالمصادفة كان جوالي مع أختي الكبرى، وكنت حريصة كل الحرص ألا يكون جوالي مع أحد، ولكن .... رنَّ الهاتف، فردت هي، فسمعت ذاك الشاب يقول لها: فلانة، أي ينادي باسمي، فاستدرجته وقالت: نعم، ولست أدري ماذا أخبرها، وماذا ردت عليه؟

ما أن عدنا للبيت إلا وفوجئت بتصرف أختي الكبرى أمام أمي وباقي أخواتي وهي تقول: هذه الجامعة وما تنتجه!

هنا أصبت بمقتل وشعرت أن خلف قولها أمرًا.

تصدقين يا أختي أنها لم تسألني حتى، من هذا؟ ذهبت وأخبرت أختي الأخرى، هبي أني كنت فعلًا على صلة بهذا الشاب، ويعلم الله أني بريئة، لماذا لم ينصحنني؟؟ لماذا لم يحاولن التقرب مني؟؟ انظري ماذا فعلن، أتين لي بداري كالجنود، وقلن لي إن لم تصارحينا بكل شيء سنخبر إخوتي بكل شيء وعن علاقتك بهذا الشاب!

صدمت! وقلت لهن: كيف تشكون بي؟ وكيف وكيف؟؟ لكن لا جدوى! أخذن يهددن ويردن معرفة التفاصيل، فأخبرتهن أني لا أعرفه، ولا أعرف عنه شيئًا، وذكرت لهن محاولاته المتكررة بالاتصال بي، لم يصدقنني، وأخذن يرمين الأسئلة لماذا لم تخبرينا؟؟ ونحن نتصرف؟؟ وكيف عرف اسمك؟ وقسمك، ووو...

بكيت أمامهن، وحلفت لهن بالله أني لا أعرفه، ولا أعرف من أي واد حذف عليَّ، هددنني، وأخذن جوالي، بأسلوب ما كنت لأتوقع أن يصدر من أخواتي العاقلات الفاهمات مربيات المستقبل!! لم يتوقف الأمر لهذا الحد، بدأت بهن الشكوك والظنون، إلى علاقتي داخل الجامعة، كيف هي ومن صديقاتي؟؟

والفاجعة التي ما حسبت لها بالًا، فوجئت ونحن على المجلس

العائلي الأسبوعي، بحضور جميع إخوتي، قالت إحداهن لإخوتي: انتبهوا لأختكم فهي على علاقة بشاب.

أما أنا فكأن صاعقة نزلت بي. لم أتصور أن يحدث من أخواتي هذا الفعل على الإطلاق. ولك أن تتصوري ما فعل إخوتي، أما كبيرهم، فكاد أن يموت، فهو مريض، وأما أصغرهم، فقطع علاقته بي ليومك هذا، وأما أمي المسكينة، لا تسألي عن حالها، فباكية ليل نهار، وها هو حالي اليوم، مضيق عليّ في كل شيء، وخسرت كل شيء، خسرت إخوتي وثقتهم بي، خسرت نظرتهم لي، فقد كانوا يتحدثون عني وعن القسم الشرعي الجديد الذي التحقت به، والذي أنا اليوم في نظرهم تخالف حالي حال هذا القسم، والحق أنهم كانوا فخورين بي، خاصة أخي الأكبر.

ثم صمتت وقتًا طويلًا، وقالت: هذا كل شيء، ،ولم يعد بيدي أي شيء، الهروب إلى المجهول هو الحل، لكن قلت قبله، أكلمك فربما أجد لديك الحل.

حسنًا! لن أجيبك من البداية، فأنا أجزم بأنك أدركت معنى حسن انتقاء الصديقة، وعدم الثقة بكل من هبَّ ودبَّ، ولن أحدثك عمّا كان ينبغي عليك فعله عندما اتصل بك هذا الشاب، فأنا على يقين الآن أنك تتمنين عودة الزمن للخلف لتفعلي ذلك، لكني سأخبرك أنك بنعمة، وإن كان الأصل بلاء، ألم تسمعي قول الحق جل وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، طرقْتِ كُلَّ الأبواب، وسلكت كل السبل لحل مصيبتك، إلا بابًا واحدًا لم تقرعيه، باب من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، باب من لا تغيب عنه غائبه، ولا تعجزه في الأرض ولا في السماء بليه، أين دعاؤك؟ أين مناجاتك؟ أين انطراحك في السحر لمن يسمع همسك ونجواك؟؟

فنصيحتي الأولى لك، بأن تقوي ثقتك بربك، وأن تصبري وتحتسبي، فهذا أهم جانب ينبغي أن تقويه.

ثانيا: دع عنك اليأس والاستسلام لهذه المشكلة، من الغد، اتصلي

بإخوتك أو أحدهم، واستدعيه بالمنزل، واشرحي له ما حدث معك بالتفصيل.

ثالثًا: الانتحار أو الهروب من المنزل، ليست هذه حلول يؤخذ بها مهما عظمت المصائب، فأهلك لم يضيقوا عليك ولم يشددوا إلا حبًا فيك وخوفًا عليك، لست رخيصة حتى يتركوك وما تشاهدينه من صدٍّ وإعراض، ما هو إلا حبٌ وخوفٌ وحزنٌ وألم، وإن كنت أبعد أبعد ما تكونين عن الواقع بمثل هذه الأمور.

واعلمي أنه لا أحد أحرص عليك من أهلك. وإن أخطأت أخواتك بالأسلوب، وما هكذا تؤخذ الأمور، ولكن تذكري : أنهم في النهاية أهلك! وهم أحرص عليك منك.

ماذا حدث بعد ذلك، وأين هي الأخت الآن، سيكمل قريبًا جدًا.

وفي أثناء الحديث قالت أختنا: وهل أنا السيدة عائشة كي تنزل براءتها من السماء ؟

استغفري الله، وهل يعجز ربنا سبحانه؟!

أستغفر الله لكن مشكلتي عظيمة وأخشى أن ينتشر الخبر في كل العائلة، أحسني ظنك بربك، ثم إن إخوتك أحرص عليك من نفسك، فأنت قبل أن تمثلي ذاتك، تمثلينهم .

والدليل فعل أخواتي، والله لا أثق بهنَّ بعد اليوم.

أنا معك أخطأن في الأسلوب، لكن في النهاية يردن مصلحتك.

آسفة أخذت من وقتك، وكلامك عالعين والراس، بس ادع لي.

قد لا أكون وفقت بشكل كامل بالحل الذي يريحك، لكن صدقيني، ليس هناك سلاح أقوى من مواجهة الواقع بكل صبر ويقين بفرج الله.

ونعم بالله، بصراحة : أنا مقصرة جدًا مع الله وربما ابتليت بسبب ذنوبي، لكن أعدك بأن أصلح أوضاعي، أراك على خير، ولا تنسينا من صالح دعائك.

افترقنا بعد هذا المجلس، ولم يتيسر لنا لقاء بعده، ولم يكن بيننا اتصال.

ولم نلتق بالجامعة، اختفت تمامًا تلك الأخت عن عيني، وغابت أخبارها، وكنت آمل أن أعلم ما استجد من أمرها، ولكن ما زلت أذكرها، ولا أنساها بالدعاء، بأن يفرج الله كربها وييسر أمرها.

وتمضي سنة كاملة، ولم أرها بعد ذلك اليوم، قبل يومين، بينا كنت أمشي مع إحدى الصديقات، فإذا بإحدى الأخوات تغمم عيني من الخلف، وتقول: من أنا؟؟!! وكانت المفاجأة أنها صاحبتي تلك. لم أملك دموعي من الفرح بلقياها.

وبعد السلام والتحية، أصريت عليها بالجلوس ولو لدقائق لتخبرني عن حالها وما توصلت إليه، وكانت ذاهبة لمنزلها، فأجلت الخروج.

ما هذا الانقطاع؟؟ لا سؤال ولا تطمنيني، ماذا فعلتي بي يا أختي، كيف أنتِ طمنيني ما الجديد وما فعل الله بأمرك؟؟

قالت بابتسامة عريضة: أبشرك انحل الموضوع من أول أسبوع قابلتك.

الحمد لله لكن كيف؟؟

أولًا: سامحيني أني لم أخبرك، شغلتني الدنيا وأضعت رقمك.

ثانيًا: مرت علي أيام مرة، أسوأ مما تتوقعين، وأكثر من السابق، لكن كنت أتذكر عبارتك بضرورة الدعاء والالتجاء إلى الله، فكنت أدعو الله دائمًا في كل حين، وأطلب من أمي أن تدعو حتى أني أذكر أتيتها مرة وأنا منهارة من كثرة البكاء، وأقول لها : أمي صدقيني والله ليس لي ذنب، ادع لي يا أمي، فتبكي معي حينًا وتعاتبني حينًا قائلة: هل قصرنا عليك بشيء؟؟ هل وهل، ولا تنتهي حتى أقسم لها بالله وأبكي.

لكن الحمد لله على كل حال وعلى ما كان .

يوم من الأيام: انتظرت أخي الأكبر عند الباب وهو يريد الصعود لمنزله بعد أن أتى من عمله، ناديته بعد طول انقطاع من رؤياه: أخي فلان! نعم.

أخي تعال اشرب معنا قهوة، منذ زمن لم تدخل عندنا.

الآن متعب ومشغول، سآتي بوقت لاحق.

أخي أرجوك ادخل لو لدقائق، اشتقت إليك كثيرًا.

حسنًا، ثم أجلسته بالمجلس وبقينا لوحدنا، وسرعان ما أخذت يده أقبلها ورأسه وأبكي، وأحلف بالله أني صادقة.

طبعًا أخي الأكبر رقيق القلب، وهو الذي رباني بعد وفاة أبي، أخذني إليه وبكى معي، وأصبح كلانا يبكي، كان أصعب موقف مرَّ عليَّ وأجمل منظر أستشعره بعد طول غياب إخوتي عني! وأخذت أحلف وأوضح وأقص القصة كلها عليه بحذافيرها، لكن أخي كان يقول لي: سامحيني يا أختي أنا مقصر معك، ووالله ما بعدت عنك بإرادتي فأنت أخت واحترقت لأجلك.

وأخذ يلوم نفسه وتقصيره، وانتهزتها فرصة وشددت اللوم عليه وعلى أخواتي وقلت له: حتى لو كنت أخطأت، ويعلم الله أني بريئة كان المفترض أن تساعدوني وتقفوا بجانبي لا تهملوني وتشددوا علي في كل شيء، أنا أعيش في عذاب ليل نهار، أمرض ولا تسألون، أبكي ولا تعلمون، أموت باليوم ألف مرة ولا تشعرون، كلكم تريدون الانتقام مني دون ذنب . . . إلخ.

وهو لا يزيد على قوله: سامحيني يا أختي، لكن لا أعلم صدَّقنِي أم لا، ولكني ظللت أحلف وأكرر بالموقف، حتى يعيه ويصدقني.

مرت أيام: واجتمع الأهل كلهم بالبيت، ووجدت من إخوتي قربًا نحوي وسؤال واهتمام عن حالي ودراستي كحال زمان، وأفرحني هذا الموقف وشعرت بأن علاقتي معهم بدأت تتحسن، حتى أخي الذي يكبرني بقليل، والذي قاطعني وأسمعني كلامًا كالعلقم، بدأ يسأل عني ويتحدث معي، كأن شيئًا لم يكن، والحمد لله بدأت العلاقة تتحسن، وأول ما يدخلون البيت يسألون عني، حدث وأن أخبرتهم أني أحتاج جهاز جوال جديد، فأعطوني نفس الجهاز ونفس الرقم، واستغربت حقيقة للموقف!

كنت أظنهم سيمانعون أو حتى على الأقل لن يعطوني نفس شريحتي!

لكن شكرت لهم الصنيع وكأن شيئًا لم يكن! تخيلي من اتصل بي مجددًا؟ إنه الشاب ذاته! تذكرت كلامك، وما المفترض أن أفعل، لكن أبيت إلا أن أشتمه لأشفي شيئًا من غليلي، فعلت ولكن، قال وليته ما قال: والله أنا لا أعرفك ولا أملك لك صورة، ولا أعرف من أنت، لكني أقولها بكل صدق: صديقتك فلانة هي من أعطتني هذه المعلومات عنك! ونحن أناس لا نفرق بين من يكلمن الشباب وبين صديقاتهن، كلهن بأعيينا سواء، وأنا أحذرك منها . . . إلخ.

أعطيت الهاتف أمي وقلت : اسمعي، فعلمت أمي كل شيء، وأخبرت إخوتي، وكادت أن تحدث مشكلة مع أهل تلك الفتاة. إلا أن الأمر توقف لهذا الحد، وغيرت رقمي، وقطعت علاقتي بتلك الصديقة، وتحسنت علاقتي مع أهلي إن لم تكن عادت كما هي، واستفدت من هذا الموقف درسًا عظيمًا، لا أنساه ما حييت.

وها أنا أمامك، بأحسن حال، وأتيت اليوم لأسحب ملفي الجامعي، فقد تزوجت بإمام مسجد، وأود إكمال الدراسة بمدينة زوجي، الحمد لله على كل حال، والحمد لله على انتهاء الكابوس، والحمد لله على حياتك الآن.

حارت كلماتي ولا أدري ما أقول، لكني أسأل الله لك التوفيق، أينما كنت وحيثما حللت، وحفظ الله عليك بيتك الجديد.

دروس وعبر من القصة:

١- على الفتاة أن تحسن انتقاء الصديقة، ولا تعجل بالثقة لأي أحد، وهناك علامات تعرف بها الصديقة الصالحة من صديقة السوء .

٢- على الفتاة أن لا ترد على أي رقم غريب، وإذا ما تكررت اتصالات الأغراب أن تخبر أخاها الأكبر أو والدها بهذا الإزعاج ليتولوا الأمر، وغالبًا لا تتكرر الاتصالات المجهولة إذا قوبلت بعدم الردّ أو المبالاة.

٣- إذا قوبلت الفتاة بنوع من التهديد، من أي شخص كان، ولم يكن

إخوتها موجودين مسافرين مثلاً، فلا تتردد في إخبار هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان التهديد حقيقيًا أو وهميًا.

٤- ومن المفترض أن تتحاشى الفتاة الكلام مع الأجانب بالهاتف لا بحجة معرفة مقصده، ولا ماذا يريد، فإن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.

٥- التقرب من الله في المصائب والإكثار من الصدقة والاستغفار والإلحاح على الله بالدعاء بتفريج الكرب .

٦- تقوى الله في السرّ والعلن، وتجنب نواهيه وزواجره، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾



مأساة غدير

أحمدُ الله وأُثني عليه بما هو أهله، وأُصلي وأُسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا..

أما بعد:

(مأساة غدير)..

حديثٌ إلى صفحة من صفحات حياتنا.. ونبضةٍ من نبضات قلوبنا.. وقطرة من قطرات دمائنا.. حديث إلى الجوهرة المصونة.. واللؤلؤة المكنونة.. والدرة الثمينة.. والياقوته الغالية.. والغصن الزاكي الفواح إنها حفيدة عائشة وصفية.. وسُطِّرت من أجلهنَّ هذه الصفحات.. لتحمل كتابًا جديدًا إلى الفتاة المسلمة..

(غدير) قصةُ فتاة عاشت الضنك والكآبة والكدر فقد كانت تخرج للسوق وحدها لتبهر بجمالها الزائف العيون الشاردة والقلوب الحائرة لتسقط فريسةً سهلةً لشاب معاكس يُخطط لوأد عفتها وقتل شرفها، ولكن كُتب لها النجاة بأعجوبة...

كانت تعيش مع سماعة الهاتف الساعات الطويلة مع فتاة أحبتها وأُعجبت بخفة دمها وملاحة ظاهرها ليتطور وحل المعصية إلى اقتناء طبق فضائي (دش) في غرفتها الخاصة لتنتقل عبر (الريموت كنترول) من قناة لقناة أخرى، العربية منها والأعجمية سهَّل ذلك الصحبة السيئة المزلق الخطر والهاوية المؤلمة.. كيف لا !! وهي تتابع عبر الفضائيات الأوربية والفرنسية ودول الشرق والغرب الانحطاط الخلقي عبر الأغاني الساقطة والأفلام الآثمة !! والسهرات المثيرة !! والقصص المدبلجة!! قد استولى عليها (الفراغ) الذي حرَّك الشهوات من مكامنها ودفع الخطرات إلى

خطواتٍ وعمل.. فغدت الشهوةُ تسوقُها.. والشيطانُ يقُودُها.. والأغنيةُ تُنسيها والصورةُ تأججُ شهوتها.. وتشغلُ غرائزها.. لتفقد من حياتها الشمعة المضيئة «الصلاة» فقد كانت بدايةً تؤخرها عن وقتها ليتطورَ الأمر إلى أن أصبحتْ تُصلي أحيانًا بل اكتفتْ بالصلاة في المناسبات أمام العائلة والأقارب لتقع في المصيبة العظمى أن أهملتها وتركتها بالكلية وذلك بسبب شدة غرقها في بحر المعصية المتلاطم.

ما أمانيها؟ ما أهدافها؟ ما مشاعرها؟؟

ما آمالها؟ هل كان لها هدف في حياتها؟؟

لا أظن ذلك إلا إهدار الطاقات وقتل الأفكار والآمال كم كانت غافلةً عن قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾

والعاقلة لا تقدم الفانية على الباقية قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

(غدير) صفحةٌ من صفحات فتياتنا.. وورقةٌ من أوراق بناتنا.. ونبضة من نبضات قلوبنا..

في اتصال هاتفي قالت لي: السلام عليكم ورحمة الله...

أنا «غدير» أأنت فلان؟

قلت: نعم، ماذا تريدين؟

قالت: من الممكن أن أعرض عليك مشكلتي؟

قلت لها: عفوًا، ما نوع المشكلة زوجية أم عاطفية؟؟

قالت: بل عاطفية. ومن مدة قريبة جدًا..

قلت لها: أرجو أن لا يكون زنًا حماك الله..

قالت: هو يريد ذلك لكن لم يحصل..

قلت لها: احمدي الله، ما تزالين في برّ الأمان..

فانفجرتْ باكيةً بصوتٍ مشوبٍ بنحيبٍ قد لا أبالغ أنه استمر أكثر من دقيقتين لم تستطع أن تتحدث من البكاء، فعبراتها أخرست عباراتها..

هوَّنتُ عليها قليلًا فردت عليَّ باكيةً إنه يهددني.... إنه يهددني... بالصورة والرسالة والهدية...

سألتها هل لديك (بريدًا إلكترونيًا) فأجابت: نعم فطلبتُ منها أن تكتب قصتها كاملة وترسلها عبر بريدي هذا.. وسيكون خيرًا إن شاء الله.. وبعد ساعات معدودة وجدت أوراق قصتها قد وصلت تبعًا وقد تجاوزت الخمسةَ عشرَ صفحة، فكان مما كتبته في رسالتها:

(أنا فتاة في ريعان شبابي أبلغُ من العمر عشرين عامًا ثانية جامعة، خرجت مع السائق لأنزل السوق وحدي بعباءة قد شمرتها عن ساعدي من فوق بنطال يظهر جليًا عند مشيتي كنت منتقبة.. عفوًا بل متلثمة، يفوحُ العطرُ ويتحركُ معي دخلتُ أكثر المحلات لمناسبة ودون مناسبة لأدخل محلًا منها فإذ بشابٍ خفيفِ الظل، جميل الطلعة، مؤهلاته الأناقة والوسامة حسب ظني وجهلي، تحدثت معه بصوت متكسر وضحكة بل ضحكات مهزومة نشأتْ بيني وبينة علاقة كانت الباب رقم هاتف جوالي ورقم هاتف غرفتي الخاصة وهدية مناسبة للتعرّف مع إيميلي عدتُ للمنزل لأستقرّ في غرفتي قد ألقيتُ بجسدي المتعب بوحل المعصية وشؤم الخطيئة على فراشي لأعيشَ أحلامًا رومانسيةً بي في فتى أحلامي القادم..

وفجأة.. إذ بجرس الهاتف الخاص بي في غرفتي يناديني تحسست بيدي المرتعشة هاتفي لأرفع سماعته من؟ إنّه صوت (معاذ) صاحب المحل فتى أحلامي بل فتى همومي وآلامي يسألني عن رأيي في الهدية وهل أعجبتني؟ وعندي غيرها فاطلبي ولك ما تريدين تعرق جبيني.. وخفق قلبي بالخوف على هذه الجرأة منه ومني. قد استولى كلامه وعباراته على عقلي وقلبي.. أغلق وأغلقتُ السماعة بعد أن تمّ التعارف...

لا أطيل عليك.. جلستُ كعادتي على جهاز الكمبيوتر الإنترنت أسبح في فضائه الواسع الساحر كيف وأنا المدمنة للشات والماسنجر لأجل التسلية وقضاء الفراغ مع زميلاتي وصديقاتي.

وفجأة رأيتُ اسم (معاذ) صاحب المحل يريدني لإضافته فوافقتُ وبسرورٍ بالغٍ ودارَ بيني وبينه حديثٌ كتابي أخذ بعقلي وعواطفي، كم كنتُ أعاني من اضطرابات نفسية عند تأخره في خروجه على الماسنجر بل كنتُ اتصلُ به مرارًا وتكرارًا أنْ يظهر على (الشات) ولن أكتمكَ أنّي أمضيتُ معه مرة أكثر من ساعتين عبر الإنترنت استطاع أن يخدرني

بصوره القاتلة.. ومواقعه الإباحية.. وقصصه الجنسية.. وفي لحظة.. طلب مني أن أراه عبر (الكاميرا) في جهاز الكمبيوتر فوافقت ويا ليتني لم أوافق ولك أن تتخيل ماذا رأيتُ !!!! تفاصيل أخلاقية مؤسفة طلب خلالها مني الرؤيا فترددتُ كثيرًا لكن أخذتُ الكاميرا بيدٍ مرتعشةٍ ليراني مدة دقيقة أو أقل لأغلق الجهاز بأكمله وأنا في غاية الارتباك والخوف ماذا فعلت؟؟ وكيف حصل ذلك؟؟

رنَّ الهاتفُ مراتٍ عديدة لم أستطع أن أرد لكن وبعد ساعات اتصلتُ أنا، وحين سمع صوتي وأني المتصلة أيقن أنني وقعت في الفخ والمصيدة فطالبني بالرؤيا واللقاء..

(وأنَّ اللثام وإنْ كان رائعًا ولون عدسة عيناي فاتن وفريد لكن بعد أن رأني عبر الكاميرا فالخيال ازداد جمالًا ورونقًا بدون غطاء ولثام وأنه حرام عليَّ إخفاء هذا الجمال).. طالبني باللقاء فرددتُ: كيف؟؟ ومتى؟؟ ولماذا؟؟ فأنا أخاف من أهلي وكأنه الأمل الوحيد في حياتي.. أغلقت السماعة وأنا في غاية الارتباك لهذا الطلب هل أحققه أم أمانع؟ فما تزال صورته في المحل مرسومة في مخيلتي وصوته يدوي في أذني، وأنه وعدني بلقاء ورؤية فقط فكرت كثيرًا ماذا أفعل؟ اتصلت بـ (أسماء) زميلتي في الجامعة وكانت ملتزمة فقالت:

لا تصدقية إنّه كذاب، إنّه ذئبٌ بشري لا تغتري بما يقول فرددتُ عليها: إنّه جميلٌ... إنّه وسيمٌ... إنّه أنيقٌ... حسن الهندام... وبيني وبينه محادثات كتابية...

ردت علي أسماء لو كان صادقًا لفاتح أهلك بالزواج منك احذري

واحذري وإياك!!

أغلقتُ السماعة منها حائرةً مترددةً لأتصل بسرعة وعجل بـ (نورة) وكانتْ مثلي فأشارت عليّ وبئس المشورة أن أتنازل له بصورة مع رسالةٍ جميلةٍ عبر البريد الإلكتروني ودعِ عنكِ الخوف والتردد، ثم كونه قد شاهدك في الكاميرا فقد حفظ الصورة بالتأكيد فتجاوبي معه ولا تكوني معقدةً فاشلةً ففعلتُ ذلك فبادر بالاتصال شاكرًا هديتي وهذه نهاية استشارة الزميلة السيئة.

رنَّ الهاتف الخاص بي فدق قلبي لرنينه إنَّه هو لكن قد تغير صوته ونبرة حديثه معي يهددني بأن أخرج معه وإلا الفضيحة بهذه الصورة وقبل ذلك المحادثات الصوتية والكتابية عبر الماسنجر الذي سجله عليّ حين الحديث معه لي وأرسل لي مقطعًا منه ليتقطع قلبي ألمًا وحسرة آهٍ.. كيف أعطيتُه الطعمَ الذي اصطادني به، وهذه نهاية حجاب الموضة وأصول الإتيكيت المزعوم..

هنا... اتصلتْ عليّ الفتاة مرة أخرى تسأل عن وصول أوراقها واطلاعي عليها، كانت تتكلم بصوت منقطع ودموعٍ لا تجف.. وإني أعترف بالخطأ لكن ما العمل؟ وماذا أصنع؟ فقد كبرتِ المشكلة هونتُ عليها قليلًا.

وقلتُ لها: إنْ خرجت معه فستركبان بحر الزنا ومقدماته لا محالة على قارب اللذة المحرمة يسوقها الذئب بمجداف الشهوة الحيوانية، وحينئذٍ ينقلب القارب بأمواج الرّذيلة والمعصية لتسقط مجاديف الحب المزعوم بقتل أعز ما تملكين: عفتك وشرفك بعد أن يلطخ عرضك وسمعتك ووقارك بهذه الجريمة المحرمة.. لتعودين باكية حزينة إن عدت، والعود بعيد بل أبعد، وإن خرجت معه فسيشهر خنجر الذل والعار عليك فيغرسه في قلبك وسيحمل العار أنتِ وحدكِ فاحذري أن تتجرعي ألم اللذة المحرمة...

بكت (غدير) وهي تردد: ماذا أفعل؟ ومن يكفيني شرّه؟

فأنا مخطئة ودمعتي وبكائي دليل توبتي والله إني تائبة!!

قلت لها: عليك بباب لا يغلق في وجه من قصده!!

قالت: من؟؟ عجل... تكلم؟؟

قلت: الله من خلقكِ وهو أعرفُ بك هل نسيتِ؟؟

الآن توضئي واتجهي إلى سجادتكِ والبسي ثوب الصلاة وكبري واقرأي واركعي واسجدي وناجي الله، فدمعةُ حزنٍ وتألمٍ على ما فات في جنب الله، ودمعةُ فرحٍ وسمو وأُنسٍ من سعة رحمة الله، فمهما بلغت الذنوب والمصائب فليس لها إلا الله عز وجل...

قلت لها: أختي والله ما زلتِ في برّ الأمان.. فكونهُ يُهددكِ برسائل الماسنجر فهي لا تعدو رسائل تُحفظ في شكل مفكرة قابلة للنقص والزيادة. أما كونه حفظ صورتك حين خروجك في الكاميرا فلا أُظن ذلك؛ لأن تجهيز الحفظ يحتاج لوقت ومدة دقيقة فأقل في رؤيته لك غير كافية لتشغيل البرنامج للحفظ والتسجيل فلا تخافي مع أنها ليست دقيقة في الوضوح ولو كان يهددك بذلك فلن يفعل.. أما الصورةُ التي أرسلتيها فهنا المشكلة لكن حلها سهلٌ ويسير جدًا؛ فبحكم ما أرسلتي لي عبر بريدي الإلكتروني فهي لا تعدو صورة لك منذ ٣ سنوات وأنتي أرسلتيها مصغرةً بدرجة لا تقبل التكبير أبدًا وإن فعل فأراد تكبيرها فستضيع معالمها فلا تخافي وكوني صادقة، وكم أتمنى من كل فتاة أن تسارع في حل المشاكل دون انتظار وتسويف، وأن من تورطتْ أن لا تُبالغ في الخطأ والزلل وأن لا تتنازل أكثر بحجة إيجاد الحل...

هنا.. فرحت (غدير) جدًا بهذا الكلام، فأعلنتها توبة وعودة إلى الله عز وجل لتعيش حياة جديدة رائعة بالهداية والتخلص من صديقتها السيئة أولًا وللأبد مع إلغاء رقمي الجوال والثابت الخاص ثم بالطلاق البائن من وحل الإنترنت وجحيم حجاب الموضة ولظى أصول الإتيكيت

أختي الكريمة... (غدير) ما الدافع الذي جعلها تقع ضحية الهم المؤلم ؟؟ والفضيحة القاتلة ؟؟ فعاشت في أرقٍ وقلقٍ دائم فهمومٌ متراكمة

يجر بعضها بعضًا.. فقلوب فتياتنا هي الصفحات البيضاء الجميلة التي نخاف عليها من كل شيء حتى من نفسها، وقلوب نسائنا هي قلوب الأمهات الأكثر حنانًا والأغزر عاطفة.. وكأنَّ سلسلةً من الآلام القاسية محفوفة بالمخاطر والحقد الدفين من أعداء الأمة وُضِعتْ أمام طريق كل فتاة لتقع فريسةً سهلةً للشيطان حين عثرت قدمها في وحل المعصية فعاشت التقليد الأعمى والتبعية المقيتة.. قد خابتْ آمالُها وظنونها وكأنَّ أشواك المعصية أعاقَ حياتها ودروب نجاحها.. فالزنا لا يقع فجأة بل له مقدماتٌ وإرهاصات وأشد ذلك الشبكة العنكبوتية والتبرج والسفور كل ذلك حماية للفتاة والمرأة من وحل المعصية وذل الخطيئة وشؤمها ليحذرها من الزنا بأقوى عبارة وأقصرها... قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا ومنهجًا..

فما للفتاة غفلت عن التأمل والتفكير، وكان واجبًا عليها أن تكون أكثر وعيًا وفهمًا لما يراد بها، فجمالُها ورقتُها وقوامتُها وعذوبةُ صوتها وشفافيةُ مشاعرها أبواب سهلة للدخول منها لأي شيء؛ لقتلها وذبحها في أشرف ما تملك وتتميز به ألا وهو عفتها وعفافها.

أختي الغالية:

لا تصدقي من خلف هذه الشاشة، فليس كل ذي ملمس ناعم حريرًا.. وليس كل من لبس نظارة سوداء ضريرًا..

لا تصدقي الكلام المعسول؛ لأنك تعرفين المطلوب والهدف..

لا تصدقي كل ابتسامة، فالذئب يبحث عن حمامة.. لا تصدقي من قال: أريد الزواج فقد كسر الزجاج..

لا تصدقي صاحب الحاجة فهو ينظر إليك بسذاجة..!!

كوني فتاةً من الصحوة ولا تكوني فتاةً تبحث عن نزوة !!

كوني على حذر من المنتديات ورسائل الماسنجر والشات..

كوني عفيفةً طاهرةً لكي لا تكوني قبيحةً عاهرة..!!

أختي الكريمة.. شدني في قصة (غدير) السابقة أنَّها تعشق الرومانسية

التي لها تجتمع آلاف الخفقات من قلوب الفتيات، فكم ينشرح فؤاد المرأة لذكريات هادئة من حياتها. .

(لُبْنى) ذات التسعة عشر ربيعًا تقول عن الرومانسية:

«الرومانسية هي حياتي الخالية من الخيانة والكراهية والحقد بين أحبابي وأصحابي ومن أجلس معهم فالقلوب تنبض بالحب والعاطفة المتدفقة. .». .

وصفٌ جميل من فتاة تعايش الرومانسية بنظرتها وحينئذ لن نتجاهل أبدًا أنَّ الرومانسية متواجدة في قلوب الرقيقات ذوات المشاعر العذبة اللاتي أدمنَّ حكايات قصص رومانسية (روميو وجوليت. . وقيس وليلى) والعادة والهناء لكل من ولد في برج الرومانسي (الجدي). . لتبدأ سلسلة التعلق بالأبراج والحظوظ والتنجيم وقراءة الكف الخلل العقدي الخطير.



نصائح ووقفات لأختي الكريمة

أختي الكريمة:

قتلتْ الأفلام الرومانسية الحقيقةَ الغائبةَ في حياة الفتيات فالشعورُ بالفرح ارتبط بالأغنية واللقطة والمشهد والقصة والمعالجة الدرامية، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، فالجوارحُ لله.. وما ينتج عنها يجب أن يُعبَّدَ له، ويكون في طاعته أمَّا السكوتُ وغضُ الطرف عن هذه الحقيقة فمعناه عظم المشكلة وسوء التصرف فمنَ المحزن المؤسف أنْ تعيش المرأة الرومانسية المزعومة التي جسدتها الأفلام لتبكي وتتأثر وتعيش الحبَّ المزيف والمشاعر الكاذبة في وحل المعصية والخطيئة عبر الوردةِ الحمراء والهديةِ المغلفة والكلمة الحانية، نعم الرومانسية قتلت العلاقة الزوجية وبثت الفرقة بينهما كيف لا ؟؟! وهاهي الأفلام المكسيكية والأسبانية الرومانسية المدبلجة تعرض في دقائقها الدعوة الصريحة للعشق والزنا واتخاذ الصديق فضلًا عن الملابس الفاضحة والقبلات المحرَّمة والتصرفات المؤسفة؛ ليعظُم الأمر في مشاهدة غير المتزوجة التي عرفت بالحياء والعفاف أكثر من غيرها..

فمن الفتيات من تقرأ عشرات قصص الحب وتتابع أفلامه وتحفظ قصائده، وتنتظر بعد ذلك وبشغفٍ بالغ فارسَ أحلامها الرومانسي..

(غدير) تقول وبكل صراحة:

(مأساتي.. يوم أنْ أدمنتُ رؤية أفلام الحب بشكل محزن مؤسف ونسيت أن جمال الفلم قبح وخدش للحياء وخروج عن تعاليم الدين، وكأنّي جسدٌ بلا روح.. بسبب الرومانسية رميتُ حبي ومشاعري في صدر رجل غريب لا أعرفه ولا أدري من هو؟ تعرفت عليه عن طريق الإنترنت فسحرني بضحكته.. وكلماته.. ووعوده.. وأسلوبه.. وأشد ذلك مواقعه الإباحية.. وصوره الجنسية....).

الرومانسية.. تطبّعٌ لأخلاقيات الفتاة والمرأة في محبتها ومشاعرها وتصرفاتها فعاشتْ في بُعدٍ عن الإيمان والطاعة فأصبحتْ بلا هدفٍ سلوكي وديني..

مرَّ عبدُ الرَّحمن بنُ أبي بكر الصديق بدمشق بليلى الجودي ومعها وصيفتها فأُعجبَ بحسنها وجمالها ولم يعرف كيف السبيل إليها، فكتب عمر بن الخطاب إلى صاحب الثغر إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمتُ عبدالرَّحمن بن أبي بكر (ليلى) فلما فتح الله دمشق غنَّموه إياها.

قالت عائشة: فكنتُ أكلمه فيما يصنع بها فيقول: يا أخية دعيني فوالله لكأني أرشف من ثناياها حبَ الرُّمان. ثمَّ ملَّها وهانت عليه فكنتُ أكلمه فيما يُسيء إليها كما كنتُ أكلمه في الإحسان إليها، وقد قالت عائشة لأخيها عبدالرحمن: لقد أحببت ليلى فأفرطت، وأبغضتها فأفرطت، فإمَّا أن تنصفها وإمَّا أنْ تجهزها إلى بيت أهلها..!!

أختي العزيزة:

بكل شفافيةٍ ووضوح هل تقبلين بزواج كان الطريق له تعارف عبر الماسنجر ورسائل البريد الإلكتروني وحينئذٍ لكِ أن تتخيلي نفسكِ بعد سنةٍ من الزواج والارتباط وقد أصبحتِ أمًّا وملكةً في بيتكِ هل يسعدك أنْ تلتفتي إلى ماضيكِ لتجديه ملطخًا بهذهِ الأعمال التي لا دافع لها إلا اللذة المحرمة !! فما شعورك حينما تجدين زوجك على شاشة الإنترنت يكتب ويرسل ويتصفح ويتحدث؟؟ ألا يخطر ببالك أنكِ كنتِ ممن كتب لها وأرسل إليها وربما أفصحت عن أسراركِ وأنتِ من لا تعرفيه؟؟! هل يُسعدكِ أن تري زوجك فتشعرين بالعار وتأنيب الضمير وأنتِ تُخفين عنه شكوك واهتماماتكِ له فعشتي حياة الكدر والهم والغم لوحدك ولا تجدين تفسيرًا لذلك إلا أنه عقوبة الماضي وكفى!!

أخيتي الكريمة:

بكل صراحةٍ لكي يكون الحبُّ رومانسيًا خياليًا يجب أن يموت أبطالُه محرومين أو أن تقفَ الفتاةُ أمام رغبةِ أهلها وقبيلتها بوجوب الزواج ممن

تُحب ولو كلّفها كل ما كان ويكون، وهذا ما لا يستقيم عليه أمر الدنيا الذي يحتاج إلى تفكير عملي واقعي في بناء الأسرة ورعاية الأولاد وتكوين المجتمع والتعاون في مواجهة صعوبات الحياة ومشكلاتها..

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فيما أوثر عنه: «ما كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والحسب والمرؤة».

وفي الصحيح أنه ﷺ قال: **«كل معروف صدقة.. وفي بضع أحدكم صدقة!!»** قالوا: يا رسول الله، أياتي أحدنا شهوته ويكون له بها أجر؟ قال: **«أريتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر؟»** قالوا: نعم. قال: **«فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»** وهكذا ارتقى الإسلام بالإشباع الجنسي في فراش الزوجية إلى درجة أن يكون معروفًا وصدقة وأجرًا. وأن يذكر عليه اسم الله تعالى.

أخيتي العزيزة:

لا تقدُمي على أيِّ خطوةٍ بمجرد العاطفة والحب والعشق فمن متَّع نفسه بالحرام، فإنَّه يُحرم من كمال لذة الحلال وتأملي كل تصرفاتكِ والعواقب المترتبة على دينكِ وأهلكِ وسمعتكِ وعرضكِ ونفسيتكِ.

آه من الشات:

(الشات) دهاليزُ الخبثِ والمكرِ والعهر والفضيحة، فكم هم العابثون بالحرمات والشرف؟؟ ليجعلوا الفتاة قتيلة أو أسيرةً لا تلبث أنْ تموت مدفونةً، وفيها روحُها في قبر الخزي والعار، والهالك في الدنيا قبل الآخرة؛ لأنها في نظرهم صيد ظفروا به أو شهوةً تحققتْ قد حان التخلص منها في مشهد درماتيكيٍ طالما يتكرر ولا عبرة ولا عظة.

أخيتي الكريمة... أيتها الغالية:

اعلمي أنَّكِ بحق مستهدفة من قبل فئات الشباب المنحرف السيئ الذين يُخططون لاصطيادكِ وأنتِ ربما لا تعلمي ذلك فهناك كثير من الذين

انعدم عندهم الخوف من الله وتبلد إحساسهم يكيدون لكِ كيدًا ويجتمعون ويخططون للظفر بكِ مهما كانت النتيجة وأخصُّ بذلك مجموعات المشاركين في برامج المحادثات كالشات.... والماسنجر والبالتوك.... وغيرها من المحادثات الصوتية والمرئية...

نعم...... أقصد أولئك الذين يغلّفون لكِ المكر والكيد والخديعة بغلاف الصداقة الحميمة... والحب الطاهر بغلاف التسلية المؤدبة فقط أو بغلاف العواطف المريضة الممجوجة، أو بأي غلاف يسمونه نعم... أتحدثُ لك عن الذين يصطادون في الماء العكرْ عديمي الإحساس عُبّاد الشهوة ولصوص الأعراض... أقول ذلك وكلي ألم لحال الكثيرات... من اللواتي أثرت فيهنَّ كلماتُ الذئاب فأصبحن يجرين وراءهم جري الضمآن خلف السراب من الفتيات الطيبات اللواتي دخلنَ بطيبة قلبٍ وحسن نية.

بل أرادت الدعوة فدُعيت، حلمت بالتأثير فتأثرت، اشتاقت إلى إصلاح الغير ففسدت، وكأنّها هي ومن تدعو كالتفاحة السليمة بين التفاح الفاسد لم يصلح، بل فسدت، كيف لا! وتفاحةٌ واحدةٌ فاسدةٌ قادرةٌ على إفساد الكثير من مثلها ألا تعلمي يا فتاة الإسلام أنه يوجد في هذه الشات الخطيرة عصابات متخصصةٌ في اصطيادكِ وإيقاعكِ وإغراقكِ في مستنقعات الرَّذيلة؟ فهل أنتِ على علم بهذا ؟ أم أنّك واسمحي لي بهذه العبارة ساذجة؟ لماذا هذه الثقة العمياء الصمّاء التي تولينها شابًا لا تعرفينه ولا تعلمي عن تاريخه وحياته شيئًا؟ لماذا تنثري أوراقكِ له وكأنّه أقرب الناس لكِ؟؟ فأيُّ عاقلة تفعل ذلك!!

أخيتي الغالية!!

إن كنتِ عازمة على دخول الشات فإليك هذه التوجيهات والوصايا:

(لا تكثري أخية... الدخول إلى الشات، ولا تجعليه عادة لك وكوني أداة إصلاح وخير في الشات ومعينة على الخير دائمًا وأبدًا ولا تغرك بعض أسماء الغرف التي ظاهرها حب الاحترام والتقدير وداخلها البلاء والشر

المستطير، واحرصي على الغرف المفيدة كما لا تعطي للشباب مجالًا للحديث معك ولا مسايرتك، وانتبهي لمكرهم المكشوف فهم يدخلون عليك أحيانًا بسؤال عن معنى اسمك ربما أو إثارتك بكلمة أو حركة تجرُّك للحديث معه باسم التعارف أكثر وانتظري رسائل البريد الإلكتروني المصيدة الكبرى والمهلكة لكل فتاة، ولكي تنجي من ذلك عليك باختيار الاسم وحاولي أن لا يدل على أنوثتك حتى ترتاحي من كثرة المضايقات وكوني الفطنة اللبقة، فلا تشاركي في إفساد الشباب بكلامك اللين معهم؛ لأن الكثير منهم يتأثر بذلك).

أخيتي الكريمة:

لا تجعلي من الشات سببًا لترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها.. كما لا تغضبي والديك بسببه، وكوني قوية إرادة في أداء العبادات واحفظي الله دائمًا يحفظك ويرعاك ويسدد خطاك.

نهاية قصة غدير:

قبل الختام.. وبعد سنة من تاريخ الحادثة وتفاصيل القصة أرسلت لي (غدير) عبر البريد الإلكتروني أنها التحقت بمدارس تحفيظ القرآن الكريم النسائية لتعايش جمانًا صالحات يحملن أعظم كتاب وأجلّ تشريع وأعظم نبراس (القران الكريم) تعلمًا تلاوة وحفظًا قد تأدبن بآدابه وأخلاقه، فلم يُسمع منهن لفظ بذيئ أو أسلوبٌ ساقطٌ فهنّ الصور المشرقة والنماذج المضيئة في حفظ الوقت وتنظيمه.

تقول (غدير) عن نفسها: وجدتُ بها الرفقة الصالحة اللواتي عرفتُ عنهم حب الخير للغير وإثراءِ روح التنافس.

❁ ❁ ❁

لمياء وهند

عفوًا.. أرجو منك أن تنشر هذه القصة بين أختين هما من أحب الناس لي في المدارس فيها العظة والعبرة أحببت أن أسميها (لمياء وهند).. فإلى تفاصيلها:

(لمياء).. أخت هند الكبرى ولدتْ معاقةً وبالتحديد في قدميها، أحبها والداها لكن محبة من نوعٍ آخر إنها محبة رحمةٍ وشفقةٍ لضعفها وعجزها، فلئن فرحوا بها فقد أحزنهم ما ألمَّ بها كيف ستعيش؟؟ وماذا ستفعل؟؟ في وقت أشرقت شمس حياتها على الدنيا مثلها مثل غيرها من بنات جنسها مضت الأيام والشهورُ بل الأعوامُ ومن حولها يمشي ليرمقَ الجميعُ في وجهها علامةَ الإستفهام، ولكن بعد ثلاثة سنوات قرّرَ والدها الحنون الكريم شراء (العربة) الخاصة بمن في حالها ومثلها ليبقى قضاء الحاجة من أهم الصعوبات التي تواجهها، ولا داعي لتفاصيل مؤلمة للكاتب والقارئ والسامع لتأتي فكرة (الخادمة الخاصة) كحل رائع مناسب لتخفيف المشكلة لكن إلى متى؟؟

بلغت (لمياء) ست سنوات وكان من حقها دخول المدرسة فطالبتْ وبإصرار أن تلتحق مساءً بمدارس تحفيظ القرآن الكريم تنفيذًا لوصية معلمتها فوافق والدها وبكل سرور وفرحٍ بالغين وما هي إلا أيام وشهور وعام وأعوام، فإذ بها تُصبِح تالية كتاب الله لتعطر أسماع بيتها بكلام الله بصوتٍ شجيٍّ نديٍّ في وقت لم تتمالك أمُّها من البكاء لما ترى وتسمع!!

(لمياء).. كانت ذكية.. لبقة.. هادئة الطباع، بل مجدة في حفظ القرآن الكريم مع حداثة سنها وإعاقتها فلم تستسلم للحزن مطلقًا طيلة أعوامها الثلاثة عشر لتبلغ ٢٣ سنة لتغرس المدرسة في نفسها الثقة وحب الخير للغير، فهذه أختُها الصغرى (هند) ذاتُ الإحدى وعشرين ربيعًا

تُخطب للزواج، فلما أخبرتها تهلل وجه أختها (لمياء) فرحًا واستبشارًا لي.. كيف لا !!.. وقد تربتْ على الخلق النبيل في إثراءِ روحِ المحبة الصادقة لي لتناديها قائلة: (هند أخيتي أقربي مني)، فقربتْ لتقبلها قبلةً مشوبةً بدموعٍ سبقت عباراتها ودعواتها لها بالتوفيق والنجاح.. وهي من تحمل الشخصية الفذة.. والإيمان الأقوى.. فهي من تملك القلب الكبير.. والوجه المشرق فهي الصبورة المطمئنة.. المبتسمة وكأن الإعاقةَ في جسمها لا في روحها وروحانيتها..

أتمتْ حفظ القرآن الكريم وشيئًا من الحديث النبوي ليأتي اليوم الموعودُ في زواجها فتتقدم بمساعدة خادمتها نحو منصة الحفل لتتلو آيات من كتاب الله بصوتها الندي الشجي فبكتْ وأبكتْ من حضر.. وارتجلتْ كلمة شكرت الله وأوصتْ الجميع بمعرفة نعمة الله عليهنَّ بالصحة والعافية داعيةً الجميع للمحافظة على الصلوات الخمس والسنن الراتبة وأنها البوابة الأولى للحياة السعيدة كما لم تنس الحث على وجوب الحجاب ومراقبة الله فيه والتلذذ به والفرح والأنس بالعافية كما أوصتْ من حضر بالاستفادة من وسائل العلم النافع من كتاب أو شريط أو مطوية في مشهد مؤثر ومبكي لتنادي (لمياء) فلةً رائعةً من الفتيات الصغيرات ليبدأن في صوت الزغاريد مكللةً بالدعاء لي وللجميع بالتوفيق، ليبدأ الفرح بالدف المشروع في احتفال رائع أروعُ منه المعاقة، الأنموذج المضيء لمدارس تحفيظ القرآن الكريم النسائية..

ختامًا.. (لمياء).. تفاصيل حياتها تطول لكن أعطاها الله ما يُعطي غيرها من بني جنسها وإني لأرجو لها الزواج والإنجاب عاجلًا وقريبًا...

فدعوةٌ لكل فتاة أن لا تكل جهدًا في أن تكون لؤلؤة من لآلئ مدارس التحفيظ وغصنًا من أغصانها الفواح وثمرةً من ثمارها اليانعة.. ويا ليتني كنت مثلها في حب القرآن الكريم لما وقعت في الخلل والزلل...!!

نعم.. (ماتت غدير) مرتين..

الأولى.. يوم أن وقعتُ فريسةً سهلةً للشيطان وجنوده لكن غلبتهُ

بالتوبة والإنابة لله وحده..

والثانية.. وهي موتي وحياتي في آنٍ واحد لقد ماتت نفسي الآمرة بالسوء الداعية للفسوق والمعصية لتحيا نفسًا أخرى مع كوكبةٍ ملتزمةٍ في مملكة مدارس تحفيظ القرآن النسائية صمام آمان الفتاة التي تريد أن تكون أمًّا صالحةً لقد نسيتُ ما قد سلف فمهما كان فإن الأيام الماضية لن تعود فقد رحلت بمرِّها ومرارتها لأعيش حياةً جديدةً بلا هموم وأحزان عاشها قلبي الملهوف فترةً من الزمن مع الشبكة العنكبوتية، الأقنعة الزائفة والأيادي الماكرة الخبيثة أما الآن فأنا أرجو رحمة ربي وأخاف من عذابه وأتلذذ بتلاوة كتابه، وأهتم بجروح عالمنا الإسلامي... اهـ.

كلمة لشباب المسلمين:

أيها الشاب المسلم : اتق الله في بنات المسلمين، ولا تعبث بأعراض الناس، فيبتليك الله في نفسك وأهلك، فكم من بيت أفسدته، وكم من مستقبل دمرته، وكم من دعوة مظلوم رفعت عليك، اتقوا الله يا شباب المسلمين في بنات المسلمين، وليعتبر كل واحد منكم كل فتاة مسلمة أخته.

هبوا أنها هي المقصرة، وأنها هي البادئة كما نسمع في هذه الأيام، اتقوا الله واعفوا عنهن فإنهن أخواتكم، وعليكم بالنصح والتوبيخ لمن ابتدأتكم.

اتقوا الله في أنفسكم واتقوا الله في بنات المسلمين.

هدانا الله وإياكم، وأرشدنا لما فيه مرضاته وتقواه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

❁ ❁ ❁

من ضحايا الإنترنت
رسالة إلى مدمني النت والشات

هذه قصتي بمداد الدم كتبتها، بحبر الألم أنسجها، وهي رسالة لمن تعيش همي فتسليها، ولمن حماها الله منه فتحذِّرها، سبقني الكثير ممن عاشوا هذه التجربة المرة سطروا تجاربهم بألم وحسرة لم أرعِ ولم أتعظ من قصصهم، حذَّرت وكرر التحذير حتى مللت، فالغريزة الجنسية والعاطفية فاقت كل شيء.

لن أقول: إنني أتابع مجلات خليعة أو أفلام ماجنة

ولا أخرج لأسواق أو ملاهي، بل إني محافظة كثيرًا ومحتشمة وعرفت بذلك

يسمونني الملتزمة وأحيانًا الداعية!!

هذه الملتزمة التي يدعون والداعية أصبحت أسيرة الذنوب، فراغ قاتل عشته، لا وظيفة ولا دراسة، ماعدا أعمال خيرية

لا تشبع رغباتي ولا تطفأ فراغي، عرفت طريق النت وكما يقال للدعوة وللدعوة فقط، شاركت بمنتديات إسلامية كانت حازمة جدًّا

دائمًا ينتقدوني إذا ما حاولت أن أروح عن نفسي قليلًا

حتى خنقوني بتكبيلهم وشدتهم، سمعت عن فتيات يحادثن الشباب على الماسنجر

استغربت جرأتهن، كما كنت استغرب جرأة بعض الأخوات في ردودهن على الرجال.

خرجت لمنتدى عام حتى أنفس عن نفسي قليلًا كما زين لي الشيطان.

لم أستطع أن أجلس بينهم فلم أتعود إلا جو الملتزمين.

كثرت رسائلهم تطلب مني العودة، عدت ولكن بلباس جديد.

كنت جادة كثيرًا لخوفي من المنتديات العامة، لكني وجدت ما افتقدته في المنتديات الإسلامية، وجدت من يهتم بمواضيعي ويتأثر بها، وجدت من يشعر بقيمتي ويشجعني، بل وجدت كلامًا معسولًا كنت بحاجة ماسة له.

حققت رغبتي الدعوية فيه وأنتجت ثمارًا لم أنتجها في المنتديات الإسلامية، لكني لم أستطع أن أنكر كل المنكرات لخوفي من نفورهم بعد مرور الأيام تغير الحال وأصبح المنكر معروفًا، تكررت تحذيرات الأحبة من المشاركة في المنتديات العامة، ولكن لتعلقي في هذا المنتدى أصريت على البقاء مع التغير الملحوظ في المنتدى بعد مجيئي ولله الحمد، ولكن لم يستمر الحال.

شعرت أني غريبة بينهم، فأنا الوحيدة التي لا تمازح الأعضاء ولا تراسلهم، أصبحت لدي رغبة كبيرة في التعرف على الأعضاء خصوصًا.

بعد أن أصبحت مشرفة بينهم، تعرفت على اثنين من الأعضاء حادثتهم على الماسنجر والخوف يملأ جوانحي وبعدها تعلقت بهم كثيرًا لدرجة أني لا أستطيع أن أفارقهم أحيانًا بالرسائل وأحيانًا بالماسنجر، وأحيانًا عبر الردود.

تمنيت أن يوجهني مدير المنتدى وينصحني، ولكن لا فائدة.

تطور الأمر إلى رسائل عبر الجوال، إلى أن وصل الأمر إلى تبادل الصور والمحادثة الصوتية، فقد أنعم الله عليهم بالوسامة والخلق والأدب.

غزلهم بأسلوب راق جذاب، تعلقت بهم كثيرًا، فأصبحت لا أنام الليل ولا أذوق الطعام، حتى رق عظمي ونحل جسمي، أصبحت متوترة شاردة الذهن ملازمة للنت وللجوال، حتى شعرت أني أختنق وخفت العار والفضيحة، فكذبت عليهم وقلت بأني سأتزوج قريبًا، لا أدري الآن هل سأصبر عن فراقهم؟؟ وهل سيستر الله علي؟؟

أسأل الله أن يعفو عني، فإني كثيرًا ما أفكر بلقائهم وإشباع رغباتي الشهوانية الشيطانية، خصوصًا أني كبيرة فوق (٢٥) ولا أمل في زواجي

لتشدد الأهل في الشروط، ولأني لست بالجميلة، ولحيائي الشديد فلا أستطيع أن أقنع أهلي بالزواج إذا تقدم لي صاحب الدين

مع رفضهم مقدمًا إلا من نفس العائلة وبشروط لا أستطيع وصفها، حرموني احتضان طفل والفرحة بالزواج.

أغلب صديقاتي تزوجن وأنا لا زالت أنتظر من يقبل به الأهل، أؤمن بالقدر، ولكن لي طاقة معينة، ولا أستطيع أن أقاوم مغريات الحياة.

لا سلوى لي إلا بالنت والذي هو مليء بالموضوعات التي تدغدغ العواطف وتهيج الشهوة، لا يخلو منتدى من الاختلاط ولا نستطيع أن نتمالك أنفسنا بعيدًا عنهم.

وقد منعنا من ممزاحة حتى محارمنا!! الرجل ضعيف والمرأة ضعيفة.

المجتمع مليء بالمغريات والفتن، والإيمان يضعف مع كثرة المغريات، منعت نفسي حتى من الخروج لأئمن على نفسي من الفتنة ولكن لم أستطع فما الحل ؟؟

أنقذوني أكاد أغرق وأخشى أن أغرق أهلي معي، أريد أن أختم قصتي بسطور موجهة إلى كل من:

- مدير المنتدى:

لن أسامحك أبدًا على أي تقصير في ضبط منتداك ومراقبة أعضائه وعضواته، أنت المسئول عن كل تقصير أو انحراف لأي عضو من الأعضاء.

- مشرفة المنتدى والمراقبة:

أنت مسئولة أيضًا عن بنات جنسك، فلماذا أراك مقصرة في توجيه أخياتك؟

لماذا لم تؤد الأمانة التي اؤتمنت عليها؟

لماذا لم تتفقدي أخياتك وتشعريهم بقربك إليهن ولا تحوجيهن إلى الأعضاء من جنس الرجال؟

- إلى الأعضاء والمشرفين والمراقبين:

رفقًا بالنساء فهن يحملن عاطفة قوية تنفجر مع كلامكم المعسول، الم تعلموا أنكم بكتابتكم لها (حبيبتي) تهيجوا عاطفتها

ارحموها وارفقوا بها فهي قارورة قد تسقط فتنكسر، ولا ينفع بعد ذلك أي جبر لهذا الكسر. .

هذه رسالة كتبتها لتتعظ جميعًا، ولا تنسوني من دعائكم في جوف الليل بأن يرحمني ويقبضني إليه عفيفة غير مفتونة .

أختكم المجروحة.



كما تدين تدان

كان هناك شاب، كغيره من الشباب، يستعمل النت وغيره من وسائل الاتصال، بالبنات اللاهيات الغافلات، اللواتي عن صلاتهن ساهيات، وبعلمهن مهملات، وبالمسنجرات لاهيات، فلم يترك وسيلة اتصال، عبر الإنترنت تبادل الصور والأصوات، والموبايلات، كان خير سبيل لترتيب المواعيد والمكالمات، كان يعرف الكثير من البنات، يغازلهن بأجمل وأرق الكلمات، ووعدهن بالزواج، كان يكرر كلماته على كل فتاة يعرفها، ومنهن من قابلهن بطرقه السرية، لم يكن يفكر بالزواج، فعنده الكثير من البنات اللواتي أشبعن غرائزه، وتخيلهن وكأنهن معه نائمات. ولكثرة من عرف من البنات، تأكد أن جميعهن خائنات.

وكان لديه أخوات، فحرص عليهن شديد الحرص حتى لا يقعن بأمثاله من الشباب، فلم يسمح لهن بالرد على الهاتف، أو حتى النظر من الشباك، كان يوصلهن بنفسه إلى الكليات، ويترقب جميع تحركاتهن حتى في البيت، فقد شدد عليهن الخناق.

وفي يوم من الأيام، أوصل أخته إلى الكلية، ولم يغادر حتى تأكد من دخولها وغلق الباب، فركب سيارته وعاد إلى البيت عاد، ليكمل أحاديثه مع الصديقات والخليلات، وخلفه وفي إحدى الطرقات حصلت حادثة مفجعة، إنها سيارة انقلبت على من فيها، ولو تعلمون من كان فيها، لقد تعرفوا عليها من خلال بعض الأوراق التي تناثرت في الهواء.

لقد كانت أخته مع شاب، بصفاته، كان يواعدها ويأخذها، ليستمتعا معًا، ولكن ما حدث لهما لم يكن يخطر ببال، لقد ماتا موتة مهينة، لقد ماتا على معصية، وهتك للأعراض.

فاتصلت الشرطة ببيت أهلهما ليتعرفا على الجثث، وكانت الفاجعة

عندما رأى الشاب أخته، وقد كانت لذلك الشاب عاشقة، فتذكر كل الكلام الذي أسمعه للبنات، لقد كان ذلك الشاب يقول مثله لأخته، وعندها جهر بالبكاء واستغفر ربه وعرف أن الله حق، وأن الدهر دوار، وكما تدين تدان، ولو حافظت على أخواتك وبناتك وأحكمت عليهن الأبواب، فالأحرى بك أن تكون لهن خير مثال، وحتى الآن يبكي هذا الشاب، كلما تذكر أخته، والطريقة التي ماتت بها وعرف أن موتها تنبيه من الرحمن له ليرجع عن طريق الشيطان.



وضاع عمري

بدأت قصة تلك الفتاة، عندما بدأت تبحر في عالم الإنترنت، الذي قضت معه الساعات تلو الساعات، والأيام تلو الأيام، عندما دخلت غرف الشات، وتحاورت مع الشباب والشابات، أبهرتها الفكرة فهذا من كندا وذاك من الخليج وغيره من أقصى الشمال، ظنت أنها جمعت فوائد العالم، وأنها ستتقن الحديث بجميع لغات العالم، فهي تكلم الشباب من هنا وهناك، وكل له ثقافة، وكل له عادات، وبينما هي منهمكة بين غرف الشات والمسنجرات، وإذا بها تتعرف على شاب كغيره من الشباب، ولكن هذا الشاب شعرت نحوه بالإعجاب، واستمرت صداقتها معه.

ففي البداية كانت أخوة شريفة، ثم تمادت إلى الصداقة الطاهرة، ثم إلى الإعجاب، وإذا بها تقع في مصيدة اسمها الحب، لم تعرف كيف وقعت بها، بعد أن ظنت أنها محصنة، وأنها تدربت جيدًا على فنون الشات،، ولكن ما العمل فقد حصل ما حصل، وأصبحت والشاب أحبابًا، يقضيان معًا معظم الأوقات من ساعات إلى أيام إلى شهور إلى سنوات، ودارت بينهما قصة حب عظيمة، إلى أن اتفقا على الزواج، بعد إلحاح شديد من الفتاة.

ولكن المشكلة أنه يسكن في أقصى الكرة الأرضية الشمالي وهي في أقصاها الجنوبي، وبينهما سبعة بحار واسعة عميقة، فكيف الوصول؟ وكيف اللقاء؟ فبعد أن وعدها بالزواج وكانت مقتنعة بكلامه أشد اقتناع، إذا به يعترف لها باعتراف هزها وهزمها، وشعرت بصغر حجمها، وضعف نفسها، فقد اعترف لها بأنه لا يجيد السباحة في البحار، وأنه ينتظر، ويريد أن يبقي علاقتهما كما هي، إلى أن تشاء الأقدار، وتحدث تغيرات طبيعية تزيل من بينهما هذه البحار.

في البداية ظنتها مزحة منه، ولكنه كان جادًا، قال لها: أنا أحبك، ولكن كيف السبيل؟ إذا استطعت أن تقطعي البحار، فأنا أنتظرك، فردت عليه، ولكن يا من تكشفت على عوراتي، وعرفت جميع أسراري، لماذا لم تعترف لي منذ البداية بأنك لا تجيد السباحة، لماذا تركتني على هذه الحالة سنوات طوالًا، وأنا أنتظر اللقاء، وأنت تشجعني على الاستمرار في حبك، لقد أضعت على نفسي فرص التفكير في غيرك، ظننتك إنسانًا وإذا بك ذئب مفترس، فحسبي الله ونعم الوكيل.

لم يكن بيدها إلا أن تذرف الدموع على وقتها وعمرها الذي أضاعته في علاقة قدسها الشيطان، وأغواها للاستمرار بها.

فكان رده بأنه أحبها، ولكنه ومنذ البداية لم يؤكد لها وعده، وبما أنها مصرة على الزواج فعليها أن تنتظر رحمة ربها.

فذلك الشاب أرادها وسيلة تسلية عبر الشات، وتضييع الوقت، بكلام معسول، أوهمها بالحب ووعدها وعدًا لن يتحقق بالزواج، وهي بعاطفتها صدقت كلماته المعسولة الرنانة الكاذبة.



قادم من وحل الإنترنت

أحد ذئاب الإنترنت تاب وبعث برسالة يقول فيها:

مشكلتي هي أني تعرفت على فتاة عن طريق النت وحصل ما حصل أسأل الله أن يغفر لي، لولا خوفي من الله لانتحرت. لم أعد أطيق الحياة وقبل فترة قريبة صرخت بهذه الكلمة: (الله ينصفني منك)، خفت وارتعش جسمي من هذه الدعوة علي، أنا خائف الآن من دعائها وتبت إلى الله، لدي رغبة دائمة بأن أضرب برأسي جدار غرفتي هل هو كابوس؟ لم أعد أطيق الناس أبدًا انعزلت لمدة سنة كاملة لم أعد أشتهي طعامًا، أصبحت ألعن الإنترنت دائمًا وألعن من أتى بها وألعن من باعها حتى أن من يسمعني يلومني.

لقد دمرت حياتي، لقد دمرت حياتي، حسبنا الله ونعم الوكيل، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

أنا لا أطلب العون منكم أو من أي مخلوق لا أطلبه إلا من الله سبحانه مجرد أخذ رأيكم ومساعدتي.

المحرر الاجتماعي بموقع عالم بلا مشكلات رد على هذه الرسالة قائلًا:

أخي حاطب الليل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. أولًا الحمد لله على التوبة وعلى أن أحياك الله بعد الغفلة وردك إليه مردًا جميلًا.

ثانيًا: الآن حان وقت التكفير وليس من صفات المؤمنين الوهن والضعف أمام مشكلة تحل بهم، بل قوة وتحمل ثم تكفير وتخليص وتنقية.

تقول: إن الفتاة قالت لك: «الله ينصفني منك». فأقول لك: أليس هناك من طريقة لإصلاح الخطأ الذي حدث معها؟

هل حاولت؟ هل فكرت وإن كانت هناك ظروف تعيقك الآن فهل

فكرت مستقبلًا ووضعت خطة لتحقيق ذلك؟ فكر بقوة وعزيمة ونفس واثقة في الفرج وقبول التوبة من الله تعالى، فإذا قبل الله تعالى تلك التوبة؛ فلا شك أنه سيدلك على طريقة التوبة من حق العباد، ولذلك أقول لك: الله الله بالدعاء والاستخارة إلى أن يدلك الله تعالى على طريق الخير، وإن أردت مزيدًا من التواصل فعلى الرحب والسعة واطرح ما لديك هناك أو إن أحببت مراسلتي، وأسأل الله تعالى أن يفرج همَّنا وهمَّك وأن يختار لنا ولك كل خير.



الإنترنت اغتصب الحوار بيننا!!

يعتبر لجوء الزوجين للانشغال بالإنترنت أحد أسباب الجمود في العلاقة الزوجية، ويعد من أبشع الأساليب التي يستخدمها الزوج في معاقبة زوجته ولو من غير قصد، وقد أشارت بعض الدراسات التي خرجت بها إحدى الجامعات الأمريكية إلى أن الأزواج المشغولين بجهاز الإنترنت لا يتحدثون مع بعضهم البعض إلا بمعدل خمس دقائق يوميًا، فهو مشغول طوال اليوم ويكون في البيت مشغولًا أيضًا.

هذه هي ضريبة الجلوس أمام الإنترنت حيث تكون الضحية الأولى فيها الحوار والحب بين الزوجين، فالجنس البشري مهما بلغ من مرتبة سيظل يحتاج إلى شخص ما يحدثه ويتبادل معه المشاعر والعواطف، فهو في النهاية لابد أن يشبع رغبته العضوية التي خلقها الله له، فعندما يفقد الزوج لغة الحوار المناسب مع زوجته، تتعطل كل وسائل الاتصال، ولا يجد فيها ذلك الشخص المناسب لتفريغ شحناته، فإنه يلجأ إلى غيرها من النساء ليقيم معهن علاقة عاطفية خارج مؤسسة الزواج، عن طريق المحادثة الهاتفية أو المحادثة عبر الإنترنت.

اتصلت إحدى الزوجات تشتكي زوجها قائلة: كان زوجي كالببغاء أثناء فترة الخطوبة، لدرجة أني أضع إصبعي في أذني حتى يسكت ويصمت عن الحديث، وكان يتحدث بطريقة غير طبيعية معي أثناء زيارته لي وعندما أحادثه بالهاتف يتحدث، وفي كل فترة يتحدث معي، ولكن بمجرد أن تعلم الدخول على مواقع الحوار في الإنترنت، بدأ زوجي يخفف من حديثه معي، وأصبحت الأحاديث بيننا شحيحة جدًا. وكلما مرَّ الوقت تقل أحاديثنا. حتى مضى على زواجنا ثلاث سنوات وأصبح لا يتحدث معي إلا نادرًا، بسبب انشغاله الدائم بالإنترنت. وإذا فتحت معه

أحد المواضيع تكون ردوده عبارات مقتضبة، وفي أحيان كثيرة يتحدث معي بطريقة اليوغا، أي: أنه يستعمل رأسه بالموافقة أو الرفض ولا يرفع نظره من شغفه بالجهاز، وغدا هو المستمع وأنا أتحدث وأتكلم.

عندما يدخل المنزل يتحجج بالتعب والجهد، لكن بمجرد أن يتناول عشاءه ينطلق إلى الإنترنت ليبحث عن مواقع الدردشة مع النساء.

وتقول أخرى في إحدى اتصالاتها تصف زوجها: إنه كالحجر الصلد، معظم حواراتنا تتحول تدريجيًا إلى شجار ونزاع، لا يعرف كيف يعبر عن أي مشاعر إلا بالغضب. كلما حاولت أن أجره نحو حديث ما يجيب بكل برود، والسبب كما تعلمون انشغاله الدائم بالإنترنت، حتى إنني أشعر أحيانًا بأني معزولة عن عالمه وغير معترف بوجودي في المنزل.



لعن الله الإنترنت!!

تقول: أطلقها صرخة من الأعماق إلى بنات جنسي وإلى كل بنت بعدم التعرف أو إقامة علاقة مع شاب عن طريق الإنترنت، والذي يبدو في البداية لذة وسعادة ولكن نهايته حسرة وندامة، فحذار ثم حذار من العبث وإساءة استخدام هذا الجهاز، فأنا ضيعت نفسي وسمعتي بسبب سوء استخدامي له، وبدأ الأمر بخطأ صغير، ثم كبر وتوسع حتى وقعت ضحية في النهاية بسبب حمقي وجهلي وعدم إدراكي لعواقب الأمور، وإليكم حكايتي وأرجو وأتمنى أن تكون درسًا تستفيد منه كل فتاة تقرأ حكايتي هذه.

في البداية كنت أتسلى بهذا الجهاز بالساعات، وأحيانًا أستفيد منه في إثراء معلوماتي والدخول في مواقع بهدف التعرف وتكوين صداقات مع فتيات من كل بلد إلى أن تعرفت خطأ على شاب من إحدى الدول المجاورة، وكانت البداية مجرد تعارف ودردشة حتى بت أعشق الإنترنت بكلامه، من أجله فهو شاب عذب الكلام حلو الأسلوب، يطلق النكات اللطيفة، روحه مرحة بحيث يجعل من يحدثه لا يمل منه، وبقينا على هذه الحال لمدة ثلاثة أشهر حتى تبادلنا أرقام الهواتف، وبدأنا نتحدث في اليوم عدة مرات حتى وقعت في حبه.

وكان يقول لي: إنني أول حب في حياته وإنني محور تفكيره وانشغاله وو... إلى غير ذلك من الكلام المعسول الذي يلامس روحي وكياني، حتى أصبحت لا أرى الحياة بدونه، رغم أنني لم أره ولم يرني، وتبادلنا الصور وكان وسيمًا للغاية، واندهش هو بجمالي الباهر، لأنني بالفعل فائقة الجمال بشهادة من يراني.

المهم أنه عرف عني كل شيء، وأنا كذلك عرفت كل تفاصيل حياته، وكان يتشوق لرؤيتي ولقائي، ولم أكن أنا أقل شوقًا منه لذلك، بل كنت

أتمنى أن ألقاه وجهًا لوجه، وبالفعل رتبنا هذا اللقاء في إحدى الدول العربية حيث سافرت مع والدتي إلى هناك للعلاج، وطار هو أيضًا من أجلي، من أجلي، من أجل اللقاء وجهًا لوجه ورشف الحب والغرام في هذا البلد تقابلنا وخرجنا سويًا، وفعلنا ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وما كنت أفكر بسوء ما أفعله ولا بعواقبه وما كنت أفكر بسمعتي ولا بسمعة أهلي ووالدتي المريضة التي أتت من أجل العلاج.

كل هذه الأمور غابت عن ذهني ووعيي تحت وطأة الحب والنشوة مع هذا الشاب، ولم يخطر ببالي فكرة الزواج إلى أن وجدت نفسي متعلقة به جدًا، ولمحت له بالفكرة، ولكنه ارتبك وتغيرت ملامحه، فقلت له: أتحبني؟

قال: نعم، لكني لا أفكر فيك كزوجة. قلت له: لماذا؟ فأنا أحبك وأنت تحبني، وما المانع من تتويج حبنا بالزواج؟ قال: سوف أفكر بالأمر، ولا تتعجلي، لكن بعد ذلك تغيرت معاملته معي، بل وتهرب مني، وسألته عن سبب تغيره؟

قال: يتهيأ لك ذلك.

وفاتحته في أمر الزواج مرة أخرى، فصرخ قائلًا: لا أريدك زوجة ولا أريدك الآن حبيبة اغربي عن وجهي، فذهلت من ردة فعله وكلامه الجارح، ثم استطرد قائلًا: لا يشرفني أن تكوني زوجة، وإنما عشيقة فقط.

ولم أتمالك نفسي وانفعلت بشدة، فبصقت في وجهه، ثم أخذت كوبًا فرميته عليه وانصرفت إلى البيت، فبكيت بحرقة وألم واسودت الدنيا في عيني، وعدت ووالدتي من السفر والحزن يلازمني وليت الأمر انتهى عند هذا الحد وكفى، لكن هذا الخسيس لم يتركني، وإنما أراد الانتقام مني عندما بصقت في وجهه وضربته بالكوب، ورأى في ذلك إهانة شديدة له، فأراد رد الاعتبار لنفسه وكرامته، ولكن بطريقة خسيسة حيث أبلغ أخي بالتفصيل عن علاقتنا مع الأدلة والبراهين، وأنا لا مجال لدي للإنكار،

فقد كان كل شيء واضحًا وملموسًا كما أشرت؛ لأنه يعرف كل تفاصيل حياتي وحياة أهلي، لم أخف عنه شيئًا، صفحة مفتوحة أمامه.

وجاء أخي يهرع ويصرخ بأعلى صوته، فشدني من شعري بقوة ولطمني لطمة شديدة على أذني حتى فقدت سمعي.

وبعد ذلك حرمت من أشياء كثيرة، عدم إكمال تعليمي الجامعي وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى مع أحد إخوتي، وسحب عني الهاتف والإنترنت، حتى زيارة الصديقات ممنوعة من دون صحبة شقيقتي الكبرى، وحرمت من أشياء كثيرة، وأنا ما زلت الآن في الحادية والعشرين من عمري.

أخي معذور فيما فعل معي، ولا ألوم إلا نفسي، خنت ثقة أهلي بي، ولم أكن جديرة بهذه الثقة، فجلبت لي ولهم الفضيحة والعار، لذلك أستحق كل ما يفعلونه بي.

ولا أقول سوى لعن الله الإنترنت، فهو سبب ما أنا فيه الآن، وأنصح كل فتاة بأن تحسن استخدامه فيما يفيد وأن تتجنب استخدامه فيما يسيء ولا تنجرف في العبث من خلاله وتجد نفسها ضحية في النهاية لمن لا يرحمها أو يشفق عليها، وإنما ينظر إليها بنظرة احتقار وازدراء، فخذوا العبرة والدرس مني.



رجل يغازل زوجته عبر الإنترنت!![1]

هي تعمل مدرسة حاسب في مدرسة حكومية، وتعود إلى المنزل في تمام الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر كل يوم بصحبة السائق، أما هو فيعمل موظفًا في إحدى الشركات ويعود إلى المنزل في حدود الساعة الرابعة والنصف عصرًا من كل يوم، وعند عودته يجد زوجته المغلوبة على أمرها قد انتهت من تحضير وجبة الغداء وأعدت له مائدة عامرة بكل ما لذ وطاب في بيتهما، وهو عبارة عن دور علوي مكون من خمس غرف تم توزيعها حسب ما تقتضيه حاجتهما كالتالي: غرفة نوم، وغرفة للأطفال الثلاثة مع الخادمة، وغرفة مجلس للنساء، وصالة معيشة، وغرفة مكتب للزوج (يمنع على الزوجة مداهمتها دون طلب الإذن المسبق من الزوج) وغرفة مجلس للرجال، فضلًا عن المطبخ ودورات المياه.

ونعود للموضوع وبعد تناول وجبة الغداء يقوم الزوج لأخذ قسط من الراحة وأحيانًا تشاركه الزوجة ذلك الوقت المستقطع، وبعد ساعتين من النوم يقوم مستيقظًا لإكمال بعض احتياجاته الخاصة أو العامة، والزوجة تغرق في تحضير بعض الأمور الأسرية المتعلقة بالأطفال، وبعد صلاة العشاء يكون الأمن مستتبًا في المنزل حيث يتجه الصغار إلى النوم وترافقهم الخادمة بعد أن تنتهي من ترتيب البيت، ويعود الزوج إلى المنزل بعد ذلك أي في حدود الساعة التاسعة تقريبًا مساء ويتجه مباشرة إلى غرفة مكتبه ويرفض مشاركة الزوجة وجبة العشاء، وأحيانًا يطلبها (أي وجبة العشاء) في مكتبه لتناولها بمفرده ويغلق عليه لماذا؟ لكي يدخل عالم الإنترنت! بشكل عام وعالم الحسناوات بشكل خاص عبر الأيسكيو أو الماسنجر وغيره من برامج التشات المتعددة.

---

(١) ضحايا الإنترنت.

ولكي تتضح الرؤية للقارئ الكريم فالبيت يوجد به خطًا هاتف خط عام للمنزل يتصل به أقارب الزوج والزوجة وجميع المعارف للعائلتين أما الخط الآخر فهو خاص للزوج ولا يعرف أحد به سوى الشلة المقربة للزوج بالإضافة لخطي جوال لكليهما والزوجة لها جهاز كمبيوتر تبعًا لطبيعة عملها كمدرسة، وتضعه في غرفة النوم الخاصة بهما وتدخل الإنترنت عبر الخط الآخر أي العام بإيعاز من الزوج، لكي لا تضيع وقته الثمين، أما هو فيدخل إلى الإنترنت عبر خطه الخاص.

وفي ظل الجو المغلق الذي يحيط به نفسه ذهلت الزوجة من ذلك وحاولت مرارًا وتكرارًا أن تصل إلى الحقيقة وراء تلك العزلة التي يحيط بها نفسه، ولماذا لا يحق لها الاستمتاع بتصفح النت بجواره؟ وما هو السبب من منعه لها أن تدخل عنوة إلى غرفة مكتبه دون الحصول على إذن مسبق؟ ولماذا يحيل البيت نكدًا لو حاولت النقاش معه حول الموضوع؟ استفسارات قادت الزوجة إلى نوع من الفضول ومحاولة الدخول إلى عالم زوجها الخاص، وحاولت أن تتحين الفرصة أو تصطادها للوصول إلى جهازه، وبحكم خبرتها الأكاديمية في علوم الحاسب وكذلك خبرتها العملية يستعين بها الزوج أحيانًا لمساعدته في حل بعض المعضلات التي تواجهه بين الفينة والأخرى مع توخيه الحرص بعدم كشف أسراره الخاصة، ولكن (إن كيدهن عظيم).

استطاعت الزوجة الوصول إلى رقم الأيسيكيو كمنفذ للعبور إلى قلب زوجها المريض، واختارت اسمًا يشد كثيرًا من الرجال ويلفت انتباههم، ودخلت إليه من خلال هذا البرنامج، ولكم أن تتخيلوا أن كليهما يحادث الآخر من منزلهما الصغير، وبعد فترة بسيطة استطاعت الزوجة أن تكسب ودَّ زوجها الذي لا يعرف حقيقة أمرها، وطلب منها أن تتحدث معه هاتفيًا، ولكنها رفضت ذلك، وأخيرًا استقر الأمر على خدمة الماسنجر للتأكد من حقيقة كونها أنثى لكي لا يتم خداعه من قبل أحد شلته على حدِّ قوله لها.

وعلى مضض وافقت مع شدة مخاوفها أن يتعرف على صوتها، وطلبت منه أن تكون المرة الأولى والأخيرة؛ لأنها فتاة محافظة وعملت ذلك من أجل أن لا تخسره كصديق وزميل في النت، وتتوقع أن يكون بينهما علاقة من نوع خاص وراق، ووافق على ذلك مع قطع الوعود بعدم إحراجها مستقبلًا، وتم ذلك بالفعل، ويا للمفاجأة أتدرون ماذا قال الزوج عندما سمع همس صوتها: إنني لم أسمع قط أجمل من عذوبة هذا الصوت ورقته، وأخذ يتنهد ويوهوه على مسمع منها بشدة انبهاره بصوتها، وطلبت منه إنهاء المكالمة عبر الماسنجر بعد أن تم له ما أراد.

وبالفعل اتخذت علاقته معها منحى آخر من الصراحة (فرط السبحة) فأخبرها بكل شيء أنه متزوج، وأنه ما يشعر بالسعادة مع زوجته، وأنها متسلطة وأنه يعيش معها مجاملة حتى لا يتضرر الأطفال، وهي أخذت تجاريه وتقول له: إنها سبق أن تزوجت وفشلت في زواجها بسبب زوجها المدمن على الإنترنت، وأخذت تسرد له عيوبه بطريقة ذكية وغير مباشرة.

وأشارت إلى أنها لم تقصر يومًا في حقه، ولكن هو غير مبال بها ولم يشعرها بأنوثتها أو يضمها بحنانه، وهو (أي الزوج) يبادلها الحوار قائلًا: إن هذا الزوج يتمتع بالبرود وقلة الذوق وعدم النظر، ومعك حق أنك طلبت الطلاق منه.

وهكذا بدأت تتهاوى الأوراق بينهما وكلاهما يكشف النقاب عن خبايا مكنوناته الداخلية بطريقة أنهكت قوى الزوجة كونها الوحيدة التي تعرف حقيقة من يحاورها، وبين إصرار الزوج على مقابلتها وطلب إعطائه فرصة لكي يعوضها عن أيامها الغابرة مع زوجها السابق، وبالحلال على حدِّ قوله طلبت الزوجة منه انتظارها بضع دقائق، وطرقت عليه الباب؟

عندما طرقت عليه الباب تأخر في الرد عليها، ومن ثم فتح الباب وهو مندفع وبصوت عال سألها عن سبب مجيئها إليه، وردت هي الأخرى عليه بصوت عال لا يخلو من العصبية يحمل من الآهات والتأسي ما يفجر براكين خامدة بعبارة: (طلقني يا خائن) ووقف مذهولًا أمام مطلبها

المفاجئ ومستغربًا احتدامها في تلك اللحظة، وسألها ببرود: هكذا من الباب للطاقة، طلقني وكانت بالرغم من تماسكها تتنفس الصعداء بعبارات ممتزجة بنبرة مبكية، نعم ألم تقل: إنك تعاشرني فقط من أجل أبنائي، وإني لم أعجبك قط إذن لماذا لا تطلقني؟ وتدعني أبحث عن سعادتي حيث تكون، وعندها استدرك من خلال الربط بين ما يدور على مسمعه من زوجته، وبين ما تفوه به لشريكته عبر النت وفطن للعلاقة القوية بين شقي الحديث.

وقال على عجالة: أنت السبب، نعم أنت السبب وبينما هي تضع يديها على رأسها وعيناها غارقتان بالدموع متأسية على أيامها وليالي عمرها التي قضتها برفقته عبر مشوارهما الزواجي، قالت: أنتم دائمًا هكذا أيها الرجال تلقون باللوم علينا في كل صغيرة وكبيرة، أخبرني عن سبب واحد يجعلك تخونني وتبحث عن أخرى في وجودي.

وطلب منها على الفور أن تدخل مكتبه المحظور عليها دخوله سابقًا بحجة عدم إزعاج الأطفال وتحت إلحاح منه دخلت منتحية في طرف المكتب وتستعجله في الإجابة، وبذكاء منه ودبلوماسية فائقة (أو العكس صحيح) أقنعها بأنه يعلم مسبقًا أن من تحادثه لها علاقة مباشرة وقوية مع زوجته، ولهذا رغب في توصيل هذه الرسالة من خلال المتحدثة معه إلى زوجته حتى يوقظ مشاعرها الخامدة وتتحرك براكين أنوثتها المهاجرة، ولكن زوجته وهو يسترسل في حديثه معها قالت له: كذاب أنت من يتصف بالفتور والبرود، وكم هي الليالي التي أبحث عنك ولكن دون جدوى لم أجدك بالرغم من إقامتك معي وتحت سقف واحد.

وبعد سيل من تبادل الاتهامات هدأت العاصفة وذهبت هي لغرفتها، ولحق بها وعند الصباح رجعت المياه لمجاريها شكليًا ولكن ضمنيًا قد يضمر كل منهما للآخر ما يكفي لأن يهدد علاقة زوجية بالقطيعة الأبدية.

❁ ❁ ❁

فتاة الإنترنت

تقول إحدى الفتيات:

إلى كل من يقرأ قصتي أرجو كل الرجاء أن تكون عبرة لمن يعتبر، هذه قصتي كتبتها بأيد ترتعش وأرجو أن يغفر الله لي.

كنت طالبة في كلية الطب تعرفت على شاب عبر الإنترنت كان دائمًا يطلب مني رقم الهاتف النقال، وطبعًا أرفض إلى أن قال لي وهو يستهزئ بصفحات الدردشة المدمرة أكيد أنت ولد، وأنا على نيتي أحلف والله بنت والله بنت ويقول: وكيف أعرف أثبتي وكلميني مرة واحدة.

رضيت، وكان يوم ضياعي يوم كلمته في أول مكالمة قلت: آلو أنا فلانة هل عرفتني؟ وقال بصوت معسول: يا هلا والله أخيرًا، وبعدها ابتدأت مكالماتنا لها أول ومالها آخر إلى أن أحببته حبًا شديدًا وأعطيته إيميلي الخاص وأرسل صورته وكان شابًا وسيمًا زاد حبي له وتعلقي به حتى أني رفضت كل من يتقدم لي.

وبعد ثلاثة أشهر تقريبًا قال لي: (أبغي أشوفك) رفضت هددني بالهجر ضعفت حينها، ولم أستطع السيطرة على مشاعري، وافقت ويا ليتني لم أوافق، واعدته في أحد المتنزهات العائلية ورأيته وتحدثنا معًا، ولم يلمسني ولم ينظر إلي، أعطيته الثقة، ولم يخطر ببالي أنه سوف يخون، ولم يكن ذلك آخر لقاء

التقينا مرة أخرى عند باب الكلية، وبعدها في سيارته وبعدها في شقته!!

رجعت إلى الكلية فأنزلني وذهب بعدها، والله لم أسمع صوته واعترفت لأهلي لكن بمساعدة صديقتي ووالدها - جزاهم الله خيرًا - تفهموا الموضوع إلا أني أعيش في حزن وكلما أذكر قصتي أبكي بكاء لو احترق العالم لأطفأته بدموعي

أرجو أن تدعوا لي أن يقبل الله توبتي.

كيف ستكون النهاية؟

يتعلق الواحد منا بشخص ما فينشأ بينهما علاقة قوية قد تكون صداقة أو محبة أو زمالة، وقد تكون هذه العلاقة صادقة أو كاذبة من أحد الطرفين أو من كليهما، قد تستمر طويلًا أو تنتهي سريعًا، وقد تكون علاقة لا يمكن تحديد ملامحها مثل قصة العلاقة القائمة بين الشخص الذي سأروي لكم قصته مع محبوبته.

هو شاب لم يتجاوز الثلاثين متزوج وله بنت واحدة، يعيش مع زوجته وابنته حياة عادية مثل كل الناس، القليل من كل شيء مشاكل عائلية بسيطة تتخلل حياته مع زوجته التي لا يحبها ولا يكرهها، والتي تختلف ميولها عنه في كل شيء، لكن عجلة الحياة تدور وهو مضطر لتسيير الأمور وتقبل الطرف الآخر كما هو بكل عيوبه ومميزاته، كما أنه شخص ملول ويبحث عن الإثارة في كل نواحي الحياة، وقد أتاح له عمله في مجال الإلكترونيات الاتصال بالعالم عبر الإنترنت والعمل على الشبكة ليل نهار، عدا عن أوقات خصصها لدخول مواقع الدردشة واتخذ له اسمًا يغزو به هذه المواقع، وكون صداقات مع شباب وتعرف على الكثير من الفتيات، لكنه كان ينساهن بمجرد انتهاء المحادثة.

إلى أن جاء ذلك اليوم الذي دخل فيه موقع الدردشة ولفت نظره اسم (وجد) تحدث معها مثلما يفعل مع الباقيات، لكنها كانت مختلفة وشعوره نحوها لم يكن عاديًا شعر كأنه يعرفها منذ زمن بعيد وأنها قريبة جدًا منه، وشدته إليها برقة أسلوبها وعذب حديثها واتفاقها معه في كل شيء، وكأنها تقرأ أفكاره وتكررت بينهما اللقاءات حتى تعدت الشات إلى البريد الإلكتروني والمسنجر ونسي معها كل صفحات الدردشة.

وأصبحت (وجد) هي شغله الشاغل، أحبها بجنون وتولع بها بكل

عنف، ولم يعد له هم يشغله سوى الحديث إليها أطول وقت ممكن، كان يتمنى أن يوقف عجلة الزمن حتى لا ينتهي الوقت الذي يقضيه معها، وإذا مر يوم لم يتحدث إليها فيه يصبح كئيبًا حزينًا متوتر الأعصاب حتى يجدها، صورها في خياله من الحور العين، وشبه صوتها بالموسيقى ورغم محاولاته المستميتة لجعلها تحدثه في الهاتف أو بالمايك إلا أنها رفضت رفضًا قاطعًا مبدية أسبابًا مقنعة، ورضي على مضض ممنيًا نفسه أن يأتي يوم تكون أمام ناظريه.

حديثهما شمل كل المواضيع وتخللته ساعات من الغزل والشعر والرومانسية، وكلمات الأغاني من أم كلثوم إلى جواد، وهكذا استمرت الأمور بينهما لشهرين أو تزيد، كانت من أجمل الأيام التي مرت في حياته، حتى إن الابتسامة لم تعد تفارق محياه.

في أحد الأيام دار بينهما حديث عاطفي ساخن وانتهى بنهاية الدوام، فوصل إلى البيت وكانت زوجته في المطبخ تضع اللمسات الأخيرة على مائدة الغداء واعتذرت منه لأنها تأخرت قليلًا، وإن كل شيء سيكون جاهزًا خلال دقائق فأخذها من يدها وأخبرها أنه يريدها هي وليس الغداء.

سحبت يدها من يده وقالت له: إنها جائعة وتفضل أن تتناول الغداء أولًا إلا أنه أصر فرفضت بشدة. غضب وذهب إلى غرفته وهو يتمنى لو كانت (وجد) مكانها ثم أغلق الباب ونام رغم طرقات زوجته على الباب ونداءاتها المتكررة له.

بعد قليل استيقظ وذهب إلى النت وتمنى لو وجد حبيبة الروح، ولكنه لم يجدها رغم حاجته الشديدة إليها، وقرر في نفسه قرارًا لن يرجع عنه ثم عاد إلى النوم.

في اليوم التالي تحدث إلى (وجد) طويلًا وشكا لها من زوجته ومن تعاسته معها وأخبرها بحاجته الشديدة لها، وطلبها للزواج وكان طلبًا مفاجئًا جدًا لها، ولم تستطع الرد عليه، فطلبت منه مهلة للتفكير.

إلى هنا توقفت لا أدري كيف أنهي هذه القصة، في بالي عدة نهايات:

النهاية الأولى: أن تعترف له وجد بأنها متزوجة، وأنها كانت تتسلى ثم تنهي العلاقة.

النهاية الثانية: أن ينتهي اشتراك (وجد) في الإنترنت وبذلك تختفي وتنتهي قصتهما.

النهاية الثالثة: زوجته تكتشف القصة وتبدأ بينهما معركة ينفصلان بعدها ويبحث هو عن طريقة للوصول إلى (وجد).

النهاية الرابعة: أن يبقى الوضع على ما هو عليه هو مع وجد في الخيال ومع زوجته في الحقيقة.

أو أضع النهاية التي في بالي الآن ما رأيكم أي
النهايات أفضل أو من يستطيع منكم وضع نهاية أفضل؟



الإنترنت حطم قلبي ومعنوياتي

يقول أحدهم مما عانى من الإنترنت:

أنا شاب أعيش في بلاد الغربة البعيدة. تبدأ قصتي منذ حوالي السنة والنيف، روتين يومي يشبه كل يوم من العمل إلى المنزل وبالعكس، كان ملاذي الوحيد للخروج من الوحدة والهروب من السهر خارج المنزل هو الجلوس وراء الإنترنت في أوقات الفراغ، وهي غالبًا في آخر الليل، كنت أدخل إلى مواقع ما يسمونها الدردشة أو(Chat) الأجنبية السخيفة، وبعدها أردت أن أتعرف على الدردشة العربية، ذهبت إلى أحد المواقع وقد أعجبني، فأصبحت أدخل بشكل متقطع، أقضي وقتي بالضحك مع الشباب والسلامات على اللوبي العام للتشات.

إلى أن جاء يوم من الأيام لاحظت فيه أن اسمًا أنثويًا لفتاة يلاحقني دائمًا بالسلامات والترحيب، لم آخذ هذا الشيء بمحمل الجد، إلى أن جاءتني الجرأة ودخلت إليها على الخاصة تعرفنا ببعضنا البعض، وأشهد الله أنها فتاة بغاية الأدب والذوق، كان التعارف بريئًا جدًا عن الاسم ومكان الإقامة والعمر والهوايات.

في اليوم الثاني رجعت إلى منزلي مبكرًا لكي أستغل أكبر وقت للتحدث معها، وإذا هي أيضًا قد دخلت مبكرة على التشات.

وبعدها من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع، لا أعرف ما الذي جرى لي، لم أعد قادرًا على تركها ولا لحظة، لقد أصبحت مهملًا في عملي ودراستي، لا أضع اللوم عليها، ولكن أنا فعلًا قد أحببتها من كل قلبي. قد تصادف بعض الأحيان أن أنسى أن اشتراكي للإنترنت قد انتهى، فأخرج من منزلي في منتصف الليل كالذي فقد عقله إلى أي كافيه للإنترنت لكي أتحدث معها، لقد أصبح كالواجب اليومي، إذا لم أتحدث

معها، أظل طوال يومي معكرًا ومكتئبًا.

كنت أنا وهذه الفتاة نعيش في الخيال، نتخيل كيف سنعيش أين سنذهب. ماذا سنأكل، عن أولادنا. أقسم بأنها كانت أحلامًا بريئة شفافة. أشهد الله أننا لم نتكلم ولا مرة عن أي شيء يغضب الله أو خارجًا عن الآداب العامة إلى أن جاء يوم الصدمة واستفقنا من الخيال بعد حوالي السنة عندما أخبرتني أنه قد جاءت إلى منزلها أسرة لطلب يدها، وهم من عائلة جيدة، لا أعرف وقتها ما الذي حدث لي كانت أكبر صدمة لي في حياتي، أكبر من صدمتي عندما رسبت في الثانوية أول مرة.

سألتني الفتاة ماذا أفعل كيف أتصرف، أنا أيضًا لا أعرف ماذا أفعل، لقد كنت عاجزًا عن فعل شيء، أحسست أنني أريد البكاء، كيف أنا رجل وأقف هكذا من غير حراك وأمام من؟ أمام أعطف وأحن مخلوقة قابلتها بعد أمي، أنا شاب أملك المال والحمد لله، ولكن ليس المال الذي يؤهلني للزواج، كيف سأذهب إلى هناك إليها، وللعلم فالفتاة من نفس بلدي وتعيش مع أهلها أيضًا في الخارج. كيف سأرسل أمي لخطبتها. أين ستكون حفلة الزفاف، أين سنسكن، كيف سأجلب لها فيزا إلى المكان الذي أنا فيه صعب جدًا، كيف هذا وبيني وبينها مسافات كبيرة جدًا هي في قارة وأنا في قارة أخرى، كيف، كيف، كيف، اتصلت بأهلي فماذا كان ردهم؟!

يا بني ما هذه السخافة، تريد أن تتزوج فتاة عن طريق الإنترنت؟

تأكد يا بني أنها مثلما تكلمت معك، تكلمت مع شخص غيرك.

كيف هذا وستكسر العادات والتقاليد المتعارف عليها.

(يا إلهي إنها فتاة طيبة جدًا وهي نادرة وأحببتها من كل قلبي).

بعد هذا بدأت أكسر قلبي وأحاول أن أشوه صورتي أمامها وأظهر نفسي بأني شاب مجنون كنت ألعب بها وبعواطفها.

أظهرت نفسي بمظاهر عدة فقط لكي أجعلها أن ترى خطيبها الجديد وترى نفسها وتنساني.

والآن بعد مرور هذه القصة بستة أشهر، أصبحت غير الإنسان الذي أعهده منذ زمن بعيد، تغير كل شيء داخلي أصبحت قاسي القلب.

كل شيء بداخلي قد تحطم، تحطم قلبي وتحطمت معنوياتي، عندما تتكلم معي تظن نفسك أنك تتكلم مع رجل مسن وأنا عمري لم يتجاوز السادسة والعشرين. انتهت قصتي.

أرجو منكم إخوتي وأخواتي الاستفادة من هذه القصة لأنها عبرة للجميع وإياكم والانغماس بما يسمى الـ «CHAT» لأنها مضيعة للوقت والروح.



اعترافات طائشة

أنا فتاة في الثالثة والعشرين، أمرُّ بحالة نفسية سيئة سببها تصرفاتي الطائشة غير المحسوبة، إنني أعترف بخطأ تماديت فيه حتى غرقت في بحار الندم، توفي والدي فترك بموته فراغًا نفسيًا وعاطفيًا كبيرًا، فلجأت للإنترنت أشغل نفسي في محاولة للهرب من الحزن والاكتئاب الذي خلفه رحيل والدي، تعرفت على شبان وشابات عن طريق «الإنترنت»، فكنت أتحدث إليهم لساعات طويلة. وما لبثت أن تعرفت على شاب يقيم في مدينة قريبة من مدينتي.

تشعبت نقاشاتنا وحواراتنا، ثم طلب رقم هاتفي فرفضت وبعد إلحاح منه أعطيته رقم جوالي، وأصبح كثير الاتصال، بعد ذلك طلب لقائي فرفضت أيضًا وبعد إلحاح قابلته في أماكن عامة وتعددت لقاءاتنا، وفي هذه الأثناء تعرفت على شاب آخر، كان لطيفًا وملمًا بالمواقع وخبايا الإنترنت، فكنت أتعلم منه ما أجهله، تعددت مكالماتنا ونقاشاتنا وطلب رقم هاتفي، وبعد تردد أعطيته إياه ثم طلب لقائي فخرجت للقائه.

وهكذا وأنا أتخبط فما الذي أفعله بنفسي؟! ثم تعرفت على شاب ثالث كان ألطفهم، وشعرت معه بالحب في حين أن الاثنين السابقين كنت أشعر بهما كإخوتي أسمع أخبارهما، أشاركهما حل مشاكلهما، وهكذا استمرت علاقتي بهؤلاء الثلاثة إلى أن اكتشفت أختي الأمر نصحتني أن أتركهم فوعدتها بذلك لأسكتها، تقدم لخطبتي شاب ممتاز، فرحت لأني وجدت فيه طوق نجاة لأنهي علاقاتي على النت.

وفعلًا تمت الخطوبة وطلبت منهم أن يدعوني وشأني وأنهيت علاقتي بهم، اثنان منهم وافقا، أما الثالث وهو الأول فلم تعجبه فكرة تركي له، فقام كعادة المتمرسين بالكمبيوتر بمراقبة بريدي الإلكتروني ورأى رسائلي

للشخصين ورسائلهما لي فطبعها وأرسلها على عنوان منزلي، وعندما رأيتها صعقت وكدت أموت وسارعت بإحراقها خشية أن تقع في يد خطيبي الذي أحبه وأشعر بذنب كبير نحوه، أعيش في رعب حقيقي كلما رن جرس المنزل أو الجوال أو الرسائل الخاصة بي.

أو مفاتحة أسرتي لي بأي موضوع أظن أنهم عرفوا بعلاقتي الطائشة إنني متعبة، أشعر بأني غير جديرة بعملي وأنا معلمة، أشعر أني لست أهلًا لهذه المهنة الشريفة، ولست أهلًا لثقة أهلي، إنني نادمة، نادمة أرجوك انشر رسالتي لتكون عبرة لكل الفتيات اللواتي يعبثن وراء الكمبيوتر بحثًا عن التسلية فيقعن في كمين الأنذال.



ضريبة باهظة الثمن!!

هذه معاناة إحداهن مع الإنترنت ترويها فتقول:

قبل ظهور الإنترنت في حياتي كنت أعاني وقت الفراغ الهائل، لم أكن أعرف كيف أستغله في شيء مفيد، لقد كانت أوقاتًا ضائعة من حياتي بين خروج مع الأصدقاء أو النوم أو النميمة على الآخرين أو التسمر أمام التلفاز، أستقبل كل ما يمدني به دون أن يكون لي أي إرادة أو تحكم، ورغم ذلك فقد كانت تمضي الساعات في بطء شديد.

الآن، تغير الوضع تمامًا بعد أن عرفت الكمبيوتر والإنترنت الساحر، فقد اجتذبني حتى من نفسي، حتى بت أقضي الساعات الطوال أمامه دون كلل أو ملل، ولم لا ألا يعد نافذة تطل على العالم بأسره؟ ألا أستطيع بنقرة من أناملي أن أحصل على أية معلومات أو أصل لأي بقعة في الأرض، بل وإقامة صداقات حول العالم، أشياء هائلة العدد من الممكن أن أستفيدها عبر هذا الجهاز الصغير، إنها متعة تفوق الخيال، لكن الحلو للأسف لا يكتمل ففي خضم اهتمامي بعالم الإنترنت فإنني أشعر دومًا بالحنين لأسرتي وأصدقائي من حولي، فقد ضعفت علاقتي بهم بدرجة مخيفة قد تصل إلى حد القطيعة بسبب انشغالي بهذا العالم المتلاطم.

والداي يفتقدانني، يبحثان عني دون فائدة، وأصدقائي يفتشون عني في كل مكان فلا يجدونني ويعانون من صوت رنين هاتفي المشغول دومًا بسبب اتصاله بالنت.

ليس هذا فحسب، بل إنني حين أنتهي من جلوسي الطويل والذي يصل لسبع ساعات متواصلة لا أستطيع السير على قدمي عدة خطوات فهما لا تحتملاني، بصري زائغ، وإرهاق غريب يتملكني، صداع يقتلني ولا يداوي هذه الأعراض سوى النوم، ورغم ذلك، فإني لا أزال شديدة

الضعف أمام الإنترنت الذي يواصل اجتذابه لي لعالمه الرائع، لا ساعات التشغيل تتناقص ولا أنا قادرة على التوفيق، ولا أستطيع الحفاظ على صحتي التي بدأت تتأثر كثيرًا من طول المكوث أمام الكمبيوتر.

قد يكون ذلك هو ضريبة المتعة التي أحصل عليها يوميًا من الإنترنت، ولكنها للأسف ضريبة باهظة، ولا أدري هل سأستطيع الاستمرار كثيرًا على هذا الوضع أم أن هنالك حلًا آخر؟!



نهاية من يدخل الشات

جرت هذه القصة في إحدى الكليات في إحدى دول الخليج، والبطولة لإحدى الفتيات التي كانت تدخل إلى غرف الدردشة أو chat room، وفي أحد الأيام تعرفت على شخص تعلقت به كثيرًا وأحبته بجنون، وهو كان يبادلها نفس الشعور وكانت لا تعرف عنه أي شيء سوى اسمه الأول ووظيفته.

لم تخبره أي شيء عنها، وهو كان يريد منها أن تخبره باسمها أو حتى مكان بيتها حتى يذهب لخطبتها، لكنها لم تخبره بأي شيء واستمرت قصة الحب مدة ثمانية أشهر.

وفي أحد الأيام بينما كان شقيق هذه الفتاة خارج المنزل دخلت إلى غرفته قرأت أوراقًا مطبوعة وبها الكلام الذي قالته لحبيبها والكلام الذي كتبه لها فما أن رأت هذه الأوراق حتى أصيبت بانهيار عصبي أدخلت بسببه إلى غرفة العناية الفائقة.

كل ما حدث لأنها اكتشفت أن الشاب الذي كانت تعشقه بجنون، وهو متيم بها ليس سوى شقيقها الأكبر.

هذه نهاية من يحب عن طريق غرفة الشات. يجب الرجوع إلى الله والاستغفار فإن الله غفور رحيم.



امرأة تفقد جنينها بسبب موضوع في المنتدى

امرأة تقول: وجدت مشاركة أثارت فضولي كأي متصفح للموقع كانت بعنوان: «اكتشف الخطأ في هذه الصورة».

ففتحت الصفحة لأن دقة الملاحظة تستهويني، وأحب تدريب ذهني بشكل دوري عليها، فماذا حصل؟

وجدت صورة عادية لم أر فيها أي خطأ وأنا أجيل بصري في أنحائها، وفجأة، وفجأة، وأنا أدقق النظر امتلأت الشاشة بصورة مرعبة، وضجت سماعات جهازي بصوت صراخ مخيف أفزعني أيما فزع!! مهلًا، لم ينته الأمر عند هذا الحد.

لقد فقدت طفلي البكر وجنيني الأول الذي لم تكتحل عيناي بمرآه فآه ثم آه، يعتذر لي صاحب تلك المزحة، ولكن هل سيعيد اعتذاره مشاعر الفرحة التي غمرتني وأنا أتلقى خبر حملي بطفلي الأول؟ هل سينسخ اعتذاره آلامي ومصيبتي بفقد جنيني، الذي كنت أرقب نموه في أحشائي وأمني نفسي بمرآه؟

إخواني الكرام:

لا تعتبوا علي لأن مصيبتي مؤلمة وحزني شديد أتجلد لاحتماله، أنا يا إخوتي مؤمنة بالقضاء والقدر وما زلت أردد: اللهم أجرني على مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، ما زلت أحوقل وأسترجع، ولم أفقد الثقة بالله والحمد لله، ولكني فقط أطالب بشدة وأنا أودعكم بكف أذى من به أذى وبالأخذ على يد السفيه ومنعه من المزاح القاتل، كالمزحة التي أودت بحياة طفلي ونبض فؤادي وريحانة روحي، ولصاحب تلك المزحة أقول: لا أحلك الله من دم صغيري إن كنت عامدًا الإساءة وإفزاع الناس، «وعند الله تجتمع الخصوم»!!

أغرب قصة زواج على الشاتنج!!

مع أنه لم يعد هناك غريب ولا عجيب في عصر الإنترنت، لكن مثل هذا الخبر يكاد لا يصدق لولا أنه حقيقة بالفعل تناقلتها الصحف، ووكالات الأنباء هذا الأسبوع:

جدة بريطانية لثلاثة أحفاد تهجر زوجها لتتزوج مراهقًا مغربيًا التقت به على الإنترنت من خلال الدردشة الإلكترونية (التشاتنج) وكانت هذه - الجدة - تعيش حياة حميمة مع زوجها وأبنائها وأحفادها، قبل أن يقلب - الكمبيوتر - حياتها رأسًا على عقب، لكن الظريف أن جهاز الكمبيوتر الذي كان مسرحًا لأغرب غراميات من نوعها باعت بسببها هذه العجوز - زوجها - وعلاقة العمر معه كانت قد اشترته لزوجها هدية بمناسبة ذكرى ميلاده (الستين).

لكن هذا الجهاز السحري استهواها للتسلية والدردشة من خلاله، دون أن تعرف هي نفسها هذه النهاية العجيبة، بحيث تحولت هذه الهدية الصغيرة لزوجها إلى لطمة كبيرة لحياتهما الزوجية، والخبر بالتفصيل كما يلي:

هجرت جدة بريطانية زوجها بعد زواج دام ٣٨ سنة لتتزوج شابًا مغربيًا يبلغ من العمر ٢٢ سنة، تعرفت إليه عبر شبكة الإنترنت.

وقد طلقت سيلفيا أوحتيت (٦٠ عامًا) وهذا هو اسمها الجديد زوجها أريك نورتون (٦٢ عامًا)، بعد تعرفها على شاب في مقتبل العمر «بغرفة دردشة» (تشات روم) على شبكة الإنترنت، مستخدمة الكومبيوتر الذي كانت قد اشترته هدية لزوجها في الذكرى الستين لميلاده.

وقالت صحيفة «الصن» الشعبية البريطانية إن الجدة سيلفيا بعد إعجابها بشخصية أوحتيت، الشاب المغربي أجرت محادثات هاتفية كلفتها ثلاثة

آلاف جنيه استرليني (حوالي ٤٦٠٠ دولار) قبل أن تترك منزلها في دادلي بوسط إنجلترا وتوجهت رأسًا إلى المغرب للقاء حبيبها الجديد.

وقالت الجدة سيلفيا «بمجرد أن تحدثت إليه تأكدت من حبي له، ولم يهمني أنه يصغرني بكثير من السنوات».

وأوردت الصحيفة أن سيلفيا والشاب المغربي عقدا قرانهما في فبراير (شباط) الماضي. لكن سيلفيا، الأم لكل من أندرو (٣٥ سنة) واليزابيث (٣٧) وسارة (٢٩) وجدة ثلاثة من ذريتهم (أعمارهم بين التاسعة والخامسة عشرة)، لم تستطع حتى الآن إقناع وزارة الداخلية البريطانية ليسمحوا لزوجها المغربي بدخول البلاد. وقالت الصحيفة: إن المسؤولين بالداخلية «ليسوا على قناعة تامة بأن الاثنين ينويان العيش معًا».

وتدافع سيلفيا بقولها: «ربما ينظر البعض إليه كزواج مدبر، لكنه زواج حقيقي».

ومن جهته قال الشاب المغربي من قريته القريبة من الرباط: «يعتقدون أنه تدبير ما، معتمدين على فارق السنوات بيننا. وأقول لكم: إنني أحبها فعلًا».

وقالت سيلفيا للصحفيين: «لقد دخل حياتي وأثر فيها بصورة مذهلة، أشعر أني أصغر سنًا، وقد كنت أتوكأ على عصا والآن قذفتها بعيدًا واستغنيت عنها»، وأوضحت أنها في البدء سألت الشاب المغربي على الإنترنت إن كان يشترط أن تكون من يبحث عنها من عمره لكنه أجابها بأنه يبحث عن امرأة حقيقية.

وقالت: إن أبناءها استنكروا الأمر في البداية، لكنهم قبلوا الواقع بعد ذلك.

وقال أريك نورتون (زوجها السابق) الذي يعيش الآن مع ابنهما اندرو: «لقد جرحني الأمر في البداية، لكنني الآن أستمتع بما أعمل وأحس بالهدوء والسكينة».

زوجة في مستشفى الأمراض النفسية

تعالوا معي واقرؤوا وقائع هذه القصة المشينة لامرأة متزوجة وكان منها ما كان بسبب الإنترنت وعلاقتها مع الشباب فيه حيث تعرفت على شاب في منتصف العمر، واستمرت العلاقة لسنين وليست لشهور، وأصبح كل منهما يعرف الآخر بوضوح تام حتى أصبح الاثنان -ولنقل هي بالتحديد- في حالة عشق وحب لهذا الشاب برغم أنها متزوجة وثقة زوجها الكبيرة بها وبعقلها المتفهم، وبوجود أبنائها ولكن في لحظة لم تفكر بهذا كله عندما طلب الحبيب أن يلتقي بها، ظل يقنعها بأنه فقط سيكتفي برؤيتها، وأنه لن يمسها بسوء، فقط يريد النظر.

وكان له ما أراد، وخرجت لتلتقي به بعد تفكير طويل، وبعد الكذب على زوجها قائلة له بأنها في زيارة لواحدة من صديقاتها واقتنع الزوج لثقته بالزوجة، وذهبت للمكان المحدد وركبت السيارة معه وانقضى الوقت بين كلام وضحك ولم يفعل لها شيئًا فقط كان يريد رؤيتها، عادت بعد ذلك إلى البيت، وكأنها لم تفعل شيئًا.

لم تنقض فترة وجيزة إلا طلب الحبيب منها أن يراها مرة أخرى بحجة أنه يحتاجها بشدة؛ لأنه مرَّ بظروف صعبة وقال لها مطمئنًا: إنه في المرة السابقة لم يفعل لها شيئًا، وأنه لو أراد بها السوء لفعل من المرة الأولى واقتنعت هي بكلامه وخرجت معه وابتعد بها بعيدًا عن المدينة وهي لم تنتبه لما فعل، فقد كان يريد في هذه المرة إشباع شهواته ونزواته ورغباته أخذها إلى الصحراء وفعل ما فعل، ثم وبكل برود أخذها وأوصلها إلى المنزل وهي في صدمة لم تستطع الخروج منها؛ إذ ما كانت تتوقع أن هذا ما سيفعله معها بعد وعود بعدم الأذى وعدم القدرة على الدفاع عن نفسها، ذهبت للمنزل وهي في حالة يرثى لها، واكتشف الزوج جريمة زوجته وطلقها وتشرد الأولاد مع زوجة أبيهم الجديدة ووجود الأم في مستشفى الأمراض النفسية.

صدقيني إني ما أعرف غيرك

هذه القصة من واقع مؤلم وحزين أضاع حياتي وهدم مستقبلي وقضى على حياتي العائلية، وفرق بيني وبين زوجي، أنا بنت من عائلة محافظة تربيت على الأخلاق والتربية الإسلامية، تزوجت من شخص محترم يحبني وأحبه ويثق فيّ بدرجة كبيرة ما طلبت شيئًا من زوجي ورفضه وقال لي لا.

حتى جاء يوم وطلبت منه أن أستخدم الإنترنت، في بادئ الأمر قال: لا أرى أنها جيدة وهي غير مناسبة لك، لأنك متزوجة، فتحايلت عليه حتى أتى بها وحلفت له أني لا أستخدمها بطريقة سيئة ووافق (وليته لم يوافق) أصبحت أدخل الإنترنت وكلي سعادة وفرحة بما يسليني.

مرت الأيام وحدثتني صديقة لي تستخدم الإنترنت عن الشات وحثتني على الدخول فيه، دخلت الشات هذا وليتني لم أدخله، في بادئ الأمر اعتبرته مجرد أحاديث عابرة وأثناء ذلك تعرفت على شخص كل يوم أقابله وأتحادث معه، كان يتميز بطيبته وحرصه على مساعدتي.

أصبحت أجلس ساعات وساعات بالشات وأتحادث معه، وكان زوجي يدخل علي ويشاهدني ويغضب للمدة التي أستمر بها على الإنترنت، ورغم أني أحب زوجي، لكني أعجبت بالشخص الذي أتحادث معه مجرد إعجاب، وانقلب بمرور الأيام والوقت إلى حبٍّ وملت له أكثر من زوجي، وأصبحت أهرب من غضب زوجي بالحديث معه، ومرة فقدت فيها صوابي وتشاجرت أنا وزوجي، فأخرج الكومبيوتر من البيت غضبت من زوجي؛ لأنه أول مرة يغضب علي فيها ولكي أعاقبه قررت أن أكلم الرجل الذي كنت أتحدث معه بالشات رغم أنه كان يلح علي أن أكلمه وكنت أرفض.

وفي ليلة من الليالي اتصلت عليه وتحدثت معه بالتلفون ومن هنا بدأت خيانتي لزوجي، وكلما ذهب زوجي خارج البيت قمت بالاتصال عليه والتحدث معه، لقد كان يعدني بالزواج لو طلقت من زوجي، ويطلب مني أن أقابله دائمًا يلح علي حتى انجرفت وراء رغباته وقابلته وكثرت مقابلتي معه حتى سقطنا في أكبر ذنب تفعله الزوجة في حق زوجها عندما تخونه، فقررت أن أطلب من زوجي الطلاق، بعدها أصبح زوجي يشك في أمري، وحدث مرة أن اكتشف أنني كنت أتحدث بالهاتف مع رجل، وأخذ يسألني ويكثر علي من السؤال حتى قلت له الحقيقة وقلت: إني لا أريده وكرهت العيش معه رغم هذا كله وزوجي كان طيبًا معي لم يفضحني أو يبلغ أهلي، بل قال لي: أنا أحبك ولكن لا أستطيع أن أستمر معك.

بعد ذلك رجعت للرجل الذي تعرفت عليه بالشات، واستمر يتسلى بي وقابلني ولم يتقدم لخطبتي حتى تشاجرت معه، وقلت له: إذا لم تتقدم لخطبتي سوف أتخلى عنك، فأجابني وهو يضحك وقال: يا غبية أنت مصدقة حين أقول لك ما أقدر أعرف غيرك، وعمري ما قابلت أحلى منك، وأنت أحلى إنسانة قابلتها في حياتي؟! وثاني شيء أنا لو أتزوج ما أتزوج واحدة كانت تعرف غيري.



أميرة والكمبيوتر

أميرة فتاة جامعية، ترتدي النظارات والعدسات اللاصقة، وقريبًا ترقبوا التلسكوب!!

صديقتنا تجلس على الإنترنت طوال اليوم ما عدا ساعات النوم وساعات التواجد داخل الكلية، ويبدو أنها حتى في الكلية لا تتوانى عن الذهاب إلى مختبرات الإنترنت للتلاعب بأزرار الكيبورد الذي أصبحت تعرف كل زر فيه عن ظهر قلب!

أنصتوا جيدًا إلى أمها وهي تنادي (يا بنت كفاية جلوس على الكمبيوتر، يا بنت ارحمي عيونك، يا أميرة خلي الكمبيوتر وتعالي ساعديني، يا بنتي خافي الله وروحي اقرئي القرآن أحسن لك، يا بنتي غدًا لن تري الطريق والسبب من هذا الكمبيوتر) وتنادي أمها (أميرة، يا أميرة) وتصرخ (يا بنتي ولكن كرسي الكمبيوتر مطلي (بالسوبر جلوة) والحبيبة لا تستطيع القيام من أمام الشاشة!

الفريتل، الآيسكيوه، الآرسي، الياهو ماسنجر، الهوتميل ماسنجر، الفالكون شات، الهارت شات وكل برامج ومواقع المحادثة الأخرى هي من تخصص (الشتاتة) أميرة.

موقع الشامسي، فارس نت، الساهرنت، المزوحي، الإمارات للأبد، مواقع حفظتها صديقتنا أكثر مما حفظت من سور جزء عم، وحتى أكثر من كتب ومذكرات الكلية!!

القناص، إماراتي، عبود، أمير المحبين، عيناوي، شرجاوي، كلهم أصدقاؤها وهناك المزيد والمزيد، ولكن كونوا معنا!!

أميرة تطوي الليل بالنهار وتقضي الصبح والمساء، والكل يتعب ويبتعد عن الشاشة وتبقى أميرة مسمرة أمامها، والكل يخرج من البيت ويشاهد

التلفزيون وتبقى صديقتنا موجودة كالناطور الذي لا يبرح باب العمارة حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا!!

حتى مع صديقاتها أصبحت لا تتكلم إلا عن الإنترنت، يا بنات أرأيتنّ الصور التي أرسلتها لكنّ على الإيميل؟! وهل رأيتن البطاقات الجديدة من موقع رعودي؟

جدها المسكين دائمًا يتأفف منها ويقول لها: أفففففف وأيضًا أف!! كفاية كمبيوتر يا أميرة انتبهي لصحتك يا بنتي، لاحظي كيف صارت عيونك صغيرة، يا أميرة خافي الله في نفسك، غدًا الكمبيوتر يشتكي عليك يوم القيامة!! تنزعج أميرة قليلًا، ولكن ذلك لا يحرك فيها شيئًا، فهي منذ أصبحت تجلس على الكمبيوتر زاد وزنها وبردت أعصابها وأصبحت كالدب القطبي، بل صارت أشبه بجبل الجليد الذي لا يذوب أبدًا، أبدًا!!

كلمة أخيرة: غدًا سوف تندم صديقتنا على الوقت الذي ضيعته أمام الشاشة وعندها سوف تكتشف أنها ضيعت دينها وأخلاقها وأهملت دراستها وواجباتها ونسيت حق والديها وأهلها وضيعت صحتها وجمالها، وعندها سوف تتذكر أمها عندما كانت تصرخ وتقول: الله يجازي من اخترع الكمبيوتر!!



فتاة تصاب بالإيدز عن طريق الشات

تبدأ القصة بدخول إحدى الطالبات إلى غرفتي تستند إلى إحدى معلمات المدرسة وهي منهارة وفي حالٍ يرثى له، حاولت مع المعلمة تهدئة الطالبة، دون جدوى فطلبت منها الجلوس، وناولتها مصحفًا فتحته على سورة (يس) وطلبت منها أن تذكر الله سبحانه وتعالى حتى تهدأ، تناولت الطالبة المصحف، بهدوء وأخذت تتلو آيات الله تعالى، بينما لجأت إلى عملي، وأنا على اعتقاد أن المشكلة لن تخرج عن حالة اكتئاب وضغط نفسي أو حالة وفاة قريب، أو ما شابه من الحالات اليومية التي تطرأ على العمل، ولم يخطر ببالي أبدًا أن هذه الزهرة الجميلة تحمل همًّا يثقل كاهل أسرة، هدأت الطالبة وتقدمت مني بخطوات حزينة، جلست أمامي شعرت بأنها تمالكت نفسها وتستعد للحديث، ثم بدأت قائلة: بداية حكايتي كانت مع بدء إجازة الصيف للعام الدراسي السابق، سافرت أمي مع أبي وجدتي للعلاج خارج الدولة، وتركتني مع إخوتي الصغار برعاية عمتي، وهي نصف أمية أقصد أنها تعلمت القراءة والكتابة، ولكنها لا تعي أمور الحياة وفلسفتها.

كنت أشعر بالملل والكآبة فهي المرة الأولى التي أفارق فيها أمي، بدأت أتسلى على النت وأتجول في عدة مواقع، وأطيل الحوار في غرف الدردشة (الشات)، ولأنني تربيت تربية فاضلة فلم أخش على نفسي، حتى تعرفت يومًا على شاب من نفس بلدي يسكن بإمارة أخرى، بدأت أطيل الحديث معه بحجة التسلية، والقضاء على ساعات الفراغ، ثم تحول إلى لقاء يومي وطلب مني أن يحدثني على المسنجر فوافقت، حوار يومي ولساعات طويلة حتى الفجر.

خلال حديثي معه تعرفت على حياته وتعرف هو على حياتي، عرفت

منه أنه شاب لعوب يحب السفر وقد جرب أنواع الحرام، كنا نتناقش في عدة أمور مفيدة في الحياة، وبلباقتي استطعت أن أغير مجرى حياته، فبدأ بالصلاة والالتزام؟

بعد فترة وجيزة صارحني بحبه لي، وخاصة أنه قد تغير، وتحسن سلوكه وبقناعة تامة منه بأن حياته السابقة كانت طيشًا وانتهى.

وترددت في البداية، ولكنني وبعد تفكير لأيام اكتشفت بأنني متعلقة به، وأسعد أوقاتي عند اقتراب موعد اللقاء على المسنجر.

فطلب مني اللقاء، وافقت على أن يكون مكانًا عامًا، ولدقائق معدودة، فقط ليرى صورتي.

وفي يوم اللقاء استطعت أن أفلت من عمتي بحجة أنني سأزور صديقة، وأتخلص من الفراغ حتى رأيته وجهًا لوجه، لم أكن أتصور أن يكون بهذه الصورة، إنه كما يقال في قصص الخيال: فارس الأحلام، تحاورنا لدقائق، وقد أبدى إعجابه الشديد بصورتي وإنني أجمل مما تخيل.

تركته وعدت إلى منزلي تغمرني السعادة، أكاد أطير، لا تسعني الدنيا بما فيها، لدرجة أن معاملتي لإخوتي تغيرت، فكنت شعلة من الحنان لجميع أفراد الأسرة، هذا ما علمني الحب؟

وبدأنا بأسلوب آخر في الحوار، وعدني بأنه يتقدم لخطوبتي فور رجوع أسرتي من السفر، ولكنني رفضت وطلبت منه أن يتمهل حتى أنتهي من الدراسة.

تكررت لقاءاتنا خلال الإجازة ثلاث مرات، وكنت في كل مرة أعود محملة بسعادة تسع الدنيا بمن فيها.

في هذه الفترة كانت أسرتي قد عادت من رحلة المرض، والاكتئاب يسود جو أسرتي، لفشل العلاج، ومع بداية السنة الدراسية طلب مني لقاء، فرفضت لأنني لا أجرؤ على هذا الفعل بوجود أمي، ولكن تحت إصراره بأنه يحمل مفاجأة سعيدة لنا وافقت، وفي الموعد المحدد تقابلنا وإذا به يفاجئني بدبلة لخطبتي سعدت كثيرًا وقد أصر أن يزور أهلي،

وكنت أنا التي أرفض بحجة الدراسة.

في نفس اليوم وفي لحظات الضعف، استسلمنا للشيطان، لحظات كئيبة، لا أعرف كيف أزنها ولا أرغب أن أتذكرها، وجدت نفسي بحالة مختلفة، لست التي تربت على الفضائل والأخلاق، ثم أخذ يواسيني ويصر على أن يتقدم للخطوبة وبأسرع وقت أنهيت اللقاء بوعد مني أن أفكر في الموضوع، ثم أحدد موعد لقائه بأسرتي.

رجعت إلى منزلي مكسورة حزينة عشت أيامًا لا أطيق رؤية أي شخص، تأثر مستواي الدراسي كثيرًا، وقد كان يكلمني كل يوم ليطمئن على صحتي بعد حوالي أسبوعين تأكدت بأن الله لن يفضح فعلتي، والحمد لله فبدأت أستعيد صحتي، وأهدأ تدريجيًا، واتفقت معه على أن يزور أهلي مع نهاية الشهر ليطلبني للزواج.

بعد فترة وجيزة، تغيب عني ولمدة أسبوع، وقد كانت فترة طويلة بالنسبة لعلاقتنا أن يغيب وبدون عذر، حاولت أن أحدثه فلم أجده.

بعد أن طال الانتظار، وجدت في بريدي رسالة منه، مختصرة، وغريبة، لم أفهم محتواها، فطلبته بواسطة الهاتف لأستوضح الأمر.

التقيت به بعد ساعة من الاتصال، وجدت الحزن العميق في عينيه، حاولت أن أفهم السبب، دون جدوى، وفجأة انهار بالبكاء، لا أتصور أن أجد رجلًا بهذا المنظر، فقد كانت أطرافه ترجف من شدة البكاء، اعتقدت أن سوءًا حل بأحد أفراد أسرته حاولت أن أعرف سبب حزنه، لكنه طلب مني العودة، استغربت وقلت له: إن الموعد لم يحن بعد، ثم طلب مني أن أنساه، لم أفهم، وبكيت واتهمته بأنه يريد الخلاص مني، ولكن فوجئت بأقواله ولن أنسى ما حييت وجهه الحزين وهو يقول: إنه اكتشف مرضه بعد أن فات الأوان أي مرض؟ وأي أوان؟ وما معنى هذه الكلمات؟

لقد كان مصابًا بمرض الإيدز، وقد علم بذلك مؤخرًا وبالمصادفة؟

ما زالت ابنتنا في حيرة وحزن، وأمام مصير مجهول، هل انتقل إليها المرض؟ هل تستطيع أن تواجه أهلها بهذه المصيبة؟

ولكن من المسؤول عن هذه الضحية؟ لقد نشأت في أسرة مستقرة، ولكن يبقى أن نقول لكل فتاة: احذري وصوني نفسك، ولا تصغري الكبائر فكل خطيئة تبدأ صغيرة، ولكنها تكبر مع الأيام، احسبي ليوم تكونين فيه ضحية مثل فتاتنا الحزينة التي تنتظر المصير المجهول.



صرخة فتاة من ضحايا (الشات)

هذه قصة حقيقية، ورسالة تقطر أسًى، وصلتني عبر البريد، تقول الفتاة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أرجو منكم إفادتي في مشكلتي هذه:

أنا فتاة أبلغ من العمر ١٧ عامًا من بلد عربي، لا زلت في الدراسة الثانوية.. للأسف تعلمت استخدام (الإنترنت) لكني أسأت استخدامها، وقضيت أيامي في محادثة الشباب، وذلك من خلال الكتابة فقط، ومشاهدة المواقع الإباحية، رغم أني كنت من قبل ذلك متديّنة، وأكره الفتيات اللواتي يحادثن الشباب.

وللأسف فأنا أفعل هذا بعيدًا عن عين أهلي، ولا أحد يدري.

ولقد تعرفت على شاب عمره ٢١ من جنسية مختلفة عني... لكنه مقيم في نفس الدولة، تعرَّفت عليه من خلال (الشات).. وظللنا على (الماسنجر) أحببته وأحبني حبًا صادقًا (ولوجه الله) لا تشوبه شائبة!!!

كان يعلمني تعاليم الدين، ويُرشدني إلى الصلاح والهدى، وكنا نُصلي مع بعض في أحيان أخرى، وهذا طبعًا يحصل من خلال الإنترنت فقط؛ لأنه يدعني أراه من خلال (الكاميرا) كما أنه أصبح يريني جسده،... فأدمنت ممارسة العادة السرية.

ظللنا على هذا الحال مدة شهر، ولقد تعلمت الكثير منه وهو كذلك، وعندما وثقت فيه جعلته يراني من خلال (الكاميرا) في الكمبيوتر، وأريته معظم جسدي، وأريته شعري، وظللت أحادثه بالصوت، وزاد حُبِّي له، وأصبح يأخذ كل تفكيري حتى أن مستواي الدراسي انخفض بشكل كبير جدًا. أصبحت أهمل الدراسة، وأفكر فيه؛ لأنني كلما أحاول أن أدرس لا

أستطيع التركيز أبدًا، وبعد فترة كلمته على (الموبايل) ومن هاتف المنزل أخبرته عن مكان إقامتي كما هو فعل ذلك مسبقًا، ولقد تأكدت من صحة المعلومات التي أعطاني إياها.. طلب مني الموافقة على الزواج منه، فوافقت طبعًا لحبي الكبير له - رغم أني محجوزة لابن خالي - لكني أخشى كثيرًا من معارضه أهلي.

وخصوصًا أنه قبل فترة قصيرة هددني بقوله: إن تركتني فسوف أفضحك! وأنشر صورك! وقال: سوف أقوم بالاتصال على الهواتف التي قمت بالاتصال منها لأفضح أمرك لأهلك.

وعندما ناقشت معه الأمر قال: إنه (يسولف) لكن أحسست وقتها بأنه فعلًا سيفعل ذلك، وأنا أفكر جديًا بتركه، والعودة إلى الله.

وكم أخشى من أهلي، فأنا أتوقع منهم أن يقتلوني خشية الفضيحة والسمعة، لا أقصد القتل بذاته بل الضرب والذل؛ لأن أبي وأمي متدينان ومسلمان، وإذا عرفا بأني أحب شاب وأكلمه فسوف يقتلانني! أنا لا أعرف ماذا أفعل! أنا خائفة جدًا. أريد الهداية. أريد العيش مطمئنة وسعيدة. مللت الخوف والتفكير.

أرجوكم ساعدوني، وبسبب هذه المشكلة تركت الصلاة، وتركت العبادة؛ لأني يئست من الحياة، مللت منها، أود الموت اليوم قبل الغد، لو ظللت عائشة على هذه الحياة فسوف يتحطم مستقبلي، ومستقبل أخواتي، وتشوه سمعتهن.

أريد تركه لكني أخشى من فضحه لي؛ لأنه سيُعاود الاتصال؟؟

كيف أمنعه من ذلك؟؟

أريد العودة إلى الله فهل سيغفر لي ربي؟؟ كيف التوبة وما شروطها؟؟ ومتى أتوب؟؟ أخشى أن أعود إلى ما فعلته سابقًا. ما الحل؟؟

كيف أتخلص من إدمان العادة السرية خصوصًا أني أصبت ببرود جنسي؟ كيف أعالج ذلك من غير علم أهلي؟؟ ماذا أفعل؟؟ أرجوكم ساعدوني. لا أعرف ما أفعل. لا أستطيع أن أُخبر أحدًا بهذا الأمر.

أرجوك أجبني، وأرحني، فلازلت أحمل هذه المشكلة كهمٌ كبير لا يقوى ظهري على حمله، فأنا ألتمس الجواب منكم. أرجوكم ساعدوني.
ما الحل؟؟ أرجوكم بسرعة فلقد يئست..

ساعدوني لا أجد أحدًا ينصحني! فساعدوني، ولا ترموا رسالتي، فأنا بأمسّ الحاجة. أرجوكم.

انتهت رسالة الأخت التي تفيض بالعِظات والعِبَر.

فهل مِن مُعتبِر؟؟

وقفات مع الرسالة:

سوف أقف مع قولها:

(أحببته وأحبني حبًا صادقًا [ولوجه الله] لا تشوبه شائبة)

وقفت طويلًا عند قولها: ([ولوجه الله] لا تشوبه شائبة)

المشكلة أن كل فتاة تتصوّر أن الذي اتصل بها مُعاكسًا أنه فارس أحلامها، ومُحقق آمالها!

وإذا به فارس الكبوات ! وصانع الحسرات، ومُزهق الآمال، وصانع الآلام!

حُبًا صادقًا ولوجه الله لا تشوبه شائبة!!

هكذا تصوّرته في البداية، ولكن تبيّن عفنه قبل أن ترسم النهاية!

ثم تبيّن أنه نسخة من آلاف نُسخ الذئاب البشرية! الذين لا يهمهم سوى إشباع رغباتهم.

ها هو يُلوّح بعصا (الصوت والصور)! إن لم تُحبيني فسوف أفضحك، وأنشر صورك!! وحُب على طريقة الإدارة الأمريكية!! أهذا حب صادق؟!

ومع قولها: (أنا خائفة جدًا أريد الهداية أريد العيش مطمئنة وسعيدة، مللت الخوف والتفكير) - سبحان الله - ألم تكن في سعة من أمرها قبل أن تطأ أقدامها أرض جحيم (الشات)؟ فما بالها اليوم خائفة؟

ألم تكن في يوم من الأيام على طريق الهداية؟ فهاهي اليوم تبحث عنها!

ألم تكن عابدة في مصلاها؟ فما بالها تركت العبادة؟ إنه شؤم المعصية الذي حُرمت بسببه لذة الطاعة. ألم تكن تعيش في سعادة غامرة؟ فعن أي شيء بحثت في سراديب (الشات)؟ بحثت عن السعادة، ولكنها خرجت تصيح من الجحيم: (أريد العيش مطمئنة وسعيدة) بحثت عن السعادة فعادت بالندامة تتمنى الموت اليوم قبل الغد! كل هذا تم في غفلة الوالدين!

وعجيب قولها: (وكم أخشى من أهلي، فأنا أتوقع منهم أن يقتلوني خشية الفضيحة والسمعة، لا أقصد القتل بذاته بل الضرب والذل؛ لأن أبي وأمي متدينان ومسلمان، وإذا عرفا بأني أحب شابًا وأكلمه فسوف يقتلانني!).

لقد فرطا كثيرًا، وأهملا أكثر، وضيعا الأمانة. إنها الثقة العمياء المُطلقة يوم تُعطى للبُنيات على وجه الخصوص، فتؤتي أُكلها حنظلًا وعلقمًا.

يوم يقول الأب: أنا أثق ببناتي!! أو بمحارمي عمومًا! ثقة عمياء مطلقة! وهل هن خير أم أمهات المؤمنين؟ ومع ذلك قال الله عز وجل في أدب أمهات المؤمنين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ وقال في أدب المؤمنين معهن: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ لماذا؟ ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ فهل من مُعتبر؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾



اعترافات ضحية

تأبى أعاصير الأحزان إلا وتهب وتعصف تاركة جراحًا في القلب وآلامًا، ومع ذلك هذه الأحزان ربما تكون بمثابة الماء الذي يرش على وجوهنا لنفيق من سبات عميق وأحلامًا مستحيلة غارقين في بحر الأوهام، فنعيد التفكير ونحاسب أنفسنا ونتوب ونذرف دموع الندم قبل فوات الأوان، ولعل هذه القصة الواقعية تترجم بعض ما أردت البوح به والتي بعثت بها إحدى الأخوات عبر البريد الإلكتروني.

إليكم أبعث قصتي هذه والتي أكتبها بمداد من دمعي وآهات من قلبي الجريح، أكتبها لتأخذوا منها العبرة والعظة، ولتكون صرخة مني توقظكم من غفلتكم حتى لا تدفع بنات جنسي غالي الثمن كما دفعته وسأظل أدفعه إلى أن يفرج الله عني ويرحمني.

كنت في أوج جمالي وجاذبيتي وأنوثتي، وكأن الله لم يخلق غيري، أمرح وأفرح وتتعالى ضحكاتي ويزداد غروري وإعجابي بنفسي كلما لمحت نظرات الإعجاب ممن حولي. أصبح كل اهتمامي منصب على جمالي وأناقتي وحرصي على أن أفوز بأكبر قدر من الإعجاب والثناء؛ أهملت في صلاتي وتهاونت بها كنت أحرص كل الحرص على متابعة وشراء كل ما ينزل إلى الأسواق من أشرطة الأغاني التي تأسرني كلماتها وبراعة تصويرها فيما يسمى بالفيديو كليب، الذي تتنافس القنوات في عرضه فأحلق بعيدًا بعيدًا عن أرض الواقع أحلق في سماء الأوهام والسعادة الزائفة نعم زائفة، عندما تكون بعيدة عن طاعة الله ومرضاته.

أحلق وأرتفع بأفكاري وأحلامي مع كل كلمة من كلمات الأغاني وكأنها تخاطبني وتخاطب ما وهبني الله من جمال لم أكن أتوقع أن يأتي ذلك اليوم الذي أدفع فيه ثمن ذلك الجمال حسرات وآهاااات.

غرفتي جدرانها مليئة بصور المغنين والمغنيات، فكانوا للأسف مثلي الأعلى تهتز أركانها بأصواتهم فلا أهتم لنداء المؤذن للصلاة فهل من المعقول أن أصبر عنهم وأضيع دقائق من وقتي للأذان؟؟ مستحيل زاد حرصي على إظهار جمالي ومفاتني وأنوثتي فأتمادى، يشجعني دلال والدي المفرط وأسابق صديقاتي في شراء أحدث الموديلات للعباءة ولا أنتقي إلا ما هو جذاب وملفت للأنظار.

أما عن الملابس فبالطبع لم يفتني أن يكون لي قدم السبق في التفنن في اختيار كل ما يقع عليه بصري، أراقب عروض الأزياء في الفضائيات وتبهرني موديلاتها العارية، فهذا فستان عاري من الصدر وآخر قصير إلى الركبة وآخر عاري من الظهر، وهكذا تتنوع الموديلات؛ فأحضر الأفراح التي كانت تحييها المغنيات بمصاحبة الموسيقى فأرقص مع أنغامها في زهو وفرح، كنت كلما لمحت نظرات الإعجاب في أعين النساء أتمادى في التعري واقتناء وخياطة الملابس العارية مهما كانت أسعارها لا يهم.. امتلأت خزانة ملابسي بأشكال وألوان من الملابس العارية، زين لي الشيطان أنني في القمة مع أنني أوشك على الهاوية.

ما أكثر الأيام التي قضيتها في لجج المعاصي والآثام رسخت في ذهني ومثيلاتي من الفتيات أنه لا يمكن أن يظهر جمالي وأنوثتي إلا بالعري حتى سقطت في الهاوية.

نعم سقطت وأصابتني نظرات الإعجاب الخالية من ذكر الله أصابتني كسهام اخترقت جسدي الأعزل من حصن الأذكار والطاعات لجبار الأرض والسماوات، مزقت أشلاء قلبي الخالي من شرايين وأوردة تنبض بالقرآن نظرات إعجاب وحسد وغيرة كنت أقابلها بتحدٍ وقوة مستمدة من غرور وعزة بالإثم، وكبرياء حتى أصبت فخارت قواي وسقطت كزهرة ذابلة أسيرة المرض والأحزان أتنقل من شيخ إلى آخر يعالجونني بالقرآن هذا يشخص حالتي بأنها عين، وآخر حسد، وآخر مس من جني عاشق عافاكم الله أصبحت أكتوي بنيران الحسرة وتعذيب الضمير.

قالت لي نفسي اللوامة: الآن تبحثين عن العلاج بالرقية الشرعية بآيات القرآن؟؟ الذي كنتي معرضة عنه وهاجرة له؟؟ فأجبتها والألم الكامن تفضحه أنّاتي وزفراتي: نعم الآن وقد وقعت أسيرة المرض عرفت خطئي وإسرافي على نفسي فكنت كما قال الشاعر:

ولكم عرضت مفاتني كي يقتل القلب الصحيح

سامرت ألحان الغناء فسامرت قلبي الجروح

أبغي السعادة فانجلت عني وضاق بي الكون الفسيح

تلفت يمنة ويسرة فلم أجد صديقاتي اللاتي كن يشجعنني على ما أنا عليه من تخبط تغيرت نظرات الإعجاب والانبهار إلى نظرات شفقة وعطف، وفي بعض الأحيان شماتة على من كنت أتكبر وأتفاخر عليهم.. في اليوم الذي كانت كل امرأة تراني تتمناني عروسًا لابنها أو أخيها أو قريبها أما اليوم فلا أجد ولا واحدة منهن ولا من أولئك الشباب الذين كانوا يتهافتون على والدي يخطبونني منه، فمن يريد أن يتزوج بمريضة مثلي.... ما عادت لدنياي قيمة ولا بهجة، ذرفت دموعًا علها تطفئ نيران قلبي الموجوع بألم الندم على ما ارتكبته من معاصي وتفريط.

أمتار من قماش لفستان عاري يظهر مفاتني كلفني ثمنًا باهظًا ومرضًا منهكًا، ذاب به جمالي واسودت الدنيا في عيني فما عدت أرغب في الحياة أسمع آيات الله أرقى بها ترتعش مفاصلي وألهج بالدعاء لربي أن يرحمني ويغفر لي:

رباه هذا القلب أمسى في ربوعكمو طريح

رباه إن لم تعف عن ذنبي فكيف سأستريح

ويلوح لي أمل جديد حين بشرني أحد المعالجين بالقرآن شيخ يضيء وجهه بنور الإيمان أن شفائي قريب بإذن الله، فيا لرحمة ربي!! أليس هو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

عزمت على التوبة وَحمدت ربي أن أصابني حتى يكون تكفيرًا لذنوبي، فهذا أهون من عذاب الآخرة.

وفي الختام: هذه قصتي بين أيديكم ونداء أبعث به إلى كل فتاة سمعت الأغاني وارتدت الفستان العاري، والعباءة المزركشة والمخصرة والشفافة- أقول لها: اتقي الله ولا تغرنك الحياة الفانية فما عند الله خير وأبقى وسارعي بالتوبة.

وبعد أحبتي في الله كانت هذه القصة التي صغتها على لسان صاحبتها مرحبة بتعقيباتكم وتواصلكم وجزاكم الله خير الجزاء.



اعترافات ضحية تائبة

أمسكت بالقلم لأسطر الألم بعد ما ضاق به صدري، وباح به دمعي، أمسكت به ولسان حالي يتساءل يا ترى هل ستشفى جراحي وآلامي؟؟

أرجعت شريط الذكريات إلى أيام كنت أظنها ستستمر في الابتسام لي وإسعادي فاغتررت بها وببريقها الزائف، ساعدني في غروري هذا محيط أسرتي وأخواتي فكلهم يدللونني ويحيطونني بالدلال الذي جنى علي، فأنا أصغرهم وأجملهم.

سمعت كثيرًا عن ما يسمى بالإنترنت وكنت أتوق إلى أن أعزف بأناملي على لوحة المفاتيح لذلك الجهاز مثلما أعزف على الآلات الموسيقية التي شغفت بحبها وحب الأغاني التي تحكي قصص الحب والغرام.

استطعت بكل ما أوتيت من دلال ومكر أن اقنع أهلي وأحصل على الإنترنت، تعلمت الإنترنت وللأسف استثمرت ذكائي وطموحي في تعلمه حتى عرفت كيف أتصفح، فرحت أتنقل من موقع إلى آخر فهذا موقع للأغاني وآخر للموسيقى وآخر للأزياء، أما ما كنت أجده من مواقع مفيدة ثقافية أو إسلامية كنت أتحاشاها ساخرة نعم كنت أسخر من تلك المواقع ومن واضعيها، أدمنت الإنترنت وأخذ كل وقتي تعرفت على الماسنجر ومن ثم الشاتنج فوجدت المتعة الزائفة الخالية من الرقابة، فأنا في عزلة في غرفتي مغلقة بابي أسامر جهازي أحادث الشباب بكل جرأة دون أن يردعني دين أو حياء رسخت في ذهني الصداقة البريئة وأننا في زمن التطور والانفتاح خدعت وأبهرتني الأفكار الغربية التي نفثت سمومها في تلك الأفلام والمسلسلات وزينت لي الصداقة بين الجنسين.

في البداية كنت أظنها مجرد صداقات عابرة مسلية من خلف جهاز وما كنت أعلم أن هناك ذئابًا بشرية تنتظرني لتنهشني.

تعرفت على أحد الشباب وأغرقني في بحر المدح والإعجاب؛ فانتشيت فرحًا وحلقت في السحاب أغراني بما لديه من معرفة ومهارة بالإنترنت ومواقعه فأغدق علي بإرسال المواقع التي كانت تبهرني واستمرت علاقتي به تتطور، تعلقت به بعد أن أرسل لي صورته عبر الجهاز والتي صدقت أنها صورته فانجذبت إليه وبقوة حين زعم أنه يحبني وأن صوتي لا يفارق مسامعه وأنني فتاة أحلامه، فنبض قلبي بحبه وصارحته ورسم لي عالمًا من السعادة، وأنه سيتزوجني ويجعلني أسعد زوجة.

وطلب صورتي، فلم أتردد في إرسالها له، وتمر الأيام تلو الأيام وأنا غارقة في بحر الأوهام أصبح يبعث لي صورًا خليعة كنت أخجل في البداية، ولكنني وجدت نفسي أدمنها شيئًا فشيئًا لدرجة أنني إن لم أجده أصاب باكتئاب وأفقد شهيتي للأكل وأنتظر عودته بفارغ الصبر ليزودني بتلك الصور.

اعتزلت في غرفتي وعكفت على جهازي فما عدت أرغب بغير ذلك الشاب الذي أحببته وهنا كانت المفاجأة حين طلبت منه أن يتقدم لأهلي بعد أن كان يصر على مقابلتي قال لي بكل وقاحة: «هل أنا مجنون لكي أرتبط بمثلك وتكون زوجة لي وأمًا لأبنائي؟؟؟ وأنتي بعثتي لي بصورك ما الذي يضمن لي أنك لم تبعثي لغيري من الشباب بصورك؟؟ ثم كيف أتزوج بمن خلعت عنها ثوب الحياء وأدمنت الصور الخليعة، إن أنا تزوجت فسأتزوج بفتاة مثل الحلوى مغلفة بالدين والحشمة والأدب والحياء وليس مثلك يتساقط عليها الذباب».

آآه واااااه كانت تلك كلماته التي ودعني بها كسكين في قلبي، كرهت نفسي وكرهت الدنيا وندمت على كل دقيقة من عمري أمضيتها أمام هذا الجهاز، ولكن ماذا ينفع الندم هاأنذا أدمنت الصور حتى أصبحت بمثابة الأكل والشرب لي وأصبح الزواج الذي كان حلمًا جميلًا كمثالي من بنات جنسي يشكل شبحًا مخيفًا وكابوسًا مروعًا؛ إذ فما أدراني أنه لم ينشر تلك الصور عبر الإنترنت أو يسيء استغلالها. في كل يوم أشعر بالخوف وأنا أشاهد تلك الصور ماذا لو داهمني هادم اللذات وأنا على هذه الحالة ؟؟

تيقظ في داخلي الإيمان والخوف من الرحمن بعد فوات الأوان وإدماني على الصور التي أصابتني بالذل والهوان فكنت كما قال الشاعر:

وقفت بقلب مثخن قد أسبلت دمه الجروح

وقفت بدمع سائر في الخد حيران يروح

ترثي لقلب منهك بالذنب ما سور يلوح

كأس مرير أتجرعه يدمي قلبي ويجري مدامعي، ألجا إلى ربي ليغفر لي مع أن شيئًا بداخلي يقول لي: بأي وجه تدعين ربك؟؟ أين كنت وهو جل وعلا ينظر إليك وأنت مستمتعة بما تشاهديه من قذارات؟؟

أبكى الوجود نحيبها فنحيب حسرتها فصيح

تبكي ليغفر ذنبها وعبير توبتها يفوح

نعم إنه عبير التوبة الذي قررت أن أستنشقه وأملأ به رئتي وقلبي عسى أن يغفر لي ربي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وبعد أحبتي كانت تلك أنات وزفرات أدمت القلب وأجرت الدمعات، ولكن مازال للأمل شمسًا تشرق.

أسال الله جل وعلا أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.



فتاة تروي حديث توبتها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى من اقتفى أثره إلى يوم الدين.

أعجبتني هذه القصة وأنا لا أعرف كاتبتها، وقد اطلعت عليها في إحدى المنتديات.

في ليلة كانت كباقي الليالي ربما ولكن لم تكن بالتأكيد كذلك بالنسبة لي

كنت أتقلب في فراشي كثيرًا ولم أستطع النوم. كنت خائفة كثيرًا ولم أعرف لماذا؟

كانت الرابعة بعد منتصف الليل.

كان الخوف يسيطر علي تمامًا ! وكل شيء كان مظلمًا أمامي!

بدأت أقرأ ما أحفظ من سور.. قد حفظت كثيرًا منها ولكن معظمه بل أكثره قد ضاع.. ونسيته مع قلة مراجعتي له

هدأت قليلًا، ولكن الخوف لا زال يلازمني . أغمضت عيني وجعلت أتذكر

كان شريط حياتي كله يمرُّ أمامي.. أتذكر من طفولتي ما أتذكره وكيف بعد أن كبرت جعلت أتذكر ذنوبي الكثيرة وصلاتي التي غالبًا بل دائمًا ما كنت أؤديها بتكاسل شديد وبنقر كالغراب.

تذكرت صديقتي التي كنت ألتقي معها والتي كانت مثلي أنا تلعب وتلهو.

لم تفكر يومًا في الموت!! ولا أنا!! كيف أنها في يوم خرجت، ثم عادت.. ولكنها عادت داخل ذاك الصندوق. نعم، ماتت في حادث سيارة.

تذكرت نفسي لو أنه جاءني ملك الموت ليقبض روحي، فما عساي

أخبره؟!

أأنا مستعدة للموت؟ أعملت ما يكفيني؟!

أتراني أكون من أهل الجنة أم من أهل النار؟

لا.. بالطبع سأكون من أهل الجنة ولكن بماذا سأدخل الجنة؟!

ماذا فعلت لأكون من أهلها؟ وماذا قدمت لنفسي لأدخلها؟

أمن صراخي اليومي على أمي؟! أم من غيبتي ونميمتي لصديقاتي؟! أم من تبرجي ولباسي؟! أم من الأغاني والأفلام والبرامج المليئة بما يغضب الله غز وجل

سكتُ قليلًا .. ولكني بالتأكيد أفضل من غيري.

لكن أفضل ممن؟

تذكرت تلكم الفتيات الطاهرات العفيفات اللاتي كنت ألاقيهن في المسجد

كيف أن الواحدة منهن مستعدة أن تدفع حياتها ثمنًا ولا يرى منها خصلة من شعرها.

فأين أنا منهن ؟!

قلت في نفسي: ألي عهد من الله أنه لن يتوفاني حتى أتوب؟!

ألي من الله عهد أني لن أموت الآن أو غدًا؟!

أأعطاني ربي عهدًا أنه سيغفر لي ويدخلني الجنة؟!

قمت من مكاني وأنا خائفة مرتعبة وفي عيني تجمدت دمعتان

توضأت وقمت أصلي وأنا أرتعد خوفًا وأثناء الصلاة.. فوجئت بنفسي حينما وجدت عيناي تفيضان بالدموع ! فلقد كانت المرة الأولى التي تبكي فيها عيناي نعم فقد كان كل بكائها من قبل على الدنيا! والآن هي بالفعل تبكي بحرقة، تبكي خشية لله عز وجل، تبكي على ذنوب كثيرة وعظيمة ارتكبتها وهي لا تبالي وهي تظنها هينة ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ فشتَّان بين البكاءين.

لا تصدقوا كيف أحسست بمعنى تلك الآيات التي كنت أتلوها وكأنني

أتلوها لأول مرة علمًا بأنني أصلي بها نفسها منذ سنوات عديدة بقيت ساجدة لوقت طويل لم أشعر به الشيء الوحيد الذي شعرته والذي أحسسته بالفعل أني بين يدي العظيم بين يدي خالقي ومصوري، فصرت أدعوه وأستغفره كثيرًا وأحمده

وعزته وجلاله أني أحسست بالفعل أنني بين يديه، لم أصدق نفسي ماذا كنت أقول... كنت أدعو بأدعية ما علمت أني أعرفها من قبل.. صارت شفتاي تنطقان وقلبي الوحيد الذي يدفعهما.

وبعد أن انتهيت من صلاتي.. سلمت وبدأت أتذكر ما أتذكر من ذنوبي التي عملتها... وبدأت أنظر إلى نفسي وأقول: ما الذي جعلك يا يداي تتحركين؟ وقلبي من جعله ينبض وعيناي وأذناي وقدماي. وكل شيء وصرت أنظر إلى كل ما حولي. فكيف لبذرة صغيرة أن تصير شجرة عملاقة؟

قلت لنفسي: أين كنت كل هذه السنين؟! أين أنا وأين غفلتي؟ كيف لم أشعر به وقد كان قريبًا مني! شعرت فعلا بعظمته.

كيف لهذا الإنسان أن لا يشعر، يبطر ويكفر ولا يحمد، لا يصلي ولا يشكر! وهو يمهله ويرزقه ولا يرفع عنه نعمته، بل ويزيده رزقًا بعد رزق في المال والولد وكل النعم، كيف لهذا الإنسان وهذا الخالق العظيم؛ يقول له: تب، أغفر لك كل ذنوبك، لا بل وأبدلك سيئاتك كلها حسنات مكانها. ويرفض! ويقول: لا.. لا أريد!

كيف له ذلك؟ ألا يعلم أنه لا بد له من أن يموت يومًا؟! ألا يتذكر كم سيعيش من السنين؟ سبعون... ثمانون... مائة.. أو حتى مائتي سنة.. ثم ماذا؟

ثم إلى مرتع الدود.. ثم إلى تحت التراب.. ثم إلى الظلمات
من ينير ظلمة ذلك اليوم؟ من يؤنس وحشته تلك الساعة؟
من يسري عنه؟ من يطمئنه؟ من يكون برفقته؟
أو من يدفع عنه العذاب حينئذ؟

أين فنانوه الذين تعلق قلبه بهم؟ وأين أصحابه الذين شاركوه لهوه وعبثه؟

أين أهله الذين غفلوا عنه؟ هل ينفعونه الآن؟!

كم من السنين سيعذب في قبره قبل القيامة؟

قلت في نفسي: أين هو فرعون اليوم؟ أين هم الجبابرة الذين طغوا منذ آلاف السنين؟

يا إلهي . لا زالوا يعذبون إلى الآن! ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، ثم تخيلي يا نفس ستقفين على أرض المحشر خمسين ألف سنة! في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حافية عارية لا أكل ولا شرب.. تموتين عذابًا.. ولا تموتين، ثم تخيلي لو أنك دخلت جهنم ستحتاجين لتسقطي فيها سبعين سنة!! «أي مثل عمر ابن آدم».. ثم قد تبقين فيها سنة، مائة، ألف مليون سنة، الله أعلم.

وما بالك بمن هو خالد فيها، قلت لها: أيا نفس ويحك

ألا تبصرين ؟! ألا تفقهين ؟! أم أنك لا تدركين؟!

ألا تتوبين إلى الله! ألا تنقذين نفسك! لا زالت لديك الفرصة لتنقذيها قبل أن يتخطفك الموت! عندئذ لا توبة ولا رجوع، عندئذ ستندمين بل! ستتقطعين ندمًا على هذه الأيام التي ضاعت منك وأنت تؤجلين توبتك. عندها ورب العزة لن ينفع الندم ولن تنفع التوبة، عندها ستقولين ندمًا وحرقة: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ وسيقال لكِ: ﴿كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قمت من مجلسي مع سماعي لأذان الفجر صليت الفجر.. وجلست أقرأ قليلًا من كتاب الله الذي كنت قد هجرته منذ رمضان السابق، أو ربما قبله بقيت حتى طلعت الشمس!! وذهبت إلى فراشي !! كان في قلبي سعادة عظيمة أحسست بها وأنا أمسح دمعاتي التي نزلت على خدي، وكأنما تنزل مع كل قطرة منها خطاياي وذنوبي، وكأنها كانت تنزل لتغسل قلبي وتطمئن نفسي.

وربي إنه كان شعورًا لم أشعره مع أي سعادة في حياتي. . وإنها كانت فرحة لم أشعر بمثلها من قبل، فجعلت أقول وأردد: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ فصدق الخالق. . صدق الذي لا إله غيره. . والذي ما في الدنيا أعظم من ذكره سعادة واطمئنان في الدنيا. . وفي الآخرة «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» فما لنا لا نكسب دنيانا وأخرانا! لا نترك توافه تظلنا ما لنا لا نترك الأغاني مثلًا؟ والله إني احتقرت نفسي كيف كنت أسمعها فما كانت تزيدنا إلا همًّا وغمًّا وحزنًا، ما كانت إلا تظلنا وتجعلنا كالمعتوهين.

الله قد جعل لجميع شهواتنا مخرجًا في الدنيا، فمالنا لا نصبر فنقضيها فيما أحل الله لنا!

وأغمضت عيني بعدها ونمت، فما أحسست بطعم النوم إلا يومها. . وكأني لم أنم منذ تسع عشرة سنة مضت من عمري!

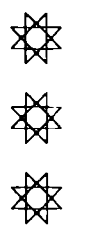
ومن يومها لم أعرف قلقًا أو خوفًا في نومي، وصار هادئًا مريحًا بحمده تعالى.

اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنا وأنر لنا بالحق دربنا وثبتنا على الهدى، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

اللهم اهدِ شباب المسلمين وارزقهم الطهر والستر والعفاف، وارزقهم الزوجات الصالحات والأزواج الصالحين، يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار يا عزيز يا قوي يا جبار، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

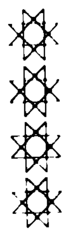




باب قصص

من قصص ضحايا الحب

قصص مؤلمة من الواقع



أبي حطمتني وأتيت تبكي

عرفت تلك الفتاة المسكينة العلاقة بين الشاب والفتاة عبر القنوات الفضائية، فكانت إذا نام أهل البيت قامت لتنظر إلى ما حرم الله تعالى من مناظر سافرة ضمن برامج ساقطة، تثير الغريزة والشهوة، ومع مر الأيام لم تتمالك الفتاة نفسها دون عشيق ينفس عنها ما يختلج بين جوانحها، فأرادت هذه الفتاة أن تخوض التجربة، وتعرفت على أحد الشباب من فصيلة الذئاب البشرية التي لا تعرف الرحمة، وكانت لقمة سائغة له، وفي أيامنا هذه نماذج كثيرة منها، فماذا جنت بعدها هذه الفتاة المسكينة؟! لقد جنت هذه البكر العذراء جنينًا بين أحشائها بعد قصة دامية مؤلمة. . !!

ووقعت الفتاة مع صاحبها في قبضة رجال الأمن، وجاء أبوها بعد استدعائه ليرى الفاجعة بنفسه. . !!

وقف الأب أمام ابنته وقد تمنى الموت قبل أن يراها في ذلك الموقف. .

صرخ في مجمع من رجال الأمن: دعوني أقتلها!.

لقد شوهت سمعتي. . لقد دمرت شرفي. . لقد سودت وجهي أمام الناس. . !!

عندها رفعت البنت رأسها وواجهت أباها قائلة له: أبي أنت السبب، جئتنا بطبق الدش وتركتنا من غير رقابة، وكأنك جئتنا بعاهرةٍ ودونما أن تشعر، أنت السبب في كل ما جرى لي، وجئت الآن تبكي على طهري وعفافي. . !!.

❁ ❁ ❁

شريط الفيديو الذي دمر حياتي

فتاة في المرحلة الجامعية في كلية الآداب قسم- علم النفس- ولها أخوات ثلاث، منهن من تدرس في المرحلة الثانوية والأخريتان في المرحلة المتوسطة.. وكان الأب يعمل في محل بقالة ويجتهد لكي يوفر لهم لقمة العيش.. وكانت هذه الفتاة مجتهدة في دراستها الجامعية، معروفة بحسن الخلق والأدب الجم، وكل زميلاتها يحببنها ويرغبن في التقرب إليها لتفوقها المميز..

تقول في قصتها: في يوم من الأيام خرجت من بوابة الجامعة، وإذا بشاب أمامي في هيئة مهندمة، وكان ينظر إلي وكأنه يعرفني، لم أعطه أي اهتمام، سار خلفي وهو يحدثني بصوت خافت وكلمات صبيانية مثل: يا جميلة.. أنا أرغب في الزواج منك.. فأنا أراقبك منذ مدة، وعرفت أخلاقك وأدبك.. سرت مسرعة تتعثر قدماي.. ويتصبب جبيني عرقًا، فأنا لم أتعرض لهذا الموقف أبدًا من قبل.. ووصلت إلى منزلي منهكة مرتبكة أفكر في هذا الموضوع، ولم أنم تلك الليلة من الخوف والفزع والقلق.

وفي اليوم التالي وعند خروجي من الجامعة وجدته منتظرًا أمام الباب وهو يبتسم، وتكررت معاكساته لي والسير خلفي كل يوم، وانتهى هذا الأمر برسالة صغيرة ألقاها لي عند باب البيت وترددت في التقاطها، ولكن أخذتها ويداي ترتعشان وفتحتها وقرأتها، وإذا بها كلمات مملوءة بالحب والهيام والاعتذار عما بدر منه من مضايقات لي..

مزقت الورقة ورميتها وبعد سويعات رن جرس الهاتف فرفعته وإذا بالشاب نفسه يطاردني بكلام جميل ويقول لي: هل قرأت الرسالة أم لا؟.

قلت له: إن لم تتأدب أخبرت عائلتي والويل لك.. وبعد ساعة اتصل

مرة أخرى وأخذ يتودد إلي بأن غايته شريفة وأنه يريد أن يستقر ويتزوج وأنه ثري وسيبني لي قصرًا ويحقق لي كل آمالي، وأنه وحيد لم يبق من عائلته أحد على قيد الحياة و.. و.. و..

رق قلبي له وبدأت أكلمه وأسترسل معه في الكلام، وبدأت أنتظر الهاتف في كل وقت.. وأترقب له بعد خروجي من الكلية لعلي أراه ولكن دون جدوى. وخرجت ذات يوم من كليتي وإذا به أمامي.. فطرت فرحًا، وبدأت أخرج معه في سيارته نتجول في أنحاء المدينة، كنت أشعر معه بأنني مسلوبة الإرادة عاجزة عن التفكير، وكأنه نزع لبي من جسدي.. لقد كنت أصدقه فيما يقول وخاصة عند قوله لي: إنك ستكونين زوجتي الوحيدة وسنعيش تحت سقف واحد ترفرف عليه السعادة والهناء.. كنت أصدقه عندما كان يقول لي: أنت أميرتي، وكلما سمعت هذا الكلام أطير في خيال لا حدود له، وفي يوم من الأيام ويا له من يوم كان أسود. دمر حياتي وقضى على مستقبلي وفضحني أمام الخلائق، خرجت معه كالعادة وإذا به يقودني إلى شقة مفروشة، دخلت وجلسنا سويًا ونسيت أن الرجل عندما يخلو بامرأة يكون الشيطان ثالثهما.. ولكن الشيطان استعمر قلبي، وامتلأ قلبي بكلام هذا الشاب، وجلست أنظر إليه وينظر إلي ثم غشيتنا غاشية من عذاب جهنم.. ولم أدر إلا وأنا فريسة لهذا الشاب، وفقدت أعز ما أملك..

قمت كالمجنونة أقول له ماذا فعلت بي؟

* لا تخافي أنت زوجتي..
* كيف أكون زوجتك وأنت لم تعقد عليّ..
* سوف أعقد عليك قريبًا.

وذهبت إلى بيتي مترنحة، لا تقوى ساقاي على حملي واشتعلت النيران في جسدي.. يا إلهي ماذا فعلت؟ أجننت أنا.. ماذا دهاني، وأظلمت الدنيا في عيني وأخذت أبكي بكاءً شديدًا مرًا، وتركت الدراسة.. وساء حالي إلى أقصى درجة، ولم يفلح أحد من أهلي في أن

يعرف كنه ما فيّ، ولكني تعلقت بأمل وهو وعده لي بالزواج، ومرت الأيام تجر بعضها بعضًا، وكانت علي أثقل من الجبال.

ماذا حدث بعد ذلك؟؟.

كانت المفاجأة التي دمرت حياتي.. رن جرس الهاتف وإذا بصوته يأتي من بعيد ويقول لي.. أريد أن أقابلك لشيء مهم.. فرحت وتهللت وظننت أن الشيء المهم هو ترتيب أمر الزواج.. قابلته وكان متهجمًا تبدو على وجهه علامات القسوة وإذا به يبادرني قائلًا: قبل كل شيء لا تفكري في أمر الزواج أبدًا.. نريد أن نعيش سويًا بلا قيد.. ارتفعت يدي دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشرر يطير من عينيه وقلت له: كنت أظن أنك ستصلح غلطتك.. ولكن وجدتك رجلًا بلا قيم ولا أخلاق، ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكي، فقال لي: هنيهة من فضلك ووجدت في يده شريط فيديو يرفعه بأطراف أصابعه مستهترًا، وقال بنبرة حادة: سأحطمك بهذا الشريط، قلت له: وما بداخل الشريط.. قال: هلمي معي لتري ما بداخله، ستكون مفاجأة لك، وذهبت معه لأرى ما بداخل الشريط ورأيت تصويرًا كاملًا لما تم بيننا في الحرام..

قلت له: ماذا فعلت يا جبان.. يا خسيس..

قال: كانت هناك كاميرات مخفية مسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة، وهذا الشريط سيكون سلاحًا في يدي لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامري ورهن إشارتي. وأخذت أصيح وأبكي لأن القضية ليست قضيتي بل قضية عائلة بأكملها.. ولكنه رفض إعطائي الشريط.. والنتيجة أن أصبحت أسيرة بيده ينقلني من رجل إلى رجل ويقبض الثمن.. وسقطت في الوحل، وانتقلت حياتي إلى الدعارة وأسرتي لا تعلم شيئًا عن فعلتي فهي تثق بي تمامًا..

وانتشر الشريط.. ووقع بيد ابن عمي فانفجرت القضية وعلم والدي وجميع أفراد أسرتي وانتشرت الفضيحة في أنحاء بلدتنا، ولطخ بيتنا العار، فهربت لأحمي نفسي واختفيت عن الأنظار وعلمت أن والدي وشقيقاتي

هاجروا إلى بلاد أخرى، وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم، وأصبحت المجالس يتحدث فيها عن هذا الموضوع.. وانتقل الشريط من شاب لآخر.. وعشت بين المومسات منغمسة في الرذيلة، وكان هذا النذل هو الموجه الأول لي يحركني كالدمية في يده ولا أستطيع حراكًا.. وكان هذا الشاب السبب في تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات في عمر الزهور.. وعزمت على الانتقام..

وفي يوم من الأيام دخل علي وهو في حالة سكر شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمدية.. فقتلت إبليس المتمثل في صورة آدمية، وخلصت الناس من شروره، وكان مصيري أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان، وأندم على فعلتي الشنيعة وعلى حياتي التي فرطت فيها..

كلما تذكرت شريط الفيديو خيل إلي أن الكاميرات تطاردني في كل مكان.. فكتبت قصتي هذه لتكون عبرة وعظة لكل فتاة تنساق خلف كلمات براقة أو رسالة مزخرفة بالحب والوله والهيام، واحذري الهاتف يا أختاه.. احذريه..

وضعت أمامك يا أختاه صورة حياتي التي انتهت بتحطيمي بالكامل وتحطيم أسرتي، ووالدي الذي مات من الحسرة، وكان يردد قبل موته حسبي الله ونعم الوكيل.. أنا غاضب عليك إلى يوم القيامة..

ما أصعبها من كلمة! لقد دمرت حياتي وأزهقت روحي بيدي.

* ذكر هذه الحادثة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز الحصين في رسالة صغيرة عنوانها- شريط الفيديو الذي دمر حياتي- وكان مما قاله في المقدمة:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد: هذه حادثة وقعت في مجتمع إسلامي وفي دولة إسلامية

وهي واقعية، راح ضحيتها فتاة في مقتبل العمر بسبب كلمات معسولة تحمل بين طياتها تدمير عائلة بأسرها وربما مجتمع بأكمله. .

هذه الحادثة وقعت في عام ١٤٠٨هـ وأخبرني بها ابن عم هذه الفتاة. . وكان في يده شريط الفيديو، وكان يتحسر على ضياع شرف العائلة الذي لطخ بالعار بسبب طيش هذه الفتاة! وانسياقها خلف الكلام المعسول، وهذه الحادثة ليست بالأولى بل حدث مثلها في بعض الدول العربية ولفتيات من أكبر العائلات، وكم من فتاة قتلت بسبب فضيحتها. . أو انتحرت. . أو كانت نهايتها مستشفى الأمراض العقلية. . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



ذكريات عجوز مع حبيبها الخائن

دمعة حزن وحسرة سقطت من عيني جارتنا العجوز المطلة على النافذة، لقد أغمضت عينيها وكتمت غصة دامية في فؤادها، حبست آهات تكاد تقطع أحشاءها، عرس مطل على نافذتها كم أفرحها وأحزنها..

رجعت بذاكرتها إلى الوراء إلى الوراء..

كم كانت هذه العجوز في صباها فاتنة وجميلة..

كانت تتمنى زوجًا وأسرة وبيتًا كبيوت الأحلام، خدمًا، وحشمًا، هذا ما تتمناه.

أفاقت على الواقع المرير وأعادت بنظرها إلى النافذة رأت فستان العروس، تذكرت عبثها بالمجلات وبحثها عما يليق بها، رفعت نظرها إلى السماء وأسقطت دمعة حارة حرقت وجنتيها..

عادت إلى الماضي من جديد تذكرت ما سبب كل هذا الهم والحزن والعذاب.

في يوم ربيعي خرجت والدتها برفقة والدها إلى السوق مع أختها الصغرى، لم تكن تود الذهاب معهم، رن الهاتف.. أسرعت إليه.. كانت صديقتها المتحدثة، دعتها إلى نزهة قصيرة والتجول في أحد المراكز الجديدة..

وافقت دون تردد..

جاءتها صديقتها وذهبتا سوية.. تبادلتا أطراف الحديث.. سألتها صديقتها إذا كان لديها (بوي فريند) أي صديق؟!!.

أجابت بكل براءة وقالت: كيف أخون ثقة أهلي بي!!.

الصديقة: كلام قديم لا أحب سماعه..

فجأة قفزت الصديقة وأشارت إلى أحد المحلات وقالت: انظري..

هناك مجموعة من الشباب.. هيا.. هيا لا تضيعي الفرصة..

رفضت رفضًا قاطعًا، ولكن مع إصرار صديقتي وافقتها بالذهاب للتعرف عليهم بعد عدة جولات..

ها هي ذي تستلم وتأخذ ورقة رماها عليها أحدهم فيها رقم هاتفه.. إنه ذئب من الذئاب.. هنأتها صديقتها بصديقها الجديد..

وانتهت النزهة.. وعادت الفتاتان إلى المنزل..

كان ضمير الفتاة يعذبها..

وفي تلك الأثناء تلقت اتصالًا.. إنه من الصديقة المشؤومة نفسها.. وكان الاتصال كالتالي:

الفتاة: أهلًا..

الصديقة: ألم تتصلي بصديقك بعد؟.

الفتاة: لا أستطيع!.

وبعد محاولات من صديقتها المشؤومة استسلمت الفتاة واتصلت..

كانت المحادثة الأولى مختصرة، لكن الثانية كانت أطول بكثير، وانتهت الثالثة بموعد مع الحبيب.

وذهبت الفتاة إلى الموعد ويا ليتها لم تذهب، ذهبت بكرامتها وعزتها وشرفها.. وحين عادت هذه الفتاة من هذا الموعد.. عادت وهي تجر العار وراءها، ماذا تفعل ماذا تقول لأهلها؟؟. لأمها وأبيها..

ومضت الأيام والأشهر.. لاحظت بعدها حركة في رحمها..

يا إلهي هذه ثمرة الخطيئة.. ثمرة الزنى..

هربت من المنزل لأنها خافت من الفضيحة..

ومضت الأيام والشهور إلى أن اكتمل حملها.. وحان موعد وضعها..

ذهبت إلى إحدى النساء الشهيرات بالتوليد في المنزل..

لتضع طفلة من الزنى.. هربت وتركت الطفلة وراءها.

تذكرت صاحبها.. الذي كان سببًا في تعاستها وشقائها..

اتصلت بالحبيب لعله ينقذها..

أطلق ضحكة ساخرة.. فهي ليست أول من تنجب منه من الزنى.. وأقفل سماعة الهاتف بوجهها..

ماذا تفعل.. لجأت إلى التسول..

وفي أيام غيبتها تم الإبلاغ من قبل والديها عن اختفائها.

عثر عليها وتم إدخالها الإصلاحية.

خرجت بعد أن أصبحت في الثلاثينيات.

لجأت إلى العمل كخياطة وبقيت وحدها طوال هذه السنين بعد أن تبرأ أهلها منها!.

دموع متتالية سقطت من عيني العجوز الضعيفة، عندما رأت فستان العروس وتذكرت ما وعدها به الحبيب الكاذب المخادع..

دارت بها الدنيا.. أهازيج العرس تختلط بنحيبها.

وقعت أرضًا بعد صرخة دامية، وهي تصرخ وتقول: ارحمني يا رب.. ارحمني يا الله.

وبعدها بمدة ماتت جارتنا العجوز..

ودفنت بعدها دون أن تجد عينًا عليها باكية..

حرمت الحياة الزوجية الهانئة..

حرمت الأبناء والأحفاد، والنظر في عيونهم والعطف عليهم..

حرمت كلمة هي من أعظم الكلمات.. كلمة ماما.

كل ذلك لأجل موعد واحد.. ولقاءٍ واحدٍ.. ارحمها يا رب العباد.. خسرت الدنيا فلا تخسر الآخرة..

فهل تقدري يا أختاه حجم الخسارة التي جنتها تلك العجوز حين مشت بقدميها للقاء صديقها الخائن..

هذا اللقاء المحرم.. حرمها لذة العيش الهانئ طيلة سنوات عمرها.. وخسرت كل شيء..

وفي الختام أقول لك يا ابنتي: السعيد من وعظ بغيره..

وإياك ورفيقات السوء..

وفي الحديث الصحيح: قال ﷺ: **«إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير فحامل المسك، إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»**. [متفق عليه].



وكان الشيطان رابعنا

قال أبو عبدالله: لا أعرف كيف أروي لك هذه القصة التي عشتها منذ فترة، والتي غيرت مجرى حياتي كلها، والحقيقة أنني لم أقرر أن أكشف عنها.. إلا من خلال إحساسي بالمسؤولية تجاه الله عز وجل.. ولتحذير بعض الشباب الذي يعصي ربه.. وبعض الفتيات اللاتي يسعين وراء وهم زائف اسمه الحب..

كنا ثلاثة من الأصدقاء يجمع بيننا الطيش والعجب كلا بل أربعة.. فقد كان الشيطان رابعنا..

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول، ونستدرجهن إلى المزارع البعيدة، وهناك يفاجأن بأننا قد تحولنا إلى ذئاب لا ترحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومات فينا الإحساس.

هكذا كانت أيامنا وليالينا في المزارع، في المخيمات، والسيارات على الشاطئ، إلى أن جاء اليوم الذي لا أنساه..

ذهبنا كالمعتاد للمزرعة، كان كل شيء جاهزًا، الفريسة (فتاة) لكل واحد منا، الشراب الملعون، شيء واحد نسيناه هو الطعام.. وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء طعام العشاء بسيارته، كانت الساعة السادسة تقريبًا عندما انطلق.. ومرت الساعات دون أن يعود، وفي العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنه.. وفي الطريق رأيت حادثًا فظيعًا.. وعدما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي والنار تلتهمها وهي مقلوبة على أحد جانبيها.

أسرعت كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة، وذهلت عندما وجدت نصف جسده قد تفحم تمامًا، لكنه لا يزال على قيد الحياة فنقلته إلى الأرض..

وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي ويصرخ قائلًا: النار.. النار.

فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى لكنه قال لي بصوت باك: لا فائدة.. لن أصل..

فخنقتني الدموع وأنا أرى صديقي يموت أمامي، وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له.. ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته: من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق: الله.

أحسست بالرعب يجتاح جسدي ومشاعري، وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوية، ولفظ آخر أنفاسه.. ومضت الأيام لكن صورة صديقي لا تزال تتردد في ذهني وهو يصرخ والنار تلتهمه. ماذا أقول له. ماذا أقول لله تعالى؟.

ووجدت نفسي أتساءل: وأنا ماذا سأقول له؟ فاضت عيناي واعترتني رعشة غريبة. وفي نفس اللحظة سمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر مناديًا: الله أكبر.. الله أكبر.

وعندما نادى: حي على الصلاة.. أحسست أنه نداء خاص بي يدعوني إلى طريق النور والهداية..

فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات..

وأديت الصلاة.. ومن يومها لم أترك فرضًا.. وأحمد الله الذي لا يحمد سواه.. لقد أصبحت إنسانًا آخر.. وسبحان مغير الأحوال.. وبإذن الله تعالى أستعد للذهاب لأداء العمرة، وإن شاء الله الحج فمن يدري، الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى.

تلك حكاية توبتي وها أنا ذا أقول لكل شاب: الحذر.. الحذر من صحبة من يعينوك على تعدي حدود الله وفي حكايتي عبرة وعظة فهل من معتبر؟

كوخ الأحزان

كتب أحدهم قائلًا: كان لي صديق أحبه لفضله وأدبه، وكان يروقني منظره ويؤنسني كلامه ومحضره..

قضيت في صحبته عهدًا طويلًا ما أنكر من أمره، ولا ينكر من أمري شيئًا حتى سافرت وتركته.. وتراسلنا بعدها حينًا ثم انقطعت بيننا العلاقات..

رجعت بعد مدة من السفر.. وجعلت أكبر همي أن أراه ولو للحظة.. لما بيني وبينه من صلة، وطلبته في جميع المواطن التي كنت ألقاه فيها فلم أجد له أثرًا!.

ذهبت إلى منزله فحدثني جيرانه أنه نقل سكنه منذ عهد بعيد..

وقفت بين اليأس والرجاء وقد غلب على ظني أنني لن أراه بعد ذلك اليوم وأنني قد فقدت ذلك الرجل..

وبينما أنا عائد إلى منزلي في ليلة من الليالي دفعني جهلي في الطريق في الظلام إلى سلوك طريق موحش مهجور، يخيل للناظر فيه أنه مسكن للجن.. إذ كان متعارف بيننا أنه لا وجود للإنس فيه..

فشعرت كأنني أخوض في بحر.. وكأن أمواجه تقبل بي وتدبر، فما إن توسطت الشارع حتى سمعت في منزل من تلك المنازل أنه تتردد في جوف الليل، ثم تلتها أنة أخرى.. ثم صرخة.. فأثر في نفسي هذا الأنين وقلت: يا للعجب كم يكتم هذا الليل من أسرار، وكنت قد عاهدت الله أن لا أرى حزينًا إلا ساعدته..

فتلمست الطريق إلى ذلك المنزل وطرقت الباب طرقًا خفيفًا، ثم طرقته طرقًا أكثر قوة، وإذا بالباب يفتح من قبل فتاة صغيرة فتأملتها جيدًا! وإذا بيدها مصباح وعليها ثياب ممزقة!.

قلت لها: هل عندكم مريض؟ فزفرت زفرة كادت تقطع نياط قلبها

وقالت: نعم أدركني.. إن أبي يحتضر!! يموت..

مشت الصغير أمامي فتبعتها حتى وصلت إلى غرفة ذات باب قصير ودخلتها فخيل إلى أنني دخلت إلي قبر وليس إلى غرفة..

وإلى ميت وليس إلى مريض!.

دنوت منه حتى صرت بجانبه، فإذا هو قفص من العظام يتردد فيه نفس من الهواء ضعيف..

وضعت يدي على جبينه ففتح عينيه الدامعتين وأطال النظر في وجهي.. ثم فتح شفتيه وقال بصوت منخفض: أحمد..! حمدًا لله على سلامتك.. فقد وجدتك أخيرًا يا صديقي..

فشعرت كأن قلبي يتمزق وعلمت أنني قد عثرت على ضالتي التي كنت أنشدها.. يا الله ما هذه المصادفة.. إنها الأيام والمقادير.. إنه صديقي الذي كنت أبحث عنه وقد فقدت الأمل في لقائه من جديد.. إنه رفيقي الذي كنت أعرفه لكنني لم أعرفه من مرضه الذي هو فيه..

فقلت له: صديقي (..) قص علي قصتك.. أخبرني ما خبرك.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟؟.

فقال لي: اسمع مني قصتي لعلي أريح قلبي من عذاب الضمير. ثم ساق القصة فقال:

منذ سنين كنت أسكن أنا ووالدتي بيتا ويسكن بجوارنا رجل من أهل الثراء وكان قصره يضم بين جنباته فتاة جميلة.. ألم بنفسي من الشوق والوجد ما لم أستطع معه صبرًا.. وما زلت أتابعها وأعالج أمرها حتى أوقعتها في شباكي..

ولقد أتى إلى قلبها ما أتى إلى قلبي.. وعثرت عليها في لحظة من الغفلة عن الله بعد أن وعدتها بالزواج.. فاستجابت لي وأسلمت نفسها لي وألقت بروحها بين يدي.. ولا أخفيك سرًا لقد سلبتها شرفها في يوم من الأيام.. وما هي إلا أسابيع قليلة حتى عرفت أن في بطنها جنينًا يضطرب! فطفقت أبتعد عنها وأقطع حبل ودها..

وهجرت الفتاة ذلك المنزل الذي كنت أزورها فيه وانقطعت عني أخبارها.. ولم يعد يهمني من أمرها شيء.. ومرت على الحادثة أعوام..

وفي ذات يوم حمل إلي البريد رسالة مددتها وقرأت ما بداخلها وإذا بها تكتب إلي هذه الفتاة! وتقول:

«لو كان بي أن أكتب إليك لأجدد عهدًا دارسًا.. أو ودًا قديمًا ما كتبت سطرًا واحدًا، ولا خططت حرفًا واحدًا، لأني لا أعتقد أن عهدا مثل عهدك الغادر، وودًا مثل ودك الكاذب، يستحق أن أحفل به فأذكره، أو آسف عليه فأطلب تجديده..

إنك عرفت حين تركتني أن بين جنبي نارا تضطرم، وجنينًا يضطرب، تلك للأسف على الماضي، وذاك للخوف من المستقبل، فلم تبال بذلك، وفررت مني حتى لا تحمل نفسك مؤونة النظر إلى شقاء أنت صاحبه، ولا تكلف يدك مسح دموع أنت مرسلها..

فهل أستطيع بعد ذلك أن أتصور أنك رجل شريف، لا بل لا أستطيع أن أتصور أنك إنسان، لأنك ما تركت صفة من الصفات المتفرقة في نفوس العجماوات والوحوش الضارية إلا جمعتها في نفسك، وظهرت بها جميعها في مظهر واحد..

كذبت علي في دعواك أنك تحبني وما كنت تحب إلا نفسك، وكل ما في الأمر أنك رأيتني السبيل إلى إرضاء نفسك، فمررت بي في طريقك إليها، ولولا ذلك ما طرقت لي بابًا، ولا رأيت لي وجهًا..

خنتني إذ عاهدتني على الزواج، فأخلفت وعدك ذهابًا بنفسك أن تتزوج امرأة مجرمة ساقطة، وما هذه الجريمة ولا تلك السقطة إلا صورة نفسك، وصنعة يدك.. ولولاك ما كنت مجرمة ولا ساقطة..

فقد دفعتك- جهدي- حتى عييت بأمرك، فسقطت بين يديك سقوط الطفل الصغير، بين يدي الجبار الكبير، سرقت عفتي، فأصبحت ذليلة النفس حزينة القلب، استثقل الحياة وأستبطئ الموت، وأي لذة في العيش لامرأة لا تستطيع أن تكون زوجة لرجل.. ولا أما لولد! بل لا تستطيع أن

تعيش في مجتمع من هذه المجتمعات البشرية إلا وهي خافضة رأسها، ترتعد أوصالها، وتذوب أحشاؤها، خوفًا من تهكم المتهكمين..

سلبتني راحتي لأني أصبحت مضطرة بعد تلك الحادثة إلى الفرار من ذلك القصر الكبير.. وتلك النعمة الواسعة.. وذلك العيش الراغد إلى منزل لا يعرفني فيه أحد..

قتلت أبي وأمي، فقد علمت أنهما ماتا، وما أحسب موتهما إلا حزنًا لفقدي، ويأسًا من لقائي، قتلتني لأن ذلك العيش المر الذي شربته من كأسك، وذلك الهم الذي عالجته بسببك، قد بلغا مبلغهما من جسدي ونفسي فأصبحت في فراش الموت كالذبابة المحترقة تتلاشى..

هربت من بيت والدي إذ لم يكن لدي قدرة على مواجهة بيتي.. وأبي وأمي.. وذهبت إلى منزل مهجور وعشت فيه عيش الهوان.. وتبت إلى الله وإني لأرجو أن يكون الله قد قبل توبتي واستجاب لي دعائي كي ينقلني من دار الموت والشقاء إلى دار الحياة والهناء..

وها أنذا أموت.. وأنت أيها الكاذب المخادع.. واللص القاتل.. لا أظن أن الله تاركك دون أن يأخذ حقي منك..!

فإنني ما كتبت لك والله لأجدد معك عهدًا، أو أخطب لك ودًا.. وأنت أهون علي من ذلك..

إنني قد أصبحت على باب القبر.. وفي موقف أودع فيه الحياة سعادتها وشقاءها.. فلا أمل لي في ودها ولا متسع لي في عهدها.. وإنما كتبت لك لأن عندي وديعة لك.. إنها ابنتك.. فإن كان الذي ذهب بالرحمة من قلبك أبقى لها منك رحمة الأبوة.. فاقبلها وخذها إليك حتى لا يدركها من الشقاء مثل ما أدرك أمها من قبل! والسلام.

طبعًا هي ماتت.. ماتت وتركت البنت في هذا المكان المهجور وليس لها عائل إلا الله تعالى..

يقول راوي القصة:

ما إن أتممت قراءة هذا الكتاب.. ثم نظرت حتى رأيت مدامعه تنحدر

من جفنيه.. ثم قال لي صديقي الطريح على الفراش:

إنني والله ما إن قرأت هذا الكتاب حتى أحسست برعدة تتمشى في جميع أوصالي وخيل إلي أن صدري يحاول أن ينشق عن قلبي.. فأسرعت إلى منزلها الذي تراني فيه الآن.. هذا البيت الخرب.. وقد رأيتها في هذه الغرفة وهي تنام على هذا السرير جثة هامدة لا حراك بها..

ورأيت هذه الطفلة التي تراها أمامك وهي في العاشرة من عمرها تبكي حزنًا على أمها..

وتمثلت لي جرائمي في عشيتي هذه، كأنما هي وحوش ضارية هذا ينشب أظفاره.. وذاك يكشر أنيابه.. فما أفقت حتى عاهدت الله تعالى أن لا أبرح هذه الغرفة التي سميتها غرفة الأحزان حتى أعيش عيشة تلك الفتاة الضحية.. وأموت كما ماتت وها أنذا أموت اليوم راضيًا مسرورًا..

وقد تبت إلى الله وثقتي في ربي أن الله عز وجل لا يخلف ما وعدني، ولعل ما قاسيت من العذاب والعناء، وكابدت من الألم والشقاء كفارة لخطيئتي.. وهذه ابنتي أمانة في عنقك.. احفظها على الطهر والعفاف والفضيلة.. ولا تخبرها شيئًا عن أمها وأبيها..



الحسناء التي دمرت حياتي

قصة مؤلمة يرويها صاحبها بنفسه فيقول:

في يوم أسود وفي أحد الأسواق التجارية كنت جالسًا في أحد المقاهي (Coffee Shop) أشرب القهوة وأقرأ جريدتي المفضلة فإذا بفتاة جميلة العينين جذابة في جسمها تتغنج في مشيتها، تمر من أمامي وهي تناظرني نظرة الولهانة المتعطشة لجمالي ووسامتي وأناقتي، فإذا بي أقوم واقفًا وأطاردها من غير شعور، وإذا بها تدخل أحد المحلات التجارية، فلم أستطع أن أدخل خلفها وذلك خوفًا من رجال الهيئة وليس خوفًا من الله (والعياذ بالله) فأدارت وجهها وأشارت إليّ بيدها البيضاء الجميلة الناعمة المذهبة بالخواتم والألماس كي أدخل خلفها.. ومن غير شعور دخلت المحل.. فقالت لي بكل أدب لو سمحت ممكن الرقم، فأمليته عليها شفهيًا وهي تسجله في الجوال الذي ظهر لنا في هذا العصر وجلب لنا المصائب والمشاكل لأننا لم نحسن استعماله في الخير. وبعدها بساعات أي في آخر الليل هاتفتني وبدأنا بالكلام الجميل والإعجاب المتبادل من كلا الطرفين وقالت لي: إنها مطلقة، وسيدة أعمال، وتملك أموالًا كثيرة، وتبلغ من العمر (٣١) عامًا ولكن من يراها يظن أنها فتاة بعمر الـ(١٨) ربيعًا.

وبعد كل هذا الكلام بدأنا بتحديد المقابلات وتقابلنا كبداية في المطاعم ثم المقاهي، وكنت في كل مقابلة لا أستطيع أن أحصل منها على شيء ولو قبلة.. أو أن ألمس يدها.. فزاد تمسكي بها أكثر فأكثر، لأنني قلت في نفسي إنها شريفة ولم تتعرف على أحد غيري من قبل، ولا تريد أن تتعرف على أحد غيري لأنني في نظرها الشاب الوسيم، وهذا صحيح فأنا على قدر كبير من الجمال.

وفي ذات يوم هاتفتني وقالت لي: أريدك في أمر مهم. فقلت لها: أنا تحت أمرك يا حياتي. فقالت لي: أريد أن أقابلك في المطعم الفلاني بعد ساعة. فقلت لها: أنا قادم على نار (بل على جحيم)..

فقابلتها في المطعم ودار الحديث بيننا فقلت لها: ماذا تريدين مني يا حياتي أن أفعل؟ فإذا بها تخرج من حقيبتها تذكرة سفر إلى القاهرة من الدرجة الأولى باسمي، وكذلك إقامة لمدة ثلاثة أيام في فندق سميراميس (خمسة نجوم)..

وكذلك أعطتني شيكًا مصدقًا باسمي بمبلغ وقدره (عشرة آلاف) ريال وقالت لي: أريدك أن تذهب إلى القاهرة بعد غد كما هو محجوز في التذكرة إلى ذلك الفندق (الجحيم) إلى شخص يدعى (فلان) وهذا رقم هاتفه (؟!؟!؟!) حتى يذهب بك إلى الشركة الفلانية وتوقع نيابة عني معه على كمية من الملابس والأزياء العالمية القادمة من باريس، وهذه ورقة توكيل مني بذلك، فأرجو منك الذهاب، فلا تتأخر.. فقلت لها: من عيني يا حياتي.

وأخذت إجازة من العمل بعد الشجار مع رئيسي في الشركة، وسافرت في الموعد نفسه (ويا ليتني لم أسافر تلك السفرة) فبعد أن وصلت إلى هناك في الساعة الرابعة عصرًا أخذت قسطًا من الراحة، وفي تمام الساعة السادسة مساءً أخذت هاتفي الجوال وطلبت ذلك الرقم (ويا ليتني لم أطلبه).

هل تتوقعون من كان على هذا الرقم؟ إنها صاحبتي، لقد سبقتني إلى هناك! فقلت لها مندهشًا: فلانة؟؟ فقالت: نعم بشحمها ولحمها، هل تفاجأت يا حبيبي؟؟ فقلت: نعم. فقالت لي: أنا آتية لأشرح لك الأمر أكثر.. ثم قالت لي: تعال يا حبيبي إلى الجناح رقم (!؟!) فذهبت فورًا وأنا مبسوط فدخلت عليها الجناح في نفس الفندق، وإذا هي تلبس الملابس الشفافة الخليعة الفاتنة التي من رآها وهي بتلك الزي لا يستطيع أن يملك نفسه!!.

فعانقتني وبدأت تقبلني وتداعبني.. فنسيت نفسي وجامعتها.. لا بل زنيت بها والعياذ بالله تعالى..

وهكذا احلوت الجلسة فمددت إجازتي إلى عشرة أيام، ومكثت هناك

كل المدة معها، وبعد أن عدنا إلى بلدنا على طائرة واحدة.. وفي الدرجة الأولي أيضًا، المقعد بجانب المقعد.. ونحن في الجو والله يرانا من فوقنا، وكأننا لم نحس بوجوده تعالى والعياذ بالله! واستمرت علاقتي معها على هذه الحال لمدة سنة تقريبًا! أذهب لها للجماع في قصرها، وهي كذلك كانت تأتي إلى شقتي المتواضعة، وليس لشقتي التي لا تليق بمقامها ولكن كانت تأتيني لجمالي ووسامتي وإشباع رغبتها الجنسية ليس إلا..!.

وذات يوم كنت أنا وأخي في إحدى المدن.. فقدر الله وحصل لنا حادث مروري فأصيب أخي بنزيف حاد وأنا لم أصب بأي أذى والحمد لله، وإنما كدمات خفيفة غير مؤلمة، فتجمهر الناس علينا وأتى الهلال الأحمر وأسعفنا إلى إحدى المستشفيات القريبة من الحادث.. وأدخل أخي غرفة العلميات فورًا.. وطلب مني الطبيب أن أتبرع لأخي من دمي لأن فصيلتي تطابق فصيلته.. فقلت: أنا جاهز.. فأخذني إلى غرفة التبرع بالدم، وبعد أن أخذوا مني عينة بسيطة وتم فحصها من الأمراض المعدية، ولقد كنت واثقًا من نفسي ولم يطرأ على بالي لحظتها صديقتي التي جامعتها، وخرجت نتيجة الفحص، وأتى الطبيب ووجهه حزين.. فقلت له: ماذا أصاب أخي يا طبيب؟ قل لي أرجوك؟

فقال: يا ابني أريدك أن تكون إنسانًا مؤمنًا بقضاء الله وقدره، فنزلت عن السرير واقفًا وصرخت قائلًا هل مات أخي؟ هل مات أخي؟

فقال: لا.. فقلت ماذا إذن؟ فقال لي الطبيب: إن دمك ملوث بمرض الإيدز الخبيث.. فنزل كلامه علي كالصاعقة.. ليت الأرض انشقت وابتلعتني.. قبل أن يقول لي هذا الكلام.. وإذا بي أسقط من طولي على الأرض مغشيًا علي، وبعد أن صحوت من هول الصدمة وجسدي يرتعش خوفًا ورهبة.. هل حقًا أني مصاب بهذا الداء القاتل.. يا الله يا الله ومنذ متى وأنا بهذه الحالة المزرية؟.

فقال لي الطبيب: أنت غير مصاب ولكنك حامل لمرض فقط وسوف يستمر معك إلى مدى الحياة والله المستعان!!.

وبعد يومين من الحادث توفي أخي رحمة الله عليه فحزنت عليه حزنًا شديدًا لأنه ليس مجرد أخ فقط ولكن كان دائمًا ينصحني بالابتعاد عن تلك الفتاة (صاحبتي) لأنني قد صارحته بقصتي معها من قبل.. وبعد موت أخي بعشرة أيام إذ بصاحبتي تهاتفني وتقول لي أين أنت يا حبيبي؟ طالت المدة.

فقلت لها بغضب شديد: ماذا تريدين؟ فقالت ماذا حل بك؟.

فقلت: مات أخي بحادث وأنا حزين عليه.

فقالت: الحي أبقى من الميت.. ولم تقل رحمة الله عليه.. لقسوة قلبها.. ثم أردفت قائلة: عمومًا متى أراك (ولم تقدر شعوري بعد).

فقلت لها: لن أراك بعد اليوم. فقالت: لماذا؟ فقلت لها: بصراحة أنا أحبك ولا أريد أن أضرك بشيء.

فقالت: وما بك؟؟ فقلت: أنا حامل لمرض الإيدز.

فقالت: كيف عرفت ذلك؟؟ فقلت لها: عندما أصبنا بالحادث أنا وأخي رحمة الله عليه.. وذكرت لها القصة كاملة..

فقالت لي: هل أتيت فتاة غيري؟.

قلت لها: لا.. وأنا صادق..

ثم قالت: هل نقل إليك دم في حياتك؟

فقلت لها أيضًا: لا.. قالت: إذن لقد تحقق مناي!!

فقلت لها غاضبًا: ما قصدك يا فلانة؟ فقالت: أريد أن أنتقم من جميع الشباب الذين كانوا سببًا في نقل المرض إلي وسيرون ذلك، وأنت أولهم.. والبقية من أمثالك في الطريق! وبعدها بصقت في وجهي وأغلقت السماعة.

قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل عليك يا فتاة الإيدز، وكلمات أخرى لا أريد أن أذكرها حتى لا أجرح مشاعركم فأنا اليوم أبلغ من العمر (٣٢) عامًا ولم أتزوج بعد، وأصبت بهذا المرض وأنا في الـ(٢٩) من عمري وكنت لحظتها مقدم على الزواج (الخطوبة) وإلى هذا اليوم ووالدتي

وإخوتي يطالبونني بالزواج ولكنني أرفض ذلك لأنني حامل للمرض الخبيث وهم لا يدرون..

وأنا لا أريد أن أنقله إلى شريكة حياتي وأطفالي، علمًا بأنني أكبر إخوتي ووالدي رحمة الله عليه كان يريد أن يفرح بي ولكنه توفي وأنا في الـ(٢٩) من عمري ولم أحقق حلم والدي.. حتى زملائي في العمل يكررون علي دائمًا بأن أتزوج، فأنا اليوم متعب نفسيًا ونزل وزني إلى (٥٥) كيلو بعد أن كان قبل المرض (٦٨) كيلو.. كل ذلك من التعب النفسي والكوابيس المزعجة من هذا المرض الخبيث والذي لا أدري أين ومتى سيقضي على حياتي، فقد تبت إلى الله توبة نصوحًا وحافظت على الصلوات وبدأت أدرس وأحفظ القرآن الكريم، ولو أن الوقت كان متأخرًا وبعد فوات الآوان.

فها أنا ذا أوجه رسالتي هذه إلى جميع إخواني وأخواتي المسلمين بالابتعاد عن كل شيء يغضب الله كالجماع غير الشرعي (الزنا) وغير ذلك من الأمور المحرمة وليتعظوا بي.

وهذه نصيحتي أوجهها عبر صفحات الإنترنت وعبر النشرات أقول فيها: إن الحياة جميلة وطعمها لذيذ.. وبالصحة والعافية وطاعة الله تعالى هي ألذ..

وليس في لذة دقائق من الجماع غير الشرعي يضيع الإنسان فيها حياته وتؤدي به إلى الجحيم والكوابيس المزعجة وغير ذلك فإني اليوم أعيشها وكل يوم.. والله المستعان.. وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وفي الختام نصيحتي لكل شاب وفتاة: أن اتقوا الله تعالى واتعظوا من قصتي المؤلمة، فوالله ما كتبتها لكم إلا لحبي وخوفي الشديدين عليكم من الأمراض الخبيثة.. ومن غضب وانتقام الله تعالى.. فأرجو منكم التقرب إلى الله أكثر وتقوية إيمانكم به تعالى حتى لا يغويكم الشيطان ويجركم إلى المحرمات والعياذ بالله.. وأرجو منكم أيضًا الدعاء لي بالشفاء وجزى الله خيرًا من أعان على نشر هذه القصة للعبرة والعظة..

الضحية والقاضي

كان من شباب الخلاعة واللهو، علم أن المنزل الذي يجاور منزله يشتمل على فتاة حسناء من ذوات الثراء والنعمة والرفاهية والرغد، فرمى إليها النظرة الأولى فتعلقت بها، فكررها أخرى، فبلغت منها كل مبلغ، فتراسلا، ثم تزاورا، ثم افترقا، وقد ختمت روايتهما بما تختم به كل رواية غرامية يمثلها أبناء آدم وحواء على مسرح هذا الوجود، عادت الفتاة تحمل بين جانحتيها همًّا يضطرم في فؤادها، وجنينًا يضطرب في أحشائها، وقد يكون لها إلى كتمان الأول سبيل، أما الثاني فسر مذاع، وحديث مشاع، إن اتسعت له الصدور، فلا تتسع له البطون، وإن ضن به اليوم فلا يضن به الغد. .

فلما أسهر الهم ليلها، وأقض مضجعها، لم تر لها بدًّا من الفرار بنفسها، والنجاة بحياتها، فعمدت إلى ليلة من الليالي الداجية فلبستها وتلفعت بردائها، ثم رمت بنفسها في بحرها الأسود، فما زالت أمواجها تتلقفها وتترامى بها حتى قذفت بها إلى شاطئ الفجر، فإذا هي في غرفة مهجورة في إحدى المنازل البالية، في بعض الأحياء الخاملة، وإذا هي وحيدة في غرفتها لا مؤنس لها إلا ذلك الهم المضطرم.

وتدور عجلة الزمان دورتها، تلك العجلة التي لا حيلة لنا في إيقافها فماذا كان؟ أما الذئب فقد غفر المجتمع له، وقبل توبته، ونسي زلته، ويعيَّن قاضيًا في المحكمة الشرعية، أما الفتاة المسكينة فقد وضعت وأنجبت طفلتها في تلكم الغرفة المتهالكة، باعت جميع ما تملك يدها، وما يحمل بدنها، وما تشتمل عليه غرفتها من حلي وثياب وأثاث، حتى إذا طار غراب الليل عن مجثمه. . أسدلت برقعها على وجهها وائتزرت بمئزرها، وأنشأت تطوف شوارع المدينة وتقطع طرقها، لا تبغي مقصدًا

ولا ترى غاية سوى الفرار بنفسها من همها، وهمها لا يزال يسايرها ويترسم مواقع أقدامها. .

وفي إحدى الليالي سيق إليها رجل، كان ينقم عليها شأنًا من شئونه لشهواته ولذاته، فزعم أنها سرقت كيس دراهمه. . ورفع أمرها إلى القضاء. .

وجاء يوم الفصل. .

فسيقت إلى المحكمة، وفي يدها فتاتها، وقد بلغت السابعة من عمرها. .

فأخذ القاضي ينظر في القضايا ويحكم فيها. .

حتى أتى دور الفتاة، فما إن وقع بصرها عليه حتى دهشت عن نفسها. .

وألم بها من الاضطراب والحيرة ما كاد يذهب برشدها. .

وما ذاك إلا لأنها عرفته وعرفت أنه ذلك (الذئب) الفتى الذي كان سبب شقائها، وعلة بلائها. .

فنظرت إليه نظرة اذدراء، ثم صرخت صرخة دوّى بها المكان دويًا وقالت:

رويدك أيها القاضي، ليس لك أن تكون حكمًا في قضيتي، فكلانا سارق، وكلانا خائن، والخائن لا يقضي على الخائن، واللص لا يصلح أن يكون قاضيًا بين اللصوص. .

فعجب القاضي والحاضرون لهذا المنظر الغريب. . ولهذا الكلام العجيب. .

وهمّ أن يدعو الشرطي لإخراجها، فحسرت قناعها عن وجهها، فنظر إليها القاضي نظرة عرف فيها كل شيء. .

وعادت الفتاة إلى إتمام حديثها فقالت: أنا سارقة المال، وأنت سارق العرض، والعرض أثمن من المال، فأنت أكبر مني جناية، وأعظم جرمًا، وإن الرجل الذي سرق ماله يستطيع أن يعزي نفسه باسترداده، أو الاعتياض عنه، أما الفتاة التي سرق عرضها فلا عزاء لها، لأن العرض

الذاهب لا يعود، لولاك لما سرقت، ولا وصلت إلى ما وصلت إليه. . فاترك كرسيك لغيرك، وقف بجانبي ليحاكمنا القضاء العادل على جريمة واحدة، أنت مدبرها وأنا المسخرة فيها.

رأيتك حين دخلت هذا المكان، وسمعت الحاجب يصرخ لمقدمك، ويستنهض الصفوف للقيام لك! ورأيت نفسي حين دخلت والعيون تتخطاني والقلوب تقتحمني، فقلت: يا للعجب، كم تكذب العناوين، وكم تخدع الألقاب. .

أتيت بي إلى هنا، لتحكم عليّ بالسجن كأن لم يكفك ما أسلفت إلي من الشقاء حتى أردت أن تجيء بلاحق لذلك السابق. . ألم تك إنسانًا، فترثى لشقائي وبلائي؟.

إن لم تكن عندي وسيلة أمت بها إليك، فوسيلتي إليك ابنتك هذه فهي الصلة الباقية بيني وبينك.

وهنا رفع «الذئب» - عفوًا - رفع القاضي رأسه، ونظر إلى ابنته الصغيرة وأعلن أن المرأة قد طاف بها طائف من الجنون، وأن لا بد من إحالتها على الطبيب فصدق الناس قوله ثم قام من مجلسه. . وكأن شيئًا لم يكن. .

يا الله؟

عوى الذئب فاستأنست بالذئـ ... ب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطير

* أرأيت يا ابنتي كيف تنكر الذئب من فعلته بكل يسر وسهولة، إن هذه الفتاة كغيرها من الفتيات كانت لها أم تحنو عليها، وتتفقد شأنها، وتجزع لجزعها، وتبكي لبكائها، ففارقتها، وكان لها أب لا هم له في حياته إلا أن يراها سعيدة في آمالها، مغتبطة بعيشها، فهجرت منزله، وكان لها خدم يقمن عليها ويسهرن بجانبها فأصبحت لا تسامر إلا الوحدة، ولا تساهر إلا الوحشة، وكان لها شرف يؤنسها ويملأ قلبها غبطة وسرورًا ورأسها عظةً وافتخارًا ففقدته، وكان لها أمل في زواج سعيد مع زوج

محبوب، فرزأتها الأيام في أملها، كل هذا لأنها صدقت ما وعدها، وانساقت وراء نزوة عابرة.. ولم تمتثل قوله الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

فلا تغرنك- يا ابنتي- الصورة البشرية التي يتصور فيها الذئب.. وتلك الملابس التي يتسربل بداخلها، فلو كشف لك عن أنيابه لرأيت الدم الأحمر القاتم يترقرق فيها.. أو عن أظفاره لرأيت تحتها مخالب حادة.. أو عن قلبه لرأيت حجرًا صلدًا من أحجار الغرانيت لا ينبض بقطرة من الرحمة، ولا تخلص إليه نسمة من العظة..

فهم- يا ابنتي- سباع مفترسة، وذئاب ضارية، فكم حفلوا من فتاة شقاء وآلامًا لا طاقة لها ولا لمخلوق باحتماله، وكم قرحوا من كبد لأب لو عرضها في سوق الهموم والأحزان ما وجد من يبتاعها منه بدرهم، وكم سرقوا فرحة زوج في ليلة عرسه فطلق زوجته قبل أن يبني بها غير آسف ولا حزين. فالحذر الحذر يا ابنتي فالذئب لن يبكي على فريسته بعد التهامها.. لأن الذئب لا يعرف الوفاء أبدًا..



الليموزين والمرأة وأنا

لا أعلم ولا أدري من أين أبدأ هذه القصة المفجعة التي بدأنا نسمع عن مثيلاتها في مجتمعنا الإسلامي، فوالله كم هالتني وأفجعتني هذه القصة الغريبة والخطيرة..

لن أطيل عليكم ولنترك هذا المسؤول يحكي لنا ملابسات هذه الفاجعة.. ولكن قبل أن يبدأ قصته هذه أريد أن أخبركم بقصة لها ضلع في الموضوع وهي:

في يوم من الأيام وقف صاحب الليموزين باكستاني الجنسية لزبونة خارجة من إحدى الأسواق، فأركبها معه في سيارته، ولم تدرِ بنفسها إلا وهي مع ثلاثة رجال باكستانيين في إحدى البراري وهموا باغتصابها..

تقول الفتاة: والله لو قال لي قبلي قدمي على أن أتركك لقبلتها، ولكن هيهات هيهات، وبعد المحاولات المضنية من هذه البنت البكر لكي يتركوها وهم مصممون على فعل فاحشة الزنا بها، أسعفها الله بامرأة عجوز كانت تمشي في هذه الصحراء، فلما رآها هؤلاء الرجال تركوا البنت وفروا هربًا، اعتقادًا منهم أن هذه العجوز جنية.

اقتربت العجوز من البنت فخافت البنت وذكرت الله، وقالت: بسم الله أنت جنية أم إنسية؟

قالت العجوز: لا والله.. ليتني جنية.. فلربما لو كنت جنية.. لما تركني ولدي في هذه الصحراء لعيون زوجته أخسأها الله.

من هنا كان التعارف بينهما إلى أن أرسل الله سبحانه وتعالى لهم سيارة يستقلها رجل في الأربعينيات..

وفي أول الأمر خاف الرجل عندما رأى امرأتين في الصحراء قبيل الغروب ولكنه رجع ونظر في أمرهما وعندما علم بالقصة أركبهما معه

وذهب بهم إلى أقرب قسم للشرطة واستدعي هناك ولي أمر الفتاة..

وأخذت أقوالها حيث سألها الشرطي: هل ستعرفينه إذا رأيت صورته؟

قالت: كيف لا أعرفه ولقد كنت أتوسل إليه ولو قال لي حينها: قبلي باطن قدمي على أن يتركني لقبلتها..

فأمر الشرطي أن تذهب إلى بيتها.. وفي كل يوم كانت المباحث تطلب من شركات الليموزين صور مكفوليها لعلها تجد الشخص الخائن أما العجوز فسأترك الكلام عنها إلى أن يقص علينا هذا الشاب قصته فلنتركم معه فهو بالحديث أصدق وأجدر..

يقول هذا الشاب: أنا شاب وسيم، أبيض، أفضل لبس الجينز والبنطالونات علي لبس الثياب لذا لو رأيتني في بنطال الجينز يوحى إليك من أول نظرة بأنني من بلاد الشام..

يقول: كنت كعادتي في كل يوم خارجًا من الاستراحة في الساعة الثانية والنصف ليلًا ذاهبًا إلى البيت وفي الطريق تعطلت بي السيارة فجأة في أحد الطرق وبينما أنا واقف لا أدري ماذا أعمل خطر ببالي أن أدع السيارة في مكانها وأركب أقرب ليموزين وأذهب إلى البيت وغدًا يحلها الحلال!!.

واقتربت سيارة الليموزين فأشرت للسائق وكان باكستاني الجنسية فركبت معه.. ومن صفاتي أنني لا أتكلم فأنا هادئ في طبعي لست بالثرثار كثير الكلام.. وبينما كنت راكبًا مع سائق الليموزين بادرني بالسؤال: هل أنت سوري الجنسية أم لبناني؟

أخذت لحظة تفكير وبعدها رددت عليه: لا لبناني، وسكت السائق الباكستاني قليلًا ثم سأل: أين تعمل؟ قلت: في محل لبيع الملابس..

والباكستاني يسأل مرة أخرى: كم راتبك؟

فرددت عليه: ألف ومئتي ريال.. طبعًا كنت أجاريه، ولا أعلم لماذا كذبت في البداية ولكن هي أقدار الله، ولنقل لطفه ورحمته..

وقال السائق الباكستاني وهل يكفيك هذا الراتب؟

وبسرعة رددت عليه: نعم يكفيني.

قال الباكستاني: أنا لو أعلم بأنني سوف أعمل بهذا المرتب لذهبت إلى بلدي..

لم أفهم ماذا يقصد ولكنه سكت واسترسل بعدها في الأسئلة إلى أن قال: هل تعلم أنني أكسب في الشهر أكثر من عشرة آلاف ريال؟!.

حينها اعتلاني الاستغراب وسألته بسرعة: كيف؟ ومن أين؟

رد الباكستاني بقوله: هناك بنات، وحشيش، وخمر، هل تريد؟

رددت عليه وقلت: من الممكن أن يكون هناك حشيش أو خمر لكن بنات!! هذا هراء..

لم يجاوبني بالكلام ولكنه أخرج من تحت المقعد ألبومًا كاملًا به صور لمجموعة كبيرة من الفتيات.. أخذت الألبوم وجلست أقلب صفحاته إلى أن وقعت عيني على صورة فتاة لم أر امرأة في جمالها، فسبحان من صورها.. فقلت له: أريد هذه.

قال: هذه بثلاثة آلاف ريال.. وبعد محاولات كنت أعتقد أنها يائسة رد علي وقال: لأنها أول مرة آتيك بها مقابل ألفي ريال فوافقت..

ذهبت بي إلى البيت.. قلت: قف هنا عند هذه الشقة.. نظر إليّ باستهزاء وقال: هل هذا هو بيتك؟.

قلت له: لا.. هذا بيت الكفيل، وجلست أخبره بطيبة كفيلي وأنه من النوع الشبابي، كما يقولون، وقلت له: متى تأتي بالبنت؟

قال: غدًا.. فقلت: كيف وأين.. وقطعت كلمتي.. أين، بأن يأتي بها في بيت كفيلي الذي هو بيتي بالطبع ولم يوافق في البداية، ولكن بعد إقناع مني بأن كفيلي شبابي، وأنه لو عرضت عليه سوف يدفع وسوف نستفيد، فوافق بشرط أنه أنا أعرض عليه لا هو، ويكون إقناع كفيلي الوهمي عن طريقي فوافقت، على أن يأتي بالفتاة غدًا لأن كفيلي لن يكون موجودًا هو وعائلته، ولذلك أخذ الباكستاني رقم هاتفي وأخذت رقم هاتفه.

وبصراحة شديدة.. لم أنم جيدًا تلك الليلة، وكنت أتقلب على فراشي وأقول: متى يأتي غدًا لكي يتحقق ما أريد.. ولقد كان كل تفكيري منصبًا على هذه الفتاة، وأنا ما بين مصدق ومكذب إلى أن أتى الغد الذي طال انتظاره، ورجعت للبيت بعد العشاء مبكرًا، والأهل كانوا مسافرين.. فكانت فرصة، وجلست عند الدش أنتظر الهاتف، وكنت في كل لحظة أقول لنفسي: لماذا تأخر صاحب الليموزين؟ هل أتصل به.. أو أنتظر قليلًا.. إلى أن قطع هذه الأفكار صوت الهاتف، فكان الباكستاني فسارعت إلى سؤاله بسرعة: ألو.. ألو.. هل أتيت بالفتاة أم لا؟ أخبرني بسرعة..

قال الباكستاني: في البداية.. هل لديك المبلغ المتفق عليه؟

فقلت له: نعم.

قال الباكستاني: أين أنت؟

قلت: في بيت الكفيل الذي أنزلتني عنده البارحة.

قال: افتح الباب بسرعة.. ففتحت الباب وإذا بالفتاة في الليموزين!!

قال الباكستاني: أعطني النقود أولًا.. أعطني ألفي ريال.

أعطيته ألفي ريال وأدخلت البنت إلى البيت.. وبعدما جلست البنت المسكينة نظرت إليها وقلت: ما شاء الله.. ما هذا الجمال!.

كان همي في أول الأمر أن أتلذذ بالنظر إليها.. ثم بدأت أتحسسها وأتكلم معها.. لكنني لاحظت شيئًا غريبًا!.

كانت البنت غير طبيعية.. كانت ساكتة وكأنها مغصوبة أو مكرهة..

هذا كان غريبًا، كما أن شكلها يظهر أنها من عائلة كريمة فهي ليست محتاجة..

المهم قلت لها: أنت بصراحة غريبة.. ماذا بك؟.

قالت: ليس بي شيء. ولكني أريد أن أمشي بسرعة.

والله في هذه اللحظة لم أدر ماذا حل بي.. فقد نسيت في تلك اللحظة شيئًا اسمه الجنس.. فكان تفكيري في تلك اللحظة منصبًا على

معرفة قصة هذه الفتاة.

ظلت البنت ساكتة ولم تجاوب بكلمة، وهذا ما زادني قهرًا وأكد لي أنها مكرهة.

قلت لها: اسمعي، أرى أنك مكرهة على فعل هذا الشيء، وأرى أنك تخفين عني قصتك فأخبريني ما هي قصتك؟

ظلت الفتاة صامتة ولكنني أحسست بأنها ارتاحت قليلًا.. وأحسست كذلك أن بودها الكلام ولكن بها خوف من شيء ما..

كلمتها وحلفت لها بأنها لو أخبرتني عن قصتها أو ما يكدر خاطرها أن يكون عهد الله بيني وبينها ألا أفشي سرها. وأن أعاملها ببياض الوجه.. وأنني على استعداد لمساعدتها ومد يد العون لها أيضًا.

لم أدر إلا وقد سقطت البنت في حجري. وهي تبكي..

لقد بكيت لبكائها وأخذتني الشهامة. لم أتحمل الموقف، لكنني صبرت نفسي وصرت أهدئ من روعها. إلى أن هدأت، فقلت لها: ما هي قصتك وأنا على ما وعدتك به، ويشهد عليَّ ربي.

فبدأت البنت قصتها. فقالت: هل رأيت الباكستاني الذي أتى بي؟

ابن الكلب هذا يعرف الكثير ممن هم على شاكلتي.

فقلت لها: بالتأكيد هو يعرف، لأنني عندما ركبت معه أراني صورًا كثيرة لمجموعة من الفتيات، المهم أكملي. ماذا به؟

قالت: أنا متزوجة ومضى على زواجي سنة ونصف تقريبًا، المهم في يوم من الأيام كانت على زوجي مناوبة فاتصلت به، وقلت له بأنني سوف أذهب إلى المحل الفلاني في السوق الفلاني فهل تسمح لي أم لا؟

وافق زوجي بسرعة على طلبي، بما أننا ما زلنا عروسين جديدين ولا يوجد عندنا أبناء. نزلت في الصباح وركبت مع هذا الباكستاني الخائن، وقلت له: أوصلني إلى المكان الفلاني الذي ذكرته، ولم أدر بنفسي إلا وأنا في شقة وأنا عريانة. والباكستاني فعل فعلته الشنعاء بي هو ورفيقه فأخذت أصرخ. ماذا أعمل لا أدري.

وتكمل حديثها، وتقول: لبست ملابسي بسرعة وأنا أصرخ.

جاءني الباكستاني وقال لي: أنت كثيرة الكلام ولذلك ستبقين هنا أو سآخذك إلى بيتك.. وقال بسخرية لا تركبي ليموزين مرة أخرى..

وتكمل: لقد كنت خائفة ولا أدري ما أعمل..

كنت أفكر في زوجي المسكين لو علم بالأمر، أفكر في زواجي، مستقبلي شرفي، سمعتي، أهلي، أمي وأبي وإخوتي.. لكن الباكستاني قطع تفكيري بصور لي وأنا عارية على عدة أحوال وأشكال وأخذ يهددني بها..

عندها وافقت على مضض أن يأخذني إلى البيت.. ولما هممت بالنزول قال الباكستاني: اسمعي جيدًا بمجرد دخولك إلى البيت اتصلي بي وإلا سوف ألصق صورك على باب البيت.

فدخلت إلى الشقة وأنا أبكي فاتصلت به بعدما أعطاني رقم هاتفه فرد علي وقال: أنا لا أريد منك شيئًا إلا عندما أتصل بك ردي علي واخرجي وإلا فأنت تعرفين الباقي.

تكمل البنت كلامها فتقول: في أول الأمر.. قلت: سوف أسكت ولن أرد عليه حتى ولو اتصل بي، فأنا أريد الستر..

وعندما عاد زوجي سألني هل ذهبت إلى السوق؟

قلت في نفسي: هل أقول له قصتي، لكنني كنت خائفة من ردة فعله هل ستكون قاسية؟ وخائفة على السمعة والمستقبل.. المهم أجبته وقلت: لا.. لم أذهب.. هل آتيك بالعشاء؟

فرد زوجي: لا.. أريد أن أنام لأني متعب.. ذهب زوجي لينام وأنا جلست أشاهد التلفاز، صحيح أنه كان فيه مسلسل، لكن في عقلي كان مسلسل ثانٍ، وما دريت إلا والباكستاني يتصل على الهاتف فأغلقت السماعة في وجهه أول مرة، ثم اتصل مرة أخرى فأغلقت السماعة في وجهه.. ولكن عندما اتصل في المرة الثالثة سمعته يقول: انظري إلى صورتك الجميلة على الباب، عندها أسرعت إلى الباب لأرى صورتي وأنا

عريانة في غرفة النوم معلقة على الباب، فسحبت الصورة ومزقتها وأخذت أنتظر اتصاله، فاتصل وقال: يجب أن تمشي كما أريد ولا تحاولي التهرب مني.

قلت له وأنا خائفة من أن يستيقظ زوجي ويسمعني: يا ابن الناس.. يرحم الله والديك.. أنا متزوجة فدعني وشأني وسأعطيك من المال ما تريد.. ولكن دعني وشأني.. عندها رد علي وقال: لو دفعت مليون ريال لن أوافق.. اسمعي، سوف آتي غدًا في الليل لآخذك فقلت له: لا أستطيع فزوجي يكون معي.. المهم نسق معي على أساس أن يأخذني عندما يكون زوجي في عمله أو مناوبته.. المهم صار لي شهرين على هذه الحال المزرية، والأموال التي أخذها طوال الشهرين لم يعطني منها ريالًا واحدًا.

إلى هنا انتهت البنت من سرد قصتها..

وهنا بدأ الشاب الذي أتى له الباكستاني بالفتاة يكمل حديثه..

تابع حديثه فقال: بدأت أبكي وأحسست أن بداخلي بركانًا سينفجر، ولو انفجر لأحرق من حوله من شدة الغيرة والغضب..

المهم اتفقت أنا وهي على أن نترك الأمر على ما هو عليه وأن تترك حل قصتها بيدي، بشرط أن تعدني أن تنفذ ما أطلب منها.. فوافقت على أن أستر عليها، وعاهدنا بعضنا، واتفقنا على أن تأتيني مرة ثانية في الساعة الثانية والنصف ليلًا..

بعدها اتصلت الفتاة على الباكستاني صاحب الليموزين فجاء وأخذها، وأنا بدوري أشعرته أنني أثق به، لكي لا يلاحظ، وقلت له: والله إنك ملعون، يا ليتك كنت صديقي منذ زمن، كنت أفكر بالسفر إلى لبنان، ولكن الآن لا فأنت موجود هنا..

هز الباكستاني رأسه سعيدًا وقال: أنت الآن تعرف رقم هاتفي وإذا احتجت إلى أي شيء من سهر وخمر وحشيش وبنات كثيرة فاتصل بي.

لم أنس في يوم تعارفي على الباكستاني عندما بدأ نقاشه معي، كنت

أرد عليه باستغراب: هل كل هذا موجود هنا؟ هل تعرفون ماذا قال لي؟.

قال: الشباب يريدون البنات.. والبنات يردن الشباب.. فأنا أحضر البنات إلى الشباب وهم يعملون بعدها.. وأنا آخذ الأموال الكثيرة وأسافر من هذا البلد.

المهم بعد أن ذهبت البنت- بصراحة شديدة- جاءني الأرق فلم أنم أبدًا ماذا أعمل يا الله.

أغلقت التلفاز وجلست أبكي، وما عرفت البكاء الحقيقي إلا ذلك اليوم، فلقد كنت أبكي وأدعو لهذه المسكينة بالستر.. ولكن ما باليد حيلة..

استغفرت الله ونذرت لله نذرًا بالتوبة إذا دلني الله على طريقة لحل هذه المشكلة.. كنت أحس أن الأمر لو بلغ إلى الهيئة انفضحت البنت.. وكنت أعتقد أن الهيئة هي أم الفضائح.. وطبعًا كنت شابًا أفكاره ملوثة بالدش وبجلساء السوء.. ومثلي لا يحب الهيئة.. أو كان يحبها لكن إلى حد معين.. لكن الله سبحانه يهدي من يشاء إلى سواء السبيل..

خرجت من البيت، والبيت لا يوجد فيه أحد.. وصلت إلى الشارع وأنا أفكر.. وحينها خطرت ببالي فكرة أتدرون ما هي؟ والله ما أدري كيف وصلتني، لقد كانت الساعة الثالثة ليلًا.. قلت لنفسي: أنام وغدًا يكون خيرًا بإذن الله.. وطبعًا لم أستطع أن أنام من كثرة التفكير.

وأقول لكم بصراحة: صليت الثلث الأخير من الليل وصليت الفجر في وقتها وهذه أول مرة أصليها في حياتي، وأستغفر الله وأسأله أن يثبتني..

جاء الغد بعد طول انتظار.. وكنت قد عزمت على تنفيذ الفكرة الموجودة في بالي.. لقد ذهبت إلى أحد رجال الهيئة المعروفين بالنزاهة، ولو تدرون من هو لن تصدقوني.. إنه ذلك الرجل الذي قبض علي أكثر من مرة وأنا أغازل الفتيات.. سبحان الله.. كنت أكرهه كثيرًا وأتمنى له الموت..

المهم سألت عنه في مركز الهيئة فقالوا لي: بأنه خرج في مهمة. فقلت لهم: متى سيأتي، أريده في أمر ضروري.

رد علي أحد رجال الهيئة: من أنت أيها الشاب؟ كأنني قد رأيتك في مكان ما.. فشكلك ليس غريبًا عليّ.

بصراحة كانت سمعتي ليست جيدة ومعروف في الساحة الغزلية.. المهم ترجيته أن يوصلني إلى هذا الرجل.. وقلت له أن الأمر فيه حياة أو موت.. لم يقصر الأخ فاتصل به على هاتفه الجوال وبعد ربع ساعة وصل الرجل إلى المركز، وعند نزوله بادرني بالسلام فقال: السلام عليكم.. من..؟ مرحبًا بك.. ما هي قصتك؟ وماذا تفعل؟ أسأل الله أن يهديك.

لم أتركه يكمل حديثه بالطبع.. فقلت له: أريدك في أمر ضروري، فيه مسألة حياة أو موت وحلها بين يديك..

رد عليّ قائلًا: خيرًا إن شاء الله.

قلت: لا والله.. هو الشر بعينه.

تعوذ الرجل من الشيطان وقال: ماذا تريد؟.

قلت له: أريدك أن تأتي معي إلى البيت..

شك الرجل في الأمر فلاحظت أنه قد خاف مني، وقال باستنكار: آتي معك إلى البيت؟

قطعت كلامه.. وقلت: أي مكان آخر غير المركز.. اختر المكان، ولكن المهم أن نكون أنا وأنت فقط.. فوافق بعد إلحاح. ودعوته إلى شرب القهوة.. طبعًا الرجل كان يعتقد أن الأمر لا يستحق كل هذا..

لم نذهب لشرب القهوة إنما ركبنا سيارته، لأن سيارتي كانت تعج برائحة الدخان والأشرطة وقلت له قصتي، وما جرى بيني وبين الفتاة.

لاحظت أن رجل الهيئة يشك في كلامي، وهذا بسبب سلوكي المشين، ويبدو كأن الأمر لم يدخل إلى باله.. ولكن من شدة قهري كنت أتمنى أن يصدق.. وكنت لا أريد من وراء ذلك إلى وجه الله تعالى..

فانفجرت بالبكاء فبدأ يهدئني ويخفف عني، ويقول: هداك الله.

لم يدخل في أي سؤال حول الموضوع، وأنا أشهد بأن رجال الهيئة أذكياء وسياسيون جدًا، حيث إنه تركني أوضح له كل شيء إلى أن قلت له: ما العمل الآن؟

قبل أن يبدأ في كلامه قلت له: سوف أخبركم عن كل شيء، وسوف أساعدكم وأفعل كل ما تريدون.. ولكن لي شرط واحد فقط، أرجو أن توافقوا عليه..

رد علي قائلًا: وما هو شرطك؟

قلت له: البنت..

قال لي: البنت.. ماذا بها هداك الله؟.

قلت له: لا أريد أن تدخل البنت في الموضوع أبدًا.. حيث إنني أريد لها الستر فقط، وإن طلبتم أي معلومات أو أي شيء آخر خذوه مني أنا.. ولكن لا أريد أن تدخل البنت في هذا الموضوع بأي شكل من الأشكال.. لا في تحقيق ولا في سؤال ولا غير ذلك.. لأنه إذا دخلت البنت في أي تحقيق أو سؤال أو.. سوف تفضح ويصل الأمر إلى زوجها من بعيد أو قريب.

رد عليّ وقال: أبشر.. طلبك مجاب.. في أوّل الأمر لم أثق به كثيرًا، ولكني كنت واثقًا تمام الثقة بالله عز وجل، بعدها قلت له: كيف أقتنع بأن البنت لن تدخل في أي مشكلة أو تحقيق؟.

وعدني بعدها الرجل، وعاهدني بالله.. فرددت عليه وقلت: ونعم بالله..

بعدها قلت له: وماذا يضمن لي أن تلتزموا بهذا العهد فأنتم يا رجال الهيئة سمعتكم (مثل الزفت) وأقولها لك الآن في وجهك؟.

ابتسم الرجل وقال لي حديث رسول الله ﷺ: **«ومن ستر مؤمنًا ستره الله في الدنيا والآخرة»** [رواه مسلم]. أو كما قال رسولنا الكريم عليه السلام..

وأخذ الرجل يسترسل في الآيات والأحاديث..

بعدها اطمأننت واستعنت بالله وأرشدته إلى بيتي وأخبرته عن خطتنا للقبض على الباكستاني ومن معه، واتفقت معه وأحكمنا الخطة، ورجعت إلى البيت وأخذت أفكر وأفكر بينما كان أصدقائي يتصلون على هاتفي فلا أرد على أحد منهم، فأظن أنهم يقولون الآن: لقد سافر صديقنا الأحمق فلان فلا صوت له في الديار وهو لا يصبر على بعد أهله أبدًا!!

المهم.. كنت قد أخذت رقم البنت واتصلت بها، واتفقت معها على موعد معين تأتيني فيه، فطلبت مني مهلة حتى ترى إذا كانت قادرة على المجيء في الموعد المحدد أم لا..

بعدها جاءني الخبر منها بالموافقة، وكانت تتوسل إلي أن أستر عليها.. وأنا أقول لها اعتبريني أكثر من أخ.. كما أنني وعدتها أكثر من مرة ولم تطمئن حتى قلت لها: ألو.. لحظة قبل أن تغلقي الهاتف..

فردت وقالت: نعم، قلت لها: لا تنسي صلاة الثلث الأخير من الليل لأن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من داع فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيه؟.

تأثرت البنت بهذه الكلمات.. وبكت.. وقالت: اذهب، أنا رهن إشارتك من بعد هذه الكلمات.. ولو طلبت مني أي شيء فأنا حاضرة لما تطلب مني..

كنت في ساعتها لا أقدر على الكلام فقد خنقتني العبرة، فقالت هي: أسأل الله أن يوفقك في الدنيا والآخرة.. وبصراحة أحسست بأنها دعوة من القلب فرددت عليها قائلًا: أسأل الله أن يستر عليك.

وجاء اليوم المتفق عليه فاتصلت بالباكستاني وقلت له: ألو.. ألو مرحبًا..

فقال: أهلًا يا صديقي.. كيف حالك؟.

رددت عليه: الحمد لله.. كيف حالك أنت؟.

قال: الحمد لله.. بادرته قائلًا: هل تذكر البنت التي أتيت لي بها سابقًا؟.

رد الباكستاني: نعم أذكرها، وكيف لا أعرفها؟!.

قلت له: أنا أريدها اليوم في الليل في تمام الساعة العاشرة في بيت الكفيل.

رد الباكستاني: عندي بنات كثيرات أجمل وأحلى منها وأصغر منها.

قلت له: لا لا.. أنا أريد الفتاة التي أحضرتها أول مرة..

قال: حسنًا.. مقابل ثلاثة آلاف ريال..

قلت له: لقد أصبحت زبونًا عندك.. يكفيك ألف ريال فقط.

قال: لقد رخصت لك في أول مرة ولكن الآن لا.

المهم قررت أن أطمئنه، فقلت له: النقود موجودة، وحتى أطمئنه أكثر قلت له: أريدها ولكن بنفس السعر السابق أي بألفي ريال فقط.. وأريد حشيشًا.. وخمرًا.. بعدها وافق الباكستاني بعد محاولات أن يأتي بالحشيش والخمر مقابل ثلاثة آلاف، والبنت مقابل ألفي ريال.

وكان صديقي في الهيئة قد نسق وضعه مع الجهات الأمنية من دوريات ومباحث إلى أن حانت الساعة العاشرة وصاحبي الباكستاني مواعيده مضبوطة (غرينتش) فأتى في الموعد تمامًا، وما إن أوقف سيارته الليموزين أمام البيت إلا وحاصرته دوريات الهيئة السرية والمباحث..

ويذهب صاحبي رجل الهيئة ويأخذ البنت على جنب ويركبها في السيارة هو واثنين من الشرطة وعندها انصدمت.. وقلت في نفسي: أين الوعود التي قطعها لي هذا الرجل وقلت: صدق من قال إن رجال الهيئة كلهم فضائح.

بعدها ذهبت أنا والباكستاني والشرطة معنا وطبعًا إلى قسم الشرطة.. وأنا ساكت، فدخل الباكستاني وطبعًا فتشوا الليموزين ووجدوا فيها ألبومًا من الصور.. وأخذوا هاتفه الجوال ووجدوا فيه الكثير من الأرقام والصور، وحدث ولا حرج، بعدها دخل الضابط على أساس أنه يريد أن يأخذ أقوالي..

فأمسكت بالرجل عضو الهيئة وأخذته على جنب وقلت له: أين وعدوك والآيات والأحاديث واتفاقنا.. و.. لقد كنت متسرعًا لكن لعله يعذرني فقد كنت خائفًا على مستقبل الفتاة المسكينة..

رد عليّ قائلًا: ما الذي حل بك؟.

قلت له: أين البنت؟ أين أخذتموها؟ هل تريد أن تفضحها؟

رد قائلًا: اطمئن البنت في بيتها الآن.

قلت له: لا تسخر مني.. لا تكذب..

وبسرعة قال لي: تستطيع أن تتأكد بنفسك- ولو أنه لا يعلم أن معي رقم هاتفها كان سيأخذني معه إلى بيتها- وبسرعة أدرت أرقام الهاتف فردت عليّ وهي خائفة فقالت: ألو..

فقلت: السلام عليكم.. لكنها كانت خائفة بشدة.. فقلت لها: أسأل الله أن يستر عليك وعلى بنات المسلمين.. قضيتك انتهت الآن، والوجه من الوجه أبيض، انتبهي لنفسك مرة أخرى.

ظلت تسمعني وهي صامتة.. وأذكر أن آخر ما قلت لها وعضو الهيئة والضابط بجنبي أن انتبهي لنفسك وصوني بيت زوجك.. وأوصيك بصلاة الليل.. وكم أتمنى لو دعوت لي في صلاتك بالهداية والثبات، وأتمنى أن تخصي بالدعاء كل من ساعدك في بناء حياتك من جديد.

لم تستطع البنت أن تتمالك نفسها فبكت.. وبدأت بالدعاء لي ولوالدي ولكل من ساعدها.. وقبل أن تغلق الهاتف قالت لي كلمة لن أنساها أبدًا.. ولا تصدقوني إذا قلت لكم أنني لم أسمعها من إخواني وأخواتي في حياتي.. أتدرون ماذا قالت لي؟

قالت: اعتبرني مثل أختك وأكثر، ولو جار الزمن عليك.. وأردت شيئًا فأنا جاهزة لمساعدتك.. وبعدها كان الوداع، وبعدما أغلقت السماعة أطرقت برأسي قليلًا ثم نهضت من الكرسي والتفت إلى عضو الهيئة من خلفي فوجدته يستغفر..

فقمت والله أفعلها بكل شرف وافتخار واعتزاز.. وأقولها لكم لقد

قبلت يده وقبلت رأسه وكان يدفعني لئلا أقبل يده ويقول: ثبتك الله وهداك إلى الصراط المستقيم. .

انتهت قصتي مع تلك الفتاة ولكنني لم أنس الوعد الذي قطعته مع الله في تلك الليلة المظلمة فلقد نفذت ما كنت أريده، لذا قررت العودة إلى طريق الهداية وإعادة ترتيب أوراقي المبعثرة. . ومن يومها وأنا لا أضيع فرضًا من فروض الصلوات الخمس فضلا على أنني بدأت أصلي وأحافظ على صلاة الليل. . أحافظ عليها لا لسبب إلا لأنني لما احترت في أحد الليالي لم أجد من معين. . ولم أجد من ساتر ولا مجيب إلا الله الذي ينزل في آخر الليل سبحانه جلت قدرته يقول: هل من داع فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلقد سألته وأعطاني. . دعوته فأجابني. . فله الفضل كله وله الشكر والمنة. .

أما صاحبنا الباكستاني فأقرّ على جرائم لا تحصى ويشيب منها الرأس . . وأنه أعترف بأن له أعوانًا كثر. . وحينما اكتمل التحقيق جاءني الخبر من صاحبنا جزاهُ الله خيرًا ووفقه، أنه عن طريق هذا المجرم الخائن تمّ القبض على شبكة متكاملة للدعارة والتغرير بنساء المسلمين. . وبيع الخمور. . وإنتاجها علاوةً على بيع هذا السّمّ القاتلِ (الحشيشةِ). . . قبض على هذه الشبكة المتكاملة وعددها خمسة وثمانون ليموزينًا أكثرهم وأغلبيتهم من الجنسية الباكستانية. . لذا أصدرت الهيئة بعدَها فتوى شرعية بأن لا تركب الفتاةُ إلا ومعها محرم. . جزاهُم اللهُ خيرًا . . وستر على نساءِ المسلمينَ وبنَاتِ المسلمينَ. . آمين اللّهمّ آمين.



الدش (الستلايت) الذي دمر حياتي

في بدايَة حياتي كنت أمارس الأعمال الحرة، وكانت- بفضل الله- تجارتي رابحة تدر علي خيرًا كثيرًا، وكانت حياتي تسير على النهج الإسلامي الصحيح.

وما كنت يومًا أتخلف عن الصلوات الخمس وبخاصة صلاة الفجر، وكان قلبي يرقص فرحًا حين أسمع أن هناك محاضرة دينية، فكنت أذهب إليها ولو كانت بعيدة عن بلدتي وأحرص على أن أكون في الصف الأول، وكنت محظوظًا في حياتي إذ رزقني الله زوجة صالحة مطيعة، محافظة على الصلوات الخمس راعية أمينة على بيتي ولله در الشاعر:

ألا إن النساء خلقن شتى فمنهن الغنية والغرام

ومنهن الهلال إذا تجلى لصاحبه ومنهن الظلام

فمن ظفر بصالحهن يظفر ومن يغبن فليس له انتظام

ومنها رزقني الله البنين والبنات وهم: عادل، وخالد، وسعاد، وأمل.

إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وكانت أسرتي هي النبراس الذي ينير طريقي، والسلوى التي تبهج قلبي، ومرت الأيام والشهور والسنون وكبر أولادي ودخلوا الجامعات... وكنت أنتظر اليوم الذي أرى فيه أولادي يحملون الشهادات العلمية ولكن الأيام لا تبقى على وتيرة واحدة، وسبحان الذي يغير ولا يتغير.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الدنيا كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

فبعد أن عشت مع أسرتي حياة هادئة هانئة، سعيدة يحسدني عليها أقراني وأصدقائي.. جاء اليوم الذي انقلبت فيه حياتي إلى حياة الدمار، إلى حياة البؤس، إلى حياة السجون، إلى حياة التشرد في الطرقات، إلى الشحاتة من الناس.. إذن ما هي الحكاية التي دمرت حياتي وشردت أسرتي ؟!.

في أحد الأيام جاء ابني (عادل) وهو أكبر أبنائي إلى البيت ومعه جهاز الستلايت فاستغربت من هذا الفعل الدنيء ونظرت إليه نظرة ملؤها الازدراء والاحتقار، وقلت له: ماذا تريد أن تفعل؟

قال: أريد تركيب (الستلايت) لكي نشاهد القنوات الفضائية العالمية.. حتى لا نعيش في قوقعة منعزلين عن العالم.

كي لا نعيش متخلفين، رجعيين همجيين، بعيدين عن هذا العالم المتحضر.. نريد يا أبي أن نعيش في عصر النور والتكنولوجيا وحياة القرن العشرين، حياة الأقمار الفضائية.. حياة الانطلاق والتقدم.

فتعجبت من هذه الأقوال التي خرجت من فم ابني (عادل) الهادئ الوديع الرزين.. فأسرعت إليه كالأسد قائلًا:

نحنُ لا نريدُ هذه القنوات الفضائية فإنها باب من أبواب الدعوة إلى الفساد والرذيلة، والمرءُ مهما حاول أن يلتزم ببرامج نافعة منها أغراه الشيطان إلى غيرها.. ولا أجد لهذا البلاء مثلًا إلا كما قال القائل: قد دس السم في العسل.

فقال ابني وهو مصرٌ على رأيه: إذا لم يركب (الستلايت) سوف أخرج من البيت ولن أعود إليه أبدًا.

وهنا تدخلت والدته خوفًا على فلذة كبدها من الضياع، تتوسل إلي وتبكي بحرقةٍ، وكذلك أولادي وقفوا مع أخيهم وأمهم يلحون ويتوسلون أن أوافق على تركيب (الستلايت). وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

وبعد هذا الضغط المتواصل ذهبت إلى أصحابي أستشيرهم في هذه المسألة فقال بعضهم:

عليك أن ترفض رفضًا قاطعًا طلب أولادك، لأن تلك القنوات هي الشر المقنع بمسوح التقدم والحضارة، وإن ما تعرضه من أفلام مخلة بالشرف والفضيلة، هو أداة تحطيم وتدمير لأولادنا.

وقال آخرون: عليك أن توافق لأن أولادك في هذه الحالة يكونون تحت بصرك ويمكنك أن تراقبهم، وكذلك تستطيع سماع الأخبار العربية والعالمية والبرامج الدينية والعلمية.

وقد استحسنت تلك الفكرة ووافقت على دخول الدش اللعين إلى بيتي.

وهكذا دخل هذا الضيف الثقيل بيتي، ولكنني قاطعت النظر إليه، ومرت الأيام والشهور ولم أشاهده.

ولكن أولادي أدمنوا النظر إلى القنوات الفضائية من أفلام ومسلسلات وعروض الأزياء، وعروض مسابقات ملكات الجمال، وصور العاهرات العاريات، تحت ستار ما يسمى (الثقافة الجنسية) ولكن الشيطان حبائله طويلة وصبره لا ينتهي، كما أن حرصه على إضلال بني آدم غاية الغايات عنده.

فبدأ بتحريضي على الغواية بالتدريج، حيث وسوس لي باستحسان فكرة تركيب (الستلايت) أولًا ثمّ حرضني على سماع النشرات الأخبارية، والبرامج العلمية، ثم بالتدريج تطرقت إلى مشاهدة هذه القنوات على استحياء، ثم تعلق قلبي بها كل التعلق.

وبعد أن تملكت تلك القنوات من قلبي، حرصت على مشاهدة العاهرات اللاتي يقمن بحركات جنسية ملؤها الإغراء والفتنة، والتحدث بأصوات ملؤها الدناءة والخسة، وبدأت أنا وأولادي نجلس الساعات الطوال لمشاهدة هذه القنوات التي تعرض وتظهر الفتيات الحسناوات.. وبدأت أتهاون بالصلاة، فلا أصليها في وقتها وشيئًا فشيئًا هجرت المساجد بالكلية.

ونسيتُ حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم: «**رجلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ**».

بل وصل الأمر إلى أن أصلي وقلبي متعلق بمشاهدة الأفلام العربية والأجنبية وخاصة المشاهد الغرامية الجنسية.

وانغمست بمشاهدة هذه القنوات الفضائية.. وكذا أولادي وزوجتي وأخذنا نقضي النهار والليل في النظر إلى ما حرم الله دون خوفٍ أو وجلٍ منهُ تعالى.

وكان من نتيجة ذلك كله أن ضعف الإيمان في قلوبنا وحل محله التعلق بمشاهدة هذه الأفلام والمسرحيات سواء كانت عربية أو أوروبية، فترانا نضحكُ بأعلى أصواتنا حين نرى شيئًا يضحكنا ونبكي حين نرى شيئًا يبكينا.

فعاش قلبي مع ملكة الإغراء والفن «مَارلين مُونْرُو» وَ «اليزابيث تايلور» و «مادونا» و.. و.. وغيرهن من الفاتنات الساحرات.

وقويت غواية الشيطان بعد هذا التدرج شيئًا فشيئًا.. إلى أن جاءت الضربة القاضية القاتلة القاسمة لظهري وظهر أسرتي.

فولدي عادل يَقْتُلُ زوجته باستمرار حتى أصبحت حياتهما جحيمًا بمعنى الكلمة.. ولم يكن يخطر على بالي أن أولادي سوف ينحرفون وينزلقون إلى طريق الهاوية والسقوط المميت.

ولدي (عادل) الكبيرُ أخذ يراسل إحدى الفتيات الأوروبيات بواسطة (رسيفر ديجتال) حتى فاجأنا في أحد الأيام بأنه قد تزوجها، ولم يقتصر الأمر على هذا بل جاء بتلك الزوجة اللعوب إلى بيتي، وكان ابني يحبها حبًا شديدًا، ويغدقُ عليها من الأموال والمجوهرات رغم اعتراضي على هذا الزواج غير المتكافئ، وغير المناسب لنا نحن المسلمين، الذين نتمسك بالشرف والفضيلة، أما هؤلاء فهم لا ينظرون إلى الفضيلة والشرف كما ننظر نحن، وما حادثة (مونيكا لويسكي- كلينتون) عنًا ببعيدٍ ومن قبل ذلك، فضائح القصر الملكي البريطاني، وكما يقول المثل: «لا ينبت

الشوك إلا الشوك، ولا ينبت الصبار إلا الصبار» فلم تمضِ شهور عدة حتى فتحت لنا تلك الفتاةُ المنحلةُ من القيم والأخلاق بيتنا للفاحشة والرذيلة والدعارة، وكما تعلمون فالطبع يغلب التطبع.

وفي أحد الأيام فوجئ ابني (عادل) فوجد في فراشه شابًا مع زوجته، فما كان منه إلا أن أخذ المسدس وقتل زوجته اللعوب وعشيقها، وكانت النتيجة أن أبني دخل السجن وهو ينتظر فربما سوف يساق إلى ساحة الإعدام، وهكذا خسرت ابني الأكبر.. وأنا السبب في ضياعه مني، يوم سمحت له بإدخال (رسيفر ديجتال) إلى بيتي ومنزلي، وبين أبنائي وبناتي.

يخونُ زوجته وكانت هي تخونه أيضًا..

وصدق من قال: الزاني يزنى به ولو بعد حينٍ..

أما قصة ولدي الثاني (خالد):

فهو أيضا خلف القضبان.. لقد كان طالبًا في المرحلة الجامعية ورسب عدة مرات بسبب السهر والإدمان على مشاهدة هذه الفضائيات، وكانت النتيجة أن انغمس بالإدمان على المخدرات، وأخذ يسرق من والدته حتى أصبح لصًا محترفًا، وكون عصابة من اللصوص تسطوا على البيوت والمحلات لسرقة الأموال والمجوهرات حتى يلبي حاجته من المخدرات وخاصة: «الأفيون والأُبر المخدرة» وظلَّ على تلك الوتيرة حتى وقع في أيدي رجال الأمن، وحكم عليه بالسجن اثنتي عشرة سنة.

أما ابنتي سعاد فقد فشلت في الدراسة من كثرة الرسوب، وأخذ قلبها يتعلق بالحياة الأوربية من أزياء واستماع إلى الأغاني والموسيقى الصاخبة ومشاهدة القنوات الفضائية.

فتعرفت على شاب مستهتر بالقيم والأخلاق فجرفها معه إلى بحور الرذيلة وكان من نتيجة ذلك أن حملت منه سفاحًا، فلما تبين أمر حملها هرب منها، وبالتالي هربت هي أيضًا من البيت وهي تجر أذيال العار والفضيحة ولم أعرف عنها أي خبر يوصلني إليها.

وأما ابنتي (أمل) وهي الصغيرة فأحبت شابًا لا يعطي للدين أدنى اهتمام، بل ممن يعتبر أن الدين أفيون الشعوب، وأن الهدف منه هو السيطرة على الشعوب لكبح جماحها. وكان فوق ذلك مدمِنًا للخمور على اختلاف أنواعها.

ولقد تأثرت ابنتي (أمل) بحياة زوجها فانغمست معه في شرب الخمور والإدمان عليها.

وفي يوم من الأيام طلب زوجها منها شيئًا فلم تجبه لأنها كانت تحتسي الخمور، ولا تدري بنفسها، فأخذ زوجها يصرخ ويصرخ حتى فقد شعوره ثم ضربها بزجاجة الخمر على رأسها ففقدت عقلها وهي اليوم تعيش في مستشفى الطب النفسي في حالة جنون وصرع شديدين.

أما زوجتي المسكينة فإنها لم تتحمل هذه المصائب كلها فأصيبت بأزمة قلبية، لأنها لم تتحمل أن ترى أبناءها يسقطون الواحد بعد الآخر، وكان ذلك نتيجة طبيعية نظرًا لوقوفها مع أولادها، والضغط علي حتى أدخلت (الدش) إلى بيتي.

فأنا الآن أعيش حالة هستيرية، أَلُومُ نفسي أم أَلومُ الشيطانَ.. أم ألوم أبنائي وزوجتي.. فأنا الآن أصبحت لا أعرف كيف أعيش حياتي من عذاب الضمير..

وأسأل الله تعالى أن يفرج همي وأن يغفر ذنبي.



الدشُ المشؤوم

دخل علي يومًا ذلك الرجل، رجل ليست صورته غريبة عني، إني أعرفه جيدًا، وبلمح البصر مر في ذاكرتي.

دخل علي مذهولًا، كأنما يحملُ همومَ الدنيا بأسره.. وقف بالباب وعرفني بشخصه الكريم، زميل فرقت بيننا الأيام والسنون.. رحبت به وكنت أظن أنه وصل زائرًا بعد هذا الفراق الطويل.. حاولت أن أكرمه، لكن كأنما كان على عجلٍ من أمره، جلس أمامي يتنهد الآهات من صدره، وكأنه جبل من الأحزان.. ثم استسمحني ليروي قصته التي جاء يحملها فقال:

كنت دائمًا يا صديقي أسمع حديثًا من العلماء يؤنب العُصاة في سوء ما ارتكبوه، ويحذرهم أيضًا من الاستمرار في ذلك ذاكرين عذاب النار وبئس المصير.. ولكنني كنت أظن أنه يتجاوز الحقيقة، وأنه فيه كثير من المبالغة.

ومن جملة هذه الدروس والمواعظ حديث كان يدار حول القنوات الفضائية وآثارها، كنت أسمع ذلك في المسجد فأُنصت له كارهًا.

ولأكثر من مرة أعطاني أولئك الأشخاص بضع ورقاتٍ أتصفحها فأجد فيها قِصَصًا وقعت لمقتني القنوات الفضائية شيء يكادُ لا يصدق، فكنت أقرأ تلك الرسائل ونفسي تحدثني أن هذا أشبه بالقصص الخرافية لا غير، وكنت مع هذه الأخبار أتساءل:

لماذا هؤلاء الأشخاص يُحَدِّثُونَنَا هذا الحدِيث؟.

لماذا يحملون هم بيتي وأسرتي؟ أتساءل فلا أجد جوابًا مقنعًا سوى أنها مجرد غيرة مصطنعة، لا تملك رصيدًا عمليًا من الواقع، ولذلك لم تقف هذه النصائح وهذه القصص في طريق شراء الدش الذي عزمتُ على اقتنائه.

فحديث الصحب عن المباريات المشفرة كان يدفعني خطوات كبيرة إلى اقتنائه والجلوس أمامه، وقناة الجزيرة في برنامجها «وجهًا لوجهٍ» يدفعني خطواتٍ أكبر، وتشد من أزري على الشراء، وكل ذلك كان يؤججه حديث الأصدقاء والزملاء في العمل عن أحداث الساحة، وأنباء الساعة، كل هذه كانت مجتمعة تشدني إلى الإقدام على شراء هذا اللعين دون ترددٍ من جهةٍ، ومن جهة أخرى كان بقية من الحياء تؤجل هذا القرار في نفسي، لكن العوامل التي ذكرت سالفًا كانت لها الغلبة في نهاية الأمرِ.

وفعلًا قدم هذا الضيف المشؤوم ولسوء شؤمه أبى أن يطأ الأرض فاعتلى سطح منزلي المبارك، فرآه المجتمع فهرولوا إلي وخوفوني بالله تعالى، وذكروني بسوء العاقبة لكنني بقيت صامدًا صمود الأبطال والشيطان يوسوس لي ويشد من أزري على ما عزمت- ويا ليتني لم أفعل- وعاد المجتمع والجيران الناصحون لي أفرادًا وجماعاتٍ دون تحقيق نتيجة.

وبهذا النصر الموهوم الذي حققته على مجتمعي هنأني أبنائي وزوجتي، ورأيت أن أقدمه هدية لهم على التهنئة.

ومضت الأيام وفي كل يوم يمضي يزدادُ طمعي وشوقي.. شوقي إلى حديث المباريات.. وتلك القنوات التي أصبح يراها وللأسف أغلبُ الناس، ولا يسلمُ منها ذكرٌ ولا أنثى إلَّا من رحم الله تعالى.

وكان يعجبني أيضًا أن أردَّ على زملائي الحديث فيما شاهدتُ ورأيت..

وأحسستُ مع مرور الوقتِ أنَّ هناك نهمًا في نفسي أحببتُ أن لا أحرم نفسي منه.. وفراغًا ينبغي أنْ أملأه، لكنني أحسست منذ الأيام الأولى ثقلًا في خطواتي إلى المسجد وإلى تلاوة القرآن، وكسلًا يعتري جسدي، ورغبة ملحة إلى البقاء عند هذه القنوات، ومرت الأيام ففقدت المسجد وأهله الأخيار، ودروس العلم ومدارسة القرآن.. بدأت تتلقفني الأحزان وتنتابني الهموم، لكنني كابرت وأصررت على البقاء.

عُدْتُ أرى أن هؤلاء الذين يحاولن منعي عن هذه القنوات هم أعداء

للحرية لا غير.. ومرت الأيام والشهور وأنا وأسرتي حول هذا الجهاز اللعين لا نكادُ نفارقه إلا في ساعات الدوام في العمل، وكنت في أحيان كثيرة أنام مضطرًا قبلهم ويبقى أبنائي حولهُ إلى وقتٍ متأخرٍ من الليل.

ومر زمن كبير على هذا العشق لهذه القنوات أقدره بسنوات، ونسيت كل الأحداث التي صاحبت قدوم هذا الدش، وشرعت في ظروف هذه الحياة، ولم يبق عندي من الزمن، ما أجلسه أمامه.. وكنتُ أعودُ إلى البيتِ في ساعات متأخرة من الليل، وأحيانًا قبل الفجر، واستمررت زمنًا طويلًا على ذلك فظروف العمل هي التي أجبرتني على ذلك.

وفي ليلة سوداء من هذه الليالي التي وصلتُ فيها متأخرًا كعادتي، فتحتُ باب غرفتي واستلقيت على سريري دون أن يعلم أو أن يشعر بقدومي أحد.

وللوهلة الأولى سمعتُ شيئًا غريبًا أشبه ما يكون بالأصوات المتداخلة، فأخذتُ أتمعن هذه الأصوات فإذا بها تمتمة لا تكادُ تبين حروفها، ازدادت دقات قلبي، ولمّ بي هم عجيب، وداخلتني الشكوك لأول وهلة في حياتي، فانطلقتُ باتّجاهِ هذهِ الأصواتِ الخفيَّةِ المتداخلةِ.. فتوجهتُ إلى غُرفة زوجتي ففتحت الباب فإذا هي نائمةٌ مِلْ جفنها، تنهدت بعد أن تنفست الصعداء.. وزالت عني الشكوك والأوهام الشيطانية التي داخلتني واعتصرت قلبي، وحمدت الله تعالى وعدت لغرفتي ولكن كأنما الصوت داخل بيتي.. فإنني ما زلت أسمعُه.

وقُمتُ مرةً وقلتُ في نفسي: لعل الأبناء نسوا التلفاز مشغلًا وناموا دون إطفائه.. وكنت أمشي برفق وتؤدةٍ حتى أعرف ما الخبر.

وفعلًا وصلت إلى الباب فاتضح لي أن الأصوات من داخل هذه الغرفة، تحسست يد الباب فإذا بها محكمة (مقفلة) حاولت أن أرى الخبر عبر الثقوب لكن دون فائدة، فالباب محكم بعناية، شككت في الأمر، وعاد قلبي ينبضُ بسرعةٍ من جديد.. فالوقت متأخر جدًا.. ويوشك أن ينطلق صوت مؤذن الفجر وأبنائي ما زالوا يسمرون، عدت إلى غرفتي

عازمًا على المساءلة والتأنيب غدًا.

وقبل أن ألج الغرفة تذكرت بابًا للغرفة من الجانب الآخر فاتجهت إليه، ولما وصلت إليه ووضعت يدي على قبضة الباب، انفرج بسهولة.

نظرتُ ونظرتُ.. تأملت جيدًا في الذي رأيته أمامي.. ماذا أفعل يا الله.. اضربُ رأسي علني في حلم عابر.. لا، بل في مصيبة كبيرة وعارٍ فظيعٍ.. إنها المصيبة فعلًا.. إنها المأساة حقًا.. إنها الجروح الدامية.. والعار والفضيحة.

إنها النهاية المرة.. لقد رأيت يا صاحبي الولد يَقَعُ على أخْتِهِ.. وقد فَضَّ بكَارَتَهَا وأهانَ كرامتها، لم أتمالك نفسي من هول ما رأيت أطلقت صوتًا مذهلًا، سقطتُ مغشيًا علي.. فقامت زوجتي فزعة، لتقف بنفسها على المأساة، لقد رأت مَا لَم يكُن في الحسبان.. الأخُ ينتهكُ حرمةَ أختهِ.

آهٍ وألفُ آهٍ من هذا الطبق المشؤوم.. هذا الطبق الذي هتك ستر البيت وشوه حاله، وقضى فيه مع مر الأيام على الفضيلة والعفة وأبدلها بآثار العار المخزية، بنت في سن العشرين تنتظر المولود القادم من فعل أخيها التائه الفاجر.

سعادة الأسرة المنتظرة بأحلام المستقبل القريب ضاعت تحت كنف ذلك الطبق اللئيم.

عدت أتذكر ذلك المجتمع الذي طرق بيتي وحاول دون وصول ذلك الطبق المشؤوم إلى أهلي وبيتي، ثم أتذكر حال الزملاء وحديثهم حول هذه القنوات التافهة التي يتهافت عليه كثير من المسلمين في أيامنا هذه وفي كل يوم تزداد سوءًا وبلاءً وفتنةً.. فأنا اليوم عاجزٌ عن البوح بما لقيت لأدنى قريب، وقد وقعت المأساة ولا سبيل إلى النجاة.

وأخيرًا أخرجتُ ذلك الطبق عن سطح منزلنا، لكن بعد وقوع وصمة العار داخل أرجاء المنزل.

فوا أسفاهُ على العفةِ التي ذهبت.. وا أسفاه على الغيرة التي نسيت..

وآ أسفاهُ على النصيحة يوم بُذلت دون أن أرعيها أي عناية . .

هذه قصتي أسردها اليوم وكلماتها أثقل من الحديد في فمي، إن وقعها أشد من ضرب السياط في جسدي، وعارها ألصقُ شيء بعفتي وعفة أسرتي، لكنني أحببت أن أنقلها فتعيها الآذانُ الصاغيةُ، وتستفيد منها النفوس الغافلة وإلا فعند غيري أكثر مما ذكرتُ . . لكنهم إما لم يعثروا عليها حتى الآن، أو أن نفوسهم ضعفت عن الحديث بها، وهَا أنا ذا أبرأ إلى الله وأخرج من جور المساءلة غدًا عند الله بذكر هذه الآثار ولا حجة بعد ذلك لمخلوق، اللهم إني قد بلغتُ، اللهم فاشهد.



المكالمةُ الهاتفيّة الّتي غيّرت حَياتي

رنين الهاتف يعلو شيئًا فشيئًا.. والشيخ محمد يغطُّ في سُباتٍ عميقٍ..

لم يقطعه إلا ذلك الرنين المزعج.. فتح محمد عينية.. ونظر في الساعة الموضوعة على المنضدة بجواره.. فإذا بها تشير إلى الثانية والربع بعد منتصف الليل!!.

لقد كان الشيخ محمد ينتظر مكالمة مهمة.. وحين رن الهاتف في هذا الوقت المتأخر.. ظن أنها هي المكالمة المقصودة.. فنهض على الفور من فراشه.. ورفع سماعة الهاتف.. وبادر قائلًا: نعم!! السلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

فسمع على الطرف الآخر.. صوتًا أنثويًا ناعِمًا يقولُ:

لو سمحت هل من الممكن أن نسهر الليلة سويًا عبر سماعة الهاتف؟!.

فرد عليها باستغراب ودهشة قائلًا: ماذا تقولين؟!! مَن أنتِ؟!!.

فردتْ عليه بصوتٍ ناعمٍ متكسرٍ: أنَا اسمي (أشواق) وأرغب في التعرف عليك.. وأن نكون أصدقاء وزملاء.. فهل عندك مانِع؟!!.

أدرك الشيخ محمد أن هذه فتاة تائهة حائرة.. لم يأتها النوم بالليل.. لأنها تعاني من أزمة نفسية أو عاطفية.. فأرادت أن تهرب منها بالعبث بأرقام الهاتف!!.

فقال لها: ولماذا لم تنامي حتى الآن يا أختي؟!!.

فأطلقت ضحكة مدوية وقالت: أنام بالليل؟!! وهل سمعت بعاشق ينام الليل؟!! إن الليل هو نهارُ العاشقين.

فردَّ عليها ببرودٍ: أرجوك إذا أردتِ أن نستمر في الحديث.. فابتعدي

عن الضحكات المجلجلة والأصوات المتكسرة.. فلست ممن يتعلق قلبه بهذه التفاهات.

تلعثمت الفتاة قليلًا.. ثم قالت: أنا آسفةٌ.. لم أكن أقصدُ.

فقال لها محمد ساخرًا: ومن سعيد الحظ الذي وقعت في عشقه وغرامه؟.

فردتْ عليه قائلةً: أنتَ بالطبعِ.

فقال مستغربًا: أنا.!! وكيف تعلقت بي وأنت لا تعرفينني ولم تريني بعد؟!!.

فقالت له: لقد سمعت عنك الكثير من بعض زميلاتي في الكلية.. وقرأت لك بعض المؤلفاتِ.. فأعجبني أسلوبها العاطفي الرقيق.. والأذُنُ تعشقُ قبل العين أحيانًا.

قال لها محمد: إذن أخبريني بصراحةٍ.. كيف تقضين الليل؟.

فقالت له: أنا ليليًا أكلمُ ثلاثةَ أو أربعة شبابٍ!!.. أنتقلُ منْ رقمٍ إلى رقَم.. ومِن شاب إلى شاب عبر الهاتف.. أعاكسُ هذا.. وأضحكُ مع هذاَ.. وأُمِنّي هَذا.. وأعِدُ هَذَا.. وأكذب على هذا.. وأسمع قصائد الغزل من هذا.. واستمع إلى أغنية من هذا.. وهكذا دواليك إلى أنْ يقرب الفجر!! وأردت الليلة أن أتصل بك لأرى هل أنت مثلهم، أم أنك تختلف عنهم؟!!.

فقال لها: ومع من كنت تتكلمين قبل أن تهاتفيني؟!!..

سكتت قليلًا.. ثم قالت: بصراحة كنت أتحدث مع (وليد).. إنه عشيق جديد.. وشاب وسيم أنيق.. رمى لي الرقم اليوم في السوق.. فاتصلت به وتكلمت معه قرابة نصف الساعة.

فقال لها الشيخُ محمد على الفور: ثم ماذا؟! هل وجدت لديه ما تبحثين عنه؟.

فقالت بنبرة جادة حزينة: بكل أسف لم أجد عنده ولا عند الشباب الكثيرين الذين كلمتهم عبر الهاتف أو قابلتهم وجهًا لوجه ما أبحث عنه..

لم أجد عندهم ما يشبع جوعي النفسي ويروي ظمأي الداخلي.

سكتت قليلًا.. ثم تابعت: إنهم جميعًا شباب مراهقون شهوانيون.. خونة.. كذبة.. مشاعرهم مصطنعة.. وأحاسيسهم الرقيقة ملفقة.. وعباراتهم وكلماتهم مبالغ فيها.. تخرج من طرف اللسان لا من القلب.. ألفاظهم أحلى من العسل.. وقلوبهم قلوب الذئاب المفترسة.. هدف كل واحد منهم أن يقضي شهوته القذرة معي.. ثم يرميني كما يرمى الحذاء البالي.. كلهم تهمهم أنفسهم فقط، ولم أجد فيهم إلى الآن- على كثرة من هاتفت من الشباب- من يهتم بي لذاتي ولشخصي.. كلهم يحلفون لي بأنهم يحبونني ولا يعشقون غيري، ولا يريدون زوجة لهم سواي، وأنا أعلم أنهم في داخلهم يلعنونني ويشتمونني، كلهم يمطرونني عبر السماعة بأرق الكلمات وأعذب العبارات.. ثم بعد أن يقفلوا السماعة، يسبونني ويصفونني بأقبح الأوصاف والكلمات.

إن حياتي معهم حياة خداع ووهم وتزييف، كل منا يخادع الآخر.. ويوهمه بأنه يحبه.

وهنا قال لها الشيخ محمد: ولكن أخبريني: ما دمت لم تجدي ضالتك المنشودة عند أولئك الشباب التائهين التافهين، فهل من المعقول أن تجديها عندي!! أنا ليس عندي كلمات غرامٍ، ولا عبارات هيامٍ، ولا أشعار غزَلٍ، ولا رسائلُ معطرةٌ.

فقاطعته قائلة: بالعكسِ أشعرُ- ومثلي كثيرٌ من الفتيات- أن ما نبحث عنه هو موجود لدى الصالحين أمثالك، إننا نبحث عن العطاء والوفاء، نبحث عن الأمان، نطلب الدفء والحنان، نبحث عن الكلمة الصادقة التي تخرج من القلب لتصل إلى أعماق قلوبنا.. نبحث عمن يهتم بنا ويراعي مشاعرنا، دون أن يقصد من وراء ذلك هدفًا شهوانيًا خسيسًا.. نبحث عمن يكون لنا أخًا رحيمًا، وأبًا حنونًا، وزوجًا صالحًا.

إننا باختصار نبحث عن السعادة الحقيقية في هذه الدنيا، نبحث عن معنى الراحة النفسية نبحث عن الصفاء، عن الوفاء، عن البذل والعطاء.

فقال لها محمد والدموع تحتبس في عينيه حزنًا على هذه الفتاة التائهة الحائرة: يبدو أنك تعانين من أزمة نفسية، وفراغ روحي، وتشتكين همًّا وضيقًا داخليًا مريرًا، وحيرة وتيهًا وتخبطًا، وتواجيهن مأساةً عائليةً، وتفككًا أسريًا.

فقالت لهُ: أنت أول شخصٍ يفهم نفسيتي ويدرك ما أعانيه من داخلي.

فقال لها: إذن حدثيني عنك وعن أسرتك قليلًا، لتتضح الصورة عندي أكثر.

فقالت الفتاة: أنا أبلغ من العمر عشرين عَامًا، وأسكُنُ مع عائلتي المكونة من أبي وأمي وثلاثة أخوة وثلاثِ أخواتٍ، وإخوتي وأخواتي جميعهم تزوجوا إلا أنا وأخي الذي يكبرني بعامين، وأنا أدرس في الجامعة.

فقال لها: ماذا عن أمك؟ وماذا عن أبيك؟

فقالت: أبي رجل غني مقتدر ماليًا، أكثر وقته مشغول عنا بأعماله التجارية، وهو يخرج من الصباح ولا أراه إلا قليلًا في المساءِ.. وقلما يجلسُ معنا، والبيت عندهُ مجردُ أكلٍ وشربٍ ونوم فقط.

ومنذ أن بلغتُ لم أذكُر أنني جلستُ مع أبي لَوحدنا، أو أنه زارَني في غُرفَتي، مع أنني في هذه السن الخطيرة في أشد الحاجة إلى حنانه وعطفه، آه كم أتمنى أن أجلس في حضنه وأرتمي على صدره، ثم أبكي وأبكي وأبكي لتستريح نفسي ويهدأ قلبي.

وهنا أجهشتِ الفتاةُ بالبكاءِ، ولم يملك محمدٌ نفسهُ فشاركها بدموعه الحزينة.

بعد أن هدأتِ الفتاةُ واصلتْ حديثها قائلة:

لقد حاولت أن أقترب منه كثيرًا، ولكنه كان يبتعد عني، بل إنني في ذات مرة جلست بجواره واقتربت منه ليضمني إلى صدره، وقلت لهُ:

أبي محتاجَةٌ إليكَ يا أبي، فلا تترُكني أضيعُ.

فعاتبني قائلًا: لقد وفرتُ لك كل ما تتمناه أي فتاة في الدنيا، فأنت

لديك أحسن أكلٍ وشربٍ ولباسٍ، وأرقى وسائل الترفيه الحديثة فما الذي ينقصك؟!!.

سكتُّ قليلًا، وتخيلتُ حينَها أنني أصرُخُ بأعلى صوتي قائلةً: أبي أنا لا أريدُ منك طَعَامًا ولا شرابًا ولا لِباسًا، ولا ترَفًا ولا ترفيهًا، إنني أريدُ منك حنانًا، أريد منك أمانًا، أريد صدرًا حنونًا.. أريد قلبًا رحيمًا، فلا تضيعني يا أبي.

ولما أفقت من تخيلاتي وجدت أبي قد قام عني وذهب لتناول طعام الغداء.

وهنا قال لها محمد: هوني عليك فلعل أباك نشأ منذ صغره محرومًا من الحنان والعواطف الرقيقة، وتعلمين أن فاقد الشيء لا يعطيه، ولكن ماذا عن أمكِ؟ أكيد إنها حنونة رحيمة؟ فإن الأنثى بطبعها رقيقة مرهفة الحس.

قالت الفتاة: أمي أهون من أبي قليلًا، ولكنها بكل أسفٍ تظن الحياة أكلًا وشربًا ولبسًا وزيارات فقط، لا يعجبها شيء من تصرفاتي، وليس لديها إلا إصدار الأوامر بقسوةٍ، والويلُ كل الويل لي إن خالفت شيئًا من أوامرها، وقاموس شتائمها أصبح محفوظًا عندي، لقد تخلت عن كل شيءٍ في البيت ووضعته على كاهلي وعلى كاهل الخادمة، وليت الأمر وقف عند هذا، بل إنها لا يكاد يرضيها شيء، ولا همّ لها إلا تصيد العيوب والأخطاء، ودائمًا تعيرني بزميلاتي وبنات الجيران الناجحات في دراستهن، أو الماهرات في الطبخ وأعمال البيت، وأغلب وقتها تقضيه في النوم، أو زيارة الجيران وبعض الأقارب، أو مشاهدة التلفاز ولا أذكر منذ سنين أنها ضمتني مرة إلى صدرها أو فتحت لي قلبها.

قال لها محمد: وكيف هي العلاقة بين أبيك وأمك؟

فقالت الفتاة: أحس وكأن كلًا منهما لا يبالي بالآخر، وكلًا منهما يعيش في عالم مختلفٍ، وكأن بيتنا مجردُ فندقٍ نجتمع فيه للأكلِ والشربِ والنومِ فقط.

حاول محمد أن يعتذر لأمها قائلًا: على كل حال هي أمك التي ربتكِ، ولعلها هي الأخرى تعاني من مشكلة مع أبيك فانعكس ذلك على تعاملها معك، فالتمسي لها العذر، ولكن هل حاولت أن تفتحي لها قلبك وتقفي إلى جانبها؟ فهي بالتأكيد مثلك تمر بأزمة داخلية نفسية.

فقالت الفتاة مستغربة: أنا أفتح لها صدري، وهل فتحت هي لي قلبها؟ إنها هي الأم ولست أنا، إنها وبكل أسفٍ قد جعلت بيني وبينها- بمعاملتها السيئة لي- جدارًا وحاجزًا لا يمكن اختراقه.

فقال لها محمدٌ: ولماذا تنتظرين أن تبادر هي إلى تحطيم ذلك الجدار؟ لماذا لا تكونين أنت المبادرة؟ لماذا لا تحاولين الاقتراب منها أكثر؟.

فقالت: لقد حاولت ذلك واقتربت منها ذات مرة، وارتميت في حضنها، وأخذت أبكي وأبكي، وهي تنظر إلي باستغراب وقلتُ لها: أماه: أنا محطَّمةٌ منْ داخلي، إنني أنزفُ من أعماقي، قفي معي ولا تتركيني وحدي، إنني أحتاجك أكثر من أي وقت مضى.

فنظرت إلي مندهشة، ووضعت يدها على رأسي تتحسس حرارتي، ثم قالت: ما هذا الكلام الذي تقولينه؟ إما أنك مريضةٌ، وقد أثر المرض على تفكيرك، وإما أنك تتظاهرين بالمرض لأعفيك من بعض أعمال المنزل، وهذا مستحيل جدًا، ثم قامت عنى ورفعت سماعة الهاتف تحادث إحدى جاراتها.. فتركتها وعدتُ إلى غرفتي أبكي دمًا في داخلي قبل أن أبكي دموعًا.

ثم انخرطت الفتاة في بكاء مرير.

حاول محمدٌ أن يغير مجرى الحديث فسألها: وما دور أخواتك وإخوتِكِ الآخرين؟.

فقالت: إنه دور سلبي للغاية، فالإخوان والأخوات المتزوجات كل منهم مشغول بنفسه، وإذا تحدثت معهم عن مأساتي، سمعت منهم الجواب المعهود: وماذا ينقصك؟ احمدي ربك على الحياة المترفة التي تعيشين فيها.

وأما أخي غير المتزوج فهو مثلي حَائِرٌ تائه، أغلب وقته يقضيه خارج المنزل مع شلل السوء ورفقاء الفساد، يتسكع في الأسواق وعلى الأرصفة.

أراد الشيخ محمد أن يستكشف شيئًا من خبايا نفسية تلك الفتاة فسألها: إن من طلب شيئًا بحث عنه وسعى إلى تحصيله، وما دمتِ تطلبين السعادة والأمان الذي يسد جوعك النفسي، فهل بحثت عن هذه السعادة؟.

فقالت الفتاة بنبرة جادةٍ: لقد بحثت عن السعادة في كل شيءٍ فما وجدتها.

لقد كنت ألبس أفخر الملابس وأفخمها من أرقى بيوتِ الأزياء العالمية، ظنًّا مني أن السعادة حين تشيرُ إلى ملابسي فلانة، أو تمدحها وتثني عليها فلانة، أو تتابعني نظراتُ الإعجابِ من فلانةٍ، ولكنني سرعان ما اكتشفت الحقيقة الأليمة في أن ذلك سعادة زائفة وهميةٌ، لا تدوم إلا ساعة بل أقل من ذلك، ثم تصبح تلك الأزياء الفاخرة التي كنت أظن أن السعادة فيها مثل سائر ملابسي القديمة، ويعود الهم والضيق والمرارةُ إلى نفسي، وأشعر بالفراغ والوحدة تحاصرني من كل جانبٍ، ولو كان حولي مئات الزميلات والصديقات.

ظننت أن السعادة في الرحلات والسفرات، والتنقل من بلد لآخر ومن شاطئ لآخر ومن فندق لفندق فكنت أسافر مع والدي وعائلتي لنطوف العالم في العطل.. ولكني كنتُ أعودُ من كل رحلة وقد زاد همي وضيقي، وازدادت الوحشة التي أشعر بها تجتاح كياني.

وظننت أن السعادة في الغناء والموسيقى، فكنت أشتري أغلب أشرطة الأغاني العربية والغربية التي تنزل إلى الأسواق فور نزولها، وأقضي الساعات الطوال في غرفتي في سماعها والرقص على أنغامها طمعًا في تذوق معنى السعادة الحقيقية، ورغبة في إشباع الجوع النفسي الذي أشعر به، وظنًّا مني أن السعادة في الغناء والرقص والتمايل مع الأنغام، ولكنني

اكتشفت أنها سعادة وهمية، لا تمكثُ إلا دقائق معدودة أثناء الأغنية، ثم بعد الانتهاء منها يزداد همي، وتشتعل نار غريبة في داخلي، وتنقبض نفسي أكثر وأكثر. . فعمدت إلى كل تلك الأشرطة فأحرقتها بالنار، عسى أن تنطفئ النارُ التي بداخلي.

وظَنَنْتُ أن السعادة في مشاهدة المسلسلات والأفلام والتنقل بين الفضائيات. . فعكفت على أكثر من ثلاثين قناة، أتنقل بينها طوال يومي، وكنت أركز على المسلسلات والأفلام المضحكة ظنًّا مني أن السعادة هي في الضحك والفرفشةِ والمرحِ.

وبالفعل كنتُ أضحك كثيرًا وأنا أشاهدها وأتنقل من قناةٍ لأخرى، لكنني في الحقيقة كنت وأنا أضحك بفمي أنزف وأتألم من أعماق قلبي، وكلما ازددت ضحكًا وفرفشة ازداد النزيف الروحي.

وتعمقتِ الجراح في داخلي، وحاصرتني الهموم والآلام النفسية، وسمعتُ من بعض الزميلات أن السعادة في أن أرتبط مع شابٍّ وسيمٍ أنيقٍ يبادلني كلماتِ الغرامِ. . ويبثني عبارات العشقِ والهيام، ويتغزلُ بمحاسني كل ليلةٍ عبر الهاتف، وسلكتُ هذا الطريق وأخذتُ أتنقل من شابٍّ لآخر بحثًا عن السعادة والراحة النفسية، ومع ذلك لم أشعر بطعم السعادة الحقيقية، بل بالعكس مع انتهاء كل مقابلة أو مكالمةٍ هاتفية، أشعر بالقلق والاضطراب يسيطر على روحي، وأشعر بنار المعصية تشتعل في داخلي، وأدخل في دوامة من التفكير المضني والشرود الدائم، وأشعر بالخوف من المستقبل المجهول يملأ عليَّ كياني، فأحس وكأنني هربت من جحيم إلى جحيم أبشع منه.

سكتت الفتاة قليلًا. . ثم تابعت قائلةً: ولذلك لابد أن تفهموا وتعرفوا نفسية ودوافع تلك الفتيات اللاتي ترونهن في الأسواق وهن يستعرضنَ بملابسهن المثيرة، ويغازلن ويعاكسن ويتضاحكن بصوتٍ مرتفعٍ، ويعرضنَ لحومهن ومحاسنهن ومفاتنهن للذئاب الجائعة العاوية من الشباب التافهين، إنهن في الحقيقة ضحايا ولسن بمجرمات، إنهن في الحقيقة مقتولاتٌ لا

قاتلاتٌ، إنهن ضحايا الظلم العائلي، إنهن حصادُ القسوةِ والإهمال العاطفي من الوالدين، إنهن نتائج التفكك الأسري والجفاف الإيماني، إن كل واحدةٍ منهن تحملُ في داخلها مأساةً مؤلمةً دامية هي التي دفعتها إلى مثل هذه التصرفات الحمقاء، وهي تعرض نفسها على الذئاب المفترسة التي تملأ الأسواق والشوارع، وإن الغريزة الشهوانية الجنسية لا يمكن أن تكون لوحدها هي الدافع للفتاة المسلمة لكي تعرض لحمها وجسدها في الأسواق، وتبتذل وتهين نفسها بالتقاط رقم فلانٍ، وتبيع كرامتها بالركوب في السيارة مع فلانٍ، وتهدر شرفها بالخلود مع فلانٍ.

فبادرها محمدٌ قائلًا: ولكن يبرز هنا سؤال مهم جدًا، وهو: هل مرور الفتاةِ بأزمة نفسيةٍ ومأساةٍ عائليةٍ يبرر لها ويسوغ لها أن تعصي ربها تعالى، وتبيع عفافها وتتخلى عن شرفها وطهرها، وتعرض نفسها لشياطين الإنس؟ هل هذا هو الحل المناسب لمشكلتها ومأساتها؟ هل هذا سيغير من واقعها المرير المؤلم شيئًا؟.

فأجابت الفتاةُ: أنا أعترف بأنه لن يغير شيئًا من واقعها المرير المؤلم، بل سيزيد الأمر سوءًا ومرارةً، وليس مقصودي الدفاعُ عن أولئك الفتياتِ، إنما مقصودي أنكم إذا رأيتموهن فارحموهن وأشفقوا عليهن، وادعوا لهن بالهداية ووجهوهن، فإنهن تائهاتٌ حائراتٌ يحسبن أن هذا هو الطريق الموصل للسعادة التي يبحثن عنها.

سكتت الفتاةُ قليلًا، ثم تابعت قائلةً: لقد أصبحت أشك أن هناك سعادةً حقيقيةً في هذه الدنيا، وإذا كانت موجودة بالفعل فأين هي؟ وما هو الطريق الموصلُ إليها؟ فقد مللتُ من هذه الحياة الرتيبة الكئيبة.

فقال لها الشيخ محمدٌ: أختاه لقد أخطأتِ طريق السعادةِ، ولقد سلكت سبيلًا غير سبيلها فاسمعي مني لتعرفي طريق السعادة الحقة.

إن السعادة الحقيقية أن تلتجئي إلى الله تعالى وتتضرعي له وتنكسري بين يديه، وتقومي لمناجاته في ظلام الليل ليطرد عنك الهموم والغموم، ويداوي جراحك، ويفيض على قلبك السكينة والانشراح.

أختاهُ إذا أردت السعادة فاقرعي أبواب السماء بالليل والنهارِ، بدلًا من قرع أرقام الهاتف على أولئك الشباب التافهين الغافلين الضائعين.

صدقيني يا أختاهُ أن الناس كلهم لن يفهموك ولن يقدروا ظروفك ولن يفهموا أحاسيسك، وحين تلجئين إليهم فمنهم من سيشمتُ بك أو سيسخر من أفكارك، ومنهم من سيحاول استغلالك لأغراضه ومآربه الشخصية الخسيسة، ومنهم من سيرغب في مساعدتك ولكنه لا يملك لك نفعًا ولا ضرًا.

أختاه إنك لن تجدي دواءً لمرضك النفسي ولعطشك وجوعك الداخلي إلا البكاء بين يدي الله تعالى، ولن تشعري بالسكينة والطمأنينة والراحة إلا وأنت واقفة بين يديه، لتناجيه ولتسكبي عبراتك الساخنة، وتطلقي زفراتك المحترقة على أيام الغفلة الماضية.

قالت الفتاةُ والعبرةُ تخنقها: لقد فكرت في ذلك كثيرًا، ولكن الخجل من الله والحياء من ذنوبي وتقصيري يمنعني من ذلك، إذ كيف ألجأ إلى اللهِ وأطلب منه المعونة والتيسير وأنا مقصرة في طاعته، مبارزة له بالذنوب والمعاصي.

فقال لها محمدٌ: سبحان الله، يا أختاه إن الناس إذا أغضبهم شخص وخالف أمرهم غضبوا عليه ولم يسامحوه، وأعرضوا عنه ولم يقفوا معه في الشدائد والنكبات، ولكن الله لا يغلق أبوابه في وجه أحد من عباده ولو كان من أكبر العصاة وأعتاهم، بل متى تاب المرء وأناب فتح الله له أبواب رحمته، وتلقاه بالمغفرة والعفو، بل حتى إذا لم يتب إليه، فإنه جل وعلا يمهله ولا يعاجله بالعقوبة، بل يناديه ويرغبه في التوبة والإنابة، أما علمت أن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: **«إني والجِنُّ والإنسُ في نَبأٍ عَظيمٍ، أَخلقُ ويُعبدُ غيري، وأَرزقُ ويُشكرُ غيري، خيري إلى العبادِ نازلٌ وشرُّهم إليّ صاعدٌ، أتحبَّبُ إليهم بِنِعمَتِي وأنا الغنيُّ عنهم، ويتبغضونَ إليّ بالمَعاصِي وَهُمُ الفُقَراءُ إليّ، مَن أقبَلَ منهم إليّ تلقَّيتُهُ من بعيدٍ، ومَن أعرَضَ عني منهم ناديتهُ من قريبٍ، أهلُ معصيتي لا أقنطهُم مِن رحمتِي، إنْ تابُوا إليّ فأنا حبيبهُم، فإني أحبُّ التوابين والمتطهرين، وإنْ تباعدوا عني فأنا طبيبهُم، أبتليهِم بالمصائبِ لأطهرهم من الذنوبِ**

والمعايِبِ، رحمتي سبقتْ غَضِبي، وحلمي سبق مُؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبادي من الوالدةِ بولدها».

وما كاد محمدٌ ينتهي من ذلك الحديث القدسي حتى انفجرت الفتاةُ بالبكاء، وهي تردد: ما أحلم الله بنَا. . مَا أرحَم الله بِنَا.

بعد أن هدأت الفتاةُ واصل الشيخ محمد حديثه قائلًا: أختاهُ إنني مثلك أبحث عن السعادة الحقيقية في هذه الدنيا، ولقد وجدتها أخيرًا، وجدتها في طاعة الله، في الحياة مع اللهِ وفي ظل مرضاته، وجدتها في التوبة والأوبة، وجدتها في الاستغفار من الحوبة، وجدتها في دموع الأسحار، وجدتها في مصاحبة الصالحين الأبرار، وجدتها في بكاء التائبين، وجدتها في أنين المذنبين، وجدتها في استغفار العاصين، وجدتها في تسبيح المستغفرين، وجدتها في الخشوع والركوع، وجدتها في الانكسار للهِ والخضوع، وجدتها في البكاء من خشية اللهِ والدموع، وجدتها في الصيام والقيام، وجدتها في امتثال شرع الملكِ العلامِ، وجدتها في تلاوة القرآن، وجدتها في هجرِ المسلسلات والألحانِ.

أختاه لقد بحثتُ عن الحب الحقيقي الصادق فوجدت أن الناس إذا أحبوا أخذوا، وإذا منحوا طلبوا، وإذا أعطوا سلبوا، ولكن الله تعالى إذا أحب عبده أعطاه بغير حسابٍ، وإذا أطيع جازى وأثاب.

أيتُها الغاليةُ: إن الناس لا يمكنُ أن يمنحونَا ما نبحث عنه من صدقٍ وأمانٍ، وما نطلبه من رقةٍ وحنانٍ وما نتعطش إليه منْ دفءٍ وسلوانٍ، لأن كُلًا منهم مشغولٌ بنفسه، مهتم بذاته، ثم إن أكثرهم محروم من هذه المشاعر السامية والعواطف النبيلة، ولا يعرفُ معناها فضلًا عن أن يتذوق طعمها، ومن كانت هذه حالهُ، فهو عاجزٌ عن منحها للآخرينَ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيهِ كما هو معروفٌ.

أختاهُ لن تجدي أحدًا يمنحكِ ما تبحثين عنه إلا ربكِ ومولاكِ، فإن الناس يغلقون أبوابهم وبابه سبحانه مفتوح للسائلين، وهو باسط يده بالليل والنهارِ، ينادي عباده: تعالوا إليَّ هلموا إلى طاعتي لأقضي حاجتكم،

وأمنحكم الأمان والراحة والحنان، كما قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

أختاهُ إن السعادة الحقيقية لا تكون إلا بالحياة مع الله والعيش في كنفه سبحانه وتعالى.. لأن في النفس البشرية عامةً ظمأ وعطشًا داخليًا، لا يرويه عطفُ الوالدين، ولا يسده حنان الأخوة والأقارب، ولا يشبعه حبُ الأزواج وغرامهم وعواطفهم الرقيقة، ولا تملؤه مودة الزميلاتِ والصديقاتِ، فكل ما تقدم يروي بعض الظمأ، ويسقي بعض العطش، لأن كل إنسان مشغول بظمأ نفسه، فهو بالتالي أعجزُ عن أن يحقق الري الكامل لغيره، ولكن الري الكامل والشبع التام لا يكونُ إلا باللجوء إلى الله تعالى، والعيش في ظل طاعته، والحياة تحت أوامره، والسير في طريق هدايته ونوره، فحينها تشعرين بالسعادة التامة، وتتذوقين معنى الحب الحقيقي، وتحسين بمذاق اللذة الصافية الخالية من المنغصات.

فهلا جربت هذا الطريق ولو مرة واحدة، وحينها ستشعرين بالفرق العظيم وسترين النتيجة بنفسك.

فأجابت الفتاة ودموع التوبة تنهمر من عينيها: نعم.. هذا واللهِ هو الطريق، وهذا هو ما كنت أبحث عنه، وكم تمنيت أنني سمعت هذا الكلام منذ سنين بعيدةٍ ليُوقظني من غفلتي وينتشلني من تيهي وحيرتي، ويلهمني طريق الصواب والرشد.

فبادرها محمدٌ قائلًا: إذن فلنبدأ الطريق من هذه اللحظة، فها هو ذا الفجر ظهر وبزغ وها هي ذي خيوط الفجر المتألقة تتسرب إلى الكون قليلًا قليلًا، وها هي ذي أصوات المؤذنين تتعالى في كل مكانٍ، تهتف بالقلوب الحائرة والنفوس التائية أن تعود إلى ربها ومولاها، وها هي ذي نسمات الفجر الدافئة الرقيقة تناديك أن عودي إلى ربك عودي إلى مولاك، فأسرعي وابدئي صفحة جديدة من عمرك، وليكن هذا الفجر هو يوم ميلادك الجديد، وليكن أول ما تبدئين به حياتك الجديدة ركعتين

تقفين بهما بين يدي الله تعالى، وتسكبين فيهما العبرات، وتطلقين فيهما الزفرات والآهاتِ على المعاصي والذنوب السالفات.

وأرجو أن تهاتفيني بعد أسبوعين من الآن لنرى هل وجدتِ طعم السعادةِ الحقيقية أم لا؟.

ثم أغلقَ محمد السماعة وأنهى المكالمة.

وبعد أسبوعين وفي الموعد المحدد اتصلت الفتاة بمحمدٍ ونبرات صوتها تطفح بالبشر والسرور وحروف كلماتها تكادُ تقفزُ فرحًا وحبورًا، ثم بادرت قائلةً: وأخيرًا وجدتُ طعم السعادة الحقيقية، وأخيرًا وصلت إلى شاطئ الأمان الذي أبحرت بحثًا عنه، وأخيرًا شعرتُ بمعنى الراحةِ والهدوء النفسي، وأخيرًا شربتُ من ماء السكنية والطمأنينة القلبية الذي كنت أتعطش إليه، وأخيرًا غسلتُ روحي بماءِ الدموعِ العذبِ الزلالِ فغدت نفسي محلقةً في الملكوتِ الأعلى، وأخيرًا داويتُ قلبي الجريح ببلسم التوبة الصادقة فكان الشفاء على الفور، لقد أيقنت فعلًا أنه لا سعادة إلا في طاعة اللهِ وامتثال أوامره، وما عدَا ذلك فهو سرابٌ خادعٌ ووهمٌ زائفٌ سُرعَانَ مَا يَنكَشِفُ وَيَزولُ.

وإني أطلب منك يا شيخ طلبًا بسيطًا، وهو أن تنشر قصتي هذه كاملة، فكثير من الفتيات تائهاتٌ حائراتٌ مثلي، ولعل الله أن يهديهن بها طريق الرشادِ.

فقال لها الشيخ محمدٌ: عسى أن تري ذلك قريبًا.

❁ ❁ ❁

ماذا يحدثُ في الصالونات
القصةُ الأولى

قال أحدُ التائبين يحكي قصة الضياع التي كان يمثلُ دور البطولة فيها فيقول وهو الشاهد على نفسه:

كنتُ أجريت اتفاقًا مع صاحبة صالون مشهور على أن تقوم بتصوير زبونات المحل عن طريق كاميراتٍ مخفيةٍ مقابل مبالغ مالية.

وكانت تضع الكاميرات في غرفة تجهيز العرائس كما يسمونها، حيث يقمن بنزع ثيابهن، وكانت صاحبة الصالون توجهن إلى الكاميرات بحجة الإضاءة وعدم الرؤية.. وكنا نأخذ هذه الأشرطة ونشاهدها بجلساتنا الخاصة ونتبادلها فيما بيننا، وكان بعضنا يتعرفُ على بعضِ الفتيات وبعضهن شخصيات معروفة.

وكنت من شدةِ وفظاعة ما أرى أمنع أخواتي وزوجتي من الذهاب لأي صالون لأنني لا أثقُ بمن يديرونها ولا في سلوكياتهم وأخلاقهم.

وفي إحدى المرات أحضرت لي صاحبة الصالون آخر شريط تم تسجيله لي حسب الاتفاق المبرم بيننا.. فشاهدت اللقطات الأولى منه فقط.. لأنني كنتُ على عجلٍ من أمري.. ومن فرط إعجابي به قمت بنسخه على عجل أيضًا.. ووزعته على أصدقائي الذين قاموا أيضًا بنسخة وتوزيعه.

وفي المساء اجتمعنا وجلسنا لنشاهد الشريط الذي أسال لعابنا جميعًا، ولم تخل الجلسة من التعليقات، حتى بدأت اللقطة الحاسمة حيث حضرت سيدة لم أتبين ملامحها في البداية ولكن ما إن جلست وقامت صاحبة الصالون بتوجيهها في الجلوس.. ثم نصحتها بأن تقلل أكثر فأكثر من ثيابها حتى تستطيع العمل وإلا توسخت ثيابها.. هنا وقفت مذهولًا وسط صفير أصدقائي لجمال قوامها، لقد كانت هذه المرأة ذات القوام الممشوق

الذي أعجب الجميع.. زوجتي.. زوجتي.. التي قمت بعرض جسدها على كثير من الشباب من خلال الشريط الملعون الذي وقع في أيدي الكثيرين من الرجال، والله وحده يعلم إلى أين وصل الآن؟.

قمتُ لأخرج الشريط من الفيديو وأكسره، وأكسر كل الأشرطة التي بحوزتي والتي كنت أفتخر دومًا بها، وبحصولي على أحلى أشرطة وأندرها لبنات عوائل معروفة وكثير منها مستورة.

وحين سُئِل هذا البطل: ألم تقل أنك منعت زوجتك وأهلك من الذهاب إلى أي صالون؟ قال: نعم. ولكن زوجتي ذهبت من دون علمي مع إحدى أخواتها وهذا ما عرفته لاحقًا.

وماذا فعلت بالأشرطة التي وزعتها هل جمعتها؟ قال: على العكس بل ازدادت توزيعًا بعد ما علموا أن من بالشريط هي زوجتي، وكان أعز أصدقائي وأقربهم إليّ أكثرهم توزيعًا للشريط.

وفي النهاية أعلم أن هذا عقاب من الله تعالى لي لاستباحتي أعراض الناسِ، ولقد استفدت من هذه المحنة كثيرًا، حيث عرفتُ أن الله تعالى حقّ، وعدتُ لصوابي، وعرفتُ الصالح والفاسد من أصدقائي، وتعلمتُ أن صديق السوء لا يأتي إلا بالسوءِ.. وأن هذه الحياة وفاءٌ ودينٌ.. وكما تدينُ تُدانُ.

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدخُلِ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[رواه الترمذي، وهو حديث صحيح].

القصّةُ الثانيةُ

أحد الشباب حدثني بحادثة وقعت له في الصالوناتِ، فقال: ذات مرةٍ كان عندنا مناسبة زواجٍ فذهبتُ بزوجتي إلى أحدِ الصالوناتِ وأنزلتها أمام الصالون هي وابنتي الصغيرة على أن أعود آخذها بعد ساعةٍ.

وفعلًا.. بعد الوقت المقرر رجعت لأخذها فوجدتها واقفة بعيدًا عن الصالون فأركبتها في السيارة وسألتها متعجبًا: ما بِكِ واقفةً في هذا المكانِ؟.

فقالت: حين دخلتُ إلى الصالون.. سقتني صاحبة الصالون كوب عصير فشعرتُ بدوار وكاد يغمى عليّ فأحسست بالخوفِ خصوصًا وأنها كانت تكلم رجلًا في الهاتف وهي تقول له: (ألن تأتي لتأخذ ابنك) فازداد خوفي وشعرت أن في الأمرِ مكيدةً، فلم أملك إلا أن هربت من الصالون راكضةً وخلفتُ ابنتي ورائي، ويظهر أنهم خافوا فجاؤوا بالبنت ورائي..

يقول المتحدث: وبعد فترةٍ سألت عن هذا الصالون، وقد كان مغلقًا فقيل لي: أغلقِ لأنه اكتشف أنه كان وكرًا للدعارةِ والعياذ بالله تعالى.



القصة الثالثة

إحدى السيداتِ كانت من مرتادي الصالونات بين الحين والآخر ووصلت إلى قناعة كبيرة أن هذه الصالونات ما هي إلا ستارٌ تدارُ من خلفهِ أعمالٌ مشبوهةٌ كثيرة.. تقول هذهِ السيدةُ:

أنا كأي امرأة تذهب إلى صالون التجميل للأغراض الخاصة بالنساء، وكنت أتردد على أحد الصالونات ذات السمعة والشهرة حتى أصبحت زبونة دائمة عندهم، واستمر الحال هكذا فترةً طويلةً حتى لاحظتُ في مرةٍ من المراتِ دخول أحد الشباب إلى الصالون، ولأول وهلة تصورتُ أنه أحدُ الذين جاؤوا لاصطحاب زوجته أو أخته مثلًا، لكن رأيت هذا الشاب تستقبله مديرة الصالون بحفاوةٍ، وأدْخَلَتْهُ إلى غرفةٍ جانبيةٍ، وبعد فترةٍ ليست بالقصيرة خرج الشاب من الغرفة منصرفًا..!

في بَادئ الأمرِ لم أعر الأمر اهتمامًا ولم يخيل إلى أنه كان بالغرفة لأمرٍ مشبوهٍ فالصالون يتمتع بسمعة جيدة!.

وما كان ليخطر ببالي أن الصالون يستخدم لأغراض غير التي خصص لها، لكن في المرة الثانية تكرر نفس الموقف، ودخل أحدُ الشباب واستقبلته مديرة الصالون وأدخلته نفس الغرفة، وبعد فترةٍ خرج منها إلا أنه في هذه المرة وبعد خروج الشاب بدقائق خرجت إحدى الفتيات من الغرفة نفسها كانت تعملُ في الصالون، فأثار هذا الأمر انتباهي وشكوكي، ومع مرور الوقت تبين لي بعد ذلك أن هذا الصالون كان وكرًا للدعارة والعياذ بالله تعالى!!

القصّةُ الرّابعةُ

إحدى خبيرات التجميل تروي قصتها مع العمل داخل الصالونات، فتقول: عندما وصلت من بلدي أخذتُ أبحثُ عن عملٍ يناسبني ويناسب خبراتي، فوقعت عيني ذات مرةٍ على إعلانٍ في إحدى الصحف عن حاجة إحدى الصالونات لعاملاتٍ، فانطلقتُ بسرعةٍ لتقديم طلبي بُغية الحصول على هذه الفرصةِ، وبعد أن رأتني صاحبة الصالون وافقت فورًا على عملي بالصالُون!!.

وانتظمتُ في العمل وبذلتُ كل جهدي في عملي الذي كنتُ سعيدَةً جدًا به، لكن فرحتي لم تدم طويلًا، فقد شعرتُ أن هناك أمورًا غير طبيعية يخفونها عني، فلقد شعرتُ أن الطلبات الخارجية تكثُرُ أثناءَ العمل في هذا الصالون، يرن الهاتف فترد صاحبة الصالون وتتحدث بطريقة مريبةٍ، ثم تنادي على إحداهن فتقول لها:

إن لك طلبًا خارجيًا فأنتِ مطلوبةٌ الآن.. وتتعالى الضحكاتُ، وتذهب إلى المكان المحدد مع أخذ كيسٍ في يدها- أظن أنه يحتوي على أدوات العمل- وكان هناك سائق خاص يقوم بتوصيلها وإعادتها بعد الانتهاء من مشوارها، وعندما تعود الفتاة من الطلب الخارجي تعطي صاحبة الصالون النقود التي حصلت عليها لتعطيها نصيبها وتأخذ الباقي..

والذي جعلني في شك من أمرهم جميعًا أنني كلما طلبت منهن أن أذهب معهن ضحكن وقلن لي: ليس الآن، وهكذا بقيتُ في حيرةٍ من أمرهن حتى اكتشفت ذات يوم وبالصدفة أن هذه الطلبات لا يستطيع القيام بها إلا من لديه استعدادٌ للتخلي عن الشرفِ والنزاهةِ من أجل بعض النقود الزائلة التافهة!!

من ضحايا الإنترنت
قِصَّةٌ مأساوِيَّةٌ تَروِيهَا إحداهُنَّ لِصَديقَتِها

صَديقتي العزيزة . .

بعد التحية والسلام . .

لن تصدقي ما حدث لي وما فعلته بملء إرادتي. . أنت الوحيدة في هذا العالم التي أبوح لها بما فعلتُ. . فأنا لم أعُدْ أنا. . كل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن يأخذني الموت قبل أن أقتُل نفسي. . إن قصتي التي ما من يوم يمر عليَّ إلا وأبكي حتى أني لا أقدر على الرؤية بعدها. . كل يومٍ يمر أفكر فيه بالانتحار عشراتِ المراتِ. . لم تعد حياتي تهمني أبدًا. . أتمنى الموت كل ساعةٍ. . وها هي ذي قصتي وإنني أضعها بين يديك لكي تنشريها حتى تكون علامةً ووقايةً لكل بنتٍ تستخدم الإنترنت ولكي تعتبروا يا أولي الأبصار. . . إليك قصتي:

بدايتي كانت مع واحدةٍ من صديقاتي القليلاتِ. . دعتني ذات يومٍ إلى بيتها وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيرًا وقد أثارت فيَّ الرغبة لمعرفة هذا العالم. لقد علمتني كيف يستخدم وكل شيءٍ تقريبًا على مدار شهرين حيثُ بدأت أزورها كثيرًا. تعلمتُ منها الشات بكل أشكالهِ. . تعلمتُ منها كيفية التصفح وبحث المواقع الجيدة والرديئة خلال هذه الشهرين، كنت في عراك مع زوجي كي يُدخلَ الإنترنت إلى البيت. . وكان ضد المسألة حتى أقنعته بأنني أشعر بالمللِ الشديد، وأني بعيدة عن أهلي وصديقاتي، وتحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت، فلم لا أستخدم أنا هذه الخدمة وأحادث صديقاتي عَبرَهُ فهو أرخص من فاتورة الهاتف على أقل تقدير. . فوافق زوجي رحمةً بي.

وفعلًا أصبحت بشكلٍ يوميٍّ أحادث صديقاتي كما تعرفين. بعدها

أصبح زوجي لا يسمع منى أي شكوى أو مطالب.. أعترف بأنه أرتاح كثيرًا من إزعاجي وشكواي لهُ. كان كلمَا خرج من البيت أقبلت كالمجنونة على الإنترنت وبشغف شديد أجلس وأقضي الساعات الطوال.

خلال تلك الأيام بنيتُ علاقاتٍ مع أسماء مستعارةٍ، لا أعرفُ إن كانت لرجل أم لأنثى. كنتُ أحاور كل من يحاورني عبر الشات.. حتى وأنا أعرفُ أن الذي يحاورني رجلٌ. كنتُ أطلبُ المساعدة من بعض الذين يدّعون المعرفة في الكمبيوتر والإنترنت.. تعلمت منهم الكثير.. إلا أن شخصًا واحدًا هو الذي أقبلتُ عليه بشكلٍ كبيرٍ لما له من خبرةٍ واسعةٍ في مجال الإنترنت. كنتُ أخاطبهُ دائمًا وألجأ إليه ببراءةٍ كبيرةٍ في كثير من الأمور حتى أصبحت أكلمهُ بشكلٍ يوميٍّ.. أحببتُ حديثهُ ونكتهُ وكان مسليًا.. وبدأتِ العلاقة به تقوى مع الأيام. تكونت هذه العلاقة اليومية في خلال ثلاثة أشهر تقريبًا.. وكان بيني وبينه الشيءُ الكثير والذي أغراني بكلامهِ المعسولِ وكلمات الحب والشوقِ.. ربما لم تكن كلماتهُ جميلةً لهذه الدرجة ولكن الشيطان جملها بعيني كثيرًا.

في يوم من الأيام طلب سماع صوتي وأصرَّ على طلبه حتى أنه هددني بتركي وأن يتجاهلني في الشات.. حاولت كثيرًا مقاومة هذا الطلب ولم أستطع.. لا أدري لماذا؟ .. حتى قبلتُ مع بعض الشروط.. أن تكون مكالمة واحدة فقط.. فقبل ذلك. استخدمنا برنامجًا للمحادثة الصوتية.. رغم أن البرنامج ليس بالجيد ولكن كان صوته جميلًا جدًا وكلامه عذبًا جدًا.. كُنتُ أرتعش من سماع صوتِه، طلب مني رقمي وأعطاني رقم هاتفه.. إلا أنني كنت مترددة في هذا الشيء ولم أجرؤ على مكالمته لمدةٍ طويلةٍ.. إنني أعلم أن الشيطان الرجيم كان يلازِمني ويُحسنُها في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين وما أملكُ من أخلاقٍ.. حتى أتى اليوم الذي كلمته فيه عبر الهاتف.

ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف.. لقد انجرفت كثيرًا.. كنا كالعمالقة في عالم الشاتِ.. الكل كان يحاول التقرب منا والويل لمن

يحاربنا أو يشتمنا. أصبحنا كالجسد الواحدِ. . نستخدم الشات ونحن نتكلم عبر الهاتف. . لن أطيل الكلام. . كل من يقرأ كلماتي يشعر بأن زوجي مهملٌ في حقي أو كثير الغياب عن البيت. . ولكن هو بالعكس من ذلك. . كان يخرجُ من عملهِ ولا يذهب إلى أصدقائه كثيرًا من أجلي. ومع مرور الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنتُ أقضي بها ما يقارب ٨ إلى ١٢ ساعة يوميًا. . أصبحت أكرهُ كثرة تواجده في البيت.

بدأت علاقتنا بالتطور. . أصبح يطلب رؤيتي بعد أن سمع صوتي والذي ربما ملهُ. . لم أكن أبالي كثيرًا أو أحاول قطع اتصالي به . . بل كنتُ فقط أعاتبه على طلبه وربما كنت أكثر منه شوقًا إلى رؤيته. . ولكني كنت أترفع عن ذلك لا لشيءٍ سوى أنني خائفةٌ من الفضيحة وليس من اللهِ. أصبح إلحاحهُ يزدادُ يومًا بعد يومٍ ويريد فقط رؤيتي لا أكثر. . فقبلت طلبه بشرطِ أن يكون أول وآخر طلبٍ كهذا يأتي منه، وأن يراني فقط دون أي كلام. أعتقد أنه لم يصدقْ بأنني تجاوبت معه بعد أنْ كان شبه يائسٍ من تجاوبي. . فأوضح لي بأن السعادة تغمره وهو إنسان يخشى أن يصيبني أي مكروهٍ وسوف يكون كالحصن المنيع ولنْ أجدَ منه مَا أكرَهُ ووافق على شروطي، وأقسم بأن تكون نظرةً فقط لا أكثرُ. نعم تجاوبت معهُ. . تواعدنا والشيطان ثالثنا في أحد الأسواقِ الكبيرة في أحدِ المحلاتِ بالساعة والدقيقة. لقد رآني ورأيته وليتني لم أرهُ ولم يرني. . كان وسيمًا جدًا حتى في جسمه وطوله وكل شيءٍ فيه أعجبني نعم أعجبني في لحظة قصيرةٍ لا تتعدى دقيقة واحدةً. . ومنْ جهته لم يصدق أنه كان يتحادث مع من هي في شكلي. أوضح لي بأنني أسرته بجمالي وأحبني بجنونٍ. . كان يقول لي إنه سوف يقتل نفسه إن فقدني بعدها. . كان يقول ليته لم يرني أبدًا. زادني أنوثةً وأصبحت أرى نفسي أجمل بكثير من قبلُ حتى قبل زواجي.

هذه بداية النهاية يا أخواتي. لم يكن يعرف أني متزوجةٌ وقد رزقني اللهُ من زوجي بعددٍ من الأبناءِ. . عمُومًا أصبح حديثنا بعد هذا اللقاء مختلفٌ تمامًا. كان رومانسيًا وعرف كيف يستغل ضعفي كأنثى وكان

الشيطان يساعده بل ربما يقوده. أراد رؤيتي وكنت أتحجج كثيرًا وأذكره بالعهد الذي قطعه.. مع أن نفسي كانت تشتاق إليه كثيرًا. لم يكن بوسعي رؤيته وزوجي موجودٌ في المدينةِ. أصبح الذي بيننا أكثر جديةٍ فأخبرته أنني متزوجة ولي أبناءٌ، ولا أقدرُ على رؤيته ويجب أن تبقى علاقتنا في الشات فقط. لم يصدق ذلك وقال لي لا يمكن أن أكون متزوجة ولي أبناء. قال لي أنت كالحورية التي يجب أن تصانَ، أنت كالملاك الذي لا يجب أن يُوطأ وهكذا...

أصبحتُ مدمِنةً على سماع صوته وإطرائه تخيلت نفسي بين يديه وذراعيه كيف سيكون حالي.. جعلني أكره زوجي الذي لم ير الراحة أبدًا في سبيل تلبية مطالبي وإسعادي أنا وأبنائي.. بدأت أحس بالجنون إذا غاب عني ليوم أو يومين أو إذا لم أره في الشات.. أصاب بالغيرة إذا تخاطب مع غيري أو خاطبه أحدهم.. أصاب بالصداعِ إذا غاب في الشات... لا أعلم ما الذي أصابني.. إلا أنني أصبحت أريده أكثر فأكثر.

لقد أدرك ذلك تمامًا وعرف كيف يستغلني حتى يتمكن من رؤيتي مجددًا.. كان كل يوم يمر يطلب فيه رؤيتي.. وأنا أتحجج بأنني متزوجة.. وهو يقول ما الذي يمكن أن نفعله.. أنبقى هكذا حتى نموت من الحزنِ.. أيُعقَلُ أن نُحِبَّ بعضَنا البعضَ ولا نستطيع الاقترابَ.. لابد منْ حلٍّ يجب أن نجتمع.. يجب أن نكون تحت سقفٍ واحدٍ. لم يترك طريقةً إلا وطرقها.. وأنا أرفض وأرفضُ. حتى جاء اليومُ الذي عرض فيه عليّ الزواج، ويجب أن يطلقني زوجي حتى يتزوجني هو.. وإذا لم أقبل فإما أنْ يموتَ أو أن يُصابَ بالجنونِ أو يقتُلَ زوجِي. الحقيقة رغم خوفي الشديد إلا أني وجدتُ في نفسي شيئًا يدني إليه.. وكأن الفكرة أعجبتني. كان كلما خاطبني ترتعش أطرافي وتصطك أسناني كأن البرد كلهُ داخلي.

احترتُ في أمري كثيرًا.. أصبحت أرى نفسي أسيرة زوجي وأن حبي له لم يكن حبًا.. بدأت أكره منظره وشكله.. لقد نسيتُ نفسي وأبنائي..

كرهتُ زواجي وعيشتي وكأني فقط أنا الوحيدة في هذا الكون التي عاشتْ وعرفت معنى الحب.

عندما علم وتأكد بمقدارِ حبي لهُ وتمكنهِ مني ومن مشاعري عرض عليّ بأن أختلق مشكلة مع زوجي وأجعلها تكبر حتى يطلقني.. لم يخطر ببالي هذا الشيء وكأنها بدت لي هي المخرج الوحيد لأزمتي الوهمية.. وعدني بأنه سوف يتزوجني بعد طلاقي من زوجي وأنه سوف يكون كل شيءٍ في حياتي وسوف يجعلني سعيدة طوال عمري معه. لم يكن وقعها عليّ سهلًا، ولكن راقتْ هذه الفكرة لي كثيرًا وبدأت فعلًا أصطنع المشاكل مع زوجي كل يومٍ حتى أجعله يكرهني ويطلقني.. بقينا على هذهِ الحالةِ عدة أسابيع.. وأنا منهمكةٌ في اختلاق المشاكلِ حتى إنني كنتُ أخططُ لها مسبقًا.

بدأ يمل من طول المدةِ ويصر على رؤيتي لأن زوجي ربما لن يطلقني بهذه السرعة حتى طلب مني أن يراني وإلا؟. لقد قبلت دون ترددٍ كأن إبليس اللعين هو من يحكي عني ويتخذُ القراراتِ بدلًا مني.. وطلبتُ منهُ مهلةً أتدبرُ فيها أمري.

وفي يومٍ من الأيام قال زوجي إنه ذاهب في رحلةِ عملٍ لمدةِ خمسة أيام.. أحسستُ أن هذا هو الوقت المناسب. أراد زوجي أن يرسلني إلى أهلي كي أرتاح نفسيًا وربما أخفف عنه هذه المشاكل المصطنعة.. فرفضت وتحججت بكل حجةٍ حتى أبقى في البيت.. فوافق مضطرًا وذهب مسافرًا.. كنتَ أصحو من النوم فأذهب إلى الشات اللعين وفي المساء أغلقهُ فأذهب إلى النوم. وبعد أيام كان الموعدُ.. حيث قبلتُ مطالب صديق الشاتِ وقلت له بأنني مستعدة للخروج معه. كنتُ على علمٍ بما أقوم به من مخاطرةٍ ولكن تجاوز الأمر بي حتى لم أعد أشعر بالرهبة والخوف كما كنت في أول مرةٍ رأيته فيها. وخرجت معه.. نعم لقد بعت نفسي وخرجت معه.. اجتاحتني رغبة في التعرف عليه أكثر وعن قربٍ. اتفقنا على مكان في أحد الأسواقِ.. وجاء في نفس الموعد

وركبت سيارته ثم انطلق يجوب الشوارع. لم أشعر بشيءٍ رغم قلقي فهي أول مرةٍ في حياتي أخرج مع رجلٍ لا يمتُّ لي بأي صلةٍ سوى معرفة سبعة أشهرٍ تقريبًا عن طريق الشات ولقاءٍ واحدٍ فقط لمدةٍ دقيقةٍ واحدةٍ. كان يبدو عليه القلق أكثر مني..

وبدأت الحديث قائلة لهُ: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت.. أخشى أن يتصل زوجي أو يحدثُ شيء.

قال لي:- بترددٍ- وإذا عرف، ربما يطلقك وترتاحين منهُ.

لم يعجبني حديثه ونبرة صوته.. بدأ القلق يزداد عندي ثم قلتُ لهُ: يجب ألا تبتعد كثيرًا.. لا أريدُ أن أتأخر عن البيتِ..

قال لي: سوف تتأخرين بعض الوقتِ.. لأنه لن أتنازل عنك بهذه السهولة.. فقط أريد أن تبقي معي بعض الوقت.. أريد أن أملأ عيني منك لأنه ربما لن يكون هناك مجالٌ عندك لرؤيتي بعدها.

هكذا بدأ الحديث.. رغم قلقي الذي بدأ يزداد إلا أني كنت أريد البقاء معه أيضًا.

بدأ الحديث يأخذ اتجاهًا رومانسيًا.. لا أعلم كم من الوقت بقينا على هذه الحال، حتى إني لم أشعر بالطريق أو المسار الذي كان يسلكه..

وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه.. مظلم وهو أشبه بالاستراحة أو المزرعة.. بدأت أصرخ عليه ما هذا المكان إلىَ أين تأخذني.

وما هي إلا ثوانٍ معدودة والسيارة تقف ورجل آخر يفتح على الباب ويخرجني بالقوة.. كأن كل شيءٍ ينزل علي كالصاعقة.. صرخت وبكيتُ واستجديت بهم..

أصبحت لا أفهم ما يقولون ولا أعي ماذا يدور حولي.

شعرت بضربة كف على وجهي وصوتٍ يصرخُ علي وقد زلزلني زلزالًا فقدْتُ الوعي بعده من شدة الخوف..

إني لا أعلم ماذا فعلوا بي أو من هم أو كم عددهم.. رأيت اثنين فقط.. كل شيءٍ كان كالبرق من سرعتهِ. لم أشعر بنفسي إلا وأنا مستلقية

في غرفة خالية شبه عارية.

ثيابي تمزقت.. بدأت أصرخ وأبكي وكان كل جسمي متسخ.. وأعتقد أنني بلتُ على نفسي.. لم تمر سوى ثوانٍ إلا ويدخل علي وهو يضحك.. قلت له: باللهِ عليكم خَلُّوا سبيلي.. خلوا سبيلي.. أريد أن أذهب إلى البيت.

قال: سوف تذهبين إلى البيت ولكن يجب أن تتعهدي بأن لا تخبري أحدًا وإلا سوف تكونين فضيحة أهلك وإذا أخبرت عني أو قدمت شكوى سيكون الانتقام من أبنائك. قلتُ لهُ: فقط أريد أن أذهب ولن أخبر أحدًا.

تملكني رعب شديدٌ كنتُ أرى جسمي يرتعش ولم أتوقف عن البكاء.. هذا الذي أذكر من الحادثة.. ولا أعلم أي شيءٍ آخر سوى أنه استغرق خروجي إلى حين عودتي ما يقارب الأربع ساعاتٍ. ربط عيني وحملوني إلى السيارة ورموني في مكان قريب من البيت.

لم يرني أحد وأنا في تلك الحالة.. دخلت البيت مسرعة.. وبقيت أبكي وأبكي حتى جفت دموعي. تبين لي بعدها بأنهم اغتصبوني وكنت أنزفُ دمًا .. لم أصدق ما حدث لي أصبحت حبيسة غرفتي لم أرَ أبنائي ولم أدخل في فمي أي لقمة.

يا ويلي من نفسي لقد ذهبت إلى الجحيم برجلي.. كيف سيكون حالي بعد هذه الحادثة.. كرهت نفسي وحاولت الانتحار.. خشيتُ من الفضيحة ومن ردة فعل زوجي.

لا تسأليني عن أبنائي فبعد هذه الحادثة لم أعُدْ أعرفُهُم أو أشعر بوجودهم ولا بكل من حولي.. حتى بعد أن رجع زوجي من السفر شعر بالتغير الكبير والذي لم يعهده من قبل وكانت حالتي سيئةٌ لدرجة أنه أخذني إلى المستشفى بقوة.. والحمد للهِ أنهم لم يكشفوا علي كشفًا كاملًا بل وجدوني في حالةٍ من الجفاف وسوء التغذية وتوقفوا عند ذلك. لن أطيل.. طلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي بأسرعِ وقتٍ.

كنت أبكي كثيرًا وأهلي لا يعلمون شيئًا ويعتقدون أن هناك مشكلة بيني

وبين زوجي.. أعتقد أن أبي تخاطب معه ولم يصلْ إلى نتيجة حيث إن زوجي هو نفسه لا يعلم شيئًا... لا أحدٌ يعلمُ ما الذي حل بي حتى إن أهلي عرضوني على بعضِ القرّاءِ اعتقادًا منهم بأنني مريضة..

أنا لا أستحق زوجي أبدًا وقد طلبتُ منه هذه المرة الطلاق وقد كنت في السابق أطلب الطلاق لنفسي وهذه المرة أطلبه إكرامًا لزوجي وأبو أبنائي..

أنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقًا.. وكل ما جرى لي هو بسببي أنا وبسبب الشات اللعين.. أنا التي حفرت قبري بيدي.. وصديق الشات لم يكن سوى صائدًا لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن الشات. وكل من سوف يعرف قصتي.. سوف ينعتني بالغبية والساذجة.. بل أستحق الرجم أيضا.. وفي المقابل أتمنى بأن لا يحدُث لأحدٍ ما حدث لي.

أتمنى أن يسامحني زوجي فهو لا يستحق كل هذا العارِ.. أرجو من أبنائي أن يسامحوني.. أنا السبب أنا السببُ، والله أسأل أن يغفر لي ذنبي ويعفو عني خطيئتي.

الآن وبعد أن قرأتم قصة صديقتي.. أما آن للبنات ومن يستخدم الشات، والشباب الذي يلهث وراء الشهوات أن يخافوا الله في أنفسهم وأهليهم. هي ليست غلطةُ الإنترنت.. بل نحن الذين لم نحسن استخدامه.. نحن الذين نترك الخير والفائدة العظيمة ونبحث عن الشر وما هو منافٍ لأخلاق المسلم. أنا ألوم صديقتي لأنها كانت من أكثرنا رجاحة في العقل وكنا نحسدها على ذلك. لم تكن عيشتها سيئةً أو أن انتقالها مع زوجها جريمة.. بل كانت تعيش عيشة الكرام ومسألة الفراغ عند من لا يحسن استغلاله الاستغلال الأمثل هي المشكلة. الإنترنت في الغالب باب واسع من المعرفة وهو أيضًا باب للشر والرذيلة. ربما يجب أن نعيد النظر في الشات وهي ليست بالمسألة الهينة.. وماذا عن الفراغ الذي يملأ ديارنا.. وهؤلاء الشباب ممن ليس لديهم عمل أو أهل يراقبونهم. كل

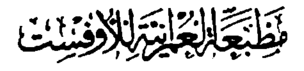
شيء يسير إلى الأسوأ في نظري.. المشاكل كثرت.. والطلاق.. والسرقاتُ.

أين دورُ الأبِ ورب الأسرة؟ ربما زوجها لم يحسن معاملتها وتوجيهها التوجيه الصحيح بل ربما رضخ لما تطلب ولم يبالِ في معرفة ماذا يدور. وأنتم يا من يدعي الإسلام.. ماذا فعلتم تجاه أنفسكم ومن بين أيديكم؟ إن الفراغ الذي يملأ ديارنا هو شر وأي شر. نحن إن بقينا على حالنا ولم نتحرك أصبحنا كالنعام ندُسُّ رأسنا في التراب. أين الدعوة والإرشاد وهيئة الأمر بالمعروف؟ لماذا نحن آخر من يستخدم التقنيات الجديدة؟ لماذا لا نكون الرواد بدلًا من لحاقنا بالغرب وبدلًا من أن نسير مع ما يريده الغرب منا. أين شبابنا من العلم والنخر فيه؟ أين شباب المسلمين من وقتهم وكيف يوجد بينهم من يريد الفساد في الأرض؟.

لا أقول إلا حسبُنا الله ونعم الوكيل.. اللهم سلِّم اللهم سلِّم.. اللهم لطفك بعبادك.. اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا يُعزُّ فيه أهلُ طاعتك ويُذَلُّ فيه أهلُ معصيتك ويُؤمرُ فيه بالمعروف ويُنهى به عن المنكر.

بقي أن أقول.. لقد توفيت صديقتي بعد فترةٍ.. ماتت ومات سِرها معها.. زوجها لم يطلقها وقد عَلِمتُ أنه حزن عليها حزنًا شديدًا.. وعلمت أنه ترك عمله.. ورجع لكي يبقى بجانب أبنائه. شعرت بعدها أن هذه الحياة ليست ذات أهميةٍ، ليس لها طعم أبدًا إلا لمن يستثمرها في طاعة اللهِ ورَسُولِهِ ﷺ.

الفهرس



ت: ٢٣٧٥٦٢٩٩ - ف: ٢٣٠٧٩٩١٥